سورة الإسراء

سُورَة الإسْراءِ مَكيّة وآياتها إحدى عشرة ومائة

بِسمِ اللّهِ الرحمَن الرّحِيـمِ

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىَ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىَ الْمَسْجِدِ الأقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنّهُ هُوَ السّمِيعُ البَصِيرُ }.

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: يعني تعالى ذكره بقوله تعالى: سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بعَبْدِه لَيْلاً تنزيها للذي أسرى بعبده وتبرئة له مما يقول فيه المشركون من أنّ له من خلقه شريكا، وأن له صاحبة وولدا، وعاوّا له وتعظيما عما أضافوه إليه، ونسبوه من جهالاتهم وخطأ أقوالهم.

وقد بيّنت فيما مضى قبل، أن قوله سبحان اسم وُضع موضع المصدر، فنصب لوقوعه موقعه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد كان بعضهم يقول: نصب لأنه غير موصوف، وللعرب في التسبيح أماكن تستعمله فيها. فمنها الصلاة، كان كثير من أهل التأويل يتأوّلون قول الله: فَلَوْلا أنّهُ كانَ مِنَ المُسَبّحِينَ: فلولا أنه كان من المصلين. ومنها الاستثناء، كان بعضهم يتأول قول الله تعالى: أَلَمْ أقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبّحُونَ: لولا تستثنون، وزعم أن ذلك لغة لبعض أهل اليمن، ويستشهد لصحة تأويله ذلك بقوله: إذْ أقْسَمُوا لَيَصْرِمُنّها مُصْبِحِينَ وَلا يَسْتَثْنُونَ قال: قَال أوْسَطُهُمْ أَلَم أقُلْ لَكُمْ لَوْلاَ تُسَبّحونَ فَذكرهم تركهم الاستثناء. ومنها النور، وكان بعضهم يتأوّل في الخبر الذي رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لَوْلا ذلكَ لاَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ ما أدْرَكَتْ مِنْ شَيْء» أنه عنى بقوله: سبحات وجهه: نور وجهه.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: سُبْحانَ الّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16621ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن عثمان بن موهب، عن موسى بن طلحة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه سُئل عن التسبيح أن يقول الإنسان: سُبْحانَ الله، قال: «إنْزَاهُ اللّهِ عَنِ السّوءِ».

16622ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا عبدة بن سليمان، عن الحسن بن صالح، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: سبحان الله: قال: إنكاف لله. وقد ذكرنا من الآثار في ذلك ما فيه الكفاية فيما مضى من كتابنا هذا قبل. والإسراء والسّرى: سير الليل. فمن قال: أسْرى، قال: يُسري إسراء ومن قال: سرى، قال: يَسري سُرَىً، كما قال الشاعر:

ولَيْلَةٍ ذَاتِ دُجًى سَرَيْتُولَمْ يَلِنْنِي عَنْ سُراها لَيْتُ

ويروى: ذات ندى سَرَيْت.

ويعني بقوله: لَيْلاً من الليل. وكذلك كان حُذيفة بن اليمان يقرؤها.

16623ـ حدثنا أبو كريب، قال: سمعت أبا بكر بن عياش ورجل يحدّث عنده بحديث حين أسري بالنبيّ صلى الله عليه وسلم فقال له: لا تجيء بمثل عاصم ولا زر، قال: قرأ حُذيفة: «سُبْحانَ الّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ مِنَ اللّيْلِ منَ المَسجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى» وكذا قرأ عبد الله.

وأما قوله: مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ فإنه اختُلف فيه وفي معناه، فقال بعضهم: يعني من الحرم، وقال: الحرم كله مسجد. وقد بيّنا ذلك في غير موضع من كتابنا هذا. وقال: وقد ذُكر لنا أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان ليلة أُسري به إلى المسجد الأقصى كان نائما في بيت أمّ هانىء ابنة أبي طالب. ذكر من قال ذلك:

16624ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن السائب، عن أبي صالح بن باذام عن أمّ هانىء بنت أبي طالب، في مسرى النبيّ صلى الله عليه وسلم، أنها كانت تقول: ما أُسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلاّ وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قُبَيل الفجر، أهبّنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: «يا أُمّ هانِىءٍ لَقَدْ صَلّيْتُ مَعَكُمُ العِشاءَ الآخِرَةِ كمَا رأيْتِ بهَذَا الوَادِي، ثُمّ جِئْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ فَصَلّيْتُ فِيهِ، ثُمّ صَلّيْتُ صَلاةَ الغَدَاةِ مَعَكُمُ الآنَ كمَا تَرَيْنَ».

وقال آخرون: بل أُسرى به من المسجد، وفيه كان حين أسرى به. ذكر من قال ذلك:

16625ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر بن عدي، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، وهو رجل من قومه قال: قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «بَيْنا أنا عِنْدَ البَيْتِ بينَ النائمِ واليَقْظانِ، إذْ سَمِعْتُ قائلاً يَقُولُ، أحَدُ الثلاثَةِ، فأتِيتُ بطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيها مِنْ ماءِ زَمْزَمَ، فَشَرَحَ صَدْرِي إلى كَذَا وكَذَا» قال قتادة: قلت: ما يعني به؟ قال: إلى أسفل بطنه قال: «فاسْتَخْرَجَ قَلْبِي فغُسلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمّ أُعِيدَ مَكانَهُ، ثُمّ حُشِيَ إيمَانا وَحِكْمَةً، ثُمّ أتِيتُ بِدَابّةٍ أبْيَض»، وفي رواية أخرى: «بِدَابّة بَيْضَاءَ يُقالُ لَهُ البُرَاقُ، فَوْقَ الحِمارِ وَدُونَ البَغْلِ، يَقَعُ خَطْوُهُ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فحُمِلْتُ عَلَيْهِ، ثُمّ انْطَلَقْنا حتى أتَيْنا إلى بَيْتِ المَقْدِسِ فَصَلّيْتُ فِيهِ بالنّبِيّينَ والمُرْسَلِينَ إماما، ثُمّ عُرِجَ بِي إلى السّماءِ الدّنْيا»... فذكر الحديث.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا خالد بن الحرث، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك، يعني ابن صعصعة رجل من قومه، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، نحوه.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رجل من قومه، قال: قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر نحوه.

16626ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال محمد بن إسحاق: ثني عمرو بن عبد الرحمن، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَيْنا أنا نائمٌ في الحِجْرِ جاءَنِي جبْرِيلُ فَهَمَزَنِي بِقَدمِهِ، فجَلَسْتُ فَلَمْ أرَ شَيْئا، فَعُدْتُ لِمَضْجَعي، فجاءَنِي الثّانِيَةَ فَهَمَزَنِي بقَدَمِهِ، فَجَلَسْتُ فَلَمْ أرَ شَيْئا، فَعُدْتُ لِمَضْجَعي، فجاءَني الثّالِثَةَ

فَهَمَزَنِي بقَدَمِهِ، فَجَلَسْتُ، فَأخَذَ بعَضُدِي فَقُمْتُ مَعَهُ، فخَرَجَ بِي إلى باب المَسْجِدِ، فإذَا دَابّةٌ بَيْضَاءُ بينَ الحِمارِ والبَغْلِ، لَهُ فِي فَخِذَيْهِ جَناحان يَحْفِزُ بِهما رِجْلَيْهِ، يَضَعُ يَدَهُ فِي مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فحَمَلَني عَلَيْهِ ثُمّ خَرَجَ مَعي، لا يَفُوتُني وَلا أفُوتُهُ».

16627ـ حدثنا الربيع بن سليمان، قال: أخبرنا ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر، قال: سمعت أنسا يحدثنا عن ليلة المسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أوّلهم: أيهم هو؟ قال أوسطهم: هو خيرهم، فقال أحدهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبيّ صلى الله عليه وسلم تنام عيناه، ولا ينام قلبه. وكذلك الأنبياء تنام أعينهم، ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبرئيل عليه السلام، فشقّ ما بين نحره إلى لبّته، حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم حتى أنقى جوفه، ثم أتي بطست من ذهب فيه تَوْرٌ محشوّ إيمانا وحكمة، فحشا به جوفه وصدره ولغاديده، ثم أطبقه ثم ركب البراق، فسار حتى أتى به إلى بيت المقدس فصلى فيه بالنّبيين والمرسلين إماما، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابا من أبوابها، فناداه أهل السماء: من هذا؟ قال: هذا جبرائيل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: أوَ قَد بُعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: فمرحبا به وأهلاً، فيستبشر به أهل السماء، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله بأهل الأرض حتى يُعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبرائيل: هذا أبوك، فسلّم عليه، فردّ عليه، فقال: مرحبا بك وأهلاً يا بني، فنعم الابن أنت، ثم مضى به إلى السماء الثانية، فاستفتح جبرائيل بابا من أبوابها، فقيل: من هذا؟ فقال: جبرئيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أو قد أرسل إليه؟ قال: نعم قد أرسل إليه، فقيل: مرحبا به وأهلاً، ففُتح لهما فلما صعد فيها فإذا هو بنهرين يجريان، فقال: ما هذان النهران يا جبرائيل؟ قال: هذا النيل والفرات عنصرهما ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبرائيل بابا من أبوابها، فقيل: من هذا؟ قال: جبرئيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوَ قَد بُعث إليه؟ قال: نعم قد بُعث إليه، قيل: مرحبا به وأهلاً، ففُتح له فإذا هو بنهر عليه قباب وقصور من لؤلؤ وزبرجد وياقوت، وغير ذلك مما لا يعلمه إلاّ الله، فذهب يشمّ ترابه، فإذا هو مسك أذفر، فقال: يا جبرائيل ما هذا النهر؟ قال: هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك في الآخرة ثم عرج به إلى الرابعة، فقالوا به مثل ذلك ثم عرج به إلى الخامسة، فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السادسة، فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السابعة، فقالوا له مثل ذلك، وكلّ سماه فيها أنبياء قد سماهم أنس، فوعيت منهم إدريس في الثانية، وهارون في الرابعة، وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم في السادسة، وموسى في السابعة بتفضيل كلامه الله، فقال موسى: رب لم أظنّ أن يرفع عليّ أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلاّ الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا باب الجبّار ربّ العزّة، فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما شاء، وأوحى الله فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه، فقال: يا

محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال: «عهد إليّ خمسين صلاة على أمتي كل يوم وليلة» قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك وعنهم، فالتفتّ إلى جبرائيل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه أن نعم، فعاد به جبرائيل حتى أتى الجبّارَ عزّ وجلّ وهو مكانه، فقال: «ربّ خفف عنا، فإن أمتي لا تستطيع هذا»، فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى عليه السلام فاحتبسه، فلم يزل يردّده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه عند الخمس، فقال: يا محمد قد والله راودتُ بني إسرائيل على أدنى من هذه الخمس، فضعفوا وتركوه، فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبصارا وأسماعا، فارجع فليخفف عنك ربك، كلّ ذلك يلتفت إلى جبرئيل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبرئيل، فرفعه عند الخمس، فقال: «يا ربّ إن أمتي ضعاف أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، فخفف عنا»، قال الجبّار جلّ جلاله: يا محمد، قال: «لبّيك وسعديك»، فقال: إني لا يُبدّل القول لديّ كما كتبت عليك في أمّ الكتاب، ولك بكلّ حسنة عشر أمثالها، وهي خمسون في أمّ الكتاب، وهي خمس عليك فرجع إلى موسى، فقال: كيف فعلت؟ فقال: «خفّف عني، أعطانا بكلّ حسنة عشر أمثالها»، قال: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من هذا فتركوه فارجع فليخفف عنك أيضا، قال: «يا موسى قد والله استحييت من ربي مما أختلف إليه»، قال: فاهبط باسم الله، فاستيقظ وهو في المسجد الحرام.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله عزّ وجلّ أخبر أنه أسرى بعبده من المسجد الحرام، والمسجد الحرام هو الذي يتعارفه الناس بينهم إذا ذكروه، وقوله: إلى المَسْجِدِ الأقْصَى يعني: مسجد بيت المقدس، وقيل له: الأقصى، لأنه أبعد المساجد التي تزار، ويُبتَغى في زيارته الفضل بعد المسجد الحرام. فتأويل الكلام تنزيها لله، وتبرئة له مما نحله المشركون من الإشراك والأنداد والصاحبة، وما يجلّ عنه جلّ جلاله، الذي سار بعبده ليلاً من بيته الحرام إلى بيته الأقصى.

ثم اختلف أهل العلم في صفة إسراء الله تبارك وتعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فقال بعضهم: أسرى الله بجسده، فسار به ليلاً على البُراق من بيته الحرام إلى بيته الأقصى حتى أتاه، فأراه ما شاء أن يريه من عجائب أمره وعبره وعظيم سُلطانه، فجمعت له به الأنبياء، فصلى بهم هُنالك، وعَرج به إلى السماء حتى صعد به فوق السموات السبع، وأوحى إليه هنالك ما شاء أن يوحي ثم رجع إلى المسجد الحرام من ليلته، فصلى به صلاة الصبح. ذكر من قال ذلك، وذكر بعض الروايات التي رُويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيحه:

16628ـ حدثنا يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، قال: أخبرني ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسري به على البُراق، وهي دابّة إبراهيم التي كان يزور عليها البيت الحرام، يقع حافرها موضع طرفها، قال: فمرّت بعير من عيرات قريش بواد من تلك الأودية، فنفرت العير، وفيها بعير عليه غرارتان: سوداء، وزرقاء، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إيلياء فأتى بقدحين: قدح خمر، وقدح لبن، فأخذ

رسول الله صلى الله عليه وسلم قدح اللبن، فقال له جبرئيل: هُديت إلى الفطرة، لو أخذت قدح الخمر غوت أمتك. قال ابن شهاب: فأخبرني ابن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي هناك إبراهيم وعيسى، فنعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «فأمّا مُوسَى فَضَرْبٌ رَجْلُ الرأسِ كأنّهُ مِنْ رِجالِ شَنُوءَةَ، وأمّا عِيسَى فَرَجْلٌ أحْمَرُ كأنّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ، فأشْبَهُ مَنْ رأيْتُ بِهِ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودِ الثّقَفِيّ وأمّا إبْرَاهِيمُ فأنا أشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ» فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حدّث قريشا أنه أسري به. قال عبد الله: فارتدّ ناس كثير بعد ما أسلموا، قال أبو سلمة: فأتى أبو بكر الصدّيق، فقيل له: هل لك في صاحبك، يزعم أنه أسري به إلى بيت المقدس ثم رجع في ليلة واحدة، قال أبو بكر: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فأشهد إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أفتشهد أنه جاء الشام في ليلة واحدة؟ قال: إني أصدّقه بأبعد من ذلك، أصدّقه بخبر السماء. قال أبو سلمة: سمعت جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَمّا كَذّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فَمَثّلَ اللّهُ لي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آياتِه وأنا أنْظُرُ إلَيْهِ».

16629ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن أنس بن مالك، قال: لما جاء جبرائيل عليه السلام بالبراق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكأنها ضربت بذنبها، فقال لها جبرئيل: مه يا براق، فوالله إن ركبك مثله فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو بعجوز ناء عن الطريق: أي على جنب الطريق.

قال أو جعفر: ينبغي أن يقال: نائية، ولكن أسقط منها التأنيث.

فقال: «ما هذه يا جبرائيل؟» قال: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير، فإذا شيء يدعوه متنحيا عن الطريق يقول: هلمّ يا محمد، قال جبرائيل: سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير قال: ثم لقيه خلق من الخلائق، فقال أحدهم: السلام عليك يا أوّل، والسلام عليك يا آخر، والسلام عليك يا حاشر، فقال له جبرائيل: اردد السلام يا محمد، قال: فردّ السلام ثم لقيه الثاني، فقال له مثل مقالة الأوّلين حتى انتهى إلى بيت المقدس، فعرض عليه الماء واللبن والخمر، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن، فقال له جبرائيل: أصبت يا محمد الفطرة، ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك، ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك. ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء، فأمّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة، ثم قال له جبرائيل: أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق، فلم يبق من الدنيا إلاّ بقدر ما بقي من عمر تلك العجوز، وأما الذي أراد أن تميل إليه، فذاك عدوّ الله إبليس، أراد أن تميل إليه وأما الذين سلّموا عليك، فذاك إبراهيم وموسى وعيسى.

16630ـ حدثني عليّ بن سهل، قال: حدثنا حجاج، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره شك أبو جعفر في قول الله عزّ وجلّ: سُبْحانَ الّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى الّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إنّهُ هُوَ السّميع البَصِيرُ قال: جاء جبرائيل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ومعه ميكائيل، فقال جبرائيل لميكائيل: ائتني بطست من ماء

زمزم كيما أطهر قلبه، وأشرح له صدره، قال: فشقّ عن بطنه، فغسله ثلاث مرّات، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طسات من ماء زمزم، فشرح صدره، ونزع ما كان فيه من غلّ، وملأه حلما وعلما وإيمانا ويقينا وإسلاما، وختم بين كتفيه بخاتم النبوّة، ثم أتاه بفرس فحمل عليه كلّ خطوة منه منتهى طرفه وأقصى بصره. قال: فسار وسار معه جبرائيل عليه السلام، فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا جبْرائيلُ ما هَذَا؟» قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، تُضاعف لهم الحسنة بسبع مئة ضعف، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم أتى على قوم تُرضخ رؤوسهم بالصخر، كلما رضخت عادت كما كانت، لا يفتر عنهم من ذلك شيء، فقال: «ما هؤلاء يا جَبرائِيل؟» قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم، ويأكلون الضريع والزقّوم ورضف جهنم وحجارتها، قال: «ما هَؤُلاء يا جَبْرائيلُ؟» قال: هؤلاء الذين لا يؤدّون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله شيئاً، وما الله بظلام للعبيد ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدور، ولحم آخر ني‌ء قذر خبيث، فجعلوا يأكلون من النيء، ويدعَون النضيج الطيّب، فقال: «ما هَؤُلاء يا جَبْرَئِيلُ؟» قال: هذا الرجل من أمتك، تكون عنده المرأة الحلال الطيّب، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيبا، فتأتي رجلاً خبيثا، فتبيت معه حتى تصبح. قال: ثم أتى على خشبة في الطريق لا يمرّ بها ثوب إلاّ شقّته، ولا شيء إلاّ خرقته، قال: «ما هَذَا يا جَبْرَئِيلُ؟» قال: هذا مثَل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه. ثم قرأ: وَلا تَقْعُدُوا بِكُلّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدّونَ... الآية. ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها، وهو يزيد عليها، فقال: «ما هذا يا جَبْرائِيلُ؟» قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها، وهو يزيد عليها، ويريد أن يحملها، فلا يستطيع ذلك ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء، قال: «ما هؤلاء يا جَبْرَئِيلُ؟» فقال: هؤلاء خطباء أمتك خطباء الفتنة يقولون ما لا يفعلون ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع، فقال: «ما هَذَا يا جَبْرَئِيلُ؟» قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة، ثم يندم عليها، فلا يستطيع أن يردّها ثم أتى على واد، فوجد ريحا طيبة باردة، وفيه ريح المسك، وسمع صوتا، فقال: «يا جَبْرائِيلُ ما هَذِهِ الرّيحُ الطّيّبَةُ البارِدَةُ وَهذِهِ الرّائحَةُ الّتي كَرِيحِ المسْكِ، وَما هَذَا الصّوْتُ؟» قال: هذا صوت الجنة تقول: يا ربّ آتني ما وعدتني، فقد كثرت غرفي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقري، ولؤلؤي ومرجاني، وفضتي وذهبي، وأكوابي وصحافي وأباريقي، وفواكهي ونخلي ورماني، ولبني وخمري، فآتني ما وعدتني، فقال: لكِ كلّ مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بي وبرسلي، وعمل صالحا ولم يُشرك بي، ولم يتخذ من دوني أندادا، ومن خشيني فهو آمن، ومن سألني أعطيته، ومن أقرضني جزيته، ومن توكّل عليّ كفيته، إني أنا الله لا إله إلاّ أنا لا أخلف الميعاد، وقد أفلح

المؤمنون، وتبارك الله أحسن الخالقين، قالت: قد رضيت ثم أتى علي واد فسمع صوتا منكرا، ووجد ريحا منتنة، فقال: «ما هَذِهِ الرّيحُ يا جَبْرَئيلُ وَما هَذَا الصّوْتُ؟» قال: هذا صوت جهنم، تقول: يا ربّ آتني ما وعدتني، فقد كثرت سلاسلي وأغلالي، وسعيري وجحيمي، وضريعي وغسّاقي، وعذابي وعقابي، وقد بعُد قعري واشتدّ حرّي، فآتني ما وعدتني، قال: لك كلّ مشرك ومشركة، وكافر وكافرة، وكلّ خبيث وخبيثة، وكلّ جبّار لا يؤمن بيوم الحساب، قالت: قد رضيت قال: ثم سار حتى أتى بيت المقدس، فنزل فربط فرسه إلى صخرة، ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قُضيت الصلاة. قالوا: يا جبرئيل من هذا معك؟ قال: محمد، فقالوا: أَوَ قَد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء قال: ثم لقي أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم، فقال إبراهيم: الحمد لله الذي اتخذني خليلاً وأعطاني ملكا عظيما، وجعلني أمّة قانتا لله يؤتمّ بي، وأنقذني من النار، وجعلها عليّ بردا وسلاما ثم إن موسى أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي كلّمني تكليما، وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بني إسرائيل على يدي، وجعل من أمتي قوما يهدون بالحقّ وبه يعدلون ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه، فقال: الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلّمني الزّبور، وألان لي الحديد، وسخّر لي الجبال يسبحن والطير، وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب ثم إن سليمان أثنى على ربه، فقال: الحمد لله الذي سخّر لي الرياح، وسخّر لي الشياطين، يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب، وقدور راسيات، وعلّمني منطق الطير، وآتاني من كلّ شيء فضلاً، وسخّر لي جنود الشياطين والإنس والطير، وفضّلني على كثير من عباده المؤمنين، وآتاني ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعدي، وجعل ملكي ملكا طيبا ليس عليّ فيه حساب ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربه، فقال: الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعل مثلي مثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له: كن فيكون، وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير، فأنفخ فيه، فيكون طيرا بإذن الله، وجعلني أبرىء الأكنه والأبرص، وأحيي الموتى بإذن الله، ورفعني وطهرني، وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان علينا سبيل قال: ثم إن محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه، فقال: «كُلُّكُمْ أَثْنَى عَلى رَبّهِ، وأنا مُثْنٍ عَلى رَبّي»، فقال: «الحَمْدُ لِلّهِ الذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً للعالَمِينَ، وكافةً لِلناس بَشِيرا وَنَذِيرا، وأَنْزَلَ عَليّ الفُرقَانَ فِيه تِبْيانُ كُلّ شَيْءٍ، وَجَعَلَ أُمّتي خَيْرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ، وَجَعَلَ أُمّتِي وَسَطا، وَجَعَلَ أُمّتِي هُمُ الأَوّلُونَ وَهُمُ الآخِرُونَ، وَشَرَحَ لي صَدْري، وَوَضَعَ عَني وِزْرِي وَرَفَعَ لي ذِكْرِي، وَجَعَلَني فاتحا خاتِما» قال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد. قال: أبو جعفر: وهو الرازي: خاتم النبوّة، وفاتح بالشفاعة يوم القيامة ثم أتى إليه بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها، فأتى بإناء منها فيه ماء، فقيل: اشرب، فشرب منه يسيرا ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن، فقيل له: اشرب، فشرب منه حتى روى ثم دفع إليه إناء آخر فيه خمر، فقيل له: اشرب، فقال: «لا أريده قد رويت» فقال له جبرئيل صلى الله عليه وسلم: أما إنها سَتُحَرّم على أمتك، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلاّ القليل، ثم عَرَج به

إلى سماء الدنيا، فاستفتح جبرائيل بابا من أبوابها، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ فقال: محمد، قالوا: أَوَ قَد أرسل إليه، قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء فدخل فإذا هو برجل تامّ الخلق لم ينقص من خلقه شيء، كما ينقص من خلق الناس، على يمينه باب يخرج منه ريح طيبة، وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة، إذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر، وإذا نظر إلى الباب الذي عن شماله بكى وحزن، فقلت: «يا جَبْرَئِيلَ مَنْ هَذَا الشَّيْخُ التّامُ الخَلْقِ الَّذِي لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ، وَما هَذَانِ البابانِ؟» قال: هذا أبوك آدم، وهذا الباب الذي عن يمينه باب الجنة، إذا نظر إلى من يدخله من ذرّيته ضحك واستبشر، والباب الذي عن شماله باب جهنم، إذا نظر إلى من يدخله من ذرّيته بكى وحزن ثم صعد به جبرئيل صلى الله عليه وسلم إلى السماء الثانية فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد رسول الله، فقالوا: أَوَ قَد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، قال: فإذا هو بشابين، فقال: «يا جَبْرَئِيلُ مَنْ هَذَانِ الشابّانِ؟» قال: هذا عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا ابنا الخالة، قال: فصعد به إلى السماء الثالثة، فاستفتح، فقالوا: من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أَوَ قَد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، قال: فدخل فإذا هو برجل قد فَضَل على الناس كلهم في الحُسن، كما فُضّل القمرُ ليلة البدر على سائر الكواكب، قال: «مَنْ هَذَا يا جِبْرائِيلُ الّذِي فَضَلَ على النّاسِ في الحُسْنِ؟» قال: هذا أخوك يوسف ثم صعد به إلى السماء الرابعة، فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أَوَ قَد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء قال: فدخل، فإذا هو برجل، قال: «مَنْ هَذَا يا جَبْرَئيلُ؟» قال: هذا إدريس رفعه الله مكانا عليّا. ثم صعد به إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبرائيل، فقالوا: من هذا؟ فقال: جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أَوَ قَد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء ثم دخل فإذا هو برجل جالس وحوله قوم يقصّ عليهم، قال: «مَنْ هَذَا يا جَبْرَئِيلُ وَمَنْ هَؤُلاءِ الَّذِينَ حَوْلَهُ؟» قال: هذا هارون المحبب في قومه، وهؤلاء بنو إسرائيل ثم صعد به إلى السماء السادسة، فاستفتح جبرائيل، فقيل له: من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أَوَ قَد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء فإذا هو برجل جالس، فجاوزه، فبكى الرجل، فقال: «يا جَبْرائِيلُ مَنْ هَذَا؟» قال: موسى، قال: «فَمَا بالُهُ يَبْكي؟» قال: تزعم بنو إسرائيل أني أكرم بني آدم على الله، وهذا رجل من بني آدم قد خلفني في دنيا، وأنا في أخرى، فلو أنه بنفسه لم أبال، ولكن مع كلّ نبيّ أمته ثم صَعَد به إلى السماء السابعة، فاستفتح جبرائيل، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أَوَ قَد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا:

حيّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، قال: فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه، أمثال القراطيس، وقوم في ألوانهم شيء، فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء، فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا نهرا آخر، فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلو فيه، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، فصارت مثل ألوان أصحابهم، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم، فقال: «يا جَبْرَئِيلُ مَنْ هَذَا الأشْمَطُ، ثُمّ مَنْ هَؤُلاءِ البِيضُ وُجُوهُهُمْ، وَمَنْ هَؤُلاءِ الّذِينَ في ألْوَانِهِمْ شَيْءٌ، وَما هَذِهِ الأنهَارُ الّتي دَخَلُوا، فَجَاءُوا وَقَدْ صَفَتْ ألْوَانُهُمْ؟» قال: هذا أبوك إبراهيم أوّل من شَمِط على الأرض، وأما هؤلاء البيض الوجوه: فقوم لم يُلْبِسوا إيمانهم بظلم، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء، فقوم خلطوا عملاً صالحا وآخر شيئا، فتابوا، فتاب الله عليهم، وأما الأنهار: فأولها رحمة الله، وثانيها: نعمة الله، والثالث: سقاهم ربهم شرابا طهورا قال: ثم انتهى إلى السّدرة، فقيل له: هذه السدرة ينتهي إليها كلّ أحد خلا من أمتك على سنتك، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذّة للشاربين، وأنهار من عسل مصفّى، وهي شجرة يسير الراكب في ظلّها سبعين عاما لا يقطعها، والورقة منها مغطية للأمة كلها، قال: فغشيها نور الخلاّق عزّ وجلّ، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة، قال: فكلمه عند ذلك، فقال له: سل، فقال: «اتخذتَ إبراهيم خليلاً، وأعطيته مُلكا عظيما، وكلمت موسى تكليما، وأعطيت داود ملكا عظيما، وألنت له الحديد، وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكا عظيما، وسخرت له الجنّ والإنس والشياطين، وسخرت له الرياح، وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وعلّمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يبرىء الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل». فقال له ربه: قد اتخذتك حبيبا وخليلاً، وهو مكتوب في التوراة: حبيب الله وأرسلتك إلى الناس كافّة بشيرا ونذيرا، وشرحت لك صدرك، ووضعت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلاّ ذكرت معي، وجعلت أمتك أمة وسطا، وجعلت أمتك هم الأوّلون والآخرون، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة، حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم، وجعلتك أوّل النّبيين خَلْقا، وآخرهم بَعْثا، وأوّلَهم يُقْضَى له، وأعطيتك سبعا من المثاني، لم يُعطها نبيّ قبلك، وأعطيتك الكوثر، وأعطيتك ثمانية أسهم الإسلام والهجرة، والجهاد، والصدقة، والصلاة، وصوم رمضان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجعلتك فاتحا وخاتما، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «فضّلَنِي رَبّي بسِتّ: أعْطانِي فَوَاتِحَ الكَلِمِ وَخَوَاتِيمَهُ، وَجَوَامِعَ الحَدِيثِ، وأرْسَلَنِي إلى النّاسِ كافّةً بَشِيرا وَنَذِيرا، وَقَذَفَ في قُلُوبِ عَدُوّي الرُعْبَ مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وأحِلّتْ ليَ الغَنائمُ ولَمْ تَحِلّ لأحَدٍ قَبْلِي، وجُعِلَتْ لي الأرْضُ كُلّها طَهُورا وَمَسْجِدا، قال: وَفَرَضَ عَليّ خَمْسِينَ صَلاةٍ» فلما رجع إلى موسى، قال: بِم أُمرت يا محمد، قال: «بخَمْسِينَ صَلاةً»، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التّخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، فقد لقيت من بني إسرائيل

شدّة، قال: فرجع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى ربه فسأله التخفيف، فوضع عنه عشرا، ثم رجع إلى موسى، فقال: بكم أُمرت؟ قال: «بأرْبَعِينَ»، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، وقد لقيتُ من بني إسرائيل شدّة، قال: فرجع إلى ربه، فسأله التخفيف، فوضع عنه عشرا، فرجع إلى موسى، فقال: بكم أُمرت؟ قال: «أُمِرْتُ بِثَلاثِينَ»، فقال له موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، وقد لقيت من بني إسرائيل شدّة، قال: فرجع إلى ربه فسأله التخفيف، فوضع عنه عشرا، فرجع إلى موسى فقال: بكم أمرت؟ قال: «بعشرين»، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة، قال: فرجع إلى ربه فسأله التخفيف، فوضع عنه عشرا، فرجع إلى موسى، فقال: لكم أمرت؟ قال: قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، وقد لقيت من بني إسرائيل شدّة، قال: فرجع على حياء إلى ربه فسأله التخفيف، فوضع عنه خمسا، فرجع إلى موسى، فقال: بكم أمرت؟ قال: «بخمس»، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك أضعف الأمم، وقد لقيتُ من بني إسرائيل شدّة، قال: «قَدْ رَجَعْتُ إلى رَبّي حتى اسْتَحْيَيْت فَمَا أنا رَاجِعٌ إلَيْهِ»، فقيل له: أما إنك كما صبرت نفسك على خمس صلوات فإنهنّ يجزين عنك خمسين صلاة، فإن كلّ حسنة بعشر أمثالها، قال: فرضي محمد صلى الله عليه وسلم كلّ الرضا، فكان موسى أشدّهم عليه حين مرّ به، وخيرهم له حين رجع إليه.

حدثني محمد بن عبيد الله، قال: أخبرنا أبو النضر هاشم بن القاسم، قال: حدثنا أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية أو غيره شكّ أبو جعفر عن أبي هريرة في قوله: سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِه... إلى قوله: إنّهُ هُوَ السّمِيعُ البَصِيرُ قال: جاء جبرائيل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فذكر نحو حديث علي بن سهل، عن حجاج، إلا أنه قال: جاء جبرائيل ومعه مكائيل، وقال فيه: وإذا بقوم يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع والزقوم، وقال في كل موضع قال عليّ: «ما هؤلاء»، «من هؤلاء يا جبرئيل»، وقال في موضع «تقرض ألسنتهم» «تقص ألسنتهم»، وقال أيضا في موضع قال عليّ فيه: «ونعم الخليفة». قال في ذكر الخمر، فقال: «لا أريده قد رويت»، قال جبرئيل: قد أصبت الفطرة يا محمد، إنها ستحرم على أمتك، وقال في سدرة المنتهى أيضا: هذه السدرة المنتهى، إليها ينتهي كلّ أحد خلا على سبيلك من أمتك وقال أيضا في الورقة منها: «تظلّ الخلق كلهم، تغشاها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجرة، من حُبّ الله عزّ وجلّ» وسائر الحديث مثل حديث عليّ.

16631ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري وحدثني الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: حدثنا معمر، قال: أخبرنا أبو هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، واللفظ لحديث الحسن بن يحيى، في قوله: سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِد الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى قال: حدثنا النبيّ صلى الله عليه وسلم عن ليلة أُسري به فقال نبيّ الله: «أُتِيتُ بِدَابّةٍ هِيَ أشْبَهُ الدّوَابّ بالبَغْلِ، لَهُ أذُنانِ مُضْطَرِبَتان وَهُوَ

البُرَاقُ، وَهُوَ الّذِي كانَ تَرْكَبُهُ الأنْبِياءُ قَبْلِي، فَرَكِبْتُهُ، فانْطَلَقَ بِي يَضَعُ يَدَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى بَصَرِهِ، فَسَمِعْتُ نِدَاءً عَنْ يَمِينِي: يا مُحَمّدُ عَلى رِسْلِكَ أسألُكَ، فَمَضَيْتُ وَلَمْ أعَرّجْ عَلَيْهِ ثُمّ سَمِعْتُ نِدَاءً عَنْ شِمالي: يا مُحَمّدُ عَلى رِسْلِكَ أسألُكَ، فَمَضَيْتُ وَلَمْ أعَرّجْ عَلَيْهِ ثُمّ اسْتَقْبَلْتُ امْرأةً فِي الطّرِيقِ، فَرأيْتُ عَلَيْها مِنْ كُلّ زِينَةٍ مِنْ زِينَةِ الدّنيْا رَافِعَةً يَدَها، تَقُولُ: يا مُحَمّدُ عَلى رِسْلِكَ أسألُكَ، فَمَضَيْتُ وَلَمْ أعَرّجْ عَلَيْها، ثُمّ أتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ، أوْ قالَ المَسْجِدَ الأقْصَى، فَنَزَلْتُ عَنِ الدّابّةِ فَأوْثَقْتُها بالحَلْقَةِ التي كانَتِ الأنْبِياءُ تُوثِقُ بِها، ثُمّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَصَلّيْتُ فِيهِ، فقالَ لِي جَبْرَئِيل: ماذَا رأيْتَ فِي وَجْهِكَ، فَقُلْتُ: سَمِعْتُ نِدَاءً عَنْ يَمِينِي أنْ يا مُحَمّدُ عَلى رِسْلِكَ أسألُكَ، فَمَضَيْتُ ولَمْ أعَرّجْ عَلَيْهِ، قالَ: ذَاكَ داعِيَ اليَهُودِ، أمَا لَوَ أنّكَ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَهَوّدَتْ أمّتُكَ، قال: ثُمّ سَمِعْتُ نِدَاءً عَنْ يَسارِي أنْ يا مُحَمّدُ عَلى رِسْلِكَ أسألُكَ، فَمَضَيْتُ وَلَمْ أعَرّجْ عَلَيْهِ، قال: ذَاكَ داعِي النّصَارَى، أمَا إنّكَ لَوْ وَقَفْتَ عَلَيْهِ لَتَنَصّرَتْ أمّتُكَ، قُلْتُ: ثُمّ اسْتَقْبَلَتَنِي امْرأةٌ عَلَيْها مِنْ كُلّ زِينَةٍ مِنْ زِينَةِ الدّنيْا رَافِعَةً يَدَها تَقُولُ عَلى رِسْلِكَ، أسألُكَ، فَمَضَيْتُ ولَمْ أعَرّجْ عَلَيْها، قال: تِلْكَ الدّنيْا تَزَيّنَتْ لَكَ، أمَا إنّكَ لَوْ وَقَفْتَ عَلَيْها لاخْتارَتْ أمّتُكَ الدّنْيا على الآخِرَةِ، ثُمّ أتِيتُ بإناءَيْنِ أحَدُهُما فِيهِ لَبنٌ، والآخَرُ فِيهِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: اشْرَبْ أيّهُما شِئْتَ، فَأخَذْتُ اللّبَنَ فَشَرِبْتُهُ، قال: أصَبْتَ الفِطْرَةَ أوْ قالَ: أخَذْتَ الفِطْرَةَ».

قال معمر: وأخبرني الزهري، عن ابن المسيب أنه قيل له: أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك.

قال أبو هارون في حديث أبي سعيد: «ثُمّ جِيءَ بالمِعْرَاجِ الّذِي تَعْرُجُ فِيهِ أرْوَاحُ بَنِي آدَمَ فإذَا هُوَ أحْسَنُ ما رأيْتُ أَلَمْ تَرَ إلى المَيّتِ كَيْفَ يُحِدّ بَصَرَهُ إلَيْهِ فَعُرِجَ بِنا فِيهِ حتى انْتَهَيْنا إلى بابِ السّماءِ الدّنيْا، فاسْتَفْتَحَ جَبْرَائِيلُ، فَقِيلَ مَنْ هَذا؟ قال: جَبْرَئِيلُ؟ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قال: مُحَمّدٌ، قِيلَ: أوَ قَدْ أرْسِلَ إلَيْهِ؟ قال: نَعَمْ، فَفَتَحُوا وَسَلّمُوا عَلَيّ، وَإذَا مَلَكٌ مُوَكّلٌ يَحْرُسُ السّماءَ يُقال لَهُ إسْماعِيلُ، مَعَهُ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ مَعَ كُلّ مَلَكٍ مِنْهُمْ مِئَةُ ألْفٍ، ثم قرأ: وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبّكَ إلاّ هُوَ وَإذَا أنا بِرَجُلٍ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَهُ اللّهُ لَمْ يَتَغَيّرْ مِنْهُ شَيْءٌ، فإذَا هُوَ تُعْرَضُ عَلَيْهِ أرْوَاحُ ذُرّيّتِهِ، فإذَا كانَتْ رُوحُ مُؤْمِنٍ، قالَ: رُوحٌ طَيّبَةٌ، وَرِيحٌ طَيّبَةٌ، اجْعَلُوا كِتابَهُ فِي عِلّيينَ وَإذَا كانَ رُوحَ كافِرٍ قالَ: رُوحٌ خَبِيثَةٌ وَرِيحٌ خَبِيثَةٌ، اجْعَلُوا كِتابَهُ فِي سِجّيلٍ، فَقُلْتُ: يا جَبْرَائِيلُ مَنْ هَذَا؟ قال: أبُوكَ آدَمُ، فَسَلّمَ عَلَيّ وَرَحّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيرٍ وَقال: مَرْحَبا بالنّبِيّ الصّالِحِ والوَلَدِ الصّالِحِ، ثُمّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بقَوْمٍ لَهُمْ مَشافِرُ كمَشافِرِ الإبِلِ، وَقَدْ وُكّلَ بِهِمْ مَنْ يَأخُذُ بِمَشافِرِهِمْ، ثُمّ يُجْعَلُ فِي أفْوَاهِهِمْ صَخْرٌ مِنْ نارٍ يَخْرُجُ مِنْ أسافِلِهِمْ، قُلْتُ: يا جَبْرَئِيلُ مَنْ هَؤُلاءِ؟ قال: هَؤُلاءِ الّذِينَ يَأكُلُونَ أمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْماً. ثُمّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بَقَوْمٍ يُحْذَي مِنْ جُلُودِهِمْ ويُرَدّ فِي أفْوَاهِهِمْ، ثُمّ يُقال: كُلُوا كمَا أكَلْتُمْ، فإذَا أكْرَهُ ما خَلَقَ اللّهُ لَهُمْ ذِلكَ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يا جَبْرَائِيلُ؟ قال: هَؤُلاءِ الهَمّازُونَ اللّمازُونَ الذِينَ يأكُلُونَ لُحُومَ النّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أعْرَاضِهِمْ بالسّبّ ثُمّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بِقَوْمٍ عَلى مائِدَةٍ عَلَيْهَا لَحْمٌ مَشْوِيّ كأحْسَنِ ما رأيْتُ مِنَ اللّحْمِ، وَإذَا حَوْلَهُمْ جِيَفٌ، فَجعلُوا يَمِيلُونَ عَلَى الجِيفِ يَأكُلُونَ مِنْها وَيَدَعُونَ ذلكَ اللّحْمَ، قُلْتُ: مَنْ هَؤلاءِ يا جَبْرَائِيلُ؟ قالَ: هَؤُلاءِ الزّناةُ عَمَدُوا إلى مَا حَرّمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ، وَتَرَكُوا ما أحَلّ اللّهُ لَهُمْ ثمّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بِقَوْمٍ لَهُمْ بُطونٌ كأنّها

البُـيُوتُ وَهِيَ علـى سابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ، فإذَا مَرّ بِهِمْ آلُ فِرْعَوْنَ ثارُوا، فَـيَـمِيـلُ بأحَدِهِمْ بَطْنُهُ فَـيَقَعُ، فَـيَتَوَطئُوهُمْ آلُ فِرْعَوْنَ بأرْجُلِهِمْ، وَهُـمْ يُعْرَضُـونَ عَلـى النارِ غُدُوّا وَعَشِيّا قُلْتُ: مَنْ هَؤُلاء يا جَبْرَائِيـلُ؟ قال: هَـؤُلاءِ أكَلَـةُ الرّبـا، رَبـا فِـي بُطُونِهِمْ، فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الّذِي يَتَـخَبّطُهُ الشّيْطانُ مِن الـمَسّ ثُـمّ نَظَـرْتُ، فإذَا أنا بِنِساءٍ مُعَلّقاتٍ بِثُدُيّهِنّ، وَنِساءٌ مُنَكّساتٌ بأرْجُلِهِنّ، قُلْتُ: مَنْ هَـؤُلاءِ يـا جِبْرَئِيـلُ؟ قال: هنّ اللاتـي يَزْنِـينَ وَيَقْتُلْـنَ أوْلادَهُـنّ قـالَ: ثُـمّ صَـعَدْنا إلـى السّماءِ الثّانِـيَةِ، فإذَا أنا بِـيُوسُف وحَوْلَهُ تَبَعٌ مِنْ أُمّتِـهِ، وَوَجْهُـهُ كـالقَمَرِ لَـيْـلَةَ البَدْرِ، فَسَلّـمَ عَلـيّ وَرَحّبَ بِـي، ثُمّ مَضَيْنا إلـى السّماءِ الثّالِثَةِ، فإذا أنا بـابْنَـيَ الـخالَةِ يَحيَى وَعِيَسى، يُشْـبِهُ أحَـدُهُما صَـاحِبَهُ، ثِـيابُهما وَشَـعْرُهُما، فَسَلّـما عَلـيّ، وَرَحّبـا بِـي ثُمّ مَضَيْنَا إلـى السّماءِ الرّابِعَـةِ، فـإذا أنـا بـإدْرِيَس، فَسَلّـمَ عَلـيّ وَرَحّب وَقَدْ قـالَ اللّـهُ: وَرَفَعْنـاه مَكانـاً عَلِـيّا ثُـمّ مَضَـيْنا إلـى السّـماءِ الـخامِسَةِ، فإذَا أنا بِهارُونَ الـمُحَبّبِ فِـي قَوْمِهِ، حَوْلَهُ تَبَـعٌ كَثِـيرٌ مِـنْ أُمّتِـهِ» فَوَصَفَهُ النّبِـي صلى الله عليه وسلم: «طَوِيـلُ اللّـحْيَةِ تَكـادُ لِـحْيَتُهُ تَـمَسّ سُـرّتَهُ، فَسلّـمَ علـيّ وَرَحَـبَ ثُـمّ مَضَـيْنا إلـى السّـماءِ السّادِسَـةِ فـإذَا أنـا بـمُوسَى بْنِ عِمْرانَ» فَوَصَفَهُ النّبِـيّ صلى اللـه عليـه وسـلم فقـالَ: «كَثِـيرُ الشّعْرِ لَوْ كَانَ عَلَـيْهِ قَمِيصَانِ خَرَجَ شَعْرُهُ مِنْهُمَا قالَ مُوسَـى: تَزْعَـمُ النّـاسُ أنّـي أُكْرَمُ الـخَـلْقِ عَلى اللّهِ، فَهَذَا أكْرَمُ عَلـى اللّهِ مِنّـي، وَلَوْ كانَ وَحْدَهُ لَـمْ أكُنْ أُبـالـي، وَلَكِنّ كُـلّ نَبِـيّ وَمَـنْ تَبِعَـهُ مِـنْ أُمّتِـهِ ثُـمّ مَضَـيْنا إلـى السّـماءِ السّابِعَةِ، فإذَا أنا بإبْرَاهِيـمَ وَهُوَ جالِس مُسْـنِدٌ ظَهْـرَهُ إلـى البَـيْتِ الـمَعْمُورَ فَسَلّـمَ عَلـيّ وَقال: مَرْحبـا بـالنّبِـيّ الصّالِـحِ وَالوَلَـدِ الصّالِـحِ، فَقِيـلَ: هـذَا مَكانُكَ وَمَكانُ أُمّتِك، ثُمّ تَلا: إنّ أوْلَـى النّـاسِ بـإبْرَاهِيـمَ لَلّـذِينَ اتّبَعُـوا وَهَـذا النّبِـيّ وَالّـذِينَ آمَنُـوا، وَاللّـهُ وَلِـيّ الـمُؤْمِنِـينَ ثُـمّ دَخَـلْتُ البَـيْتَ الـمَعْمُورَ فَصَلّـيْتُ فِـيهِ، وَإذَا هُوَ يَدْخُـلُهُ كُلّ يَوْمٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إلى يَـوْمِ القِـيامَةِ ثُمّ نَظَرْتُ فإذَا أنا بشَجَرَةٍ إنْ كانَتْ الوَرَقَةُ مِنْهَا لُـمغَطّيَةٌ هَذِهِ الأُمّـةَ، فإذَا فِـي أصْلِها عَيْنٌ تَـجْرِي قَدْ تَشَعّبَتْ شُعْبَتَـيْنِ، فَقُلْتُ: ما هذَا يا جَبْرَائِيـلُ؟ قال: أمّا هَذَا: فَهُوَ نَهْرُ الرّحْمَةِ، وأمّا هـذَا: فَهُـوَ الكَـوْثَرُ الـذِي أعْطـاكَهُ اللّـهُ، فـاغْتَسَلْتُ فِـي نَهْرِ الرّحمَةِ فَغُفِرَ لِـي ما تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِـي وَما تَأخّرَ، ثُمّ أخَذْتُ عَلـى الكَوْثَرِ حتـى دَخَـلْتُ الـجَنّة، فإذَا فِـيها ما لا عَيْنٌ رأتْ، وَلا أُذُنٌ سَـمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلـى قَلْبِ بَشَرٍ، وَإذَا فِـيها رُمّـانٌ كـأنّهُ جُلُـودُ الإبِـلِ الـمُقَتّبَةُ، وإذَا فِـيها طَيْرٌ كأنّها البُخْتُ» فقالَ أبُو بَكْرٍ: إنّ تِلكَ الطّيْرَ لَناعِمَـةٌ، قـالَ: «أكَلَتُهـا أنْعَمُ مِنْها يا أبـا بَكْرٍ، وإنّـي لأرْجُو أنْ تَأكُلَ مِنْها، ورأيْتُ فِـيها جارِيَةً، فَسألْتُها: لِـمَنْ أنْتِ؟ فَقالَتْ: لزَيْدِ بْنِ حارِثَة» فَبَشّرَ بِها رَسُـولُ اللّـهِ صـلى اللـه عليـه وسلم زَيْدا قالَ: «ثُمّ إنّ اللّهَ أمَرَنِـي بـأمْرِهِ، وَفَـرَض عَلـيّ خَمْسِـينَ صَـلاةً، فَمَرَرْتُ عَلـى مُوسَى، فقالَ: بِـمَ أمَرَكَ رَبّكَ؟ قُلْـتُ: فَـرَضَ عَلـيّ خَمْسِـينَ صَلاةَ، قالَ: ارْجِعْ إلـى رَبّكَ فأسألُهُ التّـخْفِـيفَ، فإنّ أُمّتَـكَ لَـنْ يَقُومُـوا بِهـذَا، فَرَجَعْتُ إلـى رَبّـي فَسألْتُهُ فَوَضَعَ عَنّـي عَشْرا، ثُمّ رَجَعْتُ إلـى مُوسَى، فَلَـمْ أزَلْ أرْجِعُ إلـى رَبّـي إذَا مَرَرْتُ بِـمُوسَى حتـى فَرَض عَلَـيّ خَمْـسَ صَـلَوَاتٍ، فَقالَ مُوسَى: ارْجِعْ إلـى رَبّكَ فـاسألْهُ التّـخْفِـيفَ، فَقُلْـتُ: قَـدْ رَجَعْـتُ إلـى رَبّـي حتـى اسْتَـحْيَـيْتُ» أوْ قالَ: «قُلْت: ما أنا بِرَاجِـعٍ، فَقِـيـلَ لـي: إنّ لَـكَ بِهذِهِ الـخَمْسِ صَـلَوَاتِ خَمْسِـينَ صَـلاةً، الـحَسَنَةُ بِعَشْـرِ أمْثَالِهَ ا، وَمَـنْ هَـمّ بِحَسَنَةٍ فَلَـمْ يَعْمَلْها كُتِبتْ لَهُ حَسَنَة، وَمَنْ عَمِلَها كُتِبَـتْ لَـهُ عَشْـرا، وَمَـنْ هَـمّ بِسيَئَةٍ فَلَـم يَعْمَلْها لَـمْ تُكْتَبْ شَيْئا، فإنْ عَمِلَها كُتِبَتْ وَاحِدَةً».

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني روح بن القاسم، عن أبي هارون عمارة بن جوين العبدي، عن أبي سعيد الخدري وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: وثني أبو جعفر، عن أبي هارون، عن أبي سعيد، قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: «لَمّا فَرَغْتُ مِمّا كانَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، أُتِيَ بالمِعْرَاجِ، ولَمْ أرَ شَيْئا قَطّ أحْسَنَ مِنْهُ، وَهُوَ الّذِي يَمُدّ إلَيْهِ مَيّتُكُمْ عَيْنَيْهِ إذا حَضَرَ، فَأصْعَدَنِي صَاحِبِي فِيهِ حتى انْتَهَى إلى بابٍ مِنَ الأبْوَابِ يُقالُ لَهُ بابُ الحَفَظَةِ، عَلَيْهِ مَلَكٌ يُقالُ لَهُ إسْماعِيلُ، تَحْتَ يَدَيهِ اثْنا عَشَرَ ألْفَ مَلَكٍ، تَحْت يَدَيْ كُلّ مَلَكٍ مِنْهُمْ اثْنا عَشَرَ ألْفَ مَلَكٍ» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدّث هذا الحديث: «ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبّكَ إلاّ هُوَ» ثم ذكر نحو حديث معمر، عن أبي هارون إلا أنه قال في حديثه: قال: «ثُمّ دَخَلَ بِيَ الجَنّةَ فَرأيْتُ فِيها جارِيَةً، فسألتُها لِمَنْ أنْتِ؟ وَقَدْ أعْجَبَتْنِي حينَ رأيْتُها، فَقالَتْ: لِزَيْدِ بْنِ حارِثَةَ» فبشّر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة، ثم انتهى حديث ابن حميد عن سلمة إلى ههنا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه ليلة أُسري به إبراهيمَ وموسى وعيسى فقال: «أمّا إبْرَاهِيمُ فَلَمْ أرَ رَجُلاً أشْبَهَ بِصَاحِبِكُمْ مِنْهُ. وأمّا مُوسَى فَرَجُلٌ آدَمٌ طِوَالٌ جَعْدٌ أقْنَى، كأنّه مِنْ رِجالِ شُنُوءَةَ. وأمّا عِيسَى فَرجُلٌ أحْمَرُ بينَ القَصِيرِ والطّوِيلِ سَبطُ الشّعَرِ كَثِيرُ خِيلانِ الوَجْهِ، كأنّه خَرَجَ مِنْ دِيماسٍ كأنّ رأسَهُ يَقْطُرُ ماءً، وَما بِهِ ماءٌ، أشْبَهُ مِنْ رأيْتُ بِهِ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ».

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه، ولم يقل عن أبي هريرة.

16632ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن أنس، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أُتِي بالبراق ليلة أُسري به مسرجا ملجما ليركبه، فاستصعب عليه، فقال له جبرئيل: ما يحملك على هذا، فوالله ما ركبك أحد قطّ أكرم على الله منه قال: فارفض عرقا.

16633ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: سُبْحانَ الّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى الّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ أسري بنَبِيّ الله عشاء من مكة إلى بيت المقدس، فصلى نبيّ الله فيه، فأراه الله من آياته وأمره بما شاء ليلة أسري به، ثم أصبح بمكة. ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «حُمِلْتُ عَلى دَابّةٍ يُقالُ لَهَا البُرَاقُ، فَوْقَ الحِمارِ وَدُونَ البَغْلِ، يَضَعُ حافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ» فحدث نبيّ الله بذلك أهل مكة، فكذب به المشركون وأنكروه وقالوا: يا محمد تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس، وأقبلت من ليلتك، ثم أصبحت عندنا بمكة، فما كنت تجيئنا به، وتأتي به قبل هذا اليوم مع هذا فصدقه أبو بكر، فسمّي أبو بكر الصدّيق من أجل ذلك.

16634ـ حدثنا ابن أبي الشوارب، قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد، قال: حدثنا سليمان الشيباني، عن عبد الله بن شدّاد، قال: لما كان ليلة أُسري برسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بدابة يقال لها البراق، دون

البغل وفوق الحمار، تضع حافرها عند منتهى ظفرها فلما أتى بيت المقدس أُتِيَ بإناءين: إناء من لبن، وإناء من خمر، فشرب اللبن. قال: فقال له جبرائيل: هديت وهديت أمتك.

وقال آخرون ممن قال: أسرى بالنبيّ صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى بنفسه وجسمه أسرى به عليه السلام، غير أنه لم يدخل بيت المقدس، ولم يصلّ فيه، ولم ينزل عن البراق حتى رجع إلى مكة. ذكر من قال ذلك:

16635ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا يحيى بن سعيد القطان، قال: حدثنا سفيان، قال: ثني عاصم بن بهدلة عن زرّ بن حبيش، عن حُذيفة بن اليمان، أنه قال في هذه الآية: سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى قال: لم يصلّ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه، كما كتب عليكم الصلاة عند الكعبة.

حدثنا أبو كريب، قال: سمعا أبا بكر بن عياش، ورجل يحدّث عنده بحديث حين أسري بالنبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال له: لا تجيء بمثل عاصم ولا زرّ قال: قال حُذيفة لزرّ بن حبيش قال: وكان زرّ رجلاً شريفا من أشراف العرب، قال: قرأ حُذيفة سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ مِنَ اللَّيْلِ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إنّهُ هُوَ السّميعُ البَصِيرُ وكذا قرأ عبد الله، قال: وهذا كما يقولون: إنه دخل المسجد فصلى فيه، ثم دخل فربط دابته، قال: قلت: والله قد دخله، قال: من أنت فإني أعرف وجهك ولا أدري ما اسمك، قال: قلت: زر بن حبيش، قال: ما عملك هذا؟ قال: قلت: من قبَل القرآن، قال: من أخذ بالقرآن أفلح، قال: فقلت: سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ قال: فنظر إليّ فقال: يا أصلع، هَل ترى دخله؟ قال: قلت: لا والله، قال حُذيفة: أجل والله الذي لا إله إلا هو ما دخله، ولو دخله لوجبت عليكم صلاة فيه، لا والله ما نزل عن البراق حتى رأى الجنة والنار، وما أعدّ الله في الآخرة أجمع وقال: تدري ما البراق؟ قال: دابة دون البغل وفوق الحمار، خطوه مدّ البصر.

وقال آخرون: بل أسري بروحه، ولم يسر بجسده. ذكر من قال ذلك:

16636ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان، كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كانت رؤيا من الله صادقة.

16637ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد، قال: ثني بعض آل أبي بكر، أن عائشة كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الله أسرى بروحه.

16638ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال ابن إسحاق: فلم يُنكر ذلك من قولها الحسن أن هذه الآية نزلت وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ ولقول الله في الخبر عن إبراهيم، إذ قال لابنه: يا بنيّ إنّي أرَى فِي المَنامِ أنّي أذْبَحُكَ فانْظُرْ ماذَا تَرَى ثم مضى على ذلك، فعرفت أن الوحي يأتي بالأنبياء من الله أيقاظا ونياما، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تَنامُ عَيْسَى وَقَلْبِي يَقْظانُ» فالله أعلم أيّ ذلك كان

قد جاءه ؤعاين فيه من أمر الله ما عاين على أيّ حالاته كان نائما أو يقظانا كلّ ذلك حقّ وصدق.

والصواب من القؤل في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن الله حمله على البراق حين أتاه به، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه ما أراه من الآيات ولا معنى لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلاً على نبوّته، ولا حجة له عل ى رسالته، ولا ك ان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكرا عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقلّ؟ وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزا لأحد أن يتعدّى ما قال الله إلى غيره. فإن ظنّ ظانّ أن ذلك جائز، إذ كانت العرب تفعل ذلك في كلامها، كما قال قائلهم:

حَسِبْتُ بُغامَ رَاحِلَتِي عَناقاوَما هِيَ وَيْبَ غيرِكِ بالْعَناقِ

يعني: حسبت بغام راحلتي صوت عناق، فحذف الصوت واكتفى منه بالعناق، فإن العرب تفعل ذلك فيما كان مفهوما مراد المتكلم منهم به من الكلام. فأما فيما لا دلالة عليه إلا بظهوره، ولا يوصل إلى معرفة مراد المتكلّم إلا ببيانه، فإنها لا تحذف ذلك ولا دلالة تدلّ على أن مراد الله من قوله: أسْرَى بِعَبْدِهِ أسرى بروح عبده، بل الأدلة الواضحة، والأخبار المتتابعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أسرى به على دابة يُقال لها البراق ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق، إذ كانت الدوابّ لا تحمل إلا الأجسام. إلا أن يقول قائل: إن معنى قولنا: أسرى بروحه: رأى في المنام أنه أسرى بجسده على البراق، فيكذب حينئذٍ بمعنى الأخبار التي رُويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن جبرئيل حمله على البراق، لأن ذلك إذا كان مناما على قول قائل هذا القول، ولم تكن الروح عنده مما تركب الدوابّ، ولم يحمل على البراق جسم النبيّ صلى الله عليه وسلم، لم يكن النبيّ صلى الله عليه وسلم على قوله حُمل على البراق لا جسمه، ولا شيء منه، وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين، وذلك دفع لظاهر التنزيل، وما تتابعت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين.

وقوله: الَّذِي باركْنا حَوْلَهُ يقول تعالى ذكره: الذي جعلنا حوله البركة لسكانه في معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم. وقوله: لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا يقول تعالى ذكره: كي نرى عبدنا محمدا من آياتنا، يقول: من عبرنا وأدلتنا وحججنا، وذلك هو ما قد ذكرت في الأخبار التي رويتها آنفا، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أريه في طريقه إلى بيت المقدس، وبعد مصيره إليه من عجائب العبر والمواعظ. كما:

16639ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا ما أراه الله من الآيات والعبر في طريق بيت المقدس.

وقوله: إنّهُ هُوَ السّمِيعُ البَصِيرُ يقول تعالى ذكره: إن الذي أسرى بعبده هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة في مسرى محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس، ولغير ذلك من قولهم وقول غيرهم، البصير بما يعملون من الأعمال، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ولا يعزب عنه علم شيء منه، بل هو محيط بجميعه علما، ومحصيه عددا، وهو لهم بالمرصاد، ليجزى جميعهم بما هم أهله.

وكان بعض البصريين يقول: كسرت «إن» من قوله: إنّهُ هَوَ السّمِيعُ البَصِيرُ لأن معنى الكلام: قل يا محمد: سبحان الذي أسرى بعبده، وقل: إنه هو السميع البصير.

الآية : 2

القول في تأويل قوله تعالى: {وَآتَيْنَآ مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاّ تَتّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً }.

يقول تعالى ذكره: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً وآتى موسى الكتاب، وردّ الكلام إلى وآتَيْنا وقد ابتدأ بقوله أسرى لما قد ذكرنا قبل فيما مضى من فعل العرب في نظائر ذلك من ابتداء الخبر بالخبر عن الغائب، ثم الرجوع إلى الخطاب وأشباهه. وعنى بالكتاب الذي أوتى موسى: التوراة. وَجَعَلْناهُ هُدًى لِبَنِي إسْرَائِيلَ يقول: وجعلنا الكتاب الذي هو التوراة بيانا للحقّ، ودليلاً لهم على محجة الصواب فيما افترض عليهم، وأمرهم به، ونهاهم عنه.

وقوله: ألاّ تَتّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة ألاّ تَتّخِذُوا بالتاء بمعنى: وآتينا موسى الكتاب بأن لا تتخذوا يا بني إسرائيل مِنْ دُونِي وَكِيلاً. وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة: «ألاّ يَتّخِذُوا» بالياء على الخبر عن بني إسرائيل، بمعنى: وجعلناه هدى لبني إسرائيل، ألا يتّخذ بنو إسرائيل، من دوني وكيلاً، وهما قراءتان صحيحتا المعنى، متفقتان غير مختلفتين، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب، غير أني أوثر القراءة بالتاء، لأنها أشهر في القراءة وأشدّ استفاضة فيهم من القراءة بالياء. ومعنى الكلام: وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا حفيظا لكم سواي. وقد بينا معنى الوكيل فيما مضى. وكان مجاهد يقول: معناه في هذا الموضع: الشريك.

16640ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ألاّ تَتّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً قال: شريكا.

وكأن مجاهدا جعل إقامة من أقام شيئا سوى الله مقامه شريكا منه له، ووكيلاً للذي أقامه مقام الله. وبنحو الذي قلنا في تأويل هذه الآية، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16641ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وآتَيْنا مُوسَى الكِتابَ وَجَعَلْناهُ هُدًى لِبَنِي إسْرَائِيلَ جعله الله لهم هدى، يخرجهم من الظلمات إلى النور، وجعله رحمة لهم.

الآية : 3

القول في تأويل قوله تعالى: {ذُرّيّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً }.

يقول تعالى ذكره: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ذريّة من حملنا مع نوح. وعنى بالذرية: جميع من احتجّ عليه جلّ ثناؤه بهذا القرآن من أجناس الأمم، عربهم وعجمهم من بني إسرائيل وغيرهم، وذلك أنّ كلّ من على الأرض من بني آدم، فهم من ذرية من حمله الله مع نوح في السفينة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16642ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ذُرِّيّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ والناس كلهم ذرّية من أنجى الله في تلك السفينة وذُكر لنا أنه ما نجا فيها يومئذٍ غير نوح وثلاثة بنين له، وامرأته وثلاث نسوة، وهم: سام، وحام، ويافث فأما سام: فأبو العرب وأما حام: فأبو الحبش وأما يافث: فأبو الروم.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ذَرّيّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ قال: بنوه ثلاثة ونساؤهم، ونوح وامرأته.

16643ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال مجاهد: بنوه ونساؤهم ونوح، ولم تكن امرأته.

وقد بيّنا في غير هذا الموضع فيما مضى بما أغنى عن إعادته.

وقوله: إنّهُ كانَ عَبْدا شَكُورا يعني بقوله تعالى ذكره: «إنه» إن نوحا، والهاء من ذكر نوح، كان عبدا شكورا لله على نعمه.

وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي سماه الله من أجله شكورا، فقال بعضهم: سماه الله بذلك لأنه كان يحمد الله على طعامه إذا طعمه. ذكر من قال ذلك:

16644ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن بن مهدي، قالا: حدثنا سفيان، عن التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان، قال: كان نوح إذا لبس ثوبا أو أكل طعاما حمد الله، فسمّي عبدا شكورا.

16645ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى وعبد الرحمن، قالا: حدثنا سفيان، عن أبي حصين، عن عبد الله بن سنان، عن سعيد بن مسعود بمثله.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر، عن أبي حصين، عن عبد الله بن سنان، عن سعيد بن مسعود قال: ما لبس نوح جديدا قطّ، ولا أكل طعاما قطّ إلا حمد الله فلذلك قال الله: عَبْدا شَكُورا.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: ثني سفيان الثوري، قال: ثني أيوب، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان، قال: إنما سمى نوح عبدا شكورا أنه كان إذا لبس ثوبا حمد الله، وإذا أكل طعاما حمد الله.

16646ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ذُرّيّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ من بني إسرائيل وغيرهم إنّهُ كانَ عَبْدا شَكُورا قال: إنه لم يجدّد ثوبا قطّ إلا حمد الله، ولم يبل ثوبا قطّ إلا حمد الله، وإذا شرب شربة حمد الله، قال: الحمد لله الذي سقانيها على شهوة ولذّة وصحة، وليس في تفسيرها، وإذا شرب شربة قال هذا، ولكن بلغني ذا.

16647ـ حدثني القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو فضالة، عن النضر بن شفي، عن عمران بن سليم، قال: إنما سمّى نوح عبدا شكورا أنه كان إذا أكل الطعام قال: الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء أجاعني وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني، ولو شاء أظمأني وإذا لبس ثوبا قال: الحمد لله الذي كساني، ولو شاء أعراني وإذا لبس نعلاً قال: الحمد لله الذي حذاني، ولو شاء أحفاني وإذا قضى حاجة قال: الحمد لله الذي أخرج عني أذاه، ولو شاء حبسه. وقال آخرون في ذلك بما.

16648ـ حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني عبد الجبار بن عمر أن ابن أبي مريم حدّثه، قال: إنما سمى الله نوحا عبدا شكورا، أنه كان إذا خرج البراز منه قال: الحمد لله الذي سوّغنيك طيبا، وأخرج عني أذاك، وأبقى منفعتك. وقال آخرون في ذلك بما:

16649ـ حدثنا به بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال الله لنوح إنّهُ كانَ عَبْدا شَكُورا ذكر لنا أنه لم يستجد ثوبا قطّ إلا حمد الله، وكان يأمر إذا استجدّ الرجل ثوبا أن يقول: الحمد لله الذي كساني ما أتجمّل به، وأواري به عورتي.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة إنّهُ كانَ عَبْدا شَكُورا قال: كان إذا لبس ثوبا قال: الحمد لله، وإذا أخلقه قال: الحمد لله.

الآية : 4 و 5

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَضَيْنَآ إِلَىَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنّ فِي الأَرْضِ مَرّتَيْنِ وَلَتَعْلُنّ عُلُوّاً كَبِيراً * فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مّفْعُولاً }.

وقد بيّنا فيما مضى قبل أن معنى القضاء: الفراغ من الشيء، ثم يستعمل في كلّ مفروغ منه، فتأويل الكلام في هذا الموضع: وفرغ ربك إلى بني إسرائيل فيما أنزل من كتابه على موسى صلوات الله وسلامه عليه بإعلامه إياهم، وإخباره لهم لَتُفْسِدُنّ فِي الأرْضِ مَرّتَيْنِ يقول: لتعصنّ الله يا معشر بني إسرائيل ولتخالفنّ أمره في بلاده مرّتين وَلَتَعْلُنّ عَلُوّا كَبِيرا يقول: ولتستكبرنّ على الله باجترائكم عليه استكبارا شديدا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16650ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: وَقَضَيْنا إلى بَنِي إسْرَائِيلَ قال: أعلمناهم.

16651ـ حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: وَقَضَيْنا إلى بَنِي إسْرَائِيلَ يقُول: أعلمناهم.

وقال آخرون: معنى ذلك: وقضينا على بني إسرائيل في أمّ الكتاب، وسابق علمه. ذكر من قال ذلك:

16652ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، وَقَضَيْنا إلى بَنِي إسْرَائِيلَ قال: هو قضاء قضى عليهم.

16653ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سيعد، عن قتادة، قوله: وَقَضَيْنا إلى بَنِي إسْرَائِيلَ قضاء قضاه على القوم كما تسمعون.

وقال آخرون: معنى ذلك: أخبرنا. ذكر من قال ذلك:

16654ـ حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: وَقَضَيْنا إلى بَنِي إسْرَائِيلَ فِي الكِتابِ قال: أخبرنا بني إسرائيل.

وكلّ هذه الأقوال تعود معانيها إلى ما قلت في معنى قوله: وَقَضَيْنا وإن كان الذي اخترنا من التأويل فيه أشبه بالصواب لإجماع القرّاء على قراءة قوله لَتُفْسِدُنّ بالتاء دون الياء، ولو كان معنى الكلام: وقضينا عليهم في الكتاب، لكانت القراءة بالياء أولى منها بالتاء، ولكن معناه لما كان أعلمناهم وأخبرناهم، وقلنا لهم، كانت التاء أشبه وأولى للمخاطبة. وكان فساد بني إسرائيل في الأرض المرّة الأولى ما:

16655ـ حدثني به هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ في خبر ذكره عن أبي صالح، وعن أبي مالك، عن ابن عباس، وعن مرّة، عن عبد الله أن الله عهد إلى بني إسرائيل في التوراة لَتُفْسِدُنّ فِي الأرْضِ مَرّتَيْنِ فكان أوّل الفسادين: قتل زكريا، فبعث الله عليهم ملك النبط، وكان يُدعى صحابين فبعث الجنود، وكان أساورته من أهل فارس، فهم أولو بأس شديد، فتحصنت بنو إسرائيل، وخرج فيهم بختنصر يتيما مسكينا، إنما خرج يستطعم، وتلطف حتى دخل المدينة فأتى مجالسهم، فسمعهم يقولون: لو يعلم عدوّنا ما قُذف في قلوبنا من الرعب بذنوبنا ما أرادوا قتالنا، فخرج بختنصرحين سمع ذلك منهم، واشتدّ القيام على الجيش، فرجعوا، وذلك قول الله: فإذَا جاء وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عبادا لنَا أُولى بَأْسٍ شَدِيدٍ، فَجاسُوا خِلالَ الدّيارِ وكانَ وَعْدا مَفْعولاً ثم إن بني إسرائيل تجهّزوا، فغزوا النبط، فأصابوا منهم واستنقذوا ما في أيديهم، فذلك قول الله ثُمّ رَدَدْنا لَكُمُ الكَرّةَ عَلَيْهِمْ وأمْدَدْناكُمْ بأمْوَالٍ وَبَنِينَ، وَجَعَلْناكُمْ أكْثَرَ نَفِيرا يقول: عددا.

16656ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرّتين: قتل زكريا ويحيى بن زكريا، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكا من ملوك فارس، من قتل زكريا، وسلّط عليهم بختنصر من قتل يحيى.

16657ـ حدثنا عصام بن رواد بن الجراح، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا سفيان بن سعيد الثوري، قال: حدثنا منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، قال: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ بَنِي إسْرَائِيلَ لَمّا اعْتَدَوْا وَعَلَوْا، وَقَتَلُوا الأنْبِياءَ، بَعَثَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مَلِكَ فارِسَ بُخْتَنَصّر، وكانَ اللّهُ مَلّكَهُ سَبْعَ مئَةِ سَنةٍ، فَسارَ إلَيْهِمْ حتى دَخَلَ بَيْتَ المَقْدِسِ فَحاصَرَهَا وَفَتَحَها، وَقَتَلَ عَلي دَمِ زَكَرِيّا سَبْعِينَ ألْفا، ثُمّ سَبِي أهْلَها وَبَنِي الأنْبِياءِ، وَسَلَبَ حُلِيّ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْها سَبْعِينَ ألْفا وَمِئَةَ ألْفِ عَجَلَةٍ مِنْ حُلِيَ حتى أوْرَدَهُ بابِلَ» قال حُذيفة: فقتل: يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيما عند الله؟ قال: «أجَلْ بَناهُ سُلَيْمانُ بْنُ دَاوُدَ مِنْ ذَهَبٍ وَدُرّ وَياقُوتٍ وَزَبَرْجَدٍ، وكانَ بَلاطُهُ بَلاطَةً مِنْ ذَهَبٍ وَبَلاطَةً مِنْ فَضّةٍ، وعُمُدُهُ ذَهَبا، أعْطاهُ اللّهُ ذلكَ، وسَخّرَ لَهُ الشّياطينَ يَأتُونَهُ بِهذِهِ الأشْياءِ فِيءَ طَرْفَةِ عَيْنٍ، فَسارَ بُخْتَنَصّر بهذهِ الأشْيْاءِ حتى نَزَلَ بِها بابِلَ، فَأقامَ بَنُوا إسْرَائيلَ فِي يَدَيهِ مِئَةَ سَنَةٍ تُعَذّبُهُمُ المَجُوسُ وأبْناءُ المَجُوسِ، فِيهِمُ الأنْبِياءُ وأبْناءُ الأنْبِياءِ ثُمّ إنّ اللّهَ رَحِمَهُمْ، فأوْحَى إلى

مَلِكِ مِنْ مُلُوكِ فـارِسَ يُقـالُ لَـهُ كُـورَسُ، وكـانَ مُؤْمِنـا، أنْ سِـرْ بَقايَـا بَنِـي إسْرَائِيـلَ حتـى تَسْـتَنْقِذَهُمْ، فَسـارَ كُـورَسُ بِبَنـي إسْرَائِيـل وخُلـيّ بَـيْتِ الـمَقْدِسِ حتـى رَدّهُ إلَـيْهِ، فَأقامَ بَنُوا إسْرَائِيـلَ مُطِيعيـنَ لِلّـهِ مِئَـةَ سَـنَةٍ، ثُـمّ إنّهُمْ عادُوا فِـي الـمَعاصِي، فَسَلّطَ اللّهُ عَلَـيْهِمْ ابْطِيانْـحُوسَ، فَغَزَا بأبْناءِ مَـنْ غَزَا مَعَ بُخْتَنَصّر، فَغَزَا بَنِـي إسْرَائِيـلَ حتـى أتـاهُمْ بَـيْتَ الـمَقْدِسِ، فَسَبـي أهْلَها، وأحْرَقَ بَـيْتَ الـمَقْدِسِ، وَقالَ لَهُمْ: يا بَنِـي إسْرَائِيـلَ إنْ عُدْتُـمْ فِـي الـمَعاصِي عُدْنا عَلَـيْكُمْ بـالسَّباءِ، فَعادُوا فِـي الـمَعاصِي، فَسَيّرَ اللّـهُ عَلَـيْهِمُ السّباءَ الثّالِثَ مَلِكَ رُومِيّةَ، يُقالُ لَهُ قاقِسُ بْنُ إسْبـايُوس، فَغَزَاهُمْ فِـي البَـرّ والبَحْرِ، فَسَبـاهُمْ وَسَـبَى حُلِـيّ بَـيْتِ الـمَقْدِسِ، وأحْـرَقَ بَـيْتَ الـمَقْدِسِ بـالنّيرانِ» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذَا مِـنْ صَـنْعَةِ حُلِـيَّ بَـيْتِ الـمَقْدِسِ، ويَرُدّهُ الـمَهْدِيّ إلـى بَـيْتِ الـمَقْدِسِ، وَهُوَ أَلْفُ سَفِـينَةٍ وسَبْعُ مِئَةِ سَفِـينَةٍ، يُرْسَى بِها عَلـى يافـا حتـى تُنْقَـلَ إلـى بَـيْتِ الـمَقْدِسِ، وبِهـا يَجْمَعُ اللّهُ الأوّلِـينَ والآخِرِينَ».

16658ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، قال: كان مـما أنـزل اللـه علـى موسـى فـي خـبره عـن بنـي إسرائيـل، وفـي أحداثهم ما هـم فـاعلون بعـده، فقـال: وَقَضَـيْنا إلـى بَنِـي إسْرَائِيـلَ فِـي الكتـابِ لَتُفْسِـدّنّ فِـي الأرْضِ مَرّتَـيْنِ، وَلَتَعْلُـنّ عُلُـوّا كَبِـيرا... إلـى قـوله: وَجَعَلْنـا جَهَنّـمَ لِلْكـافِرِينَ حَصِـيرا فكـانت بنـو إسرائيـل، وفـيهم الأحـداث والذنوب، وكان اللـه فـي ذلـك متـجاوزا عنهـم، متعطفـا علـيهم مـحسنا إلـيهم، فكان مـما أنزل بهم فـي ذنوبهم ما كان قدّم إلـيهم فـي الـخبر علـى لسان موسى مـما أنزل بهم فـي ذنوبهم. فكان أول مـا أنـزل بهـم مـن تلـك الوقائع، أن ملكا منهم كان يُدعي صديقة، وكان الله إذا ملّك الـملِك علـيهم، بعث نبـيا يسدّده ويرشده، ويكون فـيما بـينه وبـين الله، ويحـدث إلـيه فـي أمرهم، لا ينزل علـيهم الكتب، إنـما يؤمرون بـاتبـاع التوراة والأحكـام التـي فـيها، وينهونهم عن الـمعصية، ويدعونهم إلـى مـا تركـوا مـن الطاعـة فلـما ملك ذلك الـملك، بعث الله معه شعياء أمُصيا، وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسـى وشـعياء الـذي بشّـر بعيسـى ومـحمد، فملـك ذلـك الـملك بنـي إسرائيـل وبـيت الـمقدس زمانا فلـما انقضى ملكه عظمت فـيهم الأحـداث، وشعياء معه، بعث الله علـيهم سنـحاريب ملك بـابل، ومعـه سـتّ مئـة ألـف راية، فأقبل سائرا حتـى نـزل نـحو بـيت الـمقدس، والـملك مريـض فـي سـاقه قرحـة، فجـاء النبـيّ شـعياء، فقـال لـه: يـا ملـك بنـي إسرائيـل إن سنـحاريق ملك بـابل، قد نزل بك هو وجنوده ستّ مئة ألف راية، وقد هـابهم الناس وفرَقوا منهم، فكبر ذلك علـى الـملك، فقال: يـا نبـيّ اللـه هـل أتـاك وحي من الله فـيـما حـدث، فتـخبرنا بـه كيـف يفعـل اللـه بنـا وبسنـحاريب وجنوده؟ فقال له النبـيّ علـيه السلام: لـم يأتنـي وحـي أحـدث إلـيّ فـي شأنك. فبـيناهم علـى ذلك، أوحى الله إلـى شعياء النبـيّ: أن ائت ملك بنـي إسرائيـل، فمره أن يوصي وصيته، ويستـخلف علـى ملكه من شاء من أهل بـيته. فأتـى النبـيّ شيعاء ملك بـين إسرائيـل صديقة، فقال له: إن ربـك قـد أوحى إلـيّ أن آمرك أن توصي وصيتك، وتستـخلف من شئت علـى مُلكـك من أهل بـيتك، فإنك ميت فلـما قال ذلك شعياء لصديقة، أقبل علـى القبلـة، فصلـى وسبح ودعا وبكى، فقال وهو يبكي ويتضرّع إلـى الله بقلـب مخـلص وتوكل وصبر وصدق وظنّ صادق. اللهمّ ربّ الأربـاب، وإلـه الآلهـة، قـدّوس

المتقدسين، يا رحمن يا رحيم، المترحم الرؤوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، اذكرني بعملي وفعلي وحُسن قضائي على بني إسرائيل وذلك كله كان منك، فأنت أعلم به من نفسي سرّي وعلانيتي لك وإن الرحمن استجاب له، وكان عبدا صالحا، فأوحى الله إلى شعياء أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له وقبل منه ورحمه، وقد رأى بكاءه، وقد أخّر أجله خمس عشرة سنة، وأنجاه من عدوّه سنحاريب ملك بابل وجنوده، فأتى شعياء النبيّ إلى ذلك الملك فأخبره بذلك، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع، وانقطع عنه الشرّ والحزن، وخرّ ساجدا وقال: يا إلهي وإله آبائي، لك سجدت وسبّحت وكرمت وعظمت، أنت الذي تعطي المُلك من تشاء، وتنزعه ممن تشاء، وتعزّ من تشاء، وتذلّ من تشاء، عالم الغيب والشهادة، أنت الأوّل والآخر، والظاهر والباطن، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرّين، أنت الذي أحببت دعوتي ورحمت تضرّعي فلما رفع رأسه، أوحى الله إلى شعياء إن قل للملك صديقة فيأمر عبدا من عبيده بالتينة، فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى، ويصبح وقد برأ، ففعل ذلك فشفي. وقال الملك لشعياء النبيّ: سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدوّنا هذا. قال: فقال الله لشعياء النبيّ: قل له: إني قد كفيتك عدوّك، وأنجيتك منه، وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلاّ سنحاريب وخمسة من كتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ ينبئهم، فصرخ على باب المدينة: يا ملك بني إسرائيل، إن الله قد كفاك عدوّك فاخرج، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك التمس سنحاريب، فلم يُوجد في الموتى، فبعث الملك في طلبه، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتابه، أحدهم بختنصر، فجعلوهم في الجوامع، ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل فلما رآهم خرّ ساجدا من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر، ثم قال لسنحاريب: كيف ترى فعل ربنا بكم؟ ألم يقتلكم بحوله وقوّته، ونحن وأنتم غافلون؟ فقال سنحاريب له: قد أتاني خبر ربكم، ونصره إياكم، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي، فلم أطع مرشدا، ولم يلقني في الشقوة إلاّ قلة عقلي، ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم، ولكن الشقوة غلبت عليّ وعلى من معي، فقال ملك بني إسرائيل: الحمد لله ربّ العزّة الذي كفاناكم بما شاء، إن ربنا لم يُبقك ومن معك لكرامة بك عليه، ولكنه إنما أبقاك ومن معك لما هو شرّ لك، لتزدادوا شقوة في الدنيا، وعذابا في الآخرة، ولتخبروا من وراءكم بما لقيتم من فعل ربنا، ولتنذر من بعدكم، ولولا ذلك ما أبقاكم، فلدمُك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلته. ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه، فقذف في رقابهم الجوامع، وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس إيليا، وكان يرزقهم في كلّ يوم خبزتين من شعير لكل رجل منهم، فقال سنحاريب لملك بني إسرائيل: القتل خير مما يفعل بنا، فافعل ما أمرت فنقل بهم الملك إلى سجن القتل، فأوحى الله إلى شعياء النبيّ أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم، وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلّغ النبيّ شعياء الملك ذلك، ففعل، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده، فقال له كهّانه وسحرته: يا ملك بابل قد كنا نقصّ عليك خبر ربهم وخبر نبيهم،

ووحى الله إلى نبيهم، فلم تطعنا، وهي أمّة لا يستطيعها أحد مع ربهم، فكان أمر سنحاريب مما خوّفوا، ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين، ثم مات.

16659ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما مات سنحاريب استخلف بختنصر ابن ابنه على ما كان عليه جدّه يعمل بعمله، ويقضي بقضائه، فلبث سبع عشرة سنة. ثم قبض الله ملك بني إسرائيل صديقة فمرج أمر بني إسرائيل وتنافسوا المُلك، حتى قتل بعضهم بعضا عليه، ونبيهم شعياء معهم لا يذعنون إليه، ولا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك، قال الله فيما بلغنا لشعياء: قم في قومك أُوحِ على لسانك فلما قام النبيّ أنطق الله لسانه بالوحي فقال: يا سماء استَمعي، ويا أرض أنصتي، فإن الله يريد أن يقصّ شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته، واصطفاهم لنفسه، وخصّهم بكرامته، وفضّلهم على عباده، وفضلهم بالكرامة، وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها، فآوى شاردتها، وجمع ضالتها، وجبر كسيرها، وداوى مريضها، وأسمن مهزولها، وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت، فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا، حتى لم يبق منها عظم صحيح يخبر إليه آخر كسير، فويل لهذه الأمة الخاطئة، وويل لهؤلاء القوم الخاطئين الذين لا يدرون أين جاءهم الحين. إن البعير ربما يذكر وطنه فينتابه، وإن الحمار ربما يذكر الآريّ الذي شبع عليه فيراجعه، وإن الثور ربما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه، وإن هؤلاء القوم لا يدرون من حيث جاءهم الحين، وهم أولو الألباب والعقول، ليسوا ببقر ولا حمير وإني ضارب لهم مثلاً فليسمعوه: قل لهم: كيف ترون في أرض كانت خواء زمانا، خربة مواتا لا عمران فيها، وكان لها ربّ حكيم قويّ، فأقبل عليها بالعمارة، وكره أن تخرب أرضه وهو قويّ، أو يقال ضيع وهو حكيم، فأحاط عليها جدارا، وشيّد فيها قصرا، وأنبط فيها نهرا، وصف فيها غراسا من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب، وألوان الثمار كلها، وولى ذلك واستحفظه قيما ذا رأي وهمّة، حفيظا قويا أمينا، وتأنى طلعها وانتظرها فلما أطلعت جاء طلعها خروبا، قالوا: بئست الأرض هذه، نرى أن يهدم جدرانها وقصرها، ويدفن نهرها، ويقبض قيّمها، ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أوّل مرّة، خربة مواتا لا عمران فيها. قال الله لهم: فإن الجدار ذمتي، وإن القصر شريعتي، وإن النهر كتابي، وإن القَيّمَ نبِيي، وإن الغراس هم، وإن الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة، وإني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم، وإنه مَثلٌ ضربه الله لهم يتقرّبون إليّ بذبح البقر والغنم، وليس ينالني اللحم ولا آكله، ويدّعون أن يتقرّبوا بالتقوى والكفّ عن ذبح الأنفس التي حرمتها، فأيديهم مخضوبة منها، وثيابهم متزملة بدمائها، يشيدون لي البيوت مساجد، ويطهرون أجوافها، وينجسون قلوبهم وأجسامهم ويدنسونها، ويزوّقون لي البيوت والمساجد ويزينونها، ويخرّبون عقولهم وأحلامهم ويفسدونها، فأيّ حاجة لي إلى تشييد البيوت وليست أسكنها، وأيّ حاجة إلى تزويق المساجد ولست أدخلها، إنما أمرت برفعها لأذكر فيها وأسبح فيها، ولتكون معلما لمن أراد أن يصلي فيها، يقولون: لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها، ولو كان الله يقدر على أن يفقّه قلوبنا لأفقهها، فاعمد إلى عودين يابسين، ثم ائت بهما ناديهما في أجمع ما يكونون، فقل للعودين: إن

الله يأمركما أن تكونا عودا واحدا فلما قال لهما ذلك، اختلطا فصارا واحدا، فقال الله: قل لهم: إني قدرت على ألفة العيدان اليابسة وعلى أن أولّف بينها، فكيف لا أقدر على أن أجمع ألفتهم إن شئت، أم كيف لا أقدر على أن أفقّه قلوبهم، وأنا الذي صوّرتها يقولون: صمنا فلم يرفع صيامنا، وصلّينا فلم تنوّر صلاتنا، وتصدّقنا فلم تزكّ صدقاتنا، ودعونا بمثل حنين الحمام، وبكينا بمثل عواء الذئب، في كلّ ذلك لا نسمع، ولا يُستجاب لنا قال الله: فسلهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم، ألست أسمع السامعين، وأبصر الناظرين، وأقرب المجيبين، وأرحم الراحمين؟ ألأنّ ذات يدي قلت كيف ويداي مبسوطتان بالخير، أنفق كيف أشاء، ومفاتيح الخزائن عندي لا يفتحها ولا يغلقها غيري ألا وإن رحمتي وسعت كلّ شيء، إنما يتراحم المتراحمون بفضلها أو لأن البخل يعتريني أو لست أكرم الأكرمين والفتاح بالخيرات، أجود من أعطى، وأكرم من سُئل لو أنّ هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التي نوّرت في قلوبهم فنبذوها، واشتروا بها الدنيا، إذن لأبصروا من حيث أتوا، وإذن لأيقنوا أن أنفسهم هي أعدى العداة لهم، فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور، ويتقوّون عليه بطعمة الحرام؟ وكيف أنوّر صلاتهم، وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني ويحادّني، وينتهك محارمي؟ أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدّقون بأموال غيرهم؟ وإنما أوجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وإنما هو قول بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد؟ وإنما أستجيب للداعي اللين، وإنما أسمع من قول المستضعف المسكين، وإن من علامة رضاي رضا المساكين فلو رحموا المساكين، وقرّبوا الضعفاء، وأنصفوا المظلوم، ونصروا المغصوب، وعدلوا للغائب، وأدّوا إلى الأرملة واليتيم والمسكين، وكلّ ذي حقّ حقه، ثم لو كان ينبغي أن أكلم البشر إذن لكلمتهم، وإذن لكنت نور أبصارهم، وسمع آذانهم، ومعقول قلوبهم، وإذن لدعمت أركانهم، فكنت قوّة أيديهم وأرجلهم، وإذن لثبّت ألسنتهم وعقولهم. يقولون لمّا سمعوا كلامي، وبلغتهم رسالاتي بأنها أقاويل منقولة، وأحاديث متوارثة، وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة، وزعموا أنهم لو شاءوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا، وأن يطلعوا على الغيب بما توحي إليهم الشياطين طلعوا، وكلهم يستخفى بالذي يقول ويسرّ، وهم يعلمون أني أعلم غيب السموات والأرض، وأعلم ما يبدون وما يكتمون وإني قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء أثبته على نفسي، وجعلت دونه أجلاً مؤجلاً، لا بدّ أنه واقع، فإن صدقوا بما ينتحلون من لم الغيب، فليخبروك متى أنفذه، أو في أيّ زمان يكون، وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون، فليأتوا بمثل القُدرة التي بها أمضيت، فإني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وإن كانوا يقدرون على أن يقولوا ما يشاءون فليؤلّفوا مثل الحكمة التي أدبر بها أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين، فإني قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض أن أجعل النبوّة في الأجراء، وأن أحوّل الملك في الرعاء، والعزّ في الأذلاء، والقوّة في الضعفاء، والغنى في الفقراء، والثروة في الأقلاء، والمدائن في الفلوات، والآجام في المفاوز، والبردى في الغيطان، والعلم في الجهلة، والحكم في الأميين، فسلهم متى هذا، ومن القائم بهذا، وعلى يد من أسنه، ومن أعوان هذه الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون فإني باعث

لذلك نبيا أمّيا، ليس أعمى من عميان، ولا ضالاً من ضالّين، وليس بفظّ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا متزين بالفُحش، ولا قوّال للخنا، أسدده لكل جميل، أهب له كلّ خلق كريم، أجعل السكينة لباسه، والبرّ شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة معقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والعرف خلقه والعدل والمعروف سيرته، والحقّ شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملّته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأشهر به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلّة، وأغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفُرقة، وأؤلّف به قلوبا مختلفة، وأهواء مشتتة، وأمما متفرّقة، وأجعل أمته خير أمّة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، توحيدا لي، وإيمانا وإخلاصا بي، يصلون لي قياما وقعودا، وركوعا وسجودا، يُقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني، ألهمهم التكبير والتوحيد، والتسبيح والحمد والمدحة، والتمجيد لي في مساجدهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم، يكبرون ويهلّلون، ويقدّسون على رؤوس الأسواق، ويطهرون لي الوجوه والأطراف، ويعقدون الثياب في الأنصاف، قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم صدورهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، ذلك فضلي أوتيه من أشاء، وأنا ذو الفضل العظيم. فلما فرغ نبيهم شعياء إليهم من مقالته، عدوا عليه فيما بلغني ليقتلوه، فهرب منهم، فلقيته شجرة، فانفلقت فدخل فيها، وأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها، فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها، وقطعوه في وسطها.

قال أبو جعفر: فعلى القول الذي ذكرنا عن ابن عباس من رواية السديّ، وقول ابن زيد، كان إفساد بني إسرائيل في الأرض المرّة الأولى قتلهم زكريا نبيّ الله، مع ما كان سلف منهم قبل ذلك وبعده، إلى أن بعث الله عليهم من أحلّ على يده بهم نقمته من معاصي الله، وعتوّهم على ربهم. وأما على قول ابن إسحاق الذي روينا عنه، فكان إفسادهم المرّة الأولى ما وصف من قتلهم شعياء بن أمصيا نبيّ الله. وذكر ابن إسحاق أن بعض أهل العلم أخبره أن زكريا مات موتا ولم يُقتل، وأن المقتول إنما هو شعياء، وأن بختنصر هو الذي سُلّط على بني إسرائيل في المرّة الأولى بعد قتلهم شعياء. حدثنا بذلك ابن حميد، عن سلمة عنه.

وأما إفسادهم في الأرض المرّة الآخرة، فلا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا. وقد اختلفوا في الذي سلّطه الله عليهم منتقما به منهم عند ذلك، وأنا ذاكر اختلافهم في ذلك إن شاء الله.

وأما قوله: وَلَتَعْلُنّ عُلُوّا كَبِيرا فقد ذكرنا قول من قال: يعني به: استكبارهم على الله بالجراءة عليه، وخلافهم أمره. وكان مجاهد يقول في ذلك ما:

16660ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَلَتَعْلُنّ عُلُوّا كَبِيرا قال: ولتعلنّ الناس علوّا كبيرا.

حدثنا الحارث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

وأما قوله: فإذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما يعنـي: فـ إذا جـ اء وعـد أولـى الـمرّتـين اللتـين يفسدون بهما فـي الأرض كما:

16661ـ حدثنـي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابـن زيـد، فـي قوله: فإذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما قال: إذا جاء وعد أولـى تـينك الـمرّتـين اللتـين قضينا إلـى بنـي إسرائيـل لَتُفْسِدُنّ فِـي الأرْضِ مَرّتَـيْنِ.

وقوله: بَعَثْنا عَلَـيْكُمْ عِبـادا لَنا أُولـي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدّيارِ، وكانَ وَعْدا مَفْعُولاً يعنـي تعالـى ذكره بقوله: بَعَثْنا عَلَـيْكُمْ وجّهنـا إلـيكم، وأرسـلنا علـيكم عِبـادا لَنا أُولـي بَأْسٍ شَدِيدٍ يقول: ذوي بطش فـي الـحروب شـديد. وقوله: فَجاسُوا خِلالَ الدّيارِ، وكانَ وَعدا مَفْعُولاً يقول: فـتردّدوا بـين الـدور والـمساكن، وذهبوا وجاءوا. يقـال فـيه: جـاس القـوم بـين الـديار وجاسـوا بـمعنى واحد، وجست أنا أجوس جوسا وجوسانا. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك، رُوي الـخبر عن ابن عبـاس:

16662ـ حدثنـي علـيّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثنـي معاويـة، عن علـيّ، عن ابن عبـاس فَجاسُوا خِلالَ الدّيارِ قال: مشوا.

وكان بعض أهل الـمعرفة بكلام العـرب مـن أهـل البصـرة يقـول: معنـى جاسوا: قتلوا، ويستشهد لقوله ذلك ببـيت حسان:

وَمِنّا الّذِي لاقـى بسَيْفِ مُـحَمّدٍفَجاسَ بِهِ الأعْدَاءَ عُرْضَ العَساكِرِ

وجائز أن يكون معناه: فجاسـوا خلالَ الـديار، فقتلـوهم ذاهبـين وجـائين، فـيصحّ التأويلان جميعا. ويعنـي بقوله: وكانَ وَعْدا مَفْعُولاً وكان جوس القوم الذين نبعث علـيهم خلال ديارهم وعدا من الله لهـم مفعـولاً ذلـك لا مـحالة، لأنه لا يخـلف الـميعاد.

ثم اختلف أهل التأويـل فـي الذين عنى الله بقوله: أُولـي بَأْسٍ شَدِيدٍ فـيـما كان من فعلهم فـي الـمرّة الأولـى فـي بنـي إسرائيـل حيـن بعثـوا علـيهم، ومن الذين بعث علـيهم فـي الـمرّة الآخرة، وما كان من صنعهم بهـم، فقـال بعضهم: كان الذي بعث الله علـيهم فـي الـمرّة الأولـى جـالوت، وهـو مـن أهل الـجزيرة. ذكر من قال ذلك:

16663ـ حدثنـي مـحمد بن سعد، قال: حدثنا أبـي، قال: ثنـي عمي، قال: ثنـي أبـي، عن أبـيه، عـن ابـن عبـ اس، قـوله: فَـإذَا جـاءَ وَعْـدُ أُولاهُمـا بَعَثْنـا عَلَـيْكُمْ عِبـادا لَنا أُولـي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدّيارِ، وكانَ وَعْـدا مَفْعُـولاً قال: بعث الله علـيهم جالوت، فجاس خلال ديارهم، وضرب علـيهم الـخراج والذلّ، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكا يُقاتلون فـي سبـيـل الله، فبعـث اللـه طالوت، فقاتلوا جالوت، فنصر الله بنـي إسرائيـل، وقُتل جالوت بـيدي داود، ورجع الله إلـى بنـي إسرائيـل ملكهم.

16664ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: فإذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَـيْكُمْ عِبـادا لَنا أُولـي بَأْسٍ شَدِيدٍ، فجاسُـوا خِلالَ الدّيارِ، وكانَ وَعْدا مَفْعُولاً قضاء قضى الله علـى القوم كما تسمعون، فبعـث علـيهم فـي الأولـى جالوت الـجزري، فسبى وقتل، وجاسوا خلال الديار كمـا قال الله، ثم رجع القوم علـى دخن فـيهم.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى، قال: حدثنا مـحمد بن ثور، عن معمر، عـن قتادة، قال: أمـا الـمرّة الأولـى فسـلّط اللـه علـيهم جـالوت، حتـى بعـث طالوت ومعه داود، فقتله داود.

وقال آخرون: بل بعث عليهم في المرّة الأولى سنحاريب، وقد ذكرنا بعض قائلي ذلك فيما مضى ونذكر ما حضرنا ذكره ممن لم نذكره قبل.

16665ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، عن أبي المعلى، قال: سمعت سعيد بن جبير، يقول في قوله: بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِبادا لَنا أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ قال: بعث الله تبارك وتعالى عليهم في المرّة الأولى سنحاريب من أهل أثور ونينوى فسألت سعيدا عنها، فزعم أنها الموصل.

16666ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج عن ابن جريج، قال: ثني يعلى بن مسلم بن سعيد بن جبير، أنه سمعه يقول: كان رجل من بني إسرائيل يقرأ، حتى إذا بلغ بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِبادا لَنا أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ بكى وفاضت عيناه، وطبق المصحف، فقال ذلك ما شاء الله من الزمان، ثم قال: أي ربّ أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يديه، فأري في المنام مسكينا ببابل، يقال له بختنصر، فانطلق بمال وأعبد له، وكان رجلاً موسرا، فقيل له أين تريد؟ قال: أريد التجارة، حتى نزل دارا ببابل، فاستكراها ليس فيها أحد غيره، فجعل يدعو المساكين ويلطف بهم حتى لم يبق أحد، فقال: هل بقي مسكين غيركم؟ قالوا: نعم، مسكين بفجّ آل فلان مريض يقال له بختنصر، فقال لغلمته: انطلقوا، حتى أتاه، فقال: ما اسمك؟ قال: بختنصر، فقال لغلمته: احتملوه، فنقله إليه ومرّضه حتى برأ، فكساه وأعطاه نفقة، ثم آذن الإسرائيلي بالرحيل، فبكى بختنصر، فقال الإسرائيلي: ما يبكيك؟ قال: أبكي أنك فعلت بي ما فعلت، ولا أجد شيئا أجزيك، قال: بلى شيئا يسيرا، إن ملكت أطعتني فجعل الآخر يتبعه ويقول: تستهزىء بي؟ ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله، إلاّ أنه يرى أنه يستهزىء به، فبكى الإسرائيلي وقال: ولقد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك، إلاّ أن الله يريد أن ينفذ ما قد قضاه وكتب في كتابه وضرب الدهر من ضربه فقال يوما صيحون، وهو ملك فارس ببابل: لو أنا بعثنا طليعة إلى الشام قالوا: وما ضرّك لو فعلت؟ قال: فمن ترون؟ قالوا: فلان، فبعث رجلاً وأعطاه مئة ألف، وخرج بختنصر في مطبخه، لم يخرج إلاّ ليأكل في مطبخه فلما قدم الشام ورأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرسا ورجلاً جلدا، فكسر ذلك في ذرعه، فلم يسأل، قال: فجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول: ما يمنعكم أن تغزوا بابل، فلو غزوتموها ما دون بيت مالها شيء، قالوا: لا نُحسن القتال، قال: فلو أنكم غزوتم، قالوا: إنا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى أنفذ مجالس أهل الشام، ثم رجعوا فأخبر الطليعة ملكهم بما رأى، وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك: لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان فرُفع ذلك إليه، فدعاه فأخبره الخبر وقال: إن فلانا لما رأى أكثر أرض الله فرسا ورجلاً جلدا، كبر ذلك في روعه ولم يسألهم عن شيء، وإني لم أدع مجلسا بالشام إلاّ جالست أهله، فقلت لهم كذا وكذا، وقالوا لي كذا وكذا، الذي ذكر سعيد بن جبير أنه قال لهم، قال الطليعة لبختنصر: إنك فضحتني لك مئة ألف وتنزع عما قلت، قال: لو أعطيتني بيت مال بابل ما نزعت، ضرب الدهر من ضربه فقال الملك: لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام، فإن وجدوا مساغا ساغوا، وإلاّ انثنوا ما قدروا عليه، قالوا: ما ضرّك لو فعلت؟ قال: فمن ترون؟ قالوا: فلان، قال: بل

الرجل الذي أخبرني ما أخبرني، فدعا بختنصر وأرسله، وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار، فسبوا ما شاء الله ولم يخربوا ولم يقتلوا. وم ات صيحون الملك ق الوا: استخلفوا رجلاً، ق الوا: على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فإنهم فرسانكم، لن ينقضوا عليكم شيئا، أمهلوا فأمهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه، فقسمه في الناس، فقالوا: ما رأينا أحدا أحق بالملك من هذا، فملّكوه.

16667ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: ظهر بختنصر على الشام، فخرّب بيت المقدس وقتلهم، ثم أتى دمشق، فوجد بها دما يغلي على كبا: أي كناسة، فسألهم ما هذا الدم؟ قالوا: أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر، قال: فقتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم، فسكن.

وقال آخرون: يعني بذلك قوما من أهل فارس، قالوا: ولم يكن في المرّة الأولى قتال. ذكر من قال ذلك:

16668ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فإذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِبادا لَنا أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خلالَ الدّيارِ قال: من جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم، ويسمعون حديثهم، معهم بختنصر، فوعى أحاديثهم من بين أصحابه، ثم رجعت فارس ولم يكن قتال، ونُصرت عليهم بنو إسرائيل، فهذا وعد الأولى.

حدثني الحرث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِبادا لَنا أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ جند جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم، ثم ذكر نحوه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد فإذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِبادا لَنا أُولي بَأسٍ شَدِيدٍ قال: ذلك أي من جاءهم من فارس، ثم ذكر نحوه.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى {ثُمّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً }.

يقول تعالى ذكره: ثم أدلناكم يا بني إسرائيل على هؤلاء القوم الذين وصفهم جلّ ثناؤه أنه يبعثهم عليهم، وكانت تلك الإدالة والكرّة لهم عليهم، فيما ذكر السديّ في خبره أن بني إسرائيل غزوهم، وأصابوا منهم، واستنقذوا ما في أيديهم منهم. وفي قول آخرين: إطلاق الملك الذي غزاهم ما في يديه من أسراهم، وردّ ما كان أصاب من أموالهم عليهم من غير قتال. وفي قول ابن عباس الذي رواه عطية عنه هي إدالة الله إياهم من عدوّهم جالوت حتى قتلوه، وقد ذكرنا كلّ ذلك بأسانيده فيما مضى وأَمْدَدْناكُمْ بأَمْوَالٍ وَبَنِينَ يقول: وزدنا فيما أعطيناكم من الأموال والبنين.

وقوله: وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرا يقول: وصيرناكم أكثر عدَدَ نافرٍ منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16669ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قولهوَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرا: أي عددا، وذلك في زمن داود.

16670ـ حدثني موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرا يقول: عددا.
16671ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ثُمّ رَدَدْنا لَكُمُ الكَرّةَ عَلَيْهِمْ لبني إسرائيل، بعد أن كانت الهزيمة، وانصرف الآخرون عنهم وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرا قال: جعلناكم بعد هذا أكثر عددا.
16672ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر، عن قتادة ثُمّ رَدَدْنا لَكُمُ الكَرّةَ عَلَيْهِمْ ثم رددت الكرّة لبني إسرائيل.
16673ـ حدثني محمد بن سنان القزّاز، قال: حدثنا أبو عاصم، عن سفيان، في قوله: وأَمْدَدْناكُمْ بأمْوَال وبَنِينَ قال: أربعة آلاف.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً }.
يقول تعالى ذكره لبني إسرائيل فيما قضى إليهم في التوراة: إنْ أحْسَنْتُمْ يا بني إسرائيل، فأطعتم الله وأصلحتم أمركم، ولزمتم أمره ونهيه أحْسَنْتُمْ وفعلتم ما فعلتم من ذلك لأنْفُسِكُمْ لأنّكم إنما تنفعون بفعلتكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بغاكم سوءا، وينمي لكم أموالكم، ويزيدكم إلى قوّتكم قوّة. وأما في الآخرة فإن الله تعالى يثيبكم به جنانه وإنْ أسأْتُمْ يقول: وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذٍ، فإلى أنفسكم تسيئون، لأنكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم، فيسلط عليكم في الدنيا عدوّكم، ويمكّن منكم من بغاكم سوءا، ويخلدكم في الآخرة في العذاب المهين. وقال جلّ ثناؤه وَإنْ أسأْتُمْ فلها والمعنى: فإليها كما قالبأنّ رَبّكَ أوْحى لَها والمعنى: أوحى إليها.
وقوله: فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ يقول: فإذا جاء وعد المرّة الآخرة من مرّتي إفسادكم يا بني إسرائيل في الأرض لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ يقول: ليسوء مجيء ذلك الوعد للمرّة الآخرة وجوهكم فيقبّحها.
وقد اختلف القرّاء في قراءة قوله لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ فقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ بمعنى: ليسوء العباد أولو البأس الشديد الذين يبعثهم الله عليكم وجوهكم، واستشهد قارئوا ذلك لصحة قراءتهم كذلك بقوله وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ وقالوا: ذلك خبر عن الجميع فكذلك الواجب أن يكون قوله لِيَسُوءُوا. وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة: «لِيَسُوءَ وُجُوهَكُمْ» على التوحيد وبالياء. وقد يحتمل ذلك وجهين من التأويل أحدهما ما قد ذكرت، والآخر منهما: ليسوء الله وجوهكم. فمن وجّه تأويل ذلك إلى ليسوء مجيء الوعد وجوهَكم، جعل جواب قوله «فإذا» محذوفا، وقد استغني بما ظهر عنه، وذلك المحذوف «جاء»، فيكون الكلام تأويله: فإذا جاء وعد الآخرة ليسوء وجوهكم جاء. ومن وجّهَ تأويله إلى: ليسوء الله وجوهكم، كان أيضا في الكلام محذوف، قد استغني هنا عنه بما قد ظهر منه، غير أن ذلك المحذوف سوى «جاء»، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم ليسوء الله

وجوهكم، فيكون المضمر بعثناهم، وذلك جواب «إذا» حينئذٍ. وقرأ ذلك بعض أهل العربية من الكوفيين: «لِنَسُوءَ وُجُوهَكُمْ» على وجه الخبر من الله تبارك وتعالى اسمه عن نفسه.

وكان مجيء وعد المرّة الآخرة عند قتلهم يحيى. ذكر الرواية بذلك، والخبر عما جاءهم من عند الله حينئذٍ كما:

16674ـ حدثنا موسى، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ في الحديث الذي ذكرنا إسناده قبل أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل، يدعى بختنصر، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم، فأقبل فسأل عنه حتى نزل على أمه وهو يحتطب، فلما جاء وعلى رأسه حزمة من حطب ألقاها، ثم قعد في جانب البيت فضمه، ثم أعطاه ثلاثة دراهم، فقال: اشتر لنا بها طعاما وشرابا، فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا، فأكلوا وشربوا حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك، ثم قال له: إني أحبّ أن تكتب لي أمانا إن أنت ملكت يوما من الدهر، فقال: أتسخر بي؟ فقال: إني لا أسخر بك، ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يدا، فكلمته أمه، فقالت: وما عليك إن كان ذلك وإلاّ لم ينقصك شيئا، فكتب له أمانا، فقال له: أرأيت إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك، فاجعل لي آية تعرفني بها قال: نرفع صحيفتك على قصبة أعرفك بها، فكساه وأعطاه. ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا، ويدني مجلسه، ويستشيره في أمره، ولا يقطع أمرا دونه، وأنه هوى أن يتزوّج ابنة امرأة له، فسأل يحيى عن ذلك، فنهاه عن نكاحها وقال: لست أرضاها لك، فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوّج ابنتها، فعمدت أمّ الجارية حين جلس الملك على شرابه، فألبستها ثيابا رقاقا حمرا، وطيّبتها وألبستها من الحُليّ، وقيل: إنها ألبستها فوق ذلك كساء أسود، وأرسلتها إلى الملك، وأمرتها أن تسقيه، وأن تعرض له نفسها، فإن أرادها على نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته، فإذا أعطاها ذلك سألته أن يأتي برأس يحيى بن زكريا في طست، ففعلت، فجعلت تسقيه وتعرض له نفسها فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها، فقالت: لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك، فقال: ما الذي تسألينى؟ قالت: أسألك أن تبعث إلى يحيى بن زكريا، فأوتَى برأسه في هذا الطست، فقال: ويحك سليني غير هذا، فقالت له: ما أريد أن أسألك إلاّ هذا. قال: فلما ألّحت عليه بعث إليه، فأتى برأسه، والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول: لا يحلّ لك ذلك فلما أصبح إذا دمه يغلي، فأمر بتراب فألقى عليه، فرقى الدم فوق التراب يغلي، فألقى عليه التراب أيضا، فارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو يغلى وبلغ صيحابين، فثار في الناس، وأراد أن يبعث عليهم جيشا، ويؤمّر عليهم رجلاً، فأتاه بختنصر وكلّمه وقال: إن الذي كنت أرسلته تلك المرّة ضعيف، وإني قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها، فابعثني، فبعثه، فسار بختنصر حتى إذا بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم، فلم يطقهم، فلما اشتدّ عليهم المقام وجاع أصحابه، أرادوا الرجوع، فخرجت إليهم عجوز من عجائز بني إسرائيل فقالت: أين أمير الجند؟ فأتى بها إليه، فقالت له: إنه بلغني أنك تريد أن

ترجع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة، قال: نعم، قد طال مقامي، وجاع أصحابي، فلست أستطيع المقام فوق الذي كان مني، فقالت: أرأيتك إن فتحت لك المدينة أتعطيني ما سألتك، وتقتل من أمرتك بقتله، وتكفّ إذا أمرتك أن تكفّ؟ قال: نعم، قالت: إذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أرباع، ثم أقم على كلّ زاوية ربعا، ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء فنادوا: إنا نستفتحك يا أله بدم يحيى بن زكريا، فإنها سوف تسّاقط ففعلوا، فتساقطت المدينة، ودخلوا من جوانبها، فقالت له: اقتل على هذا الدم حتى يسكن، وانطلقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير، فقتل عليه حتى سكن سبعين ألفا وامرأة فلما سكن الدم قالت له: كفّ يدك، فإن الله تبارك وتعالى إذا قتل نبيّ لم يرض، حتى يقتل من قتله، ومن رضي قتله، وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته، فكفّ عنه وعن أهل بيته، وخرّب بيت المقدس، وأمر به أن تطرح فيه الجيف، وقال: من طرح فيه جيفة فله جزيته تلك السنة، وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى، فلما خرّبه بختنصر ذهب معه بوجوه بني إسرائيل وأشرافهم، وذهب بدانيال وعليا وعزاريا وميشائيل، هؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم أرض بابل وجد صحابين قد مات، فملك مكانه، وكان أكرم الناس عليه دانيال وأصحابه، فحسدهم المجوس على ذلك، فوشوا بهم إليه وقالوا: إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك، ولا يأكلون من ذبيحتك، فدعاهم فسألهم، فقالوا: أجل إن لنا ربا نعبده، ولسنا نأكل من ذبيحتكم، فأمر بخدّ فخدّ لهم، فألقوا فيه وهم ستة، وألقى معهم سبعا ضاريا ليأكلهم، فقال: انطلقوا فلنأكل ولنشرب، فذهبوا فأكلوا وشربوا، ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم، ولم يخدش منهم أحدا، ولم ينكأه شيئا، ووجدوا معهم رجلاً، فعدّوهم فوجدوهم سبعة، فقالوا: ما بال هذا السابع إنما كانوا ستة؟ فخرج إليهم السابع، وكان ملَكا من الملائكة، فلطمه لطمة فصار في الوحش، فكان فيهم سبع سنين، لا يراه وحشيّ إلاّ أتاه حتى ينكحه، يقتصّ منه ما كان يصنع بالرجال ثم إنه رجع ورد الله عليه مُلكه، فكانوا أكرم خلق الله عليه. ثم إن المجوس وَشَوا به ثانية، فألقوا أسدا في بئر قد ضَرِي، فكانوا يلقون إليه الصخرة فيأخذها، فألقوا إليه دانيال، فقام الأسد في جانب، وقام دانيال في جانب لا يمسه، فأخرجوه، وقد كان قبل ذلك خدّ لهم خدّا، فأوقد فيه نارا، حتى إذا أججها قذفهم فيها، فأطفأها الله عليهم ولم ينلهم منها شيء. ثم إن بختنصر رأى بعد ذلك في منامه صنما رأسه من ذهب، وعنقه من شَبَه، وصدره من حديد، وبطنه أخلاط ذهب وفضة وقوارير، ورجلاه من فخار فبينا هو قائم ينظر، إذ جاءت صخرة من السماء من قِبَل القبلة، فكسرت الصنم فجعلته هشيما، فاستيقظ فزعا وأُنسيها، فدعا السحرة والكهنة، فسألهم، فقال: أخبروني عما رأيت فقالوا له: لا، بل أنت أخبرنا ما رأيت فنعبره لك. قال: لا أدري، قالوا له: فهؤلاء الفتية الذين تكرمهم، فادعهم فاسألهم، فإن هم لم يخبروك بما رأيت فما تصنع بهم؟ قال: أقتلهم فأرسل إلى دانيال وأصحابه، فدعاهم، فقال لهم: أخبروني ماذا رأيت؟ فقال له دانيال: بل أنت أخبرنا ما رأيت فنعبره لك قال: لا أدري قد نسيتها فقال له دانيال: كيف نعلم رؤيا لم تخبرنا بها؟ فأمر البوّاب أن يقتلهم، فقال دانيال للبوّاب: إن الملك إنما أمر بقتلنا من أجل رؤياه،

فأخّرنا ثلاثة أيام، فإن نحن أخبرنا الملك برؤياه وإلا فاضرب أعناقنا فأجّلهم فدعوا الله فلما كان اليوم الثالث أبصر كل رجل منهم رؤيا بختنصر على حدة، فأتوا البوّاب فأخبروه، فدخل على الملك فأخبره، فقال: أدخلهم عليّ وكان بختنصر لا يعرف من رؤياه شيئا، إلا شيئا يذكرونه، فقالوا له: أنت رأيت كذا وكذا، فقصوها عليه، فقال: صدقتم قالوا: نحن نعبرها لك. أما الصنم الذي رأيت رأسه من ذهب، فإنه ملك حسن مثل الذهب، وكان قد ملك الأرض كلها وأما العنق من الشّبَه، فهو ملك ابنك بعد، يملك فيكون ملكه حسنا، ولا يكون مثل الذهب وأما صدره الذي من حديد فهو ملك أهل فارس، يملكون بعدك ابنك، فيكون ملكهم شديدا مثل الحديد وأما بطنه الأخلاط، فإنه يذهب ملك أهل فارس، ويتنازع الناس الملك في كلّ قرية، حتى يكون الملك يملك اليوم واليومين، والشهر والشهرين، ثم يُقتل، فلا يكون للناس قوام على ذلك، كما لم يكن للصنم قوام على رجلين من فخار فبينما هم كذلك، إذ بعث الله تعالى نبيا من أرض العرب، فأظهره على بقية مُلك أهل فارس، وبقية مُلك ابنك وملكك، فدمره وأهلكه حتى لا يبقى منه شيء، كما جاءت الصخرة فهدمت الصنم فعطف عليهم بختنصر فأحبهم. ثم إن المجوس وشوا بدانيال، فقالوا: إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول، وكان ذلك فيهم عارا، فجعل لهم بختنصر طعاما، فأكلوا وشربوا، وقال للبوّاب: انظر أوّل من يخرج عليك يبول، فاضربه بالطبرزين، وإن قال: أنا بختنصر، فقل: كذبت، بختنصر أمرني. فحبس الله عن دانيال البول، وكان أوّل من قام من القوم يريد البول بختنصر، فقام مدلاً، وكان ذلك ليلاً، يسحب ثيابه فلما رآه البوّاب شدّ عليه، فقال: أنا بختنصر، فقال: كذبت، بختنصر أمرني أن أقتل أوّل من يخرج، فضربه فقتله.

16675ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، عن أبي المعلى، قال: سمعت سعيد بن جبير، قال: بعث الله عليهم في المرّة الأولى سنحاريب. قال: فردّ الله لهم الكرّة عليهم، كما قال قال: ثم عصوا ربهم وعادوا لما نهوا عنه، فبعث عليهم في المرّة الآخرة بختنصر، فقتل المقاتلة، وسبى الذرّية، وأخذ ما وجد من الأموال، ودخلوا بيت المقدس، كما قال الله عزّ وجلّ: وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوّلَ مَرّةٍ وَلِيُتَبّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرا دخلوه فتبّروه وخرّبوه وألقوا فيه ما استطاعوا من العذرة والحيض والجيف والقذر، فقال الله عَسَى رَبّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنا فرحمهم فردّ إليهم ملكهم وخلص من كان في أيديهم من ذرّية بني إسرائيل، وقال لهم: إن عدتم عدنا. فقال أبو المعلى، ولا أعلم ذلك، إلاّ من هذا الحديث، ولم يَعِدهم الرجعة إلى ملكهم.

16676ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فإذَا جاء وَعْدُ الآخرَةِ لِيَسُوءُوا وُجوهَكمْ قال: بعث الله ملك فارس ببابل جيشا، وأمر عليهم بختنصر، فأتوا بني إسرائيل، فدمروهم، فكانت هذه الآخرة ووعدها.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، نحوه.

16677ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: ثني يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير، قال: لما ضرب لبختنصر الملك بجرانه، قال: ثلاثة فمن استأخر منكم بعدها فليمش إلى خشبته، فغزا الشام، فذلك حين قتل وأخرج بيت المقدس، ونزع حليته، فجعلها آنية ليشرب فيها الخمور، وخوانا يأكل عليه الخنازير، وحمل التوراة معه، ثم ألقاها في النار، وقدم فيما قدم به مئة وصيف منهم دانيال وعزريا وحنانيا ومشائيل، فقال لإنسان: أصلح لي أجسام هؤلاء لعلي أختار منهم أربعة يخدموننـي، فقال دانيال لأصحابه: إنما نصروا عليكم بما غيرتم من دين آبائكم، لا تأكلوا لحم الخنزير، ولا تشربوا الخمر، فقالوا للذي يصلح أجسامهم: هل لك أن تطعمنا طعاما، هو أهون عليك في المؤونة مما تطعم أصحابنا، فإن لم نسمن قبلهم رأيت رأيك، قال: ماذا؟ قال: خبز الشعير والكرّاث، ففعل فسمنوا قبل أصحابهم، فأخذهم بختنصر يخدمونه فبينما هم كذلك، إذ رأى بختنصر رؤيا، فجلس فنسيها فعاد فرقد فرآها، فقام فنسيها، ثم عاد فرقد فرآها، فخرج إلى الحجرة، فنسيها فلما أصبح دعا العلماء والكهّان، فقال: أخبرونـي بما رأيت البارحة، وأوّلوا لي رؤياي، وإلا فليمش كل رجل منكم إلى خشبته، موعدكم ثالثة. فقالوا: هذا لو أخبرنا برؤياه وذكر كلاما لم أحفظه، قال: وجعل دانيال كلما مرّ به أحد من قرابته يقول: لو دعاني الملك لأخبرته برؤياه، ولأوّلتها له، قال: فجعلوا يقولون: ما أحمق هذا الغلام الإسرائيلي إلى أن مرّ به كهل، فقال له ذلك، فرجع إليه فأخبره، فدعاه فقال: ماذا رأيت؟ قال: رأيت تمثالاً، قال: إيه، قال: ورأسه من ذهب، قال: إيه، قال: وعنقه من فضة، قال: إيه، قال: وصدره من حديد، قال: إيه، قال: وبطنه من صُفر، قال: إيه، قال: ورجلاه من آنُك، قال: إيه، قال: وقدماه من فخار، قال: هذا الذي رأيت؟ قال: إيه، قال: فجاءت حصاة فوقعت في رأسه، ثم في عنقه، ثم في صدره، ثم في بطنه، ثم في رجليه، ثم في قدميه، قال: فأهلكته. قال: فما هذا؟ قال: أما الذهب فإنه ملكك، وأما الفضة فملك ابنك من بعدك، ثم ملك ابن ابنك، قال: وأما الفخار فملك النساء، فكساه جبة ترثون، وسوّره وطاف به في القرية، وأجاز خاتـمه فلما رأت ذلك فارس، قالوا: ما الأمر إلا أمر هذا الإسرائيلي، فقالوا: ائتوه من نحو الفتية الثلاثة، ولا تذكروا له دانيال، فإنه لا يصدقكم عليه، فأتوه، فقالوا: إن هؤلاء الفتية الثلاثة ليسوا على دينك، وآية ذلك أنك إن قرّبت إليهم لحم الخنزير والخمر لم يأكلوا ولم يشربوا فأمر بحطب كثير فوضع، ثم أرقاهم عليه، ثم أوقد فيه نارا، ثم خرج من آخر الليل يبول، فإذا هم يتحدّثون، وإذا معهم رابع يروح عليهم يصلي، قال: من هذا يا دانيال؟ قال: هذا جبريل، إنك ظلمتهم، ق ال: ظلمتهم مُرْ بهم ينزلوا ف أمر بهم فنزلوا، قال: ومسخ الله تعالى بختنصر من الدوابّ كلها، فجعل من كلّ صنف من الدوابّ رأسه رأس سبع من السباع الأسد، ومن الطير النسر، وملك ابنه فرأى كفا خرجت بين لوحين، ثم كتبت سطرين، فدعا الكهان والعلماء فلم يجدوا لهم في ذلك علما، فقالت له أمه: إنك لو أعدت إلى دانيال منزلته التي كانت له م ن أبيك أخبرك، وكان قد جفـ اه، فدعاه، فقال: إني معيد إليك منزلتك من أبي، فأخبرني ما هذان السطران؟ قال: أما أن تعيد إليّ منزلتي من أبيك، فلا حاجة لي بها، وأما هذان السطران

فإنك تقتل الليلة، فأخرج من في القصر أجمعين، وأمر بقفله، فأقفلت الأبواب عليه، وأدخل معه آمنَ أهل القرية في نفسه معه سيف، فقال: من جاءك من خلق الله فاقتله، وإن قال أنا فلان وبعث الله عليه البطن، فجعل يمشي حتى كان شطر الليل، فرقد ورقد صاحبه ثم نبهه البطن، فذهب يمشي والآخر نائم، فرجع فاستيقظ به، فقال له: أنا فلان، فضربه بالسيف فقتله.

16678ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسأْتُمْ فَلَها فإذا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ آخر العقوبتين لِيَسُوءُوا وُجوهَكمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجدَ كمَا دَخَلُوهُ أوّل مَرّةٍ كما دخله عدوّهم قبل ذلك وَلِيُتَبّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرا فبعث الله عليهم في الآخرة بختنصر المجوسي البابلي، أبغض خلق الله إليه، فسبا وقتل وخرّب بيت المقدس، وسامهم سوء العذاب.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ من المرتين لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ قال: ليقبحوا وجوهكم وَلِيُتَبّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرا قال: يدمّروا ما علوا تدميرا، قال: هو بختنصر، بعثه الله عليهم في المرّة الآخرة.

16679ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: فلما أفسدوا بعث الله عليهم في المرّة الآخرة بختنصر، فخرّب المساجد وتبّرما علوا تتبيرا.

16680ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، قال: فيما بلغني، استخلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك، يعني بعد قتلهم شعياء رجلاً منهم يقال له: ناشة بن آموص، فبعث الله الخضر نبيا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قد بلغني يقول: «إنّمَا سُمّيَ الخَضِرُ خَضِرا، لأنَهُ جَلَسَ عَلى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَقامَ عَنْها وَهيَ تَهْتَزّ خَضْرَاءَ» قال: واسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني إسرائيل: أرميا بن حلفيا، وكان من سبط هارون بن عمران.

16681ـ حدثني محمد بن سهل بن عسكر، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه، قالا: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثنا عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه. وحدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق عمن لايتهم، عن وهب بن منبه اليماني، واللفظ لحديث ابن حميد أنه كان يقول: قال الله تبارك وتعالى لإرميا حين بعثه نبيا إلى بني إسرائيل: يا إرميا من قبل أن أخلقك اخترتك، ومن قبل أن أصوّرك في بطن أمك قدّستك، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهّرتك، ومن قبل أن تبلغ السعي نبأتك، ومن قبل أن تبلغ الأشدّ اخترتك، ولأمر عظيم اختبأتك فبعث الله إرميا إلى ذلك الملك من بني إسرائيل يسدّده ويرشده، ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبين الله قال: ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل، وركبوا المعاصي، واستحلّوا المحارم، ونَسوا ما كان الله تعالى صنع بهم، وما نجاهم من عدوّهم سنحاريب وجنوده. فأوحى الله تعالى إلى إرمياء: أن ائت قومك من بني إسرائيل، واقصص عليهم ما آمرك به، وذكّرهم نعمتي عليهم، وعرّفهم أحداثهم، فقال إرمياء: إني ضعيف إن لم تقوّني، وعاجز إن لم تبلّغني، ومخطىء إن لم تسدّدني، ومخذول إن لم تنصرني، وذليل إن لم تعزّني. قال: الله تبارك وتعالى:

أوَ لـم تعلـم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتـي، وأن القلـوب كلهـا والألسـنة بـيدي، أقلبها كيف شئت، فتطيعنــي، وإنــي أنـا اللـه الـذي لا شـيء مثلــي، قامت السموات والأرض وما فـيهنّ بكلـمتـي، وأنـا كلّــمت البحـار، ففهمـت قولـي، وأمرتها فعقلـت أمـري، وحـدَدت علــيها بــالبطحاء فلا تَعـدّي حـدّي، تأتـي بأمواج كالـجبـال، حتـى إذا بلغت حـدّي ألبستها مذلّـة طاعتــي خوفــا واعترافـا لأمري إنـي معك، ولن يصـل إلــيك شـيء معـي، وإن بعثتـك إلــى خـلق عظيـم من خـلقـي، لتبلغهم رسالاتـي، ولتستـحق بذلك مثل أجـر مـن تبعك منهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، وإن تقصّر عنها فلك مثل وزر من تركب فـي عماه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئا انطلق إلـى قومك فقل: إن الله ذكر لكم صلاح آبـائكم، فحمله ذلك علـى أن يستتـيبكم يا معشر الأبنــاء، وسلهم كيف وجد آبـاؤهم مغبّة طاعتـي، وكيف وجدوا هـم مغبّـة معصيتــي، وهل علـموا أن أحدا قبلهم أطاعنـي فشقــي بطاعتــي، أو عصانــي فسـعد بـمعصيتـي، فإن الدّوابّ مـما تـذكر أوطانهـا الصالــحة، فتنتابهـا، وإن هـؤلاء القوم قد رتعوا فـي مروج الهَلَكة. أما أحبـارهم ورهبـانهم فـاتـخذوا عبــادي خوَلاً لـيعبدوهم دونـي وتـحكّموا فـيهم بغيـر كتابــي حتـى أجهلـوهم أمـري، وأنسوهم ذكري، وغروهم منــي. أمـا أمراؤهـم وقـاداتهم فبطـروا نعمتــي، وأمنوا مكري، ونبـذوا كتابــي، ونسـوا عهـدي، وغيـروا سنتــي، فــادّان لهـم عبــادي بــالطاعة التــي لا تنبغـي إلا لــي، فهـم يطيعـونهم فــي معصيتــي، ويتابعونهم علـى البدع التـي يبتعدعون فـي دينـي جراءة علـيّ وغـرّة وفِرْيـة علـيّ وعلـى رسلـي، فسبحان جلالـي وعلـوّ مكانــي، وعظـم شأنــي، فهـل ينبغي لبشر أن يُطاع فـي معصيتـي، وهل ينبغي لـي أن أخـلق عبـادا أجعلهم أربــابــا مـن دونــي. وأمـا قرّاؤهـم وفقهـاؤهم فــيتعبدون فــي الــمساجد، ويتزيّنون بعمارتها لغيري، لطلب الدنـيا بـالدين، ويتفقّهون فـيها لغير العلــم، ويتعلّــمون فــيها لغيـر العمـل. وأمـا أولاد الأنبــياء، فمكـثرون مقهـورون مغيّـرون، يخوضـون مـع الــخائضين، ويتــمنّون علــيّ مثـل نُصـرة آبــائهم والكرامة التـي أكرمتهم بها، ويزعمون أن لا أحدَ أولـى بذلك منهم منـي بغير صدق ولا تفكر ولا تدبّر، ولا يذكرون كيف كان صبر آبـائهم لــي، وكيـف كـان جِدّهم فــي أمـري حيـن غيـر الــمغيّرهن، وكيـف بـذلوا أنفسـهم ودمـاءهم، فصبروا وصَدَقوا حتـى عزّ أمري، وظهر دينـي، فتأتّيت بهـؤلاء القـوم لعلهـم يستـجيبون، فأطْوَلت لهم، وصفحت عنهم، لعلهم يرجعون، فأكثرت ومـددت لهم فــي العمـر لعلهـم يتـذكرون، فأعـذرت فــي كـل ذلـك، أمطـر علــيهم السماء، وأنبـت لهـم الأرض، وألبسـهم العافــية وأظهرهـم علــى العـدوّ فلا يزدادون إلا طغيانا وبُعدا منـي، فحتـى متـى هـذا؟ أبــي يتــمرّسون أم إيـاي يخادعون؟ وإنـي أحلف بعزّتـي لأقــيضنّ لهـم فتنـة يتــحيرُ فــيها الـحليــم، ويضلّ فـيها رأي ذي الرأي، وحكمـة الـحكيــم، ثـم لأسـلطنّ علــيهم جبــارا قاسيا عاتـيا، ألبسه الهيبة، وأنتزع من صدره الرأفة والرحمة والبـيان، يتبعــه عدد وسواد مثل سواد اللـيــل الـمظلــم، لـه عسـاكر مثـل قطـع السـحاب، ومراكب أمثال العجاج، كأن خفـيق راياته طيران النسور، وأن حملة فُرسانه كوبر العقبـان. ثم أوحى الله إلـى إرميا: إنـي مهلك بنـي إسرائيــل بــيافث، ويافث أهل بـابل، وهم من ولد يافث بن نوح. ثم لـما سمع إرميـا وحـي ربــه صاح وبكى وشقّ ثـيابه، ونبذَ الرماد علـى رأسـه وقـال: ملعـون يـوم ولـدت فـيه، ويوم لقـيت التوراة، ومن شرّ أيامي يوم ولدت فـيه، فمـا أبقــيت آخـر

الأنبياء إلا لما هو أشرّ عليّ لو أراد بي خيرا ما جعلني آخر الأنبياء من بني إسرائيل، فمن أجلي تصيبهم الشّقوة والهلاك فلما سمع الله تضرّع الخضر وبكاءه، وكيف يقول، ناداه: يا إرميا أشقّ ذلك عليك فيما أوحيت لك؟ قال: نعم يا ربّ أهلكْني قبل أن أرى في بني إسرائيل ما لا أسرّ به فقال الله: وعزّتي العزيزة لا أهلك بيت المقدس وبني إسرائيل حتى يكون الأمر من قِبَلك في ذلك ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربه، وطابت نفسه، وقال: لا، والذي بعث موسى وأنبياءه بالحقّ لا آمر ربي بهلاك بني إسرائيل أبدا ثم أتى ملك بني إسرائيل فأخبره ما أوحى الله إليه فاستبشر وفرح وقال: إن يعذّبنا ربنا فبذنوب كثيرة قدّمناها لأنفسنا، وإن عفا عنا فبقدرته. ثم إنهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتماديا في الشرّ، وذلك حين اقترب هلاكهم فقلّ الوحي حين لم يكونوا يتذكرون الآخرة، وأمسك عنهم حين ألهتهم الدنيا وشأنها، فقال لهم ملكهم: يا بني إسرائيل، انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يمسكم بأس الله، وقبل أن يُبعث عليكم قوم لا رحمة لهم بكم، وإن ربكم قريب التوبة، مبسوط اليدين بالخير، رحيم بمن تاب إليه. فأبَوا عليه أن ينزِعوا عن شيء مما هم عليه وإن الله قد ألقى في قلب بختنصر بن نجور زاذان بن سنحاريب بن دارياس بن نمرود بن فالخ بن عابر بن نمرود صاحب إبراهيم الذي حاجّه في ربه، أن يسير إلى بيت المقدس، ثم يفعل فيه ما كان جدّه سنحاريب أراد أن يفعل، فخرج في ستّ مئة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا أتى ملك بني إسرائيل الخبر أن بختنصر قد أقبل هو وجنوده يريدكم، فأرسل الملك إلى إرميا، فجاءه فقال: يا إرميا أين ما زعمت لنا أن ربك أوحى إليك أن لا يهلك أهل بيت المقدس، حتى يكون منك الأمر في ذلك؟ فقال إرميا للملك: إن ربي لايخلف الميعاد، وأنا به وائق. فلما اقترب الأجل ودنا انقطاع ملكهم وعزم الله على هلاكهم، بعث الله مَلَكا من عنده، فقال له: اذهب إلى إرميا فاسَتْفتِه، وأمَرَه بالذي يُستفتَى فيه فأقبل المَلك إلى إرمياء، وكان قد تمثّل له رجلاً من بني إسرائيل، فقال له إرميا: من أنت؟ قال: رجل من بني إسرائيل أستفتيك في بعض أمري فأذن له، فقال له المَلَك: يا نبيّ الله أتيتك أستفتيك في أهل رحمي، وصلت أرحامهم بما أمرني الله به، لم آت إليهم إلا حسنا، ولم آلُهم كرامة، فلا تزيدهم كرامتي إياهم إلا إسخاطا لي، فأفتني فيهم يا نبيّ الله فقال له: أحسن فيما بينك وبين الله، وصل ما أمرك الله أن تصل، وأبشر بخير وانصرف عنه. فمكث أياما، ثم أقبل إليه في صورة ذلك الذي جاءه، فقعد بين يديه، فقال له إرميا: من أنت؟ قال: أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي، فقال له نبيّ الله: أوَ ما ظهرت لك أخلاقهم بعد، ولم تر منهم الذي تحبّ؟ فقال: يا نبيّ الله، والذي بعثك بالحقّ ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس لأهل رحمه إلا قد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك، فقال النبيّ: ارجع إلى أهلك فأحسن إليهم، أسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم، وأن يجمعكم على مرضاته، ويجنبكم سخطه فقال المَلك من عنده، فلبث أياما وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس، ومعه خلائق من قومه كأمثال الجراد، ففزع منهم بنو إسرائيل فزعا شديدا، وشق ذلك على ملك بني إسرائيل، فدعا إرميا، فقال: يا نبيّ الله أين ما وعدك الله؟

فقال: إني بربي واثق. ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده، فقعد بين يديه فقال له إرميا: من أنت؟ قال: أنا الذي كنت أتيتك في شأن أهلي مرّتين، فقال له النبيّ: أَوَ لَم يأنِ لهم أن يمتنعوا من الذي هم فيه مقيمون عليه؟ فقال له الملك: يا نبيّ الله، كلّ شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه، وأعلم أن مأربهم في ذلك سخطي فلما أتيتهم اليوم رأيتهم في عمل لا يرضي الله ولا يحبه الله عزّ وجلّ. فقال له نبيّ الله: على أيّ عمل رأيتهم؟ قال: يا نبيّ الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله، فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم لم يشتدّ عليهم غضبي، وصبرت لهم ورجوتهم، ولكن غضبت اليوم لله ولك، فأتيتك لأخبرك خبرهم، وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحقّ إلا ما دعوت عليهم ربك أن يهلكهم فقال إرميا: يا مالك السموات والأرض، إن كانوا على حقّ وصواب فأبقهم، وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم. فما خرجت الكلمة مِن في إرميا حتى أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس، فالتهب مكان القربان، وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك إرميا صاح وشقّ ثيابه، ونبذ الرماد على رأسه وقال: يا ملك السموات والأرض بيدك ملكوت كلّ شيء وأنت أرحم الراحمين أين ميعادك الذي وعدتني؟ فنودي إرميا: إنهم لم يصبهم الذي أصابهم إلا بفتياك التي أفتيت بها رسولنا فاستيقن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنها فتياه التي أفتى بها ثلاث مرّات، وأنه رسول ربه. ثم إن إرميا طار حتى خالط الوحش، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس، فوطىء الشام، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرّب بيت المقدس، أمر جنوده أن يملأ كلّ رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس، فقذفوا فيه التراب حتى ملأوه، ثم انصرف راجعا إلى أرض بابل، واحتمل معه سبايا بني إسرائيل، وأمرهم أن يجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم، فاجتمع عنده كلّ صغير وكبير من بني إسرائيل، فاختار منهم سبعين ألف صبيّ فلما خرجت غنائم جنده، وأراد أن يقسمها فيهم، قالت له الملوك الذين كانوا معه: أيها الملك لك غنائمنا كلها، واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل، ففعل، وأصاب كلّ رجل منهم أربعة أغلمة، وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وسبعة آلاف من أهل بيت داود، وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب، وأخيه بنيامين، وثمانية آلاف من سبط أشر بن يعقوب، وأربعة عشر ألفا من سبط زبالون بن يعقوب ونفثالي بن يعقوب، وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوي ابني يعقوب. ومن بقى من بني إسرائيل، وجعلهم بختنصر ثلاث فرق، فثلثا أقَرّ بالشام، وثلثا قتل، وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدمها بابل، وذهب بالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل، فكانت هذه الوقعة الأولى التي أنزل الله ببني إسرائيل باحداثهم وظلمهم. فلما ولّي بختنصر عنهم راجعا إلى بابل بمن معه من سبايا بني إسرائيل، أقبل أرميا على حمار له معه عصير ثم ذكر قصته حين أماته الله مئة عام، ثم بعثه، ثم خبر رؤيا بختنصر وأمر دانيال، وهلاك بختنصر، ورجوع من بقي من بني

إسرائيل في أيدي أصحاب بختنصر بعد هلاكه إلى الشام، وعمارة بيت المقدس، وأَمْرَ عُزيرَ وكيف ردّ الله عليه التوراة.
16682ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، قال: ثم عمدت بنو إسرائيل بعد ذلك يحُدِثون الأحداث، يعني بعد مهلك عُزيرَ، ويعود الله عليهم، ويبعث فيهم الرسل، ففريقا يكذّبون، وفريقا يقتلون، حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم، وكانوا من بيت آل داود.
16683ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن عمر بن عبد الله بن عروة، عن عبد الله بن الزبير أنه قال، وهو يحدّث عن قتل يحيى بن زكريا قال: ما قُتل يحيى بن زكريا إلا بسبب امرأة بغيّ من بغايا بني إسرائيل كان فيهم ملك، وكان يحيى بن زكريا تحت يدي ذلك الملك، فهمّت ابنة ذلك الملك بأبيها، فقالت: لو أني تزوّجت بأبي فاجتمع لي سلطانه دون النساء، فقالت له: يا أبتِ تزوّجني ودعته إلى نفسها، فقال لها: يا بنية إن يحيى بن زكريا لا يحل لنا هذا، فقالت: من لي بيحيى بن زكريا؟ ضيّق عليّ، وحال بيني وبين أن أتزوّج بأبي، فأغلِبَ على مُلكه ودنياه دون النساء قال: فأمرت اللعابين ومحلت بذلك لأجل قتل يحيى بن زكريا، فقالت: ادخلوا عليه فالعبوا، حتى إذا فرغتم فإنه سيُحَكمكم، فقولوا: دم يحيى بن زكريا، ولا تقبلوا غيره. وكان اسم الملك رواد، واسم ابنته البغيّ، وكان الملك فيهم إذا حدّث فكذب، أو وعد فأخلف، خلع فاستُبدل به غيرهُ فلما ألعبوه وكثر عجبه منهم، قال: سلوني أعطكم، فقالوا له: نسألك دم يحيى بن زكريا أعطنا إياه قال: ويحكم سلوني غير هذا فقالوا: لا نسألك شيئا غيره. فخاف على ملكه إن هو أخلفهم أن يُسْتحَلّ بذلك خَلْعه، فبعث إلى يحيى بن زكريا وهو جالس في محرابه يصلي، فذبحوه في طست ثم حزّوا رأسه، فاحتمله رجل في يده والدم يحمل في الطّسْت معه. قال: فطلع برأسه يحمله حتى وقف به على الملك، ورأسه يقول في يدي الذي يحمله لا يحلّ لك ذلك فقال رجل من بني إسرائيل: أيها الملك لو أنك وهبت لي هذا الدم؟ فقال: وما تصنع به؟ قال: أطهر منه الأرض، فإنه كان قد ضيقها علينا، فقال: أعطوه هذا الدم، فأخذه فجعله في قلة، ثم عمد به إلى بيت في المذبح، فوضع القلة فيه، ثم أغلق عليه، ففار في القُلّة حتى خرج منها من تحت الباب من البيت الذي هو فيه فلما رأى الرجل ذلك، فَظع به، فأخرجه فجعله في فلاة من الأرض، فجعل يفور وعظمت فيهم الأحداث. ومنهم من يقول: أقرّ مكانه في القربان ولم يحوّل.
16684ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: قال ابن إسحاق: فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا (وبعض الناس يقول: وقتلوا زكريا)، ابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوس، فسار إليه بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤوس جنده يدعى نبور زاذان صاحب القتل، فقال له: إني قد كنت حلفت بإلهي لئن أظهرنا على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري، إلا أن لا أجد أحدا أقتله فأمر أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم نبور زاذان، فدخل بيت المقدس، فقال في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم، فوجد فيها دما يغلي، فسألهم

فقال: يا بني إسرائيل، ما شأن هذا الدم الذي يغلي، أخبروني خبره ولا تكتموني شيئا من أمره؟ فقالوا: هذا دم قربان كان لنا كنا قرّبناه فلم يُتَقبّل منا، فلذلك هو يغلي كما تراه ولقد قرّبنا منذ ثمان مئة سنة القربان فتقبّل منا إلا هذا القربان قال: ما صَدَقْتموني الخبر قالوا له: لو كان كأوّل زماننا لقُبل منا، ولكنه قد انقطع منا المُلك والنبوّة والوحي، فلذلك لم يُتقبل منا فذبح منهم نبور زاذان على ذلك الدم سبع مئة وسبعين روحا من رؤوسهم، فلم يهدأ فأمر بسبع مئة غلام من غلمانهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ فأمر بسبعة آلاف من شيعهم وأزواجهم، فذبحهم على الدم فلم يبرد ولم يهدأ فلما رأى نبور زاذان أن الدم لا يهدأ قال لهم: ويْلكم يا بني إسرائيل، أصدقوني واصبروا على أمر ربكم فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار، لا أنثى ولا ذكرا إلا قتلته فلما رأوا الجهد وشدّة القتل صدقوه الخبر، فقالوا له: إن هذا دم نبيّ منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله، فلو أطعناه فيها لكان أرشد لنا، وكان يخبرنا بأمركم، فلم نصدّقه، فقتلناه، فهذا دمه فقال لهم نبور زاذان: ما كان اسمه؟ قالوا: يحيى بن زكريا، فقال: الآنَ صَدَقْتموني بمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما رأى نبور زاذان أنهم صدقوه خرّ ساجدا وقال لمن حوله: غلقوا الأبواب، أبواب المدينة، وأخرجوا من كان ههنا من جيش خردوس. وخلافي بني إسرائيل ثم قال: يا يحيى بن زكريا، قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك، وما قُتل منهم من أجلك، فاهدأ بإذن الله قبل أن لا أبقي من قومك أحدا فهدأ دم يحيى بن زكريا بإذن الله، ورفع نبور زاذان عنهم القتل وقال: آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل، وصدّقت وأيقنت أنه لا ربّ غيره، ولو كان معه آخر لم يصلح، ولو كان له شريك لم تستمسك السموات والأرض، ولو كان له ولد لم يصلح، فتبارك وتقدّس، وتسبح وتكبر وتعظم، ملك الملوك الذي له ملك السموات السبع والأرض وما فيهنّ، وما بينهما، وهو على كل شيء قدير، فله الحلم والعلم والعزّة والجبروت، وهو الذي بسط الأرض وألقى فيها رواسي لئلا تزول، فكذلك ينبغي لربي أن يكون ويكون مُلكه. فأوحى الله إلى رأس من رؤوس بقية الأنبياء أن نبور زاذان حَبُور صدوق والحبور بالعبرانية: حديث الإيمان. وإن نبور زاذان قال لبني إسرائيل: يا بني إسرائيل، إن عدوّ الله خردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره، وإني لست أستطيع أن أعصيه. قالوا له: افعل ما أُمرت به. فأمرهم فحفروا خندقا وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل، فذبحها حتى سال الدم في العسكر، وأمر بالقتلى الذين كانوا قبل ذلك، فطُرحوا على ما قُتل من مواشيهم حتى كانوا فوقهم، فلم يظنّ خردوس إلا أن ما كان في الخندق من بني إسرائيل. فلما بلغ الدم عسكره، أرسل إلى نبور زاذان أن ارفع عنهم، فقد بلغتني دماؤهم، وقد انتقمت منهم بما فعلوا. ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد، وهي الوقعة الآخرة التي أنزل الله ببني إسرائيل. يقول الله عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَقَضَيْنا إلى بَنِي إسْرَائِيلَ فِي الكِتابِ لتَفْسِدُنّ فِي الأرْضِ مَرّتَيْنِ وَلَتَعْلُنّ عُلُوّا كَبِيرا فإذَا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكمْ عِبادا لَنا أُولي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدّيارِ وكانَ وَعْدا مَفْعُولاً ثُمّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكَرّةَ عَلَيْهِمْ وأَمْدَدْناكُمْ بأمْوَالٍ

وَبَنِينَ وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرا إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسأْتُمْ فَلَها فإِذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجدَ كمَا دَخَلُوهُ أَوّلَ مَرّةٍ ولِيُتَبّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرا عَسَى رَبّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنا وَجَعَلْنا جَهَنّمَ للكافرِينَ حَصِيرا وعسى من الله حقّ، فكانت الوقعة الأولى: بختنصرَ وجنوده، ثم ردّ الله لكم الكرّة عليهم، وكانت الوقعة الآخرة خردوس وجنوده، وهي كانت أعظم الوقعتين، فيها كان خراب بلادهم، وقتل رجالهم، وسبى ذراريهم ونسائهم. يقول الله تبارك وتعالى: وَلِيُتَبّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرا ثم عاد الله عليهم، فأكثر عددهم، ونشرهم في بلادهم، ثم بَدّلوا وأحدثوا الأحداث، واستبدلوا بكتابهم غيره، وركبوا المعاصي، واستحلوا المحارم وضيّعوا الحدود.

16685ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن أبي عَتّاب رجل من تغلب كان نصرانيا عمرا من دهره، ثم أسلم بعد، فقرأ القرآن، وفقه في الدين، وكان فيما ذكر أنه كان نصرانيا أربعين سنة، ثم عُمّر في الإسلام أربعين سنة. قال: كان آخر أنبياء بني إسرائيل نبيا بعثه الله إليهم، فقال لهم: يا بني إسرائيل إن الله يقول لكم: إني قد سلبت أصواتكم، وأبغضتكم بكثرة أحداثكم فهَمّوا به ليقتلوه، فقال الله تبارك وتعالى له: ائتهم واضرب لي ولهم مثلاً، فقل لهم: إن الله تبارك وتعالى يقول لكم: اقضوا بيني وبين كرمي ألم أختر له البلاد، وطيبت له المَدَرة، وحظرته بالسياج، وعرشته السويق والشوك والسياج والعَوْسَج، وأحطته بردائي، ومنعته من العالم وفضّلته، فلقيني بالشوك والجذوع، وكل شجرة لا تؤكل؟ ما لهذا اخترت البلدة، ولا طيّبت المَدَرة، ولا حَظَرته بالسّياج، ولا عَرَشْتُه السويق، ولا حُطْته بردائي، ولا منعته من العالم فضلتكم وأتممت عليكم نعمتي، ثم استقبلتموني بكلّ ما أكره من معصيتي وخلاف أمري لَمَهْ إن الحمار ليعرف مذوده لَمَهْ إن البقرة لتعرف سيدها وقد حلفت بعزتي العزيزة، وبذراعي الشديد لآخذنّ ردائي، ولأمرجنّ الحائط، ولأجعلنكم تحت أرجل العالم. قال: فوثبوا على نبيهم فقتلوه، فضرب الله عليهم الذلّ، ونزع منهم الملك، فليسوا في أمة من الأمم إلا وعليهم ذلّ وصغار وجزية يؤدّونها، والملك في غيرهم من الناس، فلن يزالوا كذلك أبدا، ما كانوا على ما هم عليه.

قال: قال: فهذا ما انتهى إلينا من جماع أحاديث بني إسرائيل.

16686ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: فإِذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَة لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كمَا دَخَلُوهُ أَوّلَ مَرّةٍ وَلِيُتَبّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرا قال: كانت الآخرة أشدّ من الأولى بكثير، قال: لأن الأولى كانت هزيمة فقط، والآخرة كان التدمير، وأحرق بختنصر التوراة حتى لم يبق منها حرف واحد، وخرب المسجد.

16687ـ حدثنا أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: بعث عيسى ابن مريم يحيى بن زكريا، في اثني عشر من الحواريين يعلّمون الناس. قال: فكان فيما نهاهم عنه، نكاح ابنة الأخ. قال: وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه يريد أن يتزوّجها، وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها فلما بلغ ذلك أمها قالت لها: إذا دخلت على الملك فسألك حاجتك، فقولي: حاجتي أن تذبح لي يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألها حاجتها، فقالت: حاجتي أن تذبح يحيى بن

زكريا، فقال: سلي غير هذا فقالت: ما أسألك إلا هذا قال: فلما أبت عليه دعا يحيى ودعا بطست فذبحه، فبدرت قطرة من دمه على الأرض، فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم، فجاءته عجوز من بني إسرائيل، فدلّته على ذلك الدم. قال: فألقى الله في نفسه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن، فقتل سبعين ألفا منهم من سنّ واحد فسكن.

وقوله: وَلِيَدْخُلُوا المَسْجِدَ كمَا دَخَلُوهُ أوّلَ مَرّةٍ يقول: وليدخل عدوّكم الذي أبعثه عليكم مسجد بيت المقدس قهرا منهم لكم وغلبة، كما دخلوه أوّل مرّة حين أفسدتم الفساد الأوّل في الأرض.

وأما قوله: وَلِيُتَبّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرا فإنه يقول: وليدمّروا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميرا. يقال منه: دمّرت البلد: إذا خرّبته وأهلكت أهله. وَتَبَر تَبْرا وَتَبارا، وتَبّرْتُه أتبّرُه تتبيرا. ومنه قول الله تعالى ذكره وَلا تَزِدِ الظّالِمِينَ إلاّ تَبَارا يعني: هلاكا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16688ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: وَلِيُتَبّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرا قال: تدميرا.

16689ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَلِيُتَبّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرا قال: يدمروا ما علوا تدميرا.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {عَسَىَ رَبّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً }.

يقول تعالى ذكره: لعلّ ربكم يا بني إسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم بالقوم الذين يبعثهم الله عليكم ليسوء مبعثه عليكم وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أوّل مرّة، فيستنقذكم من أيديهم، وينتشلكم من الذلّ الذي يحله بكم، ويرفعكم من الخمولة التي تصيرون إليها، فيعزّكم بعد ذلك. و«عسى» من الله: واجب. وفعل الله ذلك بهم، فكثر عددهم بعد ذلك، ورفع خَساستهم، وجعل منهم الملوك والأنبياء، فقال جلّ ثناؤه لهم: وإن عدتم يا معشر بني إسرائيل لمعصيتي وخلاف أمري، وقتل رسلي، عدنا عليكم بالقتل والسّباء، وإحلال الذلّ والصّغار بكم، فعادوا، فعاد الله عليهم بعقابه وإحلال سخطه بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16690ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن عطية، عن عمر بن ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: عَسَى رَبّكُمْ أنْ يَرْحَمكُمْ وَإنْ عُدْتُمْ عَدْنا قال: عادوا فعاد، ثم عادوا فعاد، ثم عادوا فعاد. قال: فسلّط الله عليهم ثلاثة ملوك من ملوك فارس: سندبادان وشهربادان وآخر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: قال الله تبارك وتعالى بعد الأولى والآخرة: عَسَى رَبّكُمْ أنْ يَرْحَمَكُمْ وَإنْ عُدْتُمْ عُدْنا قال: فعادوا فسلّط الله عليهم المؤمنين.

16691ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال عَسَى رَبّكُمْ أنْ يَرْحَمَكُمْ فعاد الله عليهم بعائدته ورحمته وَإنْ عُدْتُمْ عُدْنا

قال: عاد القوم بشرّ ما يحضرهم، فبعث الله عليهم ما شاء أن يبعث من نقمته وعقوبته. ثم كان ختام ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحيّ من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة قال الله عزّ وجلّ في آية أخرى وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبّكَ لَيَبْعَثَنّ عَلَيْهِمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ... الآية، فبعث الله عليهم هذا الحيّ من العرب.

16692ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال عَسَى رَبّكُمْ أنْ يَرْحَمَكُمْ وَإنْ عُدْتُمْ عُدْنا فعادوا، فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم، فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون.

16693ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله تعالى: عَسَى رَبّكُمْ أنْ يَرْحَمَكُمْ قال بعد هذا وَإنْ عُدْتُمْ لما صنعتم لمثل هذا من قتل يحيى وغيره من الأنبياء عُدْنا إليكم بمثل هذا.

وقوله: وَجَعَلْنا جَهَنّمَ للكافِرِينَ حَصِيرا اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: وجعلنا جهنم للكافرين سجنا يسجنون فيها. ذكر من قال ذلك:

16694ـ حدثنا محمد بن مَسْعدة، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن أبي عمران وجَعَلْنا جَهَنّمَ للكافِرِين حَصِيرا قال: سجنا.

16695ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَجَعَلْنا جَهَنّمَ للكافِرِينَ حَصِيرا يقول: جعل الله مأواهم فيها.

16696ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَجَعَلْنا جَهَنّمَ للكافِرِينَ حَصِيرا قال: مَحْبِسا حَصُورا.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَجَعَلْنا جَهَنّمَ للْكافِرِينَ حَصِيرا يقول: سجنا.

16697ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى: حَصِيرا قال: يحصرون فيها.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد وَجَعَلْنا جَهَنّمَ للْكافِرِينَ حَصِيرا قال: يُحصرون فيها.

16698ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَجَعَلْنا جَهَنّمَ للكافِرِينَ حَصِيرا سجنا يسجنون فيها حصروا فيها.

حدثنا عليّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله وَجَعَلْنا جَهَنّمَ للكافِرِينَ حَصِيرا يقول: سجنا.

وقال آخرون: معناه: وجعلنا جهنم للكافرين فراشا ومهادا. ذكر من قال ذلك:

16699ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: قال الحسن: الحصير: فِراش ومِهاد.

وذهب الحسن بقوله هذا إلى أن الحصير في هذا الموضع عني به الحصير الذي يُبْسط ويفترش، وذلك أن العرب تسمى البساط الصغير حصيرا، فوجّه الحسن معنى الكلام إلى أن الله تعالى جعل جهنم للكافرين به بساطا ومهادا، كما قال: لَهُمْ مِنْ جَهَنّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ

غَوَاشٍ وهو وجه حسن وتأويل صحيح. وأما الآخرون، فوجهوه إلى أنه فعيل من الحصر الذي هو الحبس. وقد بيّنت ذلك بشواهده في سورة البقرة، وقد تسمي العرب الملك حصيرا بمعنى أنه محصور: أي محجوب عن الناس، كما قال لبيد:

وَمَقامَةٍ غُلْبِ الرّقابِ كأنّهُمْجِنّ لَدَى بابِ الحَصِيرِ قِيامُ

يعني بالحصير: الملك، ويقال للبخيل: حصور وحصر: لمنعه ما لديه من المال عن أهل الحاجة، وحبسه إياه عن النفقة، كما قال الأخطل:

وَشارِبٍ مُرْبِحٍ بالكأسِ نادَمَنِيلا بالحَصُورِ وَلا فِيها بِسَوّارِ

ويروى: بسآر. ومنه الحصر في المنطق لامتناع ذلك عليه، واحتباسه إذا أراده. ومنه أيضا الحصور عن النساء لتعذّر ذلك عليه، وامتناعه من الجماع، وكذلك الحصر في الغائط: احتباسه عن الخروج، وأصل ذلك كله واحد وإن اختلفت ألفاظه. فأما الحصيران: فالجنبان، كماقال الطرّماح:

قَلِيلاً تَتَلّى حاجَةً ثُمّ عُولِيَتْعَلى كُلّ مَفْرُوشِ الحَصِيرَيْنِ بادِنِ

يعني بالحصيرين: الجنبين.

والصواب من القول في ذلك عندي أي يقال: معنى ذلك: وَجَعَلْنا جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيرا فراشا ومهادا لا يزايله من الحصير الذي بمعنى البساط، لأن ذلك إذا كان كذلك كان جامعا معنى الحبس والامتهاد، مع أن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس، وأنها إذا أرادت أن تصف شيئا بمعنى حبس شيء، فإنما تقول: هو له حاصر أو محصر فأما الحصير فغير موجود في كلامهم، إلا إذا وصفته بأنه مفعول به، فيكون في لفظ فعيل، ومعناه مفعول به ألا ترى بيت لبيد: لدى باب الحصير؟ فقل: لدى باب الحصير، لأنه أراد: لدى باب المحصور، فصرف مفعولاً إلى فعيل. فأما فعيل في الحصر بمعنى وصفه بأنه الحاصر. فذلك ما لا نجده في كلام العرب، فلذلك قلت: قول الحسن أولى بالصواب في ذلك. وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن ذلك جائز، ولا أعلم لما قال وجها يصحّ إلا بعيدا وهو أن يقال: جاء حصير بمعنى حاصر، كما قيل: عليم بمعنى عالم، وشهيد بمعنى شاهد، ولم يسمع ذلك مستعملاً في الحاصر كما سمعنا في عالم وشاهد.

الآية : 9 و 10

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ هَـَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشّرُ الْمُؤْمِنِينَ الّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحَاتِ أَنّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً * وأَنّ الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالاَخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً }.

يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يرشد ويسدّد من اهتدى به للّتِي هِيَ أقْوَمُ يقول: للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل، وذلك دين الله الذي بعث به أنبياءه وهو الإسلام. يقول جلّ ثناؤه: فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل التي ضلّ عنها سائر أهل الملل المكذّبين به، كما:

16700ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: إنّ هَذَا القُرآنَ يَهْدِي للّتِي هِيَ أقْوَمُ قال: للتي هي أصوب: هو الصواب وهو الحقّ قال: والمخالف هو الباطل. وقرأ قول الله تعالى:

فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ قال: فيها الحقّ ليس فيها عوج. وقرأ ولَمْ نَجْعَلْ لَهُ عِوْجا قَيِّما يقول: قيما مستقيما.
وقوله: وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ يقول: ويبشر أيضا مع هدايته من اهتدى به للسبيل الأقصد الذين يؤمنون بالله ورسوله، ويعملون في دنياهم بما أمرهم الله به، وينتهون عما نهاهم عنه بأن لهُمْ أجْرا من الله على إيمانهم وعملهم الصالحات كَبِيرا يعني ثوابا عظيما، وجزاء جزيلاً، وذلك هو الجنة التي أعدّها الله تعالى لمن رضي عمله، كما:
16701ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج أنّ لَهُمْ أجْرا كَبِيرا قال: الجنة، وكلّ شيء في القرآن أجر كبير، أجر كريم، ورزق كريم فهو الجنة، وأن في قوله: أنّ لَهُمْ أجْرا كَبِيرا نصب مه، كما:
16702ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج أنّ لَهُمْ أجْرا كَبِيرا قال: الجنة، وكلّ شيء في القرآن أجر كبير، أجر كريم، ورزق كريم فهو الجنة، وأن في قوله: أنّ لَهُمْ أجْرا كَبِيرا نصب يقول: أعددنا لهم، لقدومهم على ربهم يوم القيامة عَذَابا أَلِيما يعني موجعا، وذلك عذاب جهنم.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشّرّ دُعَآءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً }.
يقول تعالى ذكره مذكرا عباده أياديه عندهم، ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشرّ، فيقول: اللهمّ أهلكه والعنه عند ضجره وغضبه، كدعائه بالخير: يقول: كدعائه ربه بأن يهب له العافية، ويرزقه السلامة في نفسه وماله وولده، يقول: فلو استجيب له في دعائه على نفسه وماله وولده بالشرّ كما يستجاب له في الخير هلك، ولكن الله بفضله لا يستجيب له في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
16703ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَيَدْعُ الإنْسانُ بالشّرّ دعاءَه بالخَيْرِ وكانَ الإنْسان عَجُولاً يعني قول الإنسان: اللهمّ العنه واغضب عليه، فلو يُعَجل له ذلك كما يُعجِل له الخير، لهلك، قال: ويقال: هو وإذَا مَسّ الإنْسَانَ الضّرّ دَعَانَا لِجَنبِهْ أَوْ قَاعِدا أَوْ قائِما أن يكشف ما به من ضرّ، يقول تبارك وتعالى: لو أنه ذكرني وأطاعني، واتبع أمري عند الخير، كما يدعوني عند البلاء، كان خيرا له.
16704ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَيَدْع الإنْسَانُ بالشّرّ دعاءَهُ بالخَيْرِ وكانَ الإنْسَانُ عَجُولاً يدعو على ماله، فيلعن ماله وولده، ولو استجاب الله له لأهلكه.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ويَدْعُ الإنْسانُ بالشّرّ دُعاءَهُ بالخَيْرِ قال: يدعو على نفسه بما لو استجيب له هلك، وعلى خادمه، أو على ماله.
16705ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد وَيَدْعُ الإنْسانُ بالشّرّ دُعاءَهُ بالخَيْرِ وكانَ الإنْسانُ عَجولاً

قال: ذلك دعاء الإنسان بالشرّ على ولده وعلى امرأته، فيعجل: فيدعو عليه، ولا يحب أن يصيبه.
واختلف في تأويل قوله: وكانَ الإنْسانُ عَجُولاً فقال مجاهد ومن ذكرت قوله: معناه: وكان الإنسان عَجولاً، بالدعاء على ما يكره، أن يُستجاب له فيه.
وقال آخرون: عنى بذلك آدم أنه عجل حين نفخ فيه الروح قبل أن تجري في جميع جسده، فرام النهوض، فوصف ولده بالاستعجال، لما كان من استعجال أبيهم آدم القيام، قبل أن يتمّ خلقه. ذكر من قال ذلك:
16706ـ حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شُعبة، عن الحكم، عن إبراهيم، أن سلمان الفارسيّ، قال: أوّل ما خلق الله من آدم رأسه، فجعل ينظر وهو يُخلق، قال: وبقيت رجلاه فلما كان بعد العصر قال: يا ربّ عَجّل قبل الليل، فذلك قوله: وكانَ الإنْسانُ عَجُولاً.
16707ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي رَوْق، عن الضحاك عن ابن عباس، قال: لما نفخ الله في آدم من روحه أتت النفخة من قبَل رأسه، فجعل لا يجرى شيء منها في جسده، إلا صار لحما ودما فلما انتهت النفخة إلى سرّته، نظر إلى جسده، فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر، فهو قول الله تبارك وتعالى: وكانَ الإنْسانُ عَجُولاً قال: ضَجِرا لا صبر له على سرّاء، ولا ضرّاء.

الآية : 12

القول في تأويل قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا الْلّيْلَ وَالنّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ آيَةَ الْلّيْلِ وَجَعَلْنَآ آيَةَ النّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مّن رّبّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلّ شَيْءٍ فَصّلْنَاهُ تَفْصِيلاً }.
يقول تعالى ذكره: ومن نعمته عليكم أيها الناس، مخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار، بإظلامه علامة الليل، وإضاءته علامة النهار، لتسكنوا في هذا، وتتصرّفوا في ابتغاء رزق الله الذي قدره لكم بفضله في هذا، ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاءها، وابتداء دخولها، وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها وكُلّ شَيْءٍ فَصّلْناه تَفْصِيلاً يقول: وكلّ شيء بيناه بيانا شافيا لكم أيها الناس لتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من نعمه، وتخلصوا له العبادة، دون الآلهة والأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
16708ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن عبد العزيز بن رُفيع، عن أبي الطُفيل، قال: قال ابن الكَوّاء لعليّ: يا أمير المؤمنين، ما هذه اللّطْخة التي في القمر؟ فقال: ويْحَك أما تقرأ القرآن فَمَحَوْنا آيَةَ اللّيْلِ، فهذه محوه.
16709ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا طلق، عن زائدة، عن عاصم، عن عليّ بن ربيعة، قال: سأل ابن الكوّاء عليا فقال: ما هذا السواد في القمر؟ فقال عليّ: فَمَحَوْنا آيَةَ اللّيْلِ وجَعَلْنا آيَةَ النهارِ مُبْصِرَةً هُوَ المَحْو.
16710ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن عمر، قال: كنت عند عليّ، فسأله ابن الكوّاء عن السواد الذي في القمر؟ فقال: ذاك آية الليل مُحِيت.

16711ـ حدثنا ابن أبـي الشوارب، قال: حدثنا يزيد بن زُريع، قـال: حـدثنا عمران بن حُدير، عن رفـيع بن أبـي كثـير قال: قـال علـيّ بـن أبــي طـالب رضوان الله علـيه: سَلُوا عما شئتـم، فقام ابن الكوّاء فقال: ما السواد الذي فـي القمر، فقال: قاتلك الله، هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك؟ قـال: ذلـك مَحْو اللـيـل.

16712ـ حدثنـي زكريا بن يحيى بن أبـان الـمصريّ، قال: حدثنا ابن عُفَـير، قال: حـدثنا ابـن لَهيعـة، عـن حُيَـيّ بـن عبـد اللـه، عـن أبــي عبـد الرحمـن الـحُبُلـي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رجلاً قال لعلـيّ: مـا السـواد الذي فـي القمر؟ قال: إن الله يقول: وجَعَلْنا اللَّـيْـلَ والنّهار آيَتَــيْنِ فَمَــحَوْنا آيَةَ اللّـيْـلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النّهارِ مُبْصِرَةً.

16713ـ حدثنـي مـحمد بن سعد، قال: ثنـي أبـي، قال: ثنـي عمي، قـال: ثنـي أبـي، عن أبـيه، عن ابن عبــاس، قـوله: وَجَعَلْنـا اللَّـيْــلَ والنّهـارَ آيَتَــيْنِ فَمَـحَوْنا آيَةَ اللّـيْـلِ قال: هو السواد بـاللـيـل.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عبـاس: كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آيـة اللـيــل، والشمس آية النهار، فمـحونا آية اللـيـل: السواد الذي فـي القمر.

16714ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن أبـي زائدة، قال: ذكر ابن جريج، عن مـجاهد، فـي قـوله: وَجَعَلْنـا اللـيْــلَ والنّهَـارَ آيَتَــيْنِ قـال: الشـمس آيـة النهار، والقمر آية اللـيـل فَمَـحَوْنا آيَةَ اللّـيْـلِ قال: السواد الذي فــي القمـر، وكذلك خـلقه الله.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن ابن جريج، عن مـجاهد وَجَعَلْنا اللّـيْـل والنهارَ آيَتَـيْنِ قال: لـيلاً ونهارا، كذلك خـلقهما الله.

16715ـ قال ابن جريج: وأخبرنا عبد اللـه بـن كثـير، قـال: فَمَــحَوْنا آيَـةَ اللّـيْـلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النّهارِ مُبْصِرَةً قال: ظلـمة اللـيـل وسُدْفَة النهار.

16716ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَجَعَلْنا اللّـيْـلَ والنّهارَ آيَتَـيْنِ فَمَـحَوْنا آيَةَ اللّـيْـلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النّهارِ مُبْصِرَةً: أي منـيرة، وخـلق الشمس أنور من القمر وأعظم.

حدثنـي مـحمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم وحدثنـي الــحرث، قـال: حدثنا الـحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابـن أبــي نــجيح، عـن مــجاهد وَجَعَلْنا اللّـيْـلَ والنّهارَ آيَتَـيْنِ قال: لـيلاً ونهارا، كذلك جعلهما الله.

واختلف أهل العربـية فـي معنى قوله: وَجَعَلْنا آيَةَ النّهارِ مُبْصِرَةً فقال بعض نـحويـي الكوفة معناها: مضيئة، وكذلك قوله: والنّهار مُبْصرا معنـاه: مضـيئا، كأنه ذهب إلـى أنه قـيـل مبصرا، لإضاءته للناس البصر. وقال آخرون: بل هو من أبصر النهار: إذا صار الناس يبصـرون فــيه فهـو مبصـر، كقـولهم: رجـل مـجبن: إذا كان أهله وأصحابه جبناء، ورجل مضعف: إذا كانت رواته ضعفـاء، فكذلك النهار مبصرا: إذا كان أهله بصراء.

16717ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة لتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبّكُمْ قال: جعل لكم سبحا طويلاً.

16718ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتـادة وكُـلّ شَيْءٍ فَصّلْناهُ تَفْصِيلاً: أي بـيّناه تبـيـينا.

الآية : 13

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكُلّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً }.

يقول تعالى ذكره: وكلّ إنسان ألزمناه ما قضى له أنه عامله، وهو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه. وإنما قوله أَلْزَمْنَاهُ طائِرَهُ مثل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها، فأعلمهم جلّ ثناؤه أن كلّ إنسان منهم قد ألزمه ربه طائره في عنقه نحسا كان ذلك الذي ألزمه من الطائر، وشقاء يورده سعيرا، أو كان سعدا يورده جنات عدن. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16719ـ حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن قتادة، عن جابر بن عبد الله أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وكُلّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَه فِي عُنُقِهِ».

16720ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس وكُلّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ قال: الطائر: عمله، قال: والطائر في أشياء كثيرة، فمنه التشاؤم الذي يتشاءم به الناس بعضهم من بعض.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس، قوله: وكُلّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ قال: عمله وما قدر عليه، فهو ملازمه أينما كان، فزائل معه أينما زال. قال ابن جريج: وقال: طائره: عمله.

16721ـ قال: ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: عمله وما كتب الله له.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: طائره: عمله.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عمرو جميعا عن منصور، عن مجاهد وكُلّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ قال: عمله.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، مثله.

16722ـ حدثني واصل بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن فضيل، عن الحسن بن عمرو الفقيمي، عن الحكم، عن مجاهد، في قوله: وكُلّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ قال: ما من مولدو يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقيّ أو سعيد. قال: وسمعته يقول: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، قال: هو ما سبق.

16723ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وكُلّ إنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ: إي والله بسعادته وشقائه بعمله.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: طائره: عمله.

فإن قال قائل: وكيف قال: ألزمناه طائره في عنقه إن كان الأمر على ما وصفت، ولم يقل: ألزمناه في يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: لأن العنق هو موضع السمات، وموضع القلائد والأطوقة، وغير ذلك مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة بني

آدم وغيرهم من ذلك إلى أعناقهم وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الأعناق، كما أضافوا جنايات أعضاء الأبدان إلى اليد، فقالوا: ذلك بما كسبت يداه، وإن كان الذي جرّ عليه لسانه أو فرجه، فكذلك قوله أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ونُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كتابا يَلْقاهُ مَنْشُورا فقرأه بعض أهل المدينة ومكة، وهو نافع وابن كثير وعامة قرّاء العراق ونُخْرِجُ بالنون لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا يَلْقاه مَنْشُورا بفتح الياء من يَلْقاه وتخفيف القاف منه، بمعنى: ونخرج له نحن يوم القيامة ردّا على قوله أَلْزَمْناهُ ونحن نخرج له يوم القيامة كتاب عمله منشورا. وكان بعض قرّاء أهل الشام يوافق هؤلاء على قراءة قوله ونُخْرِجُ ويخالفهم في قوله يَلْقاهُ فيقرؤه: «يُلَقّاهُ» بضم الياء وتشديد القاف، بمعنى: ونخرج له نحن يوم القيامة كتابا يلقاه، ثم يردّه إلى ما لم يسمّ فاعله، فيقول: يلقى الإنسان ذلك الكتاب منشورا. وذكر عن مجاهد ما:

16724ـ حدثنا أحمد بن يوسف، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا يزيد، عن جرير بن حازم عن حميد، عن مجاهد أنه قرأها، «وَيَخْرَجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا» قال: يزيد: يعني يَخرج الطائر كتابا، هكذا أحسبه قرأها بفتح الياء، وهي قراءة الحسن البصري وابن محيصن وكأن من قرأ هذه القراءة وجّه تأويل الكلام إلى: ويخرج له الطائر الذي ألزمناه عنق الإنسان يوم القيامة، فيصير كتابا يقرؤه منشورا.

وقرأ ذلك بعض أهل المدينة: «ويُخَرجُ لَهُ» بضم الياء على مذهب ما لم يسمّ فاعله، وكأنه وجّه معنى الكلام إلى ويخرج له الطائر يوم القيامة كتابا، يريد: ويخرج الله ذلك الطائر قد صيره كتابا، إلا أنه نحاه نحو ما لم يسمّ فاعله.

وأولى القراءات في ذلك بالصواب، قراءة من قرأه: ونُخْرِجُ بالنون وضمها لَهُ يَوْمَ القيامَةِ كِتابا يَلقاهُ منْشُورا بفتح الياء وتخفيف القاف، لأن الخبر جري قبل ذلك عن الله تعالى أنه الذي ألزم خلقه ما ألزم من ذلك فالصواب أن يكون الذي يليه خبرا عنه، أنه هو الذي يخرجه لهم يوم القيامة، أن يكون بالنون كما كان الخبر الذي قبله بالنون. وأما قوله: يَلقاهُ فإنّ في إجماع الحجة من القرّاء على تصويب ما اخترنا من القراءة في ذلك، وشذوذ ما خالفه الحجة الكافية لنا على تقارب معنى القراءتين: أعني ضمّ الياء وفتحها في ذلك، وتشديد القاف وتخفيفها فيه فإذا كان الصواب في القراءة هو ما اخترنا بالذي عليه دللنا، فتأويل الكلام: وكلّ إنسان منكم يا معشر بني آدم، ألزمناه نحسه وسعده، وشقاءه وسعادته، بما سبق له في علمنا أنه صائر إليه، وعامل من الخير والشرّ في عنقه، فلا يجاوز في شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله، وما كتبنا له أنه صائر إليه، ونحن نخرج له إذا وافانا كتابا يصادفه منشورا بأعماله التي عملها في الدنيا، وبطائره الذي كتبنا له، وألزمناه إياه في عنقه، قد أحصى عليه ربه فيه كلّ ما سلف في الدنيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16725ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ونُخرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا يَلقاهُ

مَنْشُورا قال: هو عمله الذي عمل أحصي عليه، فأخرج له يوم القيامة ما كتب عليه من العمل يلقاه منشورا.
16726ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ونُخرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا يَلقاهُ مَنْشُورا: أي عمله.
16727ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة ألزَمناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ قال: عمله ونُخرِجُ لَهُ قال: نخرج ذلك العمل كِتابا يَلقاهُ مَنْشُورا قال معمر: وتلا الحسن: عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك، ووكل بكَ ملَكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن يسارك. فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك. وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا متّ طُويت صحيفتك، فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كِتابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيكَ حَسِيبا قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك.
حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: طائره: عمله، ونخرج له بذلك العمل كتابا يلقاه منشورا.
وقد كان بعض أهل العربية يتأوّل قوله وكُلّ إنْسانٍ ألزَمناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ: أي حظه، من قولهم: طار سهم فلان بكذا: إذا خرج سهمه على نصيب من الأنصباء وذلك وإن كان قولاً له وجه، فإن تأويل أهل التأويل على ما قد بينت، وغير جائز أن يتجاوز في تأويل القرآن ما قالوه إلى غيره، على أن ما قاله هذا القائل، إن كان عنى بقوله حظه من العمل والشقاء والسعادة، فلم يبعد معنى قوله من معنى قولهم.

الآية : 14

القول في تأويل قوله تعالى: {اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً}.
يقول تعالى ذكره: ونُخرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتابا يَلقاهُ مَنْشُورا فيقال له: اقرأ كِتابَكَ كَفَى بِنَفسكَ اَلْيَوْمَ عَلَيكَ حَسِيبا فترك ذكر قوله: فنقول له، اكتفاء بدلالة الكلام عليه. وعنى بقوله: اقرأ كِتابَكَ: اقرأ كتاب عملك الذي عملته في الدنيا، الذي كان كاتبانا يكتبانه، ونحصيه عليك كَفَى بَنَفسِكَ اليَوْمَ عَلَيكَ حَسِيبا يقول: حسبك اليوم نفسك عليك حاسبا يحسب عليك أعمالك، فيحصيها عليك، لا نبتغي عليك شاهدا غيرها، ولا نطلب عليك محصيا سواها.
16728ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة اقرأ كِتابَكَ كَفَى بِنَفسِكَ اليَوْمَ عَلَيكَ حَسِيبا سيقرأ يومئذٍ من لم يكن قارئا في الدنيا.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {مَّنِ اهْتَدَىَ فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىَ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىَ نَبْعَثَ رَسُولاً}.

يقول تعالى ذكره: من استقام على طريق الحقّ فاتبعه، وذلك دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فإنّما يَهتَدي لِنَفسِهِ يقول: فليس ينفع بلزومه الاستقامة، وإيمانه بالله ورسوله غير نفسه وَمَنْ ضَلّ يقول: ومن جار عن قصد السبيل، فأخذ على غير هدى، وكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند الله من الحقّ، فليس يضرّ بضلاله وجوره عن الهدى غير نفسه، لأنه يوجب لها بذلك غضب الله وأليم عذابه.. وإنما عنى بقوله فإنّمَا يَضِلّ عَلَيها فإنما يكسب إثم ضلاله عليها لا على غيرها. وقوله: وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى يعني تعالى ذكره: ولا تحمل حاملة حمل أخرى غيرها من الآثام. وقال: وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى لأن معناها: ولا تزر نفس وازرة وزر نفس أخرى. يقال منه: وزرت كذا أزره وزرا، والوزر: هو الإثم، يجمع أوزارا، كما قال تعالى: وَلَكِنّا حُمّلْنا أَوْزَارا مِ نْ زِينَةِ القَوْمِ وكأن معنى الكلام: ولا تأثم آثمة إثم أخرى، ولكن على كل نفس إثمها دون إثم غيرها من الأنفس، كما:

16729ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرَى: والله ما يحمل الله على عبد ذنب غيره، ولا يؤاخذ إلا بعمله.

وقوله: وَما كُنّا مَعَذّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسُولاً يقول تعالى ذكره: وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم. كما:

16730ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَما كُنّا مُعَذّبِينَ حتى نَبَعَثَ رَسُولاً: إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدا حتى يسبق إليه من الله خبرا، أو يأتيه من الله بيّنة، وليس معذّبا أحدا إلا بذنبه.

16731ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، عن أبي هريرة، قال: إذا كان يوم القيامة، جمع الله تبارك وتعالى نسم الذين ماتوا في الفترة والمعتوه والأصمّ والأبكم، والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خرفوا، ثم أرسل رسولاً، أن ادخلوا النار، فيقولون: كيف ولم يأتنا رسول، وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما، ثم يرسل إليهم، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم وَما كُنا مُعَذّبِينَ حتى نَبعَثَ رَسُولاً.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو سفيان، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة نحوه.

الآية : 16

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمّرْنَاهَا تَدْمِيراً }.

اختلف القرّاء في قراءة قوله أمَرْنا مُتْرَفِيها فقرأت ذلك عامة قرّاء الحجاز والعراق أمَرْنا بقصر الألف وغير مدها وتخفيف الميم وفتحها. وإذا قرىء ذلك كذلك، فإن الأغلب من تأويله: أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا فيها بمعصيتهم الله، وخلافهم أمره، كذلك تأوّله كثير ممن قرأه كذلك. ذكر من قال ذلك:

16732ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس أَمَرْنا مُتْرَفيها قال: بطاعة الله، فعصوا.

16733ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا شريك، عن سلمة أو غيره، عن سعيد بن جبير، قال: أمرنا بالطاعة فعصوا.

وقد يحتمل أيضا إذا قرىء كذلك أن يكون معناه: جعلناهم أمراء ففسقوا فيها، لأن العرب تقول: هو أمير غير مأمور. وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: قد يتوجّه معناه إذا قرىء كذلك إلى معنى أكثرنا مترفيها، ويحتجّ لتصحيحه ذلك بالخبر الذي رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خَيْرُ المَالِ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ أوْ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ» ويقول: إن معنى قوله: مأمورة: كثيرة النسل. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين ينكر ذلك من قيله، ولا يجيزنا أمرنا، بمعنى أكثرنا إلا بمدّ الألف من أمرنا. ويقول في قوله «مهرة مأمورة»: إنما قيل ذلك على الاتباع لمجيء مأبورة بعدها، كما قيل: «ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غيرَ مَأْجُورَات» فهمز مأزورات لهمز مأجورات، وه ي من وزرت إتباعا لبعض الكلام بعضا. وقرأ ذلك أبو عثمان «أمّرْنا» بتشديد الميم، بمعنى الإمارة.

16734ـ حدثنا أحمد بن يوسف، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا هشيم عن عوف، عن أبي عثمان النهدي أنه قرأ: «أمّرْنا» مشدّدة من الإمارة.

وقد تأوّل هذا الكلام على هذا التأويل، جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16735ـ حدثنا عليّ بن داود، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: «أمّرْنا مُترَفِيها» يقول: سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكتهم بالعذاب، وهو قوله: وكذلكَ جَعَلنا فِي كُلّ قَرْيَةٍ أكابِرَ مُجْرِمِيها لِيَمْكُرُوا فِيها.

16736ـ حدثني الحرث، قال: حدثنا القاسم، قال: سمعت الكسائي يحدّث عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، أنه قرأها: «أمّرْنا» وقال: سلّطنا.

16737ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي حفص، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: «أمّرْنا» مثقلة: جعلنا عليها مترفيها: مستكبريها.

16738ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، وحدثني الحرث قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى: «أمّرْنا مُترَفِيها» قال: بعثنا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك: «آمَرْنا» بمدّ الألف من أمرنا، بمعنى: أكثرنا فسقتها. وقد وجّه تأويل هذا الحرف إلى هذا التأويل جماعة من أهل التأويل، إلا أن الذين حدّثونا لم يميزوا لنا اختلاف القراءات في ذلك، وكيف قرأ ذلك المتأوّلون، إلا القليل منهم. ذكر من تأوّل ذلك كذلك:

16739ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: «وَإِذَا أَرَدْنا أَنْ نُهلِكَ قَرْيَةً آمَرْنا مُترَفِيها فَفَسَقُوا فِيها» يقول: أكثرنا عددهم.
16740ـ حدثنا هناد، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة قوله: «آمَرْنا مُتْرَفِيها» قال: أكثرناهم.
16741ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله أَمَرْنا مُتْرَفِيها قال: أكثرناهم.
16742ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله أَمَرْنا مُتْرَفيها يقول: أكثرنا مترفيها: أي كبراءها.
16743ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: «وَإِذَا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً آمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها، فَحَقّ عَلَيْها القَوْلُ» يقول: أكثرنا مترفيها: أي جبابرتها، ففسقوا فيها وعملوا بمعصية الله فَدَمّرْناها تَدْميرا. وكان يقول: إذا أراد الله بقوم صلاحا، بعث عليهم مصلحا. وإذا أراد بهم فسادا بعث عليهم مفسدا، وإذا أراد أن يهلكها أكثر مترفيها.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة آمَرْنا مُتْرَفِيها قال: أكثرناهم.
16744ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على زينب وهو يقول: «لا إلَهَ إلاّ اللّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرَ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمأْجُوجَ مِثْلُ هَذَا» وحلق بين إبهامه والتي تليها، قالت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نَعَمْ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ».
16745ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَإِذَا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةٍ أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها قال: ذكر بعض أهل العلم أن أمرنا: أكثرنا. قال: والعرب تقول للشيء الكثير أمِرَ لكثرته. فأما إذا وصف القوم بأنهم كثروا، فإنه يقال: أمر بنو فلان، وأمر القوم يأمرون أمرا، وذلك إذا كثروا وعظم أمرهم، كما قال لبيد.
إنْ يُغْبَطُوا يُهْبَطُوا وَإنْ أَمَرُوايَوْما يَصِيرُوا للقُلّ والنّقَدِ
والأمر المصدر، والاسم الإمر، كما قال الله جلّ ثناؤه لَقَدْ جِئْتَ شَيْئا إمْرا قال: عظيما، وحكي في مثل شرّ إمْر: أي كثير.
وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ أَمَرْنا مُتْرَفِيها بقصر الألف من أمرنا وتخفيف الميم منها، لإجماع الحجة من القرّاء على تصويبها دون غيرها. وإذا كان ذلك هو الأولى بالصواب بالقراءة، فأولى التأويلات به تأويل من تأوّله: أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها، فحقّ عليهم القول: لأن الأغلب من معنى أمرنا: الأمر، الذي هو خلاف النهي دون غيره، وتوجيه معاني كلام الله جلّ ثناؤه إلى الأشهر الأعرف من معانيه، أولى ما وجد إليه سبيل من غيره.
ومعنى قوله: فَفَسَقُوا فِيهَا: فخالفوا أمر الله فيها، وخرجوا عن طاعته فَحَقّ عَلَيْها القَوْلُ يقول: فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها، وعيد لله الذي أوعد من كفر به، وخالف رسله، من الهلاك بعد الإعذار

والإنـذار بـالرسل والـحجج فَـدَمّرْناها تَـدْميرا يقـول: فخرّبناهـا عنـد ذلـك تـخريبـا، وأهلكنا من كان فـيها من أهلها إهلاكا، كما قال الفرزدق:
وكانَ لَهُمْ كَبكْرِ ثَمُودَ لَـمّارَغا ظُهْرا فَدَمّرَهُمْ دَمارا

الآية : 17

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَكَـمْ أَهْلَكْنَـا مِـنَ الْقُـرُونِ مِـن بَعْـدِ نُـوحٍ وَكَفَىَ بِرَبّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرَاً بَصِيراً }.

وهذا وعيد من الله تعالـى ذكره مكذّبـي رسوله مـحمد صلى اللـه عليـه وسلم من مشركي قريش، وتهديدهم لهم بـالعقاب، وإعلام منـه لهـم، أنهـم إن لـم ينتهوا عما هـم علـيه مقيـمون مـن تكـذيبهم رسـوله علـيه الصلاة والسلام أنه مـحلّ بهم سخطه، ومنزل بهم من عقابه مـا أنـزل بـمن قبلهـم من الأمـم الذين سلكوا فـي الكفر بـالله، وتكـذيب رسـله سبيـلهم. يقـول الله تعالـى ذكره: وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح إلـى زمـانكم قرونا كثـيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به، وتكذيب رسله، علـى مثـل الذي أنتـم علـيه، ولستـم بأكرم علـى الله تعالـى منهم، لأنه لا مناسـبة بـين أحد وبـين الله جلّ ثناؤه، فـيعذّب قوما بـما لا يعذّب به آخريـن، أو يعفـو عـن ذنوب ناس فـيعاقب علـيها آخرين يقول جلّ ثناؤه: فأنـيبوا إلـى طاعـة اللـه ربكم، فقد بعثنا إلـيكم رسولاً ينبهكم علـى حججنـا علـيكم، ويـوقظكم مـن غفلتكم، ولـم نكن لنعذّب قوما حتـى نبعث إلـيهم رسـولاً منبهـا لهـم علـى حجج الله، وأنتـم علـى فسوقكم مقـيمون، وكفـى بربـك يـا مـحمد بـذنوب عبـاده خبـيرا يقول: وحسبك يا مـحمد بـالله خابرا بذنوبن خـلقه عالـما، فإنه لا يخفـى علـيه شيء من أفعال مشركي قومك هؤلاء، ولا أفعال غيرهم مـن خـلقه، هو بجميع ذلك عالـم خابر بصير، يقول: يبصر ذلك كله فلا يغيـب عنـه منه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة فـي الأرض ولا فـي السـماء، ولا أصـغر من ذلك ولا أكبر. وقد اختلف فـي مبلغ مدّة القرن:

16746ـ فحدثنا مـجاهد بن موسى، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا حماد بن سلـمة، عن أبـي مـحمد بن عبد الله بن أبـي أوفـى، قال: القـرن: عشـرون ومئة سنة، فبُعث رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم فـي أوّل قـرن كـان، وآخرهم يزيد بن معاوية.

وقال آخرون: بل هو مئة سنة. ذكر من قال ذلك:

16747ـ حدثنا حسان بن مـحمد بن عبد الرحمـن الـحمصي أبـو الصـلت الطائي، قال: حدثنا سلامة بن حواس، عن مـحمد بن القاسم، عن عبـد اللـه بن بسر الـمازنـي، قال: وضع النبـيّ صلى الله عليه وسلم يده علـى رأسـه وقال: «سَيَعِيشُ هذَا الغُلام قَرْنا» قلت: كم القرن؟ قال: «مِئَةُ سَنَةٍ».

16748ـ حدثنا حسان بن مـحمد، قال: حدثنا سلامة بن حواس، عن مـحمد بن القاسم، قال: ما زلنا نعدّ لـه حتـى تـمّت مئـة سـنة ثـم مـات، قـال أبـو الصلت: أخبرنـي سلامة أن مـحمد بن القاسم هـذا كـان ختـن عبـد اللـه بـن بسر. وقال آخرون فـي ذلك بـما:

16749ـ حدثنا إسماعيـل بن موسى الفزاري، قال: أخبرنا عمر بن شاكر، عن ابن سيرين، قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «القَـرْنُ أرْبَعُونَ سَنَةً».

وقوله: وكَفَى بِرَبّكَ أدخلت الباء في قوله: بِرَبّكَ وهو في محلّ رفع، لأن معنى الكلام: وكفاك ربك، وحسبك ربك بذنوب عباده خبيرا، دلالة على المدح وكذلك تفعل العرب في كلّ كلام كان بمعنى المدح أو الذمّ، تدخل في الاسم الباء والاسم المدخلة عليه الباء في موضع رفع لتدلّ بدخولها على المدح أو الذمّ كقولهم: أكرم به رجلاً، وناهيك به رجلاً، وجاد بثوبك ثوبا، وطاب بطعامكم طعاما، وما أشبه ذلك من الكلام، ولو أسقطت الباء مما دخلت فيه من هذه الأسماء رفعت، لأنها في محلّ رفع، كما قال الشاعر:

ويُخْبِرُني عَنْ غائبِ المَرْءِ هَدْيُه ُكَفَى الهَدْيُ عَمّا غَيّبَ المَرْءُ مُخْبرا

فأما إذا لم يكن في الكلام مدح أو ذمّ فلا يدخلون في الاسم الباء لا يجوز أن يقال: قام بأخيك، وأنت تريد: قام أخوك، إلا أن تريد: قام رجل آخر به، وذلك معنى غير المعنى الأوّل.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {مّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نّرِيدُ ثُمّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مّدْحُوراً }.

يقول تعالى ذكره: من كان طلبه الدنيا العاجلة ولها يعمل ويسعى، وإياها يبتغي، لا يوقن بمعاد، ولا يرجو ثوابا ولا عقابا من ربه على عمله عَجّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ يقول: يعجل الله له في الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه، أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به، أو إهلاكه بما يشاء من عقوباته. ثُمّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنّمَ يَصْلاها يقول: ثم أصليناه عند مقدمه علينا في الآخرة جهنم، مَذْمُوما على قلة شكره إيانا، وسوء صنيعه فيما سلف من أياديا عنده في الدنيا مَدْحُورا يقول: مبعدا: مقصى في النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16750ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: مَنْ كانَ يُرِيدُ العاجِلَةَ عَجّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ يقول: من كانت الدنيا همّه وسَدَمَه وطلبته ونيته، عجّل الله له فيها ما يشاء، ثم اضطّره إلى جهنم. قال: ثمّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُوما مَدْحُورا مذموما في نعمة الله مدحورا في نقمة الله.

16751ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني أبو طيبة شيخ من أهل المصيصة، أنه سمع أبا إسحاق الفزاري يقول: عَجّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ قال: لمن نريد هلكته.

16752ـ حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله مَذْمُوما يقول: ملوما.

16753ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: مَنْ كانَ يُرِيدُ العاجِلَةَ عَجّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ قال: العاجلة: الدنيا.

الآية : 19

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىَ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مّشْكُوراً }.

يقول تعالى ذكره: من أراد الآخرة وإياها طلب، ولها عمل عملها، الذي هو طاعة الله وما يرضيه عنه. وأضاف السعي إلى الهاء والألف، وهي كناية عن الآخرة، فقال: وسعى للآخرة سعى الآخرة، ومعناه: وعمل لها عملها

لـمعرفة السـامعين بــمعنى ذلـك، وأن معنـاه: وسـعى لهـا سـعيه لهـا وهـو مؤمن، يقول: هو مؤمن مصدّق بثواب الله، وعظيـم جزائه علـى سـعيه لهـا، غير مكذّب به تكذيب من أراد العاجلة، يقول الله جلّ ثنـاؤه: فَأُولَئِـكَ يعنــي: فمن فعل ذلك كانَ سَعْيُهُمْ يعنـي عملهم بطاعـة اللـه مَشْـكُورا وشـكر اللـه إياهم علـى سعيهم ذلك حسن جزائه لهم علـى أعمالهم الصالـحة، وتـجاوزه لهم عن سيئها برحمته. كما:

16754ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كانَ سَـعْيُهُمْ مَشْـكُورا شكر الله لهم حسناتهم، وتـجاوز عن سيئاتهم.

الآية : 20

القول فـي تأويــل قـولـه تعالــى {انظُـرْ كَيْـفَ فَضّـلْنَا بَعْضَـهُمْ عَلَـىَ بَعْـضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: انظـر يـا مــحمد بعين قلبك إلـى هذين الفريقــين اللـذين هـم أحـدهما الـدار العاجلـة، وإياهـا يطلب، ولها يعمل والآخر الذي يريد الدار الآخرة، ولهـا يسـعى موقنـا بثـواب الله علـى سعيه، كيف فضّلنا أحـد الفريقــين علــى الآخـر، بـأن بصـرّنا هـذا رشده، وهديناه للسبـيـل التـي هي أقوم، ويسرناه للذي هـو أهـدى وأرشـد، وخذلنا هذا الآخر، فأضللناه عن طريق الـحقّ، وأغشـينا بصـره عـن سبـيــل الرشد وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجـاتٍ يقـول: وفريـق مريـد الآخـرة أكـبر فــي الـدار الآخرة درجات بعضهم علـى بعض لتفــاوت منـازلهم بأعمـالهم فــي الــجنة وأكبر تفضيلاً بتفضيـل الله بعضهم علـى بعـض مـن هـؤلاء الفريـق الآخريـن فـي الدنـيا فـيـما بسطنا لهم فـيها. وبنـحو الـذي قلنـا فــي ذلـك، قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

16759ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قـوله انْظُرْ كَيْفَ فَضّلْنا بَعْضَهُمْ عَلـى بَعض: أي فـي الدنــيا وَلَلآخِـرَةُ أَكْبَـرُ دَرَجـاتٍ وأَكْبَرُ تَفْصِيلاً وإن للـمؤمنـين فـي الـجنة منازل، وإن لهم فضائل بأعمــالهم. وذكر لنا أن نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ بـينَ أعْلَـى أهْلِ الـجَنّةِ وأسْفَلِهِمْ دَرَجَةً كالنّـجْمِ يُرَى فِـي مَشارِقِ الأرْضِ ومَغَارِبها».

الآية : 21

القول فـي تأويــل قـولـه تعالــى {انظُـرْ كَيْـفَ فَضّـلْنَا بَعْضَـهُمْ عَلَـىَ بَعْـضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: انظـر يـا مــحمد بعين قلبك إلـى هذين الفريقــين اللـذين هـم أحـدهما الـدار العاجلـة، وإياهـا يطلب، ولها يعمل والآخر الذي يريد الدار الآخرة، ولهـا يسـعى موقنـا بثـواب الله علـى سعيه، كيف فضّلنا أحـد الفريقــين علــى الآخـر، بـأن بصـرّنا هـذا رشده، وهديناه للسبـيـل التـي هي أقوم، ويسرناه للذي هـو أهـدى وأرشـد، وخذلنا هذا الآخر، فأضللناه عن طريق الـحقّ، وأغشـينا بصـره عـن سبـيــل الرشد وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجـاتٍ يقـول: وفريـق مريـد الآخـرة أكـبر فــي الـدار الآخرة درجات بعضهم علـى بعض لتفــاوت منـازلهم بأعمـالهم فــي الــجنة وأكبر تفضيلاً بتفضيـل الله بعضهم علـى بعـض مـن هـؤلاء الفريـق الآخريـن فـي الدنـيا فـيـما بسطنا لهم فـيها. وبنـحو الـذي قلنـا فــي ذلـك، قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

16759ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله انْظُرْ كَيْفَ فَضّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعض: أي في الدنيا وَللاَخِرَةُ أكْبَرُ دَرَجاتٍ وأكْبَرُ تَفْصِيلاً وإن للمؤمنين في الجنة منازل، وإن لهم فضائل بأعمالهم. وذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ بينَ أعْلَى أهْلِ الجَنّةِ وأسْفَلِهِمْ دَرَجَةً كالنّجْمِ يُرَى فِي مَشارِقِ الأرْضِ ومَغَارِبها».

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى {لاّ تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَـهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مّخْذُولاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تجعل يا محمد مع الله شريكا في ألوهته وعبادته، ولكن أخلص له العبادة، وأفرد له الألوهة، فإنه لا إله غيره، فإنك إن تجعل معه إلها غيره، وتعبد معه سواه، تقعد مذموما يقول: تصير ملوما على ما ضيعت من شكر الله على ما أنعم به عليك من نعمه، وتصيرك الشكر لغير من أولاك المعروف، وفي إشراكك في الحمد من لم يشركه في النعمة عليك غيره، مخذولاً قد أسلمك ربك لمن بغاك سوءا، وإذا أسلمك ربك الذي هو ناصر أوليائه لم يكن لك من دونه وليّ ينصرك ويدفع عنك. كما:

16760ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله لا تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إلَها آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوما مَخْذُولاً يقول: مذموما في نعمة الله. وهذا الكلام وإن كان خرج على وجه الخطاب النبيّ لله صلى الله عليه وسلم، فهو معنيّ به جميع من لزمه التكليف من عباد الله جلّ وعزّ.

الآية : 23

القول في تأويل قوله تعالى {وَقَضَىَ رَبّكَ أَلاّ تَعْبُدُوَاْ إِلاّ إِيّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمّا يَبْلُغَنّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لّهُمَآ أُفّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً }.

يعني بذلك تعالى ذكره حكم ربك يا محمد بأمره إياكم ألا تعبدوا إلا الله، فإنه لا ينبغي أن يعبد غيره.

وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله وَقَضَى رَبّكَ وإن كان معنى جميعهم في ذلك واحدا. ذكر ما قالوا في ذلك:

16761ـ حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس وَقَضَى رَبّكَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاه يقول: أمر.

16762ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا زكريا بن سلام، قال: جاء رجل إلى الحسن، فقال: إنه طلق امرأته ثلاثا، فقال: إنك عصيتَ ربك، وبانت منك امرأتك، فقال الرجل: قضى الله ذلك عليّ، قال الحسن، وكان فصيحا: ما قضى الله: أي ما أمر الله، وقرأ هذه الآية وَقَضَى رَبّكَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ فقال الناس: تكلم الحسن في القدر.

16763ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله وَقَضَى رَبّكَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ: أي أمر ربك في ألا تعبدوا إلا إياه، فهذا قضاء الله العاجل، وكان يُقال في بعض الحكمة: من أرضى والديه: أرض خالقه، ومن أسخط والديه، فقد أسخط ربه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَوَقَضَى رَبّكَ ألاّ تَعْبُدوا إلاّ إيّاهُ قال: أمر ألا تعبدوا إلا إياه، وفي حرف ابن مسعود: «وَصّى رَبّكَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ».

16764ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يحيى بن عيسى، قال: حدثنا نصير بن أبـي الأشعث، قال: ثنـي ابن حبـيب بن أبـي ثابت، عن أبـيه، قال: أعطانـي ابن عبـاس مصحفـا، فقال: هذا علـى قراءة أبـيّ بن كعب، قال أبـو كريـب: قال يحيى: رأيت الـمصحف عند نصير فـيه: «وَوَصّى رَبّـكَ» يعنـي: وقضـى ربك.

16765ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عـن ابـن جريج، عن مـجاهد وَقَضَى رَبّكَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ قال: وأوصى ربك.

16766ـ حدثنـي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابـن زيـد، فـي قوله وَقَضَى رَبّكَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ قال: أمر ألا تعبدوا إلا إياه.

16767ـ حدثنـي الـحرث، قال: حدثنا القاسم، قـال: حـدثنا هشيـم، عـن أبـي إسحاق الكوفـي، عن الضحاك بن مزاحم، أنـه قرأهـا: «وَوَصّـى رَبّـكَ» وقال: إنهم ألصقوا الواو بـالصاد فصارت قافـا.

وقوله: وَبـالوَالِدَيْنِ إحْسانا يقول: وأمركم بـالوالدين إحسـانا أن تـحسنوا إلـيهما وتبرّوهما. ومعنى الكلام: وأمركم أن تـحسنوا إلـى الوالـدين فلـما حذفت «أن» تعلق القضاء بـالإحسان، كما يقال فـي الكلام: آمرك به خيـرا، وأوصيك به خيرا، بـمعنى: آمرك أن تفعل به خيرا، ثم تـحذف «أن» فـيتعلق الأمر والوصية بـالـخير، كما قال الشاعر:

عَجِبْتُ مِنْ دَهْماءَ إذْ تَشْكُوناومِنْ أبـي دَهْماءَ إذْ يُوصِينا خَيْرا بها كأننا جافُونا وعمل يوصينا فـي الـخير.

واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله إمّا يَبْلُغَنّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحَـدُهُما أوْ كِلاهُمـا فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الـمدينة والبصـرة، وبعـض قـرّاء الكوفيـين: إمّـا يَبْلُغَنّ علـى التوحيد علـى توجيه ذلك إلـى أحدهما لأن أحدهما واحد، فوحدوا يَبْلُغَنّ لتوحيده، وجعلوا قوله أوْ كِلاهُما معطوفـا علـى الأحد. وقرأ ذلك عامـة قرّاء الكوفـيين: «إما يَبْلُغانّ» علـى التثنـية وكسر النون وتشديدها، وقالوا: قد ذكر الوالدان قبل، وقوله: «يَبْلُغانّ» خبر عنهما بعـد مـا قـدّم أسـماءهما. قالوا: والفعل إذا جاء بعد الاسم كان الكلام أن يكون فـيه دلـيـل علـى أنـه خبر عن اثنين أو جماعة. قالوا: والدلـيـل علـى أنـه خـبر عـن اثنـين فـي الفعـل الـمستقبل الألـف والنـون. قـالوا: وقـوله أحَـدُهُما أوْ كِلاهُمـا كلام مستأنف، كما قـيـل: فَعَمُوا وَصَمّوا ثم تَـاب اللّـهُ عَلَـيْهِمْ، ثـم عَمُـوا وَصَـمّوا كَثِـيرٌ منهُمْ وكقوله وأسَرّوا النّـجْوَى ثم ابتدأ فقال الّذِينَ ظَلَـمُوا.

وأولـى القراءتـين بـالصواب عندي فـي ذلك، قراءة من قـرأه إمـا يَبْلُغَـنّ علـى التوحيد علـى أنه خبر عن أحدهما، لأن الـخبر عن الأمر بـالإحسان فـي الوالدين، قد تناهى عند قوله وَبـالوَالِدَيْنِ إحْسـانا ثـم ابتـدأ قـوله إمّـا يَبْلُغَـنّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحَدُهُما أوْ كِلاهُما.

وقوله: فَلا تَقُلْ لَهُما أُفَ يقول: فلا تؤفف من شـيء تـراه مـن أحـدهما أو منهما مـما يتأذّى به الناس، ولكن اصـبر علـى ذلـك منهمـا، واحتسـب فـي الأجر صبرك علـيه منهما، كما صبرا علـيك فـي صـغرك. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

16768ـ حدثنا مـحمد بن بشار، قال: حدثنا مـحمد بن مـحبب، قال: حدثنا سفـيان، عن لـيث، عن مـجاهد، فـي قـوله: فَلا تَقُـلْ لَهُمـا أُفّ وَلا تَنْهَرْهُمـا قال: إن بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويخرآن، فلا تقل لهما أفّ تقذّرهما.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: إما يَبْلُغانّ عِندك الكبر فلا تَقُل لهما أف حين ترى الأذى، وتميط عنهما الخلاء والبول، كما كانا يميطانه عنك صغيرا، ولا تؤذهما.

وقد اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى «أفّ»، فقال بعضهم: معناه: كلّ ما غلظ من الكلام وقبُح. وقال آخرون: الأفّ: وسخ الأظفار والتف كلّ ما رفعت بيدك من الأرض من شيء حقير. وللعرب في «أفّ» لغات ستّ رفعها بالتنوين وغير التنوين وخفضها كذلك ونصبها فمن خفض ذلك بالتنوين، وهي قراءة عامة أهل المدينة. شبهها بالأصوات التي لا معنى لها، كقولهم في حكاية الصوت غاق غاق، فخفضوا القاف ونوّنوها، وكان حكمها السكون، فإنه لا شيء يعربها من أجل مجيئها بعد حرف ساكن وهو الألف، فكرهوا أن يجمعوا بين ساكنين، فحرّكوا إلى أقرب الحركات من السكون، وذلك الكسر، لأن المجزوم إذا حرّك، فإنما يحرّك إلى الكسر. وأما الذين خفضوا بغير تنوين، وهي قراءة عامة قرّاء الكوفيين والبصريين، فإنهم قالوا: إنما يدخلون التنوين فيما جاء من الأصوات ناقصا، كالذي يأتي على حرفين مثل: مَه وصَه وبَخ، فيتمم بالتنوين لنقصانه عن أبنيه الأسماء. قالوا: وأفّ تامّ لا حاجة بنا إلى تتمته بغيره، لأنه قد جاء على ثلاثة أحرف. قالوا: وإنما كسرنا الفاء الثانية لئلا نجمع بين ساكنين. وأما من ضمّ ونوّن، فإنه قال: هو اسم كسائر الأسماء التي تُعرب وليس بصوت، وعدل به عن الأصوات. وأما من ضمّ ذلك بغير تنوين، فإنه قال: ليس هو باسم متمكن فيُعرب بإعراب الأسماء المتمكنة، وقالوا: نضمه كما نضمّ قوله لِلّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، وكما نضمّ الاسم في النداء المفرد، فنقول: يا زيد. ومن نصبه بغير تنوين، وهو قراءة بعض المكيين وأهل الشام فإنه شبهه بقولهم: مدّ يا هذا وردّ. ومن نصب بالتنوين، فإنه أعمل الفعل فيه، وجعله اسما صحيحا، فيقول: ما قلت له: أفا ولا تفا. وكان بعض نحويي البصرة يقول: قُرِئت: أفّ، وأفا لغة جعلوها مثل نعتها. وقرأ بعضهم «أُفٌّ»، وذلك أن بعض العرب يقول: «أفّ لك» على الحكاية: أي لا تقل لهما هذا القول. قال: والرفع قبيح، لأنه لم يجيء بعده بلام، والذين قالوا: «أُفٌّ» فكسروا كثير، وهو أجود. وكسر بعضهم ونوّن. وقال بعضهم: «أُفّي»، كأنه أضاف هذا القول إلى نفسه، فقال: أُفّي هذا لكما، والمكسور من هذا منوّن وغير منوّن على أنه اسم غير متمكن، نحو أمس وما أشبهه، والمفتوح بغير تنوين كذلك. وقال بعض أهل العربية: كل هذه الحركات الستّ تدخل في «أفّ» حكاية تشبه بالاسم مرّة وبالصوت أخرى. قال: وأكثر ما تُكسر الأصوات بالتنوين إذا كانت على حرفين مثل صه ومه وبخ. وإذا كانت على ثلاثة أحرف شبهت بالأدوات «أفّ» مثل: ليت ومَدّ، وأفّ مثل مُدّ يُشبه بالأدوات. وإذا قال أفّ مثل صَهّ. وقالوا سمعت مِضّ يا هذا ومِ ضّ. وحُكي ع ن الكسائي أنه قال: سمعت «ما علمك أهلك إلا مِضّ ومِضّ»، وهذا كأفّ وأفّ. ومن قال: «أُفّا» جعله مثل سُحْقا وبُعدا.

والذي هو أولى بالصحة عندي في قراءة ذلك، قراءة من قرأه: «فلا تَقُلْ لَهُما أُفّ» بكسر الفاء بغير تنوين لعلّتين إحداهما: أنها أشهر اللغات فيها وأفصحها عند العرب والثانية: أن حظّ كلّ ما لم يكن له معرَب من الكلام السكون فلما كان ذلك كذلك. وكانت الفاء في أفّ حظها الوقوف، ثم لم

يكن إلى ذلك سبيل لاجتماع الساكنين فيه، وكان حكم الساكن إذا حُرّك أن يحرّك إلى الكسر حرّكت إلى الكسر، كما قيل: مُدّ وشُدّ ورُدّ الباب.
وقوله: وَلا تَنْهَرْهُما يقول جلّ ثناؤه: ولا تزجُرهما. كما:
16769ـ حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمَسي، قال: حدثنا محمد بن عبيد، قال: حدثنا واصل الرّقاشَيّ، عن عطاء ابن أبي رَباح، في قوله: وَلا تَقُلْ لَهُما أُفَ وَلا تَنْهَرْهُما قال: لا تنفض يدك على والديك. يقال منه: نَهرَه يَنهره نَهْرا، وانتهره ينتهره انتهارا.
وأما قوله: وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيما فإنه يقول جلّ ثناؤه: وقل لهما قولاً جميلاً حسنا. كما:
16770ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيما قال: أحسن ما تجد من القول.
16771ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا المتعمر بن سليمان، عن عبد الله بن المختار، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب قَوْلاً كَرِيما قالا: لا تمتنع من شيء يريدانه.
قال أبو جعفر: وهذا الحديث خطأ، أعني حديث هشام بن عُروة، إنما هو عن هشام بن عروة، عن أبيه، ليس فيه عمر، حدّث عن ابن عُلية وغيره، عن عبد الله بن المختار.
16772ـ حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيما: أي قولاً ليّنا سهلاً.
حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.
16773ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني حَرْملة بن عمران، عن أبي الهَدّاج التّجِيبي، قال: قلت لسعيد بن المسيب: كلّ ما ذكر الله عزّ وجلّ في القرآن من برّ الوالدين، فقد عرفته، إلاّ قوله وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيما ما هذا القول الكريم؟ فقال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظّ.

الآية : 24

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذّلّ مِنَ الرّحْمَةِ وَقُل رّبّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبّيَانِي صَغِيراً }.
يقول تعالى ذكره: وكن لهما ذليلاً رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية، ولا تخلفهما فيما أحبّا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
16774ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، في قوله وَاخْفِضْ لَهُما جنَاحَ الذّلّ مِنَ الرّحْمَةِ قال: لا تمتنع من شيء يُحبانه.
حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا الأشجعي، قال: سمعت هشام بن عروة، عن أبيه، في قوله وَاخْفِض لَهُما جنَاحَ الذّلّ مِنَ الرّحْمَةِ قال: هو أن تلين لهما حتى لا تمتنع من شيء أحبّاه.
حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا أيوب بن سويد، قال: حدثنا الثوري، عن هشام بن عروة، عن أبيه، في قوله وَاخْفِضْ لَهُما جنَاحَ الذّلّ مِنَ الرّحْمَةِ قال: لا تمتنع من شيء أحباه.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عُلَية، عن عبد الله بن المختار، عن هشام بن عروة، عن أبيه، في قوله وَاخْفِضْ لَهُما جنَاحَ الذّلّ مِنَ الرّحْمَةِ قال: هو أن لا تمتنع من شيء يريدانه.

16775ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا المقرىء أبو عبد الرحمن، عن حرملة بن عمران، عن أبي الهداج، قال: قلت لسعيد بن المسيب: ما قوله وَاخْفِضْ لَهُما جنَاحَ الذّلّ مِنَ الرّحْمَةِ قال: ألم تر إلى قول العبد المذنب للسيد الفظّ الغليظ.

والذّلّ بضم الذال والذّلّة مصدران من الذليل، وذلك أن يتذلل، وليس بذليل في الخلقة من قول القائل: قد ذَلَلت لك أذلّ ذلة وذلاً، وذلك نظير القلّ والقلة، إذا أسقطت الهاء ضمت الذال من الذّلّ، والقاف من القُلّ، وإذا أثبتت الهاء كُسِرت الذال من الذّلة، والقاف من القِلّة، لما قال الأعشى:

(وَمَا كُنْتُ قُلاّ قبلَ ذلكَ أرْيَبَا)

يريد: القلة. وأما الذّل بكسر الذال وإسقاط الهاء فإنه مصدر من الذّلول من قولهم: دابة ذَلول: بينة الذلّ، وذلك إذا كانت لينة غير صعبة. ومنه قول الله جلّ ثناؤه: هُوَ الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ ذَلُولاً يُجمع ذلك ذُلُلاً، كما قال جلّ ثناؤه: فاسْلُكِي سُبُلَ رَبّكَ ذُلُلاً. وكان مجاهد يتأوّل ذلك أنه لا يتوعّر عليها مكان سلكته.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق والشام وَاخْفِضْ لَهُما جنَاحَ الذّلّ بضمّ الذال على أنه مصدر من الذليل. وقرأ ذلك سعيد بن جبير وعاصم الجَحْدَرِيّ: «جنَاحَ الذّلّ» بكسر الذال.

16776ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا بهز بن أسد، قال: حدثنا أبو عَوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير أنه قرأ: «وَاخْفِضْ لَهُما جُناحَ الذّلّ مِنَ الرّحْمَةِ قال: كن لهما ذليلاً، ولا تكن لهما ذلولاً.

16777ـ حدثنا نصر بن عليّ، قال: أخبرني عمر بن شقيق، قال: سمعت عاصما الجحدري يقرأ: «وَاخْفِضْ لَهُما جنَاجَ الذّلّ مِنَ الرّحْمَةِ» قال: كن لهما ذليلاً، ولا تكن لهما ذَلولاً.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عمر بن شقيق، عن عاصم، مثله.

قال أبو جعفر: وعلى هذا التأويل الذي تأوّله عاصم كان ينبغي أن تكون قراءته بضم الذال لا بكسرها.

حدثنا نصر وابن بشار وحُدثت عن الفراء، قال: ثني هشيم، عن أبي بشر جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، أنه قرأ: «وَاخفِضْ لَهُما جنَاحَ الذّلّ». قال الفرّاء: وأخبرني الحكيم بن ظهير، عن عاصم بن أبي النّجود، أنه قرأها الذّلّ أيضا، فسألت أبا بكر فقال: الذّلّ قرأها عاصم.

وأما قوله: وَقُلْ رَبّ ارْحمْهُما كمَا رَبّيَانِي صَغِيرا فإنه يقول: ادع الله لوالديك بالرحمة، وقل ربّ ارحمهما، وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك، كما تعطّفا عليّ في صغري، فرحماني وربياني صغيرا، حتى استقللت بنفسي، واستغنيت عنهما. كما:

16778ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَاخْفِضْ لَهُما جنَاحَ الذّلّ مِنَ الرّحْمَةِ وَقُلْ رَبّ ارْحَمْهُما كمَا رَبّيانِي صَغِيرا هكذا عُلّمتم، وبهذا أمرتم، خذوا تعليم الله وأدبه.

ذُكر لنا أن نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو مادّ يديه رافع صوته يقول: «مَنْ أدْرَكَ وَالِدَيهِ أوْ أحَدَهُما ثُمّ دَخَـلَ النّارَ بَعْدَ ذلكَ فَأبْعَدَهُ اللّهُ وأسْحَقَهُ». ولكن كانوا يرون أنه من بَرّ والديه، وكان فـيه أدنـى ثُقـي، فـإن ذلك مُبْلِغه جسيـم الـخير. وقال جماعة من أهـل العلـم: إن قـول اللـه جـلّ ثناؤه: وَقُل رَبّ ارحَمْهُما كمَا رَبّـيانِـي صَغِيرا منسوخ بقوله: مـا كـانَ للنّبِـيّ والّذِينَ آمَنُوا أن يَسْتَغْفِرُوا للْمُشْرِكِينَ وَلَـو كـانُوا أُولـي قُربَـى مـن بَعْـدِ مـا تَبَـيّنَ لَهُم أنّهُم أصْحابُ الـجَحِيـمِ. ذكر من قال ذلك:

16779ـ حدثنـي علـيّ بن داود، قال: حدثنا أبو صالـح، قال: ثنـي معاوية، عن علـيّ، عن ابن عبـاس، قوله: وَقُل رَبّ ارحَمْهُما كمَا رَبّـيانِـي صَـغِيرا ثـم أنزل اللـه عـزّ وجـلّ بعـد هـذا: مـا كـانَ للنّبِـيّ وَالّـذِينَ آمَنُـوا أن يَسْـتَغْفِرُوا للْـمُشْرِكِينَ وَلَو كانُوا أُولـي قُربَى.

16780ـ حـدثنا ابـن حميـد، قـال: حـدثنا يحيـى بـن واضـح، قـال: حـدثنا الـحسين، عن يزيد، عن عكرمة، قال فـي سورة بنـي إسرائيـل إمّـا يَبْلُغـانّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحَدُهُما أو كِلاهُما... إلـى قوله وَقُـل رَبّ ارْحَمْهُمـا كمَـا رَبّـيانِـي صَـغِيرا فنسـختها الآيـة التـي فـي بـراءة مـا كـانَ للنّبِـيّ وَالّـذِينَ آمَنُـوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا للْـمُشْرِكِينَ وَلَوْ كانُوا أُولـي قُرْبَى... الآية.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجـاج، قـال: قـال ابـن جريج، قال ابن عبـاس وَقُلْ رَبّ ارْحَمْهُما... الآية، قال: نسـختها الآيـة التـي فـي براءة ما كانَ للنّبِـيّ وَالّذِينَ آمَنُوا أنْ يَسْتَغْفِرُوا للْـمُشْرِكينَ... الآية.

وقد تـحتـمل هذه الآية أن تكون وإن كان ظاهرها عامّا فـي كلّ الآبـاء بغير معنى النسخ، بأن يكون تأويـلها علـى الـخصوص، فـيكون معنى الكلام: وقل ربّ ارحمهمـا إذا كانـا مؤمنـين، كمـا رَبـيانـي صـغيرا، فتكـون مـرادا بهـا الـخصوص علـى مـا قلنـا غيـر منسـوخ منهـا شـيء. وعَنَـى بقـول ربـيانـي: نَـمّيَانـي.

الآية : 25

القول فـي تأويـل قوله تعالـى {رّبّكُـمْ أَعْلَـمُ بِمَـا فِـي نُفُوسِـكُمْ إِن تَكُونُـواْ صَالِحِينَ فَإِنّهُ كَانَ لِلأوّابِينَ غَفُوراً }.

يقول تعالـى ذكره رَبّكُمْ أيها الناس أعْلَـمُ منكم بِـمَا فِـي نُفُوسِـكُمْ مـن تعظيـمكم أمر آبـائكم وأمهاتكم وتكرمتهم، والبرّ بهم، وما فـيها مـن اعتقـاد الاستـخفـاف بحقوقهم، والعقوق لهم، وغيـر ذلـك مـن ضـمائر صـدوركم، لا يخفـى علـيه شـيء مـن ذلـك، وهـو مـجازيكم علـى حَسَـن ذلـك وسيّئه، فـاحذروا أن تُضـمروا لهـم سـوءا، وتعقِـدوا لهـم عقوقـا. وقـوله إنْ تَكُونُـوا صَالِـحِينَ يقول: إن أنتـم أصلـحتـم نـياتكم فـيهم، وأطعتـم الله فـيـما أمركم به من البرّ بهم، والقـيام بحقوقهم علـيكم، بعـد هفـوة كـانت منكـم، أو زلـة فـي واجب لهم علـيكم مع القـيام بـما ألزمكم فـي غيـر ذلـك مـن فرائضـه، فإنه كان للأوّابـين بعد الزّلة، والتائبـين بعد الهَفْوة غفورا لهـم. وبنـحو الـذي قلنا فـي تأويـل ذلك، قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

16781ـ حدثنا أبو كريب، ق ال: حـدثنا ابـن إدريـس، قـال: سـمعت أبـي وعمي عن حبـيب بن أبـي ثابت، عن سعيد بن جبـير رَبّكُـمْ أعْلَـمُ بِـمَا فِـي نُفُوسِكُمْ قال: البـادرة تكون من الرجل إلـى أبـويه لا يريـد بـذلك إلا الـخير، فقال: ربّكُمْ أعْلَـمُ بِـمَا فِـي نُفُوسِكُمْ.

حدثنا أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: أخبرني أبي، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، بمثله.

16782ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا عمرو، عن حبيب بن أبي ثابت، في قوله فإنّهُ كانَ للأَوّابِينَ غَفُورا قال: هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه وفي نيته وقلبه أنه لا يؤاخَذ به.

واختلف أهل التأويل، في تأويل قوله: فإنّهُ كانَ للأَوّابِينَ غَفُورا فقال بعضهم: هم المسبّحون. ذكر من قال ذلك:

16783ـ حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: حدثنا محمد بن الصلت، قال: حدثنا أبو كدينة وحدثني ابن سنان القزاز، قال: حدثنا الحسين بن الحسن الأشقر، قال: حدثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فإنّهُ كانَ للأَوّابِينَ غَفُورا قال: المسبحين.

16784ـ حدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا أبو خيثمة زهير، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن أبي ميسرة، عن عمرو بن شرحبيل، قال: الأوّاب: المسبح.

وقال آخرون: هم المطيعون المحسنون. ذكر من قال ذلك:

16785ـ حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله فإنّهُ كانَ للأَوّابِينَ غَفُورا يقول: للمطيعين المحسنين.

16786ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله فإنّهُ كانَ للأَوّابِينَ غَفُورا قال: هم المطيعون، وأهل الصلاة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة فإنه كانَ للأَوّابِينَ غَفُورا قال: للمطيعين المصلين.

وقال آخرون: بل هم الذين يصلون بين المغرب والعشاء. ذكر من قال ذلك:

16787ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، عن أبي صخر حميد بن زياد، عن ابن المنكدر يرفعه فإنّهُ كان للأَوّابِينَ غَفُورا قال: الصلاة بين المغرب والعشاء.

وقال آخرون: هم الذين يصلّون الضّحَى. ذكر من قال ذلك:

16788ـ حدثنا عمرو بن عليّ، قال: حدثنا رباح أبو سليمان الرقاء، قال: سمعت عونا العُقيليّ يقول في هذه الآية فإنّهُ كانَ للأَوّابِينَ غَفُورا قال: الذين يصلون صلاة الضحى.

وقال آخرون: بل هو الراجع من ذنبه، التائب منه. ذكر من قال ذلك:

16789ـ حدثنا أحمد بن الوليد القرشيّ، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب أنه قال في هذه الآية فإنّهُ كانَ للأَوّابِينَ غَفُورا قال: الذي يصيب الذنب ثم يتوب ثم يصيب الذنب ثم يتوب.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا سليمان بن داود، عن شعبة، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، قال: هو الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب في هذا الآية فإنّهُ كانَ للأَوّابِينَ غَفُورا.

حدثنا محاهد بن موسى، قال: حدثنا يزيد، قال: أخبرنا يحيى بن سعيد، أنه سمع سعيد بن المسيب يُسْأَل عن هذه الآية فإنّهُ كانَ للأَوّابِينَ غَفُورا قال: هو الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني جرير بن حازم، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، بنحوه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن سعيد بن المسيب، بنحوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب فإنّهُ كانَ للأوّابِينَ غَفُورا قال: هو العبد يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد، قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: فذكر مثله.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزّاق، قال: أخبرنا الثّوريّ ومعمر، عن يحيى بن سعيد، عن ابن المسيب، قال: الأوّاب: الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب.

16790ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في هذه الآية فإنّهُ كانَ للأوّابِينَ غَفُورا قال: الراجعين إلى الخير.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا عبد الصمد وأبو داود وهشام، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، بنحوه.

16791ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عمرو، جميعا عن منصور، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير فإنّهُ كان للأوّابِين غَفُورا قال: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء، فيستغفر الله منها.

16792ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن منصور، عن مجاهد، قال: الأوّاب: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن منصور، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير، أنه قال في هذه الآية إنّهُ كان للأوّابِينَ غَفُورا قال: الذي يذكر ذنبه ثم يتوب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله جلّ ثناؤه للأوّابِين غَفُورا قال: الأوّابون: الراجعون التائبون.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

قال ابن جريج، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: الرجل يذنب ثم يتوب ثلاثا.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن عبيد بن عمير، قوله فإنّه كان للأوّابِين غَفُورا قال: الذي يتذكر ذنوبه، فيستغفر الله لها.

16793ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن شريح، عن عقبة بن مسلم، عن عطاء بن يسار، أنه قال في قوله فإنّهُ كان للأوّابِين غَفُورا يذنب العبد ثم يتوب، فيتوب الله عليه ثم يذنب فيتوب، فيتوب الله عليه ثم يذنب الثالثة، فإن تاب، تاب الله عليه توبة لا تُمْحَى.

وقد رُوي عن عبيد بن عمير، غير القول الذي ذكرنا عن مجاهد، وهو ما:
16794ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا محمد بن مسلم، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير، في قوله فإنّهُ كان للأوّابِين غَفُورا قال: كنا نَعُدّ الأوّاب: الحفيظ، أن يقول: اللهمّ اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الأوّاب: هو التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه، لأن الأوّاب إنما هو فعّال، من قول القائل: آب فلان من كذا إما من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال، كما قال عبَيد بن الأبرص:
وكُلّ ذِي غَيْبَةٍ يَئُوبُ وغائِبُ المَوْتِ لا يَئُوبُ
فهو يئوب أوبا، وهو رجل آئب من سفره، وأوّاب من ذنوبه.

الآية : 26 و 27

القول في تأويل قوله تعالى {وَآتِ ذَا الْقُرْبَىَ حَقّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السّبِيلِ وَلاَ تُبَذّرْ تَبْذِيراً * إِنّ الْمُبَذّرِينَ كَانُوَاْ إِخْوَانَ الشّيَاطِينِ وَكَانَ الشّيْطَانُ لِرَبّهِ كَفُوراً }.
اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله وآتِ ذَا القُرْبى فقال بعضهم: عَنى به: قرابة الميت من قِبل أبيه وأمه، أمرا الله جلّ ثناؤه عباده بصلتها. ذكر من قال ذلك:
16795ـ حدثنا عمرانُ بن موسى، قال: حدثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: حدثنا حبيب المعلم، قال: سأل رجل الحسن، قال: أُعْطِي قرابتي زكاة مالي، فقال: إن لهم في ذلك لحقا سوى الزكاة، ثم تلا هذه الآية وآت ذا القُرْبى حَقّهُ.
16796ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله وآتِ ذَا القُرْبى حَقّهُ قال: صلته التي تريد أن تصله بها ما كنت تريد أن تفعله إليه.
16797ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله وآتِ ذَا القُرْبى حَقّهُ وَالمِسْكِينَ وَابْنَ السّبِيلِ قال: هو أن تصل ذا القربة والمسكين وتحسُن إلى ابن السبيل.
وقال آخرون: بل عنى به قرابه رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:
16798ـ حدثني محمد بن عمارة الأسدي، قال: حدثنا إسماعيل بن أبان، قال: حدثنا الصباح بن يحيى المَزنيّ، عن السّديّ، عن أبي الديلم، قال: قال عليّ بن الحسين عليهما السلام لرجل من أهل الشام: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أفما قرأت في بني إسرائيل وآتِ ذَا القُرْبى حَقّهُ قال: وإنكم للقْرابة التي أمر الله جلّ ثناؤه أن يُؤتي حقه؟ قال: نعم.
وأولى التأويلين عندي بالصواب، تأويل من تأوّل ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قِبَل آبائهم وأمهاتهم، وذلك أن الله عزّ وجلّ عَقّب ذلك عقيب حَضّه عباده على بر الآباء والأمّهات، فالواجب أن يكون ذلك حَضّا على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التي لم يجر لها ذكر. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وأعط يا محمد ذا قرابتك حقه من صلتك إياه، وبرّك به، والعطف عليه. وخرج ذلك

مَخْرج الخطاب لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم، والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله، يدلّ على ذلك ابتداؤه الوصية بقوله جلّ ثناؤه: وَقَضَى رَبّكَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ وَبالوَالِدَيْنِ إحْسانا إمّا يَبْلُغَنّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أحَدُهُما فوجّه الخطاب بقوله وَقَضَى رَبّكَ إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ فرجع بالخطاب به إلى الجميع، ثم صرف الخطاب بقوله إمّا يَبْلُغَنّ عِنْدَكَ إلى إفراده به. والمعنيّ بكل ذلك جميع من لزمته فرائض الله عزّ وجلّ، أفرد بالخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده، أو عمّ به هو وجميع أمته.

وقوله: والمِسْكِينَ وهو الذلّة من أهل الحاجة. وقد دللنا فيما مضى على معنى المسكين بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله وَابْنَ السّبِيلِ يعني: المسافر المنقطع به، يقول تعالى: وصِل قرابتك، فأعطه حقه من صلتك إياه، والمسكين ذا الحاجة، والمجتاز بك المنقطع به، فأعنه، وقوّه على قطع سفره. وقد قيل: إنما عنى بالأمر بإتيان ابن السبيل حقه أن يضاف ثلاثة أيام.

والقول الأوّل عندي أولى بالصواب، لأن الله تعالى لم يخصُصْ من حقوقه شيئا دون شيء في كتابه، ولا على لسان رسوله، فذلك عامّ في كلّ حقّ له أن يُعطاه من ضيافة أو حمولة أو مَعُونة على سفره.

وقوله وَلا تُبَذّرْ تَبْذِيرا يقول: ولا تفرّق يا محمد ما أعطاك الله من مال في معصيته تفريقا. وأصل التبذير: التفريق في السّرَف ومنه قول الشاعر:

أناسٌ أجارُونا فَكانَ جِوَارُهُمْأعاصِيرَ مِنْ فِسْقِ العِرَاقِ المُبَذّرِ

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16799ـ حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي العبيدين، قال: قال عبد الله في قوله وَلا تُبَذّرْ تَبْذِيرا قال: التبذير في غير الحقّ، وهو الإسراف.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن سلمة، عن مسلم البطين، عن أبي العبيدين، قال: سُئل عبد الله عن المبذّر فقال: الإنفاق في غير حقّ.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، قال: سمعت يحيى بن الجزار يحدّث عن أبي العبُيدين، ضرير البصر، أنه سأل عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تُبَذّرْ تَبْذِيرا قال: إنفاق المال في غير حقه.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: حدثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن الحكم، عن يحيى بن الجزار، عن أبي العُبيدين، عن عبد الله، مثله.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، قال: أخبرنا شعبة، عن الحكم بن عتيبة، عن يحيى بن الجزار أن أبا العبيدين، كان ضرير البصر، سأل ابن مسعود فقال: ما التبذير؟ فقال: إنفاق المال في غير حقه.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: أخبرنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا المسعودي، قال: أخبرنا سلمة بن كُهيل، عن أبي العُبيدين، وكانت به زَمانة، وكان عبد الله يعرف له ذلك، فقال: يا أبا عبد الرحمن، ما التبذير؟ فذكر مثله.

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: حدثنا أبو الحوءَب، عن عمار بن زُريق، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مُضرِب، عن أبي العُبيدين، عن عبد الله بن مسعود، قال: كنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نتحدّث أن التبذير: النفقة في غير حقه.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا يحيى بن كثير العنبري، قال: حدثنا شعبة، قال: كنت أمشي مع أبي إسحاق في طريق الكوفة، فأتى على دار تُبنى بجصّ وآجر، فقال: هذا التبذير في قول عبد الله: إنفاق المال في غير حقه.

16800ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله وَلا تُبَذّرْ تَبْذِيرا قال: المبذّر: المنفق في غير حقه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا عباد، عن حصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: المبذّر: المنفق في غير حقه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قال: لا تنفق في الباطل، فإن المبذّر: هو المسرف في غير حقّ.

قال ابن جريج وقال مجاهد: لو أنفق إنسان ماله كله في الحقّ ما كان تبذيرا، ولو أنفق مدّا في باطل كان تبذيرا.

16801ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله وَلا تُبَذّرْ تَبْذِيرا قال: التبذير: النفقة في معصية الله، وفي غير الحقّ وفي الفساد.

16802ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله وآتِ ذَا القُرْبَى حَقّهُ وَالمِسْكينَ وَابْنَ السّبِيلِ قال: بدأ بالوالدين قبل هذا، فلما فرغ من الوالدين وحقهما، ذكر هؤلاء وقال لا تُبَذّرْ تَبْذِيرا: لا تعطِ في معاصي الله.

وأما قوله إنّ المُبَذّرِينَ كانُوا إخْوَانَ الشّياطِينِ فإنه يعني: إنّ المفرّقين أموالهم في معاصي الله المنفقيها في غير طاعته أولياء الشياطين وكذلك تقول العرب لكلّ ملازم سنة قوم وتابع أثرهم: هو أخوهم وكانَ الشّيُطانُ لِرَبّهِ كَفُورا يقول: وكان الشيطان لنعمة ربه التي أنعمها عليه جحودا لا يشكره عليه، ولكنه يكفرها بترك طاعة الله، وركوبه معصيته، فكذلك إخوانه من بني آدم المبذّرون أموالهم في معاصي الله، لا يشكرون الله على نعمه عليهم، ولكنهم يخالفون أمره ويعصُونه، ويستنون فيما أنعم الله عليهم به من الأموال التي خوّلهموها وجل عزّ سنته من ترك الشكر عليها، وتلقّيها بالكُفران. كالذي:

16803ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله إنّ المُبَذّرِينَ: إن المنفقين في معاصي الله كانُوا إخْوَانَ الشّياطينِ وكانَ الشّيْطانُ لرَبّهِ كَفُورا.

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى {وَإِمّا تُعْرِضَنّ عَنْهُمُ ابْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مّن رّبّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لّهُمْ قَوْلاً مّيْسُوراً }.

يقول تعالى ذكره: وإن تعرض يا محمد عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم إذا وجدت إليها السبيل بوجهك عند مسألتهم إياك، ما لا تجد إليه سبيلاً، حياء منهم ورحمة لهم ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبّكَ يقول: انتظار رزق تنتظره من عند ربك، وترجو تيسير الله إياه لك، فلا تؤيسهم، ولكن قل لهم قولاً ميسورا. يقول: ولكن عدهم وعدا جميلاً، بأن تقول: سيرزق الله فأعطيكم، وما أشبه ذلك من القول اللين غير الغليظ، كما قال جلّ ثناؤه وأمّا السّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16804ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم وإمّا تُعْرِضَنّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبّكَ تَرْجُوها قال: انتظار الرزق فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورا قال: لينا تَعِدُهم.

16805ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخُراساني، عن ابن عباس ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبّكَ قال: رزق أهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ.

16806ـ حدثنا عمران بن موسى، قال: حدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا عمارة، عن عكرمة، في قوله وَإمّا تُعْرِضَنّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبّكَ تَرْجُوها قال: انتظار رزق من الله يأتيك.

16807ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله وَإمّا تُعْرِضَنّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبّكَ تَرْجُوها قال: إن سألوك فلم يجدوا عندك ما تعطيهم ابتغاء رحمة، قال: رزق تنتظره ترجوه فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورا قال: عِدْهم عِدَةً حسنة: إذا كان ذلك، إذا جاءنا ذلك فعلنا، أعطيناكم، فهو القول الميسور.

قال ابن جريج، قال مجاهد: إن سألوك فلم يكن عندك ما تعطيهم، فأعرضت عنهم ابتغاء رحمة، قال: رزق تنتظره فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً ميْسُورا.

16808ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبّكَ قال: انتظار رزق الله.

16809ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضّحَى، عن عبيدة في قوله ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبّكَ تَرْجُوها قال: ابتغاء الرزق.

16810ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عمرو، عن عطاء، عن سعيد وإمّا تُعْرِضَنّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبّكَ تَرْجُوها قال: أي رزق تنتظره فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورا أي معروفا.

16811ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورا قال: عدهم خيرا. وقال الحسن: قل لهم قولاً لينا وسهلاً.

16812ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله وَإمّا تُعْرِضَنّ عَنْهُم يقول: لا نجد شيئا تعطيهم ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبّكَ يقول: انتظار الرزق من ربك، نزلت فيمن كان يسأل النبيّ صلى الله عليه وسلم من المساكين.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثني حرمي بن عمارة، قال: حدثنا شعبة، قال: ثني عمارة، عن عكرمة في قول الله فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورا قال: الرفق.

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

16813ـ حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وإمّا تُعْرِضَنّ عَنْهُم عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبّكَ تَرْجوها إذا خشيت إن أعطيتهم، أن يتقوّوا بها على معاصي الله عزّ وجلّ، ويستعينوا بها عليها، فرأيت أن تمنعهم خيرا، فإذا سألوك فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورا قولاً جميلاً: رزقك الله، بارك الله فيك.

وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن زيد مع خلافه أقوال أهل التأويل في تأويل هذه الآية، بعيد المعنى، مما يدلّ عليه ظاهرها، وذلك أن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وَإمّا تُعْرِضَنّ عَنْهُمُ ابْتِغاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبّكَ تَرْجُوها فأمره أن يقول إذا كان إعراضه عن القوم الذين ذكرهم انتظار رحمة منه يرجوها من ربه قَوْلاً مَيْسُورا وذلك الإعراض ابتغاء الرحمة، لن يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون إعراضا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها لنفسه، فيكون معنى الكلام كما قلناه، وقاله أهل التأويل الذين ذكرنا قولهم، وخلاف قوله أو يكون إعراضا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها للسائلين الذين أمِر نبيّ الله صلى الله عليه وسلم بزعمه أن يمنعهم ما سألوه خشية عليهم من أن ينفقوه في معاصي الله، فمعلوم أن سخط الله على من كان غير مأمون منه صَرْف ما أعْطي من نفقة ليتقوّى بها على طاعة الله في معاصيه، أخوف من رجاء رحمته له، وذلك أن رحمة الله إنما ترجى لأهل طاعته، لا لأهل معاصيه، إلا أن يكون أراد توجيه ذلك إلى أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أمر بمنعهم ما سألوه، لينيبوا من معاصي الله، ويتوبوا بمنعه إياهم ما سألوه، فيكون ذلك وجها يحتمله تأويل الآية، وإن كان لقول أهل التأويل مخالفا.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىَ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مّحْسُوراً }.

وهذا مثلٌ ضربه الله تبارك وتعالى للممتنع من الإنفاق في الحقوق التي أوجبها في أموال ذوي الأموال، فجعله كالمشدودة يده إلى عنقه، الذي لا يقدر على الأخذ بها والإعطاء.

وإنما معنى الكلام: ولا تمسك يا محمد يدك بخلاً عن النفقة في حقوق الله، فلا تنفق فيها شيئا إمساك المغلولة يده إلى عنقه، الذي لا يستطيع بسطها وَلا تَبْسُطْها كُلّ البَسْطِ يقول: ولا تبسطها بالعطية كلّ البسط، فتَبقى لا شيء عندك، ولا تجد إذا سئلت شيئا تعطيه سائلك فَتَقْعُدَ مَلُوما مَحْسُورا يقول: فتقعد يلومك سائلوك إذا لم تعطهم حين سألوك، وتلومك نفسك على الإسراع في مالك وذهابه، محسورا يقول: مَعِيبا، قد انقُطِع بك، لا شيء عندك تنفقه. وأصله من قولهم للدابة التي قد سير عليها حتى انقَطَع سيرها، وكلّت ورَزحَت من السير، بأنه حَسِير. يقال منه: حَسَرْت الدابة فأنا أحسِرُها، وأحسُرها حَسْرا، وذلك إذا أنضيته بالسير وحَسَرته بالمسألة إذا سألته فألحفت وحَسَرَ البصرُ فهو يَحْسِر، وذلك إذا بلغ أقصى

الـمنظر فكَلّ. ومنه قوله عزّ وجلّ: يَنْقَلِبْ إلَـيْكَ البَصَـرُ خاسِئا وَهُـوَ حَسِـيرٌ (الـملك: 4 وكذلك ذلك فـي كلّ شيء كَلّ وأزحف حتـى يَضْنَى. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك، قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

16814ـ حدثنا مـحمد بن بشار، قال: حدثنا هودة، قال: حدثنا عوف، عـن الـحسن، فــي قـوله وَلا تَــجْعَلْ يَـدَكَ مَغْلُولَـةً إلــى عُنُقِـكَ قـال: لا تــجعلها مغلولة عن النفقة وَلا تَبْسُطْها: تبذّر بسرف.

16815ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يوسف بن بهز، قال: حدثنا حوشب، قال: كان الـحسن إذا تلا هذه الآيـة وَلا تَـجْعَلْ يَـدَكَ مَغْلُولَـةً إلــى عُنُقِـكَ وَلا تَبْسُطْها كُلّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوما مَـحْسُورا يقول: لا تطفّف برزقـي عن غيـر رضاي، ولا تضعْه فـي سُخْطي فأسلُبَك ما فـي يديك، فتكـون حسـيرا لــيس فـي يديك منه شيء.

16816ـ حدثنـي مـحمد بن سعد، قال: ثنـي أبـي، قال: ثنـي عمي، ق ال: ثنـي أبـي، عن أبـيه، عـن ابـن عبــاس، قـوله وَلا تَــجْعَلْ يَـدَكَ مَغْلُولَـةً إلــى عُنُقِك وَلا تَبْسُطْها كُلّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوما مـحْسُورا يقول هذا فــي النفقـة، يقول لا تَـجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلـى عُنُقِكَ يقول: لا تبسطها بـالـخير وَلا تَبْسُطْها كُلّ البَسْطِ يعنـي التبذير فَتَقْعُدَ مَلُوما يقول: يـلوم نفسه علـى ما فـات مــن ماله مَـحْسُورا يعنـي: ذهب ماله كله فهو مـحسور.

حدثنـي علـي، قال: حدثنا أبو صالـح، قال: ثنـي معاوية، عن علــي، عـن ابن عبـاس، قوله وَلا تـجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلـى عُنُقِكَ يعنـي بذلك البخـل.

16817ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قـوله وَلا تَـجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلـى عُنُقِـكَ أي لا تــمسكها عـن طاعـة اللـه، ولا عـن حقه وَلا تبْسُطْها كُلّ البَسْـطِ يقـول: لا تنفقهـا فــي معصـية اللـه، ولا فـيــما يصلـح لك، ولا ينبغي لك، وهو الإسراف. قوله فَتَقْعُدَ مَلُومـا مَــحْسُورا قـال: ملوما فـي عبـاد الله، مـحسورا علـى ما سلف من دهره وفرّط.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى، قال: حدثنا مـحمد بن ثور، عن معمر، عـن قتادة وَلا تَـجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلـى عُنُقِكَ قال: فـي النفقة، يقـول: لا تــمسك عن النفقة وَلا تَبْسُطْها كُلّ البَسْطِ يقـول: لا تبـذر تبـذيرا فَتَقْعُـدَ مَلُومـا فــي عبـاد الله مَـحْسُورا يقول: نادما علـى ما فرط منك.

16818ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عـن ابـن جريج، قال: لا تـمسك عن النفقة فـيـما أمرتك به من الـحق وَلا تَبْسُطْها كُـلّ البَسْطِ فـيـما نهيتك فَتَقْعُدَ مَلُوما قال: مذنبـا مَـحْسُورا قال: منقطعا بك.

16819ـ حدثنـي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابـن زيـد، فــي قوله وَلا تَـجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلــى عُنُقِـكَ قـال: مغلولـة لا تبسـطها بخيـر ولا بعطية وَلا تَبْسُطْها كُلّ البَسْطِ فـي الـحق والبـاطل، فـينفَذ ما معك، وما فـي يديك، فـيأتـيك مـن يريـد أن تعطيـه فــيحسر بـك، فـيــلومك حيـن أعطيـت هؤلاء، ولـم تعطهم.

الآية : 30

القول فـي تأويـل قوله تعالـى {إِنّ رَبّكَ يَبْسُطُ الرّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنّـهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: إن ربك يا مـحمد يبسط رزقه لـمن يشاء من عبـاده، فـيوسع علـيه، ويقـدر علــى مـن يشـاء،

يقول: ويُقَتّر على من يشاء منهم، فيضيّق عليه إنّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرا: يقول: إن ربك ذو خبرة بعباده، ومن الذي تصلحه السعة في الرزق وتفسده ومن الذي يصلحه الإقتار والضيق ويهلكه. بصيرا: يقول: هو ذو بصر بتدبيرهم وسياستهم، يقول: فانته يا محمد إلى أمرنا فيما أمرناك ونهيناك من بسط يدك فيما تبسطها فيه، وفيمن تبسطها له، ومِن كفها عمن تكفها عنه، وتكفها فيه، فنحن أعلم بمصالح العباد منك، ومن جميع الخلق وأبصر بتدبيرهم، كالذي:

16820ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، ثم أخبرنا تبارك وتعالى كيف يصنع، فقال: إنّ رَبّكَ يَبْسُط الرّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ قال: يقدر: يقلّ، وكل شيء في القرآن يَقْدِر كذلك ثم أخبر عباده أنه لا يرزَؤُه ولا يئُوده أن لو بسط عليهم، ولكن نظرا لهم منه، فقال: وَلَوْ بَسَطَ اللّهُ الرّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الأرْضِ وَلكِنْ يُنَزّلُ بقَدَرٍ ما يَشاءُ إنّهُ بِعبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ قال: والعرب إذا كان الخصب وبُسِط عليهم أشِروا، وقتل بعضهم بعضا، وجاء الفساد، فإذا كان السنة شُغِلوا عن ذلك.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيّاكُم إنّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً }.

يقول تعالى ذكره: وَقَضَى رَبّكَ يا محمد ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ وَبالوَالِدَيْنِ إحْسانا، وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاقٍ فموضع تقتلوا نُصب عطفا على ألاّ تعبدوا.

ويعني بقوله: خَشْيَةَ إمْلاقٍ خوف إقتار وفقر. وقد بيّنا ذلك بشواهده فيما مضى، وذكرنا الرواية فيه. وإنما قال جلّ ثناؤه ذلك للعرب، لأنهم كانوا يقتلون الإناث من أولادهم خوف العيلة على أنفسهم بالإنفاق عليهن، كما:

16821ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله ولا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاقٍ: أي خشية الفاقة، وقد كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الفاقة، فوعظهم الله في ذلك، وأخبرهم أن رزقهم ورزق أولادهم على الله، فقال: نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وإيّاكُمْ إنّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبيرا.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة خَشْيَة إمْلاقٍ قال: كانوا يقتلون البنات.

16822ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ خَشْيَة إمْلاقٍ قال: الفاقة والفقر.

16823ـ حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله خَشْيَة إمْلاقٍ يقول: الفقر.

وأما قوله: إنّ قَتْلَهُمْ كان خِطْأً كَبِيراً فإن القراء اختلفت في قراءته فقرأته عامّة قراء أهل المدينة والعراق إنّ قَتْلَهُمْ كان خِطْأً كَبِيرا بكسر الخاء مِن الخطإ وسكون الطاء. وإذا قرىء ذلك كذلك، كان له وجهان من التأويل: أحدهما أن يكون اسما من قول القائل: خَطِئت فأنا أخْطَأ، بمعنى: أذنبت وأثمت. ويُحكى عن العرب: خَطِئتَ: إذا أذنبتَ عمدا، وأخطأت: إذا

وقع منك الذنب خَطَأ على غير عمد منك له. والثاني: أن يكون بمعنى خَطَأ بفتح الخاء والطاء، ثم كسرت الخاء وسكنت الطاء، كما قيل: قِتْب وقَتَب وحَذَر وحِذْر، ونَجِس ونَجَس. والخِطْء بالكسر اسم، والخَطَأ بفتح الخاء والطاء مصدر من قولهم: خَطِىء الرجل وقد يكون اسما من قولهم: أخطأ. فأما المصدر منه فالإخطاء. وقد قيل: خَطِىء، بمعنى أخطأ، كما قال الشاعر:

لَهْفَ هِنْدٍ إذْ خَطِئْنَ كاهِلا

بمعنى: أخطأن. وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل المدينة: «إنّ قَتْلَهُمْ كانَ خَطَأً» بفتح الخاء والطاء مقصورا على توجيهه إلى أنه اسم من قولهم: أخطأ فلان خطأ. وقرأه بعض قراء أهل مكة: «إنّ قَتْلَهُمْ كان خَطاءً» بفتح الخَاء والطاء، ومدّ الخَطَاء بنحو معنى من قرأه خطأ بفتح الخاء والطاء، غير أنه يخالفه في مدّ الحرف.

وكان عامة أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة وبعض البصريين منهم يرون أن الخِطْء والخَطَأ بمعنى واحد، إلاّ أن بعضهم زعم أن الخِطْء بكسر الخاء وسكون الطاء في القراءة أكثر، وأن الخطأ بفتح الخاء والطاء في كلام الناس أفشى، وأنه لم يسمع الخِطْء بكسر الخاء وسكون الطاء، في شيء من كلامهم وأشعارهم، إلا في بيت أنشده لبعض الشعراء:

الخِطْءُ فاحِشَةٌ والبِرّ نافِلَةٌكعَجْوَة غُرِسَتْ فِي الأرْض تُؤْتَبرُ

وقد ذكرت الفرق بين الخِطْء بكسر الخاء وسكون الطاء وفتحهما.

وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب، القراءة التي عليها قراء أهل العراق، وعامة أهل الحجاز، لإجماع الحجة من القراء عليها، وشذوذ ما عداها. وإن معنى ذلك كان إثما وخطيئة، لا خَطَأ من الفعل، لأنهم إنما كانوا يقتلونهم عمدا لا خط أ، وعلى عمدهم ذلك ء اتبهم ربهم، وتقدم إليهم بالنهي عنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16824ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد خِطْأً كَبِيرا قال: أي خطيئة.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد إنّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيرا قال: خطيئة. قال ابن جريج، وقال ابن عباس: خِطأ: أي خطيئة.

الآية : 32

القول في تأويل قوله تعالى {وَلاَ تَقْرَبُواْ الزّنَىَ إِنّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً }.

يقول تعالى ذكره: وقضى أيضا أن لا تَقْرَبُوا أيها الناس الزّنا إنّهُ كانَ فاحِشَةً يقول: إن الزّنا كان فاحشة وَساءَ سَبيلاً يقول: وساء طريق الزنا طريقا، لأن طريق أهل معصية الله، والمخالفين أمره، فأسوىءْ به طريقا يورد صاحبه نار جهنم.

الآية : 33

القول في تأويل قوله تعالى {وَلاَ تَقْتُلُواْ النّفْسَ الّتِي حَرّمَ اللّهُ إِلاّ بِالحَقّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فّي الْقَتْلِ إِنّهُ كَانَ مَنْصُوراً }.

يقول جل ثناؤه: وقضى أيضا أن لا تَقْتُلُوا أيها الناس النّفْسَ التي حَرّمَ اللّهُ قتلها إلاّ بالحَقّ وحقها أن لا تقتل إلا بكفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قود نفس، وإن كانت كافرة لم يتقدّم كفرها إسلام، فأن لا يكون تقدم قتلها لها عهد وأمان، كما:

16825ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله وَلا تقْتُلُوا النّفْسَ التي حَرّمَ اللّهُ إلاّ بالحَقّ وإنا والله ما نعلم بحلّ دم امرىء مسلم إلاّ بإحدى ثلاث، إلا رجلاً قتل متعمدا، فعليه القَوَد، أو زَنى بعد إحصانه فعليه الرجم أو كفر بعد إسلامه فعليه القتل.

16826ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن عيينة، عن الزهريّ، عن عُروة أو غيره، قال: قيل لأبي بكر: أتقتل من يرى أن لا يؤدي الزكاة، قال: لو منعوني شيئا مما أقروا به لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم. فقيل لأبي بكر: أليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النّاسَ حتى يَقُولُوا: لا إلَه إلاّ اللّهُ، فإذَا قالُوها عَصَمُوا مِنّي دِماءهُمْ وأمْوالُهم إلاّ بِحَقّها، وحِسابُهُمْ عَلى اللّهِ» فقال أبو بكر: هذا من حقها.

16827ـ حدثني موسى بن سهل، قال: حدثنا عمرو بن هاشم، قال: حدثنا سليمان بن حيان، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ أنْ أُقاتِلَ النّاسَ حتى يقُولُوا لا إلَه إلاّ اللّهُ، فإذَا قالُوها عَصمُوا مِنّى دِماءهُمْ وأمْوالهُمْ إلاّ بِحَقّها وحِسابُهمْ عَلى اللّهِ» قيل: وما حقها؟ قال: «زِنا بَعْد إحْصانٍ، وكُفْرٌ بَعْد إيمَانٍ، وقَتْلُ نَفْسٍ فَيُقْتَلُ بِها».

وقوله: ومَنْ قُتِلَ مَظْلُوما يقول: ومن قتل بغير المعاني التي ذكرنا أنه إذا قتل بها كان قتلاً بحقّ فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيّهِ سُلْطانا يقول: فقد جعلنا لوليّ المقتول ظلما سلطانا على قاتل وليه، فإن شاء استقاد منه فقتله بوليه، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ الدية.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى السلطان الذي جُعل لوليّ المقتول، فقال بعضهم في ذلك، نحو الذي قُلنا. ذكر من قال ذلك:

16828ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ولا تَقْتُلُوا النّفْسَ التي حَرّمَ اللّهُ إلاّ بالحَقّ وَمَنْ قُتِل مَظْلُوما فَقَدْ جَعَلْنا لوليّه سُلْطانا قال: بيّنة من الله عزّ وجلّ أنزلها يطلبها وليّ المقتول، العَقْل، أو القَوَد، وذلك السلطان.

16829ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن جُويبر، عن الضحاك بن مزاحم، في قوله: فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيّهِ سُلْطانا قال: إن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية.

وقال آخرون: بل ذلك السلطان: هو القتل. ذكر من قال ذلك:

16830ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَمَنْ قُتِل مَظْلُوما فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيّهِ سُلْطانا وهو القَوَد الذي جعله الله تعالى.

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من تأول ذلك: أن السلطان الذي ذكر الله تعالى في هذا الموضع ما قاله ابن عباس، من أن لوليّ

القتيل القتل إن شاء وإن شاء أخذ الدية، وإن شاء العفو، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم فتح مكة: «ألا وَمن قُتِل لَهُ قَتِيلٌ فَهُو بِخَيْرِ النّظَرَيْنِ بين أنْ يَقْتُل أوْ يأْخُذ الدّيَة» وقد بيّنت الحكم في ذلك في كتابنا: كتاب الجراح.

وقوله: فَلا يُسْرِفْ في القَتْلِ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الكوفة: «فَلا تُسْرِفْ» بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمراد به هو والأئمة من بعده، يقول: فلا تقتل بالمقتول ظُلْما غير قاتله، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك إذا قتل رجل رجلاً عمد وليّ القتيل إلى الشريف من قبيلة القاتل، فقتله بوليه، وترك القاتل، فنهى الله عزّ وجلّ عن ذلك عباده، وقال لرسوله عليه الصلاة والسلام: قتل غير القاتل بالمقتول معصية وسرف، فلا تقتل به غير قاتله، وإن قتلت القاتل بالمقتول فلا تمثّل به. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة: فَلا يُسْرِفْ بالياء، بمعنى فلا يسرف وليّ المقتول، فيقتل غير قاتل وليه. وقد قيل: عنى به: فلا يسرف القاتل الأول لأولي المقتول.

والصواب من القول في ذلك عندي، أن يقال: إنهما قراءتان متقاربتا المعنى، وذلك أن خطاب الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأمر أو نهى في أحكام الدين، قضاء منه بذلك على جميع عباده، وكذلك أمره ونهيه بعضهم، أمر منه ونهى جميعهم، إلا فيما دلّ فيه على أنه مخصوص به بعض دون بعض، فإذا كان ذلك كذلك بما قد بيّنا في كتابنا (كتاب البيان، عن أصول الأحكام) فمعلوم أن خطابه تعالى بقوله فَلا تُسْرِفْ في القَتْلِ نبيه صلى الله عليه وسلم، وإن كان موجّها إليه أنه معنّى به جميع عباده، فكذلك نهيه وليّ المقتول أو القاتل عن الإسراف في القتل، والتعدّي فيه نهى لجميعهم، فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب صواب القراءة في ذلك.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك نحو اختلاف القرّاء في قراءتهم إياه. ذكر من تأوّل ذلك بمعنى الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

16831ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن طلق بن حبيب، في قوله: فَلا تُسْرِفْ في القَتْلِ قال: لا تقتل غير قاتله، ولا تمثّل به.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير. عن منصور، عن طلق بن حبيب، بنحوه.

16832ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، في قوله: فَلا تُسْرِفْ في القَتْلِ قال: لا تقتل اثنين بواحد.

16833ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فَلا تُسْرِفْ في القَتْلِ إنّهُ كان مَنْصُورا كان هذا بمكة، ونبيّ الله صلى الله عليه وسلم بها، وهو أوّل شيء نزل من القرآن في شأن القتل، كان المشركون يغتالون أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال الله تبارك وتعالى: من قتلكم من المشركين، فلا يحملنّكم قتله إياكم عن أن تقتلوا له أبا أو أخا أو أحدا من عشيرته، وإن كانوا مشركين، فلا تقتلوا إلا قاتلكم وهذا قبل أن تنزل

براءة، وقبل أن يؤمروا بقتال المشركين، فذلك قوله: فَلا تُسْرِفْ في القَتْلِ يقول: لا تقتل غير قاتلك، وهي اليوم على ذلك الموضع من المسلمين، لا يحلّ لهم أن يقتلوا إلا قاتلهم. ذكر من قال: عُنِي وليّ المقتول:

16834ـ حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، قال: حدثنا أبو رجاء، عن الحسن، في قوله: وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوما فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيّهِ سُلْطانا قال: كان الرجل يُقتل فيقول وليه: لا أرضى حتى أقتل به فلانا وفلانا من أشراف قبيلته.

16835ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة فَلا تُسْرِفْ في القَتْلِ قال: لا تقتل غير قاتلك، ولا تمثّل به.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة فَلا يُسْرِفْ في القَتْلِ قال: لا يقتل غير قاتله من قَتَل بحديدة قُتل بحديدة ومن قَتَل بخشبة قُتِل بخشبة ومن قَتل بحجر قُتل بحجر. ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إنّ منْ أعْتَى النّاسِ على اللّهِ جَلّ ثَناؤُهُ ثَلاَثَةً: رَجُلٌ قَتَلَ غيرَ قاتِلِهِ، أوْ قَتَلَ بدَخَنٍ فِي الجاهِلِيّةِ، أوْ قَتَلَ فِي حَرَمِ اللّهِ».

16836ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: سمعته، يعني ابن زيد، يقول في قول الله جلّ ثناؤه وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوما فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيّهِ سُلْطانا قال: إن العرب كانت إذا قُتل منهم قتيل، لم يرضوا أن يقتلوا قاتل صاحبهم، حتى يقتلوا أشرف من الذي قتله، فقال الله جلّ ثناؤه فَقَدْ جَعَلَنا لِوَلِيّهِ سُلْطانا ينصره وينتصف من حقه فلا يُسْرِفْ فِي القَتْلِ يقتل بريئا. ذكر من قال عُنِي به القاتل:

16837ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير عن مجاهد فَلا يُسْرِفْ فِي القَتْلِ قال: لا يسرف القاتل في القتل.

وقد ذكرنا الصواب من القراءة في ذلك عندنا، وإذا كان كلا وجهي القراءة عندنا صوابا، فكذلك جميع أوجه تأويله التي ذكرناها غير خارج وجه منها من الصواب، لاحتمال الكلام ذلك وإن في نهي الله جلّ ثناؤه بعض خلقه عن الإسراف في القتل، نهى منه جميعَهم عنه.

وأما قوله: إنّهُ كانَ مَنْصُورا فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عُنِي بالهاء التي في قوله إنّهُ وعلى ما هي عائدة، فقال بعضهم: هي عائدة على وليّ المقتول، وهو المعنيّ بها، وهو المنصور على القاتل. ذكر من قال ذلك:

16838ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة إنّهُ كانَ مَنْصُورا قال: هو دفع الإمام إليه، يعني إلى الوليّ، فإن شاء قتل، وإن شاء عفا.

وقال آخرون: بل عُنِي بها المقتول، فعلى هذا القول هي عائدة على «مَن» في قوله: وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوما. ذكر من قال ذلك:

16839ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد إنّهُ كانَ مَنْصُورا إن المقتول كان منصورا.

وقال آخرون: عُنِي بها دم المقتول، وقالوا: معنى الكلام: إن دم القتيل كان منصورا على القاتل.

وأشبه ذلك بالصواب عندي. قول من قال عُنِي بها الوليّ، وعليه عادت، لأنه هو المظلوم، ووليه المقتول، وهي إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول، وهو المنصور أيضا، لأن الله جلّ ثناؤه قضى في كتابه المنزل، أن سلّطه على قاتل وليه، وحكّمه فيه، بأن جعل إليه قتله إن شاء، واستبقاءه على الدية إن أحبّ، والعفو عنه إن رأى، وكفى بذلك نُصرة له من الله جلّ ثناؤه، فلذلك قلنا: هو المعنيّ بالهاء التي في قوله: إنّهُ كانَ مَنْصُورا.

الآية : 34

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاّ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتّىَ يَبْلُغَ أَشُدّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً }.

يقول تعالى ذكره: وقضى أيضا أن لا تقربوا مال اليتيم بأكل، إسرافا وبدارا أن يَكْبَروا، ولكن اقرَبوه بالفَعْلَة التي هي أحسن، والخَلّة التي هي أجمل، وذلك أن تتصرّفوا فيه له بالتثمير والإصلاح والحيطة. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

16840ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَلا تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيمِ إلاّ بالّتِي هِيَ أحْسَنُ لما نزلت هذه الآية، اشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا لا يخالطونهم في طعام أو أكل ولا غيره، فأنزل الله تبارك وتعالى وَإن تُخالِطُوهُمْ فإخْوانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ فكانت هذه لهم فيها رُخْصة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَلا تَقْرَبُوا مالَ اليَتِيمِ إلاّ بالّتِي هِيَ أحْسَنُ قال: كانوا لا يخالطونهم في مال ولا مأكل ولا مركب، حتى نزلت وإنْ تُخالِطُوهُمْ فإخْوَانُكُمْ. وقال ابن زيد في ذلك ما:

16841ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَلاَ تَقْرَبُوا مالَ اليتِيمِ إلاّ بالّتِي هِيَ أحْسَنُ قال: الأكل بالمعروف، أن تأكل معه إذا احتجت إليه، كان أبيّ يقول ذلك.

وقوله: حتى يَبْلُغَ أشُدّهُ يقول: حتى يبلغ وقت اشتداده في العقل، وتدبير ماله، وصلاح حاله في دينه وأوْفُوا بالعَهْدِ يقول: وأوفوا بالعقد الذي تعاقدون الناس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام، وفيما بينكم أيضا، والبيوع والأشربة والإجارات، وغير ذلك من العقود إنّ العَهْدَ كانَ مَسْئُولاً يقول: إن الله جلّ ثناؤه سائل ناقض العهد عن نقضه إياه، يقول: فلا تنقصوا العهود الجائزة بينكم، وبين من عاهدتموه أيها الناس فتخفروه، وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك. وإنما عنى بذلك أن العهد كان مطلوبا يقال في الكلام: ليسئلنّ فلان عهد فلان.

الآية : 35

القول في تأويل قوله تعالى {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }.

يقول تعالى ذكره: وَ قضى أن أوْفُوا الكَيْلَ للناس إذَا كِلْتُمْ لهم حقوقهم قِبَلَكم، ولا تبخَسُوهم وَزِنُوا بالقِسْطاسِ المُسْتَقِيمِ يقول: وقَضَى أو زنوا أيضا إذا وزنتم لهم بالميزان المستقيم، وهو العدل الذي لا اعوجاج فيه، ولا دَغَل، ولا خديعة. وقد اختلف أهل التأويل في معنى القسطاس، فقال بعضهم: هو القبان. ذكر من قال ذلك:

16842ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا صفوان بن عيسى، قال: حدثنا الحسن بن ذكوان، عن الحسن: وَزِنُوا بالقِسْطاسِ المُسْتَقِيمِ قال: القَبّان.

وقال آخرون: هو العدل بالرومية. ذكر من قال ذلك:

16843ـ حدثنا عليّ بن سهل، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد: القِسطاس: العدل بالرومية. وقال آخرون: هو الميزان صغر أو كبر وفيه لغتان: القِسطاس بكسر القاف، والقُسطاس بضمها، مثل القِرطاس والقُرطاس وبالكسر يقرأ عامّة قرّاء أهل الكوفة، وبالضمّ يقرأ عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة، وقد قرأ به أيضا بعض قرّاء الكوفيين، وبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، لأنهما لغتان مشهورتان، وقراءتان مستفيضتان في قرّاء الأمصار.

وقوله: ذلكَ خَيْرٌ يقول: إيفاؤكم أيها الناس من تكيلون له الكيل، ووزنكم بالعدل لمن توفون له خَيْرٌ لَكُمْ من بخسكم إياهم ذلك، وظلمكموهم فيه.

وقوله: وأحْسَنُ تأوِيلاً يقول: وأحسن مردودا عليكم وأولى إليه فيه فعلكم ذلك، لأن الله تبارك وتعالى يرضى بذلك عليكم، فيُحسن لكم عليه الجزاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16844ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وأوْفُوا الكَيْلَ كِلْتُمْ وَزِنُوا بالقِسْطاسِ المُسْتَقِيمِ ذلكَ خَيْرٌ وأحْسَنُ تَأوِيلاً أي خير ثوابا وعاقبة.

وأخبرنا أن ابن عباس كان يقول: يا معشر الموالي، إنكم وَلِيتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم: هذا المِكيال، وهذا المِيزان. قال: وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا يَقْدِرُ رَجُلٌ على حَرَامٍ ثُمّ يَدَعُهُ، لَيْسَ بِهِ إلاّ مَخافَةُ اللّهِ، إلاّ أبْدَلَهُ اللّهُ فِي عاجِلِ الدّنْيا قَبْلَ الآخِرَةِ ما هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذلكَ».

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وأحْسَنُ تَأوِيلاً قال: عاقبة وثوابا.

الآية : 36

القول في تأويل قوله تعالى {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنّ السّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً }.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فقال بعضهم: معناه: ولا تقل ما ليس لك به علم. ذكر من قال ذلك:

16845ـ حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ يقول: لا تقل.

16846ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنّ السّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَادَ كُلّ أُولَئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْئُولاً لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، فإن الله تبارك وتعالى سائلك عن ذلك كله.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ قال: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم.

16847ـ حُدثت عن محمد بن ربيعة، عن إسماعيل الأزرق، عن أبي عمر البزار، عن ابن الحنفية قال: شهادة الزور.
وقال آخرون: بل معناه: ولا ترم. ذكر من قال ذلك:
16848ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ يقول: لا ترم أحدا بما ليس لك به علم.
16849ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَلا تَقْفُ ولا ترمِ.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.
وهذان التأويلان متقاربا المعنى، لأن القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور، ورمى الناس بالباطل، وادّعاء سماع ما لم يسمعه، ورؤية ما لم يره. وأصل القفو: العضه والبهت. ومنه قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «نَحْنُ بَنُو النّضْرِ بْنِ كِنانَة لا نَقْفُو أمّنا وَلا نَنْتَفِي مِنُ أبِينا»، وكان بعض البصريين ينشد فَي ذلك بيتا:
وَمِثْلُ الدّمَى شُمّ العَرَانِينِ ساكِنُبِهِنّ الحَياءُ لا يُشِعْنَ التّقافِيا
يعني بالتقافي: التقاذف. ويزعم أن معنى قوله لا تَقْفُ لا تتبع ما لا تعلم، ولا يعنيك. وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة، يزعم أن أصله القيافة، وهي اتباع الأثر وإذ كان كما ذكروا وجب أن تكون القراءة: «وَلا تَقُفْ» بضم القاف وسكون الفاء، مثل: ولا تقل. قال: والعرب تقول: قفوت أثره، وقُفت أثره، فتقدّم أحيانا الواو على الفاء وتؤخرها أحيانا بعدها، كما قيل: قاع الجمل الناقة: إذا ركبها وقَعَا وعاثَ وعَثَى وأنشد سماعا من العرب.
ولَوْ أنّي رَمَيْتُكَ مِنْ قَرِيبِلَعاقَكَ مِنْ دُعاءِ الذّئْبِ عاقِ
يعني عائق، ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لا تقل للناس وفيهم ما لا علم لك به، فترميهم بالباطل، وتشهد عليهم بغير الحقّ، فذلك هو القفو.
وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب، لأن ذلك هو الغالب من استعمال العرب القفو فيه.
وأما قوله إنّ السّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَادَ كُلّ أُولَئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْئُولاً فإن معناه: إن الله سائل هذه الأعضاء عما قال صاحبها، من أنه سمع أو أبصر أو علم، تشهد عليه جوارحه عند ذلك بالحقّ، وقال «أولئك»، ولم يقل «تلك»، كما قال الشاعر:
ذُمّ المَنازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللّوَبوالعَيْشَ بَعْدِ أُولَئِكَ الأيّام
وإنما قيل: أولئك، لأن أولئك وهؤلاء للجمع القليل الذي يقع للتذكير والتأنيث، وهذه وتلك للجمع الكثير فـ التذكير للقليل من بـ اب أنْ كان التذكير في الأسماء قبل التأنيث. لك التذكير للجمع الأوّل، والتأنيث للجمع الثاني، وهو الجمع الكثير، لأن العرب تجعل الجمع على مثال الأسماء.

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلاَ تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحاً إنّكَ لَن تَخْرِقَ الأرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً * كُلّ ذَلِكَ كَانَ سَيّئُهُ عِنْدَ رَبّكَ مَكْرُوهاً }.

يقول تعالى ذكره: ولا تمش في الأرض مختالاً مستكبرا إنّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأرْضَ يقول: إنك لن تقطع الأرض باختيالك، كما قال رُؤْبة:

وقاتِمِ الأعماقِ خاوِي المُخْتَرَقِ

يعني بالمخترق: المقطع وَلَنْ تَبلُغَ الجِبالَ طُولاً بفخرك وكبرك، وإنما هذا نهي من الله عباده عن الكبر والفخر والخُيَلاء، وتقدم منه إليهم فيه معرّفهم بذلك أنهم لا ينالون بكبرهم وفخارهم شيئا يقصر عنه غيرهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16850ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحا إنّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبالِ طُولاً يعني بكبرك ومرحك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحا قال: لا تمش في الأرض فخرا وكبرا، فإن ذلك لا يبلغ بك الجبال، ولا تخرق الأرض بكبرك وفخرك.

16851ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ قال: لا تفخر.

وقيل: لا تمش مَرَحا، ولم يقل مرِحا، لأنه لم يرد بالكلام: لا تكن مرِحا، فيجعله من نعت الماشي، وإنما أريد لا تمرح في الأرض مرَحا، ففسر المعنى المراد من قوله: ولا تمش، كما قال الراجز:

يُعْجِبُهُ السّخُونُ والعَصِيدُوالتّمْرُ حَبّا ما لَهُ مَزيدُ

فقال: حبا، لأن في قوله: يعجبه، معنى يحبّ، فأخرج قوله: حبا، من معناه دون لفظه.

وقوله: كُلّ ذلكَ كانَ سَيّئُهُ عنْدَ رَبّكَ مَكْرُوها فإن القرّاء اختلفت فيه، فقرأه بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة كُلّ ذلكَ كانَ سَيّئُهُ عنْدَ رَبّكَ مَكْرُوها على الإضافة بمعنى: كلّ هذا الذي ذكرنا من هذه الأمور التي عددنا من مبتدإ قولنا وَقَضَى رَبّكَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إياهُ... إلى قولنا وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحا كانَ سَيّئُهُ يقول: سيىء ما عددنا عليك عند ربك مكروها. وقال قارئو هذه القراءة: إنما قيل كُلّ ذلكَ كانَ سَيّئُهُ بالإضافة، لأن فيما عددنا من قوله وَقَضَى رَبّكَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ أمورا، هي أمر بالجميل، كقوله وَبالوَالدَيْنِ إحْسانا، وقوله وآتِ ذَا القُرْبَى حَقّهُ وما أشبه ذلك، قالوا: فليس كلّ ما فيه نهيا عن سيئة، بل فيه نهى عن سيئة، وأمر بحسنات، فلذلك قرأنا سَيّئُهُ. وقرأ عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة: «كُلّ ذلكَ كانَ سَيّئَةً» وقالوا: إنما عنى بذلك: كلّ ما عددنا من قولنا وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إمْلاقٍ ولم يدخل فيه ما قبل ذلك. قالوا: وكلّ ما عددنا من ذلك الموضع إلى هذا الموضع سيئة لا حسنة فيه، فالصواب قراءته بالتنوين. ومن قرأ هذه القراءة، فإنه ينبغي أن يكون من نيته أن يكون المكروه مقدما على السيئة، وأن يكون معنى الكلام عنده: كلّ ذلك كان مكروها سيئة لأنه إن جعل قوله: مكروها نعدّ السيئة من نعت السيئة، لزمه أن تكون القراءة: كلّ ذلك كان سيئة عند ربك مكروهة، وذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين.

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأ كُلّ ذلكَ كانَ سيّئُهُ على إضافة السيىء إلى الهاء، بمعنى: كلّ ذلك الذي عددنا من وَقَضَى رَبّكَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ... كانَ سَيّئُهُ لأن في ذلك أمورا منهيا عنها، وأمورا مأمورا بها، وابتداء الوصية والعهد من ذلك الموضع دون قوله وَلا تَقْتُلُوا أوْلادَكُمْ إنما هو عطف على ما تقدّم من قوله وَقَضَى رَبّكَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّاهُ فإذا كان ذلك كذلك، فقرأته بإضافة السيىء إلى الهاء أولى وأحقّ من قراءته سيئةً بالتنوين، بمعنى السيئة الواحدة.

فتأويل الكلام إذن: كلّ هذا الذي ذكرنا لك من الأمور التي عددناها عليك كان سيئه مكروها عند ربك يا محمد، يكرهه وينهى عنه ولا يرضاه، فاتق مواقعته والعمل به.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى {ذَلِكَ مِمّآ أَوْحَىَ إِلَيْكَ رَبّكَ مِ نَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَـهاً آخَرَ فَتُلْقَىَ فِي جَهَنّمَ مَلُوماً مّدْحُوراً }.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي بيّنا لك يا محمد من الأخلاق الجميلة التي أمرناك بجميلها، ونهيناك عن قبيحها مِمّا أوْحَى إلَيْكَ رَبّكَ مِنَ الحِكْمَةِ يقول: من الحكمة التي أوحيناها إليك في كتابنا هذا، كما:

16852ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ذلكَ مِمّا أوْحَى إلَيْكَ رَبّكَ مِنَ الحِكْمَةِ قال: القرآن.

وقد بيّنا معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إلها آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنّمَ مَلُوما مَدْحُورا يقول: ولا تجعل مع الله شريكا في عبادتك، فتُلقى في جهنم ملوما تلومك نفسك وعارفوك من الناس مَدْحُورا يقول: مُبْعَدا مقصيا في النار، ولكن أخلص العبادة لله الواحد القهّار، فتنجوَ من عذابه. وبنحو الذي قلنا في قوله مَلُوما مَدْحُورا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16853ـ حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: مَلُوما مَدْحُورا يقول: مطرودا.

16854ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة مَلُوما مَدْحُورا قال: ملوما في عبادة الله، مدحورا في النار.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبّكُم بِالْبَنِينَ وَاتّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثاً إِنّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً }.

يقول تعالى ذكره للذين قالوا من مشركي العرب: الملائكة بنات الله أفأصْفاكُمْ أيها الناس رَبّكُمْ بالبَنينَ يقول: أفخصكم ربكم بالذكور من الأولاد واتّخَذَ مِنَ المَلائِكَةِ إناثا وأنتم لا ترضونهن لأنفسكم، بل تئدونهن، وتقتلونهن، فجعلتم لله ما لا ترضونه لأنفسكم إنّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيما يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين قالوا من الفرية على الله ما ذكرنا: إنكم أيها الناس لتقولون بقيلكم: الملائكة بنات الله، قولاً عظيما، وتفترون على الله فرية منكم. وكان قتادة يقول في ذلك ما:

16855ـ حدثنا محمد، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة واتّخَذَ مِنَ المَلائِكَةِ إناثا قال: قالت اليهود: الملائكة بنات الله.

الآية : 41

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَرّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذّكّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاّ نُفُوراً }.

يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ صَرّفْنا لهؤلاء المشركين المفترين على الله فِي هَذَا القُرآنِ العِبَر والآيات والحجج، وضربنا لهم فيه الأمثال، وحذّرناهم فيه وأنذرناهم لِيَذّكّرُوا يقول: ليتذكروا تلك الحجج عليهم، فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون، ويعتبروا بالعبر، فيتعظوا بها، وينيبوا من جهالتهم، فما يعتبرون بها، ولا يتذكرون بما يرد عليهم من الآيات والنّذر، وما يزيدهم تذكيرنا إياهم إلاّ نُفُورا يقول: إلا ذهابا عن الحقّ، وبُعدا منه وهربا. والنفور في هذا الموضع مصدر من قولهم: نفر فلان من هذا الأمر ينفِر منه نَفْرا ونفورا.

الآية : 42

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ لّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاّبْتَغَوْاْ إِلَىَ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلها آخر: لو كان الأمر كما تقولون: من أن معه آلهة، وليس ذلك كما تقولون، إذن لابتغت تلك الآلهة القُربة من الله ذي العرش العظيم، والتمست الزّلْفة إليه، والمرتبة منه. كما:

16856ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كمَا يَقُولُونَ إذًا لابْتَغَوْا إلى ذِي العَرْشِ سَبِيلاً يقول: لو كان معه آلهة إذن لعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم، فابتغوا ما يقرّبهم إليه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة إذًا لابْتَغَوْا إلى ذِي العَرْشِ سَبِيلاً قال: لابتغَوا القُرب إليه، مع أنه ليس كما يقولون.

الآية : 43 و 44

القول في تأويل قوله تعالى: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىَ عَمّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً * تُسَبّحُ لَهُ السّمَاوَاتُ السّبْعُ وَالأرْضُ وَمَن فِيهِنّ وَإِن مّن شَيْءٍ إِلاّ يُسَبّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـَكِن لاّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً }.

وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون، الجاعلون معه آلهة غيره، المضيفون إليه البنات، فقال: تنزيها لله وعلوّا له عما تقولون أيها القوم، من الفرية والكذب، فإن ما تضيفون إليه من هذه الأمور ليس من صفته، ولا ينبغي أن يكون له صفة. كما:

16857ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمّا يَقُولُونَ عُلُوّا كَبِيرا يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان. وقال تعالى: عَمّا يَقُولُونَ عُلُوّا ولم يقل: تعاليا، كما قال: وَتَبَتّلْ إلَيْهِ تَبْتِيلاً كما قال الشاعر:

أنْتَ الفِدَاءُ لكَعْبَةٍ هَدّمْتَهاونَقَرْتَها بيَدَيْكَ كُلّ مَنَقّرِ

مُنِعَ الـحَمامُ مَقِـيـلَهُ مِنْ سَقْـفِهاومِنَ الـحَطِيـمِ فَطارَ كُلّ مُطَيّرِ
وقوله: تُسَبّحُ لَهُ السّمَواتُ السّبْعُ والأرْضُ وَمَنْ فِـيهِنّ يقول: تنزّه الله أيها الـمشركون عما وصفتـموه به إعظاما له وإجلالاً، السموات السـبع والأرض، ومن فـيهنّ من الـمؤمنـين به من الـملائكة والإنس والـجنّ، وأنتـم مع إنعامه علـيكم، وجميـل أياديه عندكم، تفترون علـيه بـما تَفْتَرون.
وقوله: وَإنْ مِنْ شَيْءٍ إلاّ يُسَبّحُ بِحَمْدِهِ يقول جلّ ثناؤه: وما من شيء من خـلقه إلا يسبح بحمده، كما:
16858ـ حدثنـي به نصر بن عبد الرحمن الأَوْدِيّ، قال: حـدثنا مـحمد بـن يعلَـى، عن موسى بن عبـيدة، عن زيد بن أسلـم، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ نُوحٌ ابْنَـهُ؟ إنّ نُوحا قالَ لِابْنِهِ يا بُنَـيّ آمُرُكَ أنْ تَقُـولَ سُـبْحانَ اللّـهِ وبِحَمْـدِهِ فإنّهـا صَـلاةُ الـخَـلْقِ، وَتَسْبِـيحُ الـخَـلْقِ، وبِها تُرْزَقُ الـخَـلْقُ، قـالَ اللّـهُ وَإنْ مِـنْ شَـيْءٍ إلاّ يُسَبّحُ بِحَمْدِهِ».
16859ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا عيسـى بن عبـيد، قال: سمعت عكرمة يقول: لا يَعِيبنّ أحدكم دابته ولا ثوبه، فإن كلّ شيء يسبح بحمده.
16860ـ حـدثنا ابـن حميـد، قـال: حـدثنا يحيـى بـن واضـح، قـال: حـدثنا الــحسين، عـن يزيـد، عـن عكرمـة وَإنْ مِـنْ شَـيْءٍ إلاّ يُسَـبّحُ بِحَمْـدِهِ قـال: الشجرة تسبح، والأُسْطوانة تسبح.
16861ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح وزيد بن حبـاب، قالا: حدثنا جرير أبو الـخطاب، قال: كنا مـع يزيـد الرقاشـي ومعـه الــحسن فــي طعـام، فقـدّموا الــخوان، فقـال يزيـد الرقاشـي: يـا أبــا سـعيد يسـبح هـذا الـخوان: فقال: كان يسبح مرّة.
16862ـ حدثنـي يعقوب، قال: حـدثنا هشيــم، قـال: أخبرنـا جويـبر، عـن الضحاك، ويونس، عن الـحسن أنهما قالا فـي قوله: وَإنْ مِنْ شَيْءٍ إلاّ يُسَبّح بِحَمْدِهِ قالا: كلّ شيء فـيه الروح.
16863ـ حدثنا مـحمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الكبـير بن عبد الـمــجيد، قال: حدثنا سفـيان، عن منصور، عن إبراهيـم، قال: الطعام يسبح.
16864ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى، قال: حدثنا مـحمد بن ثور، عن معمر عن قتادة وَإنْ مِنْ شَيْءٍ إلاّ يُسَبّحُ بِحَمْدِهِ قال: كلّ شيء فـيه الروح يسـبح، مـن شجر أو شيء فـيه الروح.
16865ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عـن قتـادة، عـن عبد الله بن أبـيَ، عن عبد الله بن عمرو، أن الرجـلِ إذا قـال: لا إلـه إلا اللـه، فهي كلـمة الإخلاص التـي لا يقبل الله من أحد عملاً حتـى يقولها، فـإذا قـال الـحمد لله، فهي كلـمة الشكر التـي لـم يشكر الله عبـد قـطّ حتــى يقولهـا: فإذا قال الله أكبر، فهي تـملأ ما بـين السماء والأرض، فإذا قال سبحان الله، فهي صلاة الـخلائق التــي لــم يَـدْعُ اللّـهَ أحـد مـن خــلقه إلا نـوّره بــالصلاة والتسبـيح، فإذا قال لا حول ولا قوّة إلا بـالله، قال: أسلـم عبدي واستسلـم.
وقوله: ولَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِـيحَهُمْ يقول تعالــى ذكـره: ولكـن لا تفقهـون تسبـيح ما عدا تسبـيح من كان يسبح بـمثل ألسنتكم إنّهُ كانَ حَلِـيــما يقــول: إن الله كان حلـيـما لا يعجل علـى خـلقه، الذين يخالفون أمره، ويكفرون به، ولـولا ذلـك لعاجـل هـؤلاء الــمشركين الـذين يـدعون معـه الآلهـة والأنـداد

بـالعقوبة غَفُورا يقول: ساترا علـيهم ذنوبهم، إذا هم تـابوا منهـا بــالعفو منـه لهم، كما:
16866ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة إنّهُ كانَ حَلِـيـما عن خـلقه، فلا يعجل كعجلة بعضهم علـى بعض غَفُورا لهم إذا تابوا.

الآية : 45

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الّـذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالاَخِرَةِ حِجَاباً مّسْتُوراً }.
يقول تعالـى ذكره: وإذا قرأت يا مـحمد القرآن علـى هؤلاء الــمشركين الذين لا يصدّقون بـالبعث، ولا يقرّون بـالثواب والعقاب، جعلنا بـينك وبــينهم حجابـا، يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرؤه علـيهم، فـينتفعوا بـه، عقوبـة منا لهم علـى كفرهم. والـحجاب ههنا: هو الساتر، كما:
16867ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَإِذَا قَرأتَ القُرآنَ جَعَلْنا بَـيْنَكَ وبـينَ الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بـالآخرة حِجابـا مَسْتُورا الـحجاب الـمستور أكنة علــى قلـوبهم أن يفقهـوه وأن ينتفعـوا بـه، أطـاعوا الشيطان فـاستـحوذ علـيهم.
حدثنا مـحمد، قال: حدثنا مـحمد بن ثور، عـن معمـر، عـن قتـادة حِجابــا مَسْتُورا قال: هي الأكنة.
16868ـ حدثنـي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابـن زيـد، فــي قوله: وَإِذَا قَرأتَ القُرآنَ جَعَلْنا بَـيْنَكَ وبـينَ الّذِينَ لا يُؤْمِنُـونَ بــالآخِرَةِ حِجابــا مَسْتُورا قال: قال أبـيّ: لا يفقهونه، وقرأ قُلُوبُهُمْ فِـي أكِنّةٍ وفِـي آذَانِهِمْ وَقْـرٌ لا يخـلص ذلك إلـيهم.
وكان بعض نـحويـيّ أهل البصرة يقول: معنى قوله حِجابـا مَسْتُورا حِجابـا ساترا، ولكنه أخرج وهو فـاعل فـي لفظ الـمفعول، كما يقـال: إنـك مشـئوم علـينا وميـمون، وإنـما هـو شـائم ويـامن، لأنـه مـن شـأمهم ويــمنهم. قـال: والـحجاب ههنا: هو الساتر. وقال: مستورا. وكـان غيـره مـن أهـل العربــية يقول: معنى ذلك: حجابـا مستورا عن العبـاد فلا يرونه.
وهذا القول الثانـي أظهر بـمعنى الكلام أن يكون الـمستور هـو الــحجاب، فـيكون معناه: أن لله سترا عن أبصار الناس فلا تـدركه أبصـارهم، وإن كـان للقول الأوّل وجه مفهوم.

الآية : 46

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَجَعَلْنَا عَلَىَ قُلُوبِهِمْ أَكِنّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيَ آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلّوْاْ عَلَىَ أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً }.
يقول تعالـى ذكره: وجعلنا علـى قلوب هؤلاء الذين لا يؤمنون بـالآخرة عند قراءتك علـيهم القرآن أكنة وهي جمع كِنان، وذلـك مـا يتغشّـاها مـن خِـذلان الله إياهم عن فهم ما يُتلـى علـيهم وفِــي آذانِهـمْ وَقْـرا يقـول: وجعلنـا فــي آذانهم وقرا عن سماعه، وصمـما. والوَقر بـالفتـح فـي الأذن: الثقل. والوِقر بـالكسر: الـحِمْل. وقوله: وَإِذَا ذَكَـرْتَ رَبّـكَ فـي الْقُـرْآنِ وَحْـدَهُ يقـول: وإذا قلت: لا إله إلا الله فـي القرآن وأنت تتلوه وَلّوْا علـى أدْبـارِهِمْ نُفُـورا يقـول: انفضوا، فذهبوا عنك نفورا من قولك استكبـارا له واسـتعظَاما مـن أن يوحّـد الله تعالـى. وبـما قلنا فـي ذلك، قال بعض أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

16869ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبّكَ فِي القُرآنِ وَحْدَهُ وَلّوْا وإن المسلمين لما قالوا: لا إله إلا الله، أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم، فصافها إبليس وجنوده، فأبى الله إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها، إنها كلمة من خاصم بها فلج، ومن قاتل بها نُصِر، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين، التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ويسير الدهر في فِئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرّون بها.

16870ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبّكَ فِي القُرآنِ وَحْدَهُ وَلّوْا على أدْبارِهِمْ نُفُورا قال: بغضا لما تكلم به لئلا يسمعوه، كما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا ما يأمرهم به من الاستغفار والتوبة، ويستغشُون ثيابهم، قال: يلتفون بثيابهم، ويجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا ولا يُنظر إليهم.

وقال آخرون: إنما عُنِي بقوله وَلّوْا على أدْبارِهِمْ نُفُورا الشياطين، وإنها تهرب من قراءة القرآن، وذكر الله. ذكر من قال ذلك:

16871ـ حدثني الحسين بن محمد الذارع، قال: حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي، قال: حدثنا عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، في قوله: وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبّكَ فِي القُرآنِ وَحْدَهُ وَلّوْا عَلى أدْبارِهِمْ نُفُورا هم الشياطين.

والقول الذي قلنا في ذلك أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى أتبع ذلك قوله وَإِذَا قَرأتَ القُرآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وبينَ الّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرةِ حِجابا مَسْتُورا فأن يكون ذلك خبرا عنهم أولى إذ كان بخبرهم متصلاً من أن يكون خبرا عمن لم يجز له ذكر. وأما النفور، فإنها جمع نافر، كما القعود جمع قاعد، والجلوس جمع جالس وجائز أن يكون مصدرا أخرج من غير لفظه، إذ كان قوله وَلّوْا بمعنى: نفروا، فيكون معنى الكلام: نفروا نفورا، كما قال امرؤ القيس:

رُضْتُ فَذَلّتْ صَعْبَةٌ أيّ إذْلالِ

إذا كان رُضْت بمعنى: أذللت، فأخرج الإذلال من معناه، لا من لفظه.

الآية : 47

القول في تأويل قوله تعالى: {نّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىَ إِذْ يَقُولُ الظّالِمُونَ إِن تَتّبِعُونَ إِلاّ رَجُلاً مّسْحُوراً }.

يقول تعالى ذكره: نحن أعلم يا محمد بما يستمع به هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قومك، إذ يستمعون إليك وأنت تقرأ كتاب الله وَإِذْ هُمْ نَجْوَى. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: النجوى: فعلهم، فجعلهم هم النجوى، كما يقول: هم قوم رضا، وإنما رضا: فعلهم. وقوله إِذْ يَقُولُ الظّالِمُونَ إنْ تَتّبِعُونَ إلاّ رَجُلاً مَسْحُورا يقول: حين يقول المشركون بالله ما تتبعون إلا رجلاً مسحورا. وعنى فيما ذُكِر بالنجوى: الذين تشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار النّدوة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16872ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن

ابن أبـي نـجيح، عن مـجاهد إذْ يَسْتَـمِعُونَ إلَـيْكَ قال: هي مثل قـيــل الولـيد بن الـمُغيرة ومن معه فـي دار الندوة.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن ابن جريج، عن مـجاهد، نـحوه.
16873ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة. قوله: إذْ يَسْتَـمِعُونَ إلَـيْكَ وَإذْ هُمْ نَـجْوَى إذْ يَقُولُ الظّالِـمُونَ... الآية، ونــجواهم أن زعموا أنه مـجنون. وأنه ساحر، وقالوا: أساطِيرُ الأوّلِـينَ.
وكان بعض أهل العربـية من أهل البصرة يذهب بقوله إنْ تَتّبِعُـونَ إلاّ رَجُلاً مَسْحُورا إلـى معنى: ما تتبعون إلا رجلاً له سَحْر: أي له رئة، والعرب تسمي الرئة سَحْرا، والـمسحّر من قولهم للرجل إذا جبن: قد انتفخ سَحْره، وكـذلك يقال لكل ما أكَلَ أو شرب مـن آدمـيّ وغيـره: مَسـحور ومُسَـحّر، كمـا قـال لبـيد:
فإنْ تَسأَلَـينا فِـيـم نَـحْنُ فإنّناعَصَافِـيرُ مِنْ هَذَا الأنامِ الـمُسَحّر
وقال آخرون:
(ونُسْحَرُ بـالطعام وبـالشراب)
أي نغذّي بهما. فكأن معناه عنده كـان: إن تتبعـون إلا رجلاً لـه رئـة، يأكـل الطعام، ويشرب الشراب، لا مَلَكا لا حاجة به إلـى الطعام والشراب، والـذي قال من ذلك غير بعيد من الصواب.

الآية : 48

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأمْثَالَ فَضَـلّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً }.
يقول تعالـى ذكره: انظر يا مـحمد بعين قلبـك فــاعتبر كيـف مثّلـوا لـك الأمثال، وشبهوا لك الأشبـاه، بقولهم: هو مسحور، وهو شاعر، وهو مــجنون فَضَلّوا يقول: فجاروا عن قصد السبيــل بقيــلهم مـا قـالوا فَلا يَسْـتَطِيعُونَ سَبِـيلاً يقول: فلا يهتدون لطريق الـحقّ لضلالهم عنه وبُعدهم منـه، وأن اللـه قد خذلهم عن إصابته، فهـم لا يقـدرون علــى الــمَخْرَج مــما هـم فــيه مـن كفرهم بتوفقّهم إلـى الإيـمان به، كما:
16874ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو، قـال: حـدثنا أبـو عاصـم، قـال: حـدثنا عيسى، عن ابن أبـي نــجيح، عـن مــجاهد وحدثنــي الــحارث، قـال: حـدثنا الـحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبـي نـجيح، عن مـجاهد فَلا يَسْـتَطِيعُونَ سَبِـيلاً قال: مخرجا، الوليد بن الـمغيرة وأصحابه أيضا.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن ابن جريج، عن مـجاهد انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمْثالَ فَضَـلّوا فَلا يَسْـتَطِيعُونَ سَبِـيلاً مخرجـا الوليد بن الـمغيرة وأصحابه.

الآية : 49

القــول فــي تأويــل قــوله تعالــى: {وَقَـالُوَاْ أَإِذَا كُنّـا عِظَامـاً وَرُفَاتـاً أَإِنّـا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً }.
يقول تعالـى ذكره مخبرا عن قـيـل هؤلاء الذين لا يؤمنون بــالآخرة مـن مشركي قريش، وقالوا بعنتهم: أئِذَا كُنّا عِظاما لـم نتـحطم ولـم نتكسّر بعــد مـماتنا وبلانا وَرُفـاتا يعنـي ترابـا فـي قبورنا، كما:

16875ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، يقول الله: رُفاتا قال: ترابا.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.
16876ـ حدثني المثنى، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: وَقالُوا أئذَا كُنّا عِظاما وَرُفاتا يقول: غُبارا، ولا واحد للرّفات، وهو بمنزلة الدّقاق والحُطام، يقال منه: رُفِتَ يُرْفَت رَفْتا فهو مرفوت: إذا صُيّر كالحُطام والرّضاض.
وقوله: أئِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقا جَدِيدا قالوا، إنكارا منهم للبعث بعد الموت: إنا لمبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظاما غير منحطمة، ورفاتا منحطمة، وقد بَلِينا فصرنا فيها ترابا، خلقا مُنْشَأ كما كنا قبل الممات جديدا، نعاد كما بدئنا؟ فأجابهم جلّ جلاله يعرّفهم قُدرته على بعثه إياهم بعد مماتهم، وإنشائه لهم كما كانوا قبل بِلاهُم خلقا جديدا، على أيّ حال كانوا من الأحوال، عظاما أو رُفاتا، أو حجارة أو حديدا، أو غير ذلك مما يعظُم عندهم أن يحدث مثله خَلْقًا أمثالَهم أحياء، قل يا محمد: كونوا حجارة أو حديدا، أو خلقا مما يكبر في صدوركم.

الآية : 50 و 51

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً * أَوْ خَلْقاً مّمّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الّذِي فَطَرَكُمْ أَوّلَ مَرّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىَ هُوَ قُلْ عَسَىَ أَن يَكُونَ قَرِيباً }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للمكذّبين بالبعث بعد الممات من قومك القائلين أَئِذَا كُنّا عِظاما وَرُفاتا أَئِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقا جَدِيدا: كونوا إن عجبتم من إنشاء الله إياكم، وإعادته أجسامكم، خلقا جديدا بعد بِلاكم في التراب، ومصيركم رُفاتا، وأنكرتم ذلك من قُدرته حجارة أو حديدا، أو خلقا مما يكبر في صدوركم إن قدرتم على ذلك، فإني أحييكم وأبعثكم خلقا جديدا بعد مصيركم كذلك كما بدأتكم أوّل مرّة.
واختلف أهل التأويل في المعنىّ بقوله أوْ خَلْقا مِمّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فقال بعضهم: عُنِي به الموت، وأريد به: أو كونوا الموت، فإنكم إن كنتموه أمتّكم ثم بعثتكم بعد ذلك يوم البعث. ذكر من قال ذلك:
16877ـ حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: حدثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية، عن ابن عمر أوْ خَلْقا مِمّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ قال: الموت، قال: لو كنتم موتى لأحييتكم.
16878ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله أوْ خَلْقا مِمّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ يعني الموت. يقول: إن كنتم الموت أحييتكم.
16879ـ حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: حدثنا أبو مالك الجنبي، قال: حدثنا ابن أبي خالد، عن أبي صالح في قوله أوْ خَلْقا مِمّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ قال: الموت.

16880ـ حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا سليمان أبو داود، قال: حدثنا شعبة، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: أَوْ خَلْقا مِمّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ قال: الموت.

16881ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال سعيد بن جبير، في قوله: أَوْ خَلْقا مِمّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ كونوا الموت إن استطعتم، فإن الموت سيموت قال: وليس شيء أكبر في نفس ابن آدم من الموت.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: بلغني، عن سعيد بن جبير، قال: هو الموت.

16882ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، أنه كان يقول: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح حتى يُجعل بين الجنة والنار، فينادى مناد يُسمِع أهلَ الجنة وأهل النار، فيقول: هذا الموت قد جئنا به ونحن مهلكوه، فأيقنوا يا أهل الجنة وأهل النار أن الموت قد هلك».

16883ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أَوْ خَلْقا مِمّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ يعني الموت، يقول: لو كنتم الموت لأمتكم.

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إن الله يجيء بالموت يوم القيامة، وقد صار أهل الجنة وأهل النار إلى منازلهم، كأنه كبش أملح، فيقف بين الجنة والنار، فينادي أهل الجنة وأهل النار هذا الموت، ونحن ذابحوه، فأيقنوا بالخلود.

وقال آخرون: عنى بذلك السماء والأرض والجبال. ذكر من قال ذلك:

16884ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة أَوْ خَلْقا مِمّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ قال: السماء والأرض والجبال.

وقال آخرون: بل أريد بذلك: كونوا ما شئتم. ذكر من قال ذلك:

16885ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد كُونُوا حِجارَةً أَوْ حَدِيدا أَوْ خَلْقا مِمّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ قال: ما شئتم فكونوا، فسيعيدكم الله كما كنتم.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

16886ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدا أَوْ خَلْقا مِمّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ قال: من خلق الله، فإن الله يميتكم ثم يبعثكم يوم القيامة خلقا جديدا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره قال: أَوْ خَلْقا مِمّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ، وجائز أن يكون عنى به الموت، لأنه عظيم في صدور بني آدم وجائز أن يكون أراد به السماء والأرض وجائز أن يكون أراد به غير ذلك، ولا بيان في ذلك أبين مما بين جلّ ثناؤه، وهو كلّ ما كبر في صدور بني آدم من خلقه، لأنه لم يخصص منه شيئا دون شيء.

وأما قوله: فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنا فإنه يقول: فسيقول لك يا محمد هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة مَنْ يُعِيدُنا خلقا جديدا، إن كنا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدورنا، فقل لهم: يعيدكم الّذِي فَطَرَكُمْ أوّلَ مَرّةٍ

يقول: يعيدكم كما كنتم قبل أن تصيروا حجارة أو حديدا إنسا أحياء، الذي خلقكم إنسا من غير شيء أوّل مرّة، كما:

16887ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قُلِ الّذِي فَطَرَكُمْ أوّلَ مَرّةٍ أي خلقكم فَسَيُنْغَضُونَ إلَيْكَ رُءُوسَهُمْ يقول: فإنك إذا قلت لهم ذلك، فسيهزّون إليك رءوسهم برفع وخفض وكذلك النّغْض في كلام العرب، إنما هو حركة بارتفاع ثم انخفاض، أو انخفاض ثم ارتفاع، ولذلك سمي الظليم نَغْضا، لأنه إذا عجل المشي ارتفع وانخفض، وحرّك رأسه، كما قال الشاعر:

أسكّ نَغْضا لا يَنِي مُسْتَهْدِجا

ويقال: نَغَضَت سنه: إذا تحرّكت وارتفعت من أصلها ومنه قول الراجز:

نَغَضَتْ مِنْ هَرِمٍ أسْنانُها

وقول الآخر:

لـمّا رأتْنِي أنْغَضَتْ لـيَ الرأسا

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16888ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: فَسَيُنْغِضُونَ إلَيْكَ رُءُوسَهُمْ أي يحرّكون رءوسهم تكذيبا واستهزاء.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة فَسَيُنْغِضُونَ إلَيْكَ رُءُوسَهُمْ قال: يحرّكون رءوسهم.

16889ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله فَسَيُنْغِضُونَ إلَيْكَ رُءُوسَهُمْ يقول: سيحركونها إليك استهزاء.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عطاء الخراسانيّ، عن ابن عباس فسَيُنْغِضُونَ إلَيْكَ رُءُوسَهُمْ قال: يحرّكون رءوسهم يستهزءون ويقولون متى هو.

حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: فسَيُنْغِضُونَ إلَيْكَ رُءُوسَهُمْ يقول: يهزؤون.

وقوله: وَيَقُولُونَ مَتى هُوَ يقول جلّ ثناؤه: ويقولون متى البعث، وفي أيّ حال ووقت يعيدنا خلقا جديدا، كما كنا أوّل مرّة؟ قال الله عزّ وجلّ لنبيه: قل لهم يا محمد إذ قالوا لك: متى هو، متى هذا البعث الذي تعدنا؟: عسى أن يكون قريبا وإنما معناه: هو قريب، لأن عسى من الله واجب، ولذلك قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «بُعِثْتُ أنا والسّاعَةُ كَهاتَيْن، وأشار بالسّبابة والوُسطَى»، لأن الله تعالى كان قد أعلمه أنه قريب مجيب.

الآية : 52 و 53

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنّونَ إِن لّبِثْتُمْ إِلاّ قَلِيلاً * وَقُل لّعِبَادِي يَقُولُواْ الّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنّ الشّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنّ الشّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مّبِيناً }.

يقول تعالى ذكره: قل عسى أن يكون بعثكم أيها المشركون قريبا، ذلك يوم يدعوكم ربكم بالخروج من قبوركم إلى موقف القيامة، فتستجيبون بحمده.

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: فتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ فقال بعضهم: فتستجيبون بأمره. ذكر من قال ذلك:

16890ـ حدثني عليّ، قال: ثني عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ يقول: بأمره.
16891ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ قال: بأمره.
وقال آخرون: معنى ذلك: فتستجيبون بمعرفته وطاعته. ذكر من قال ذلك:
16892ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ: أي بمعرفته وطاعته.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: معناه: فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته، ودعائه إياكم. ولله الحمد في كلّ حال، كما يقول القائل: فعلت ذلك الفعل بحمد الله، يعني: لله الحمد عن كلّ ما فعلته، وكما قال الشاعر:
فإنّي بِحَمْد الله لا ثَوْبَ فاجِرٍلَبِسْتُ وَلا مِنْ غَدْرَةٍ أتَقَنّعُ
بمعنى: فإني والحمد لله لا ثوب فاجر لبست.
وقوله: وَتَظُنّونَ إنْ لَبِثْتُمْ إلاّ قَلِيلاً يقول: وتحسِبون عند موافاتكم القيامة من هول ما تعاينون فيها ما لبثتم في الأرض إلا قليلاً، كما قال جلّ ثناؤه قالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأرْض عَدَدَ سِنِينَ قالُوا لَبِثْنا يَوْما أوْ بَعْضَ يَوْمٍ فاسألِ العادّينَ. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
16893ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَتَظُنّونَ إنْ لَبِثْتُمْ إلاّ قَلِيلاً: أي في الدنيا، تحاقرت الدنيا في أنفسهم وقلّت، حين عاينوا يوم القيامة.
وقوله: وَقُلْ لِعِبادِي يَقُولُوا التي هِيَ أحْسَنُ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد لعبادي يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة. كما:
16894ـ حدثنا خلاد بن أسلم، قال: حدثنا النضر، قال: أخبرنا المبارك، عن الحسن في هذه الآية وَقُلْ لِعِبادِي يَقُولُوا التي هِيَ أحْسَنُ قال: التي هي أحسن، لا يقول له مثل قوله يقول له: يرحمك الله يغفر الله لك.
وقوله: إنّ الشّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ يقول: إن الشيطان يسوء محاورة بعضهم بعضا ينزغ بينهم، يقول: يفسد بينهم، يهيج بينهم الشرّ إنّ الشّيْطانَ كانَ للإنْسانِ عَدُوّا مُبِينا يقول: إن الشيطان كان لآدم وذرّيته عدوّا، قد أبان لهم عداوته بما أظهر لآدم من الحسد، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة.

الآية : 54

القول في تأويل قوله تعالى: {رّبّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً }.
يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش الذين قالوا أئِذَا كُنّا عِظاما وَرُفاتا أئِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقا جَدِيدا: رَبّكُمْ أيها القوم أعْلَمُ بِكُمْ إنْ يَشأ يَرْحَمُكُمْ فيتوب عليكم برحمته، حتى تنيبوا عما أنتم عليه من الكفر به وباليوم الآخر وَإنْ يَشَأ يُعَذّبْكُمْ بأن يخذلكم عن الإيمان، فتموتوا على شرككم، فيعذّبكم يوم القيامة بكفركم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16895ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن عبد الملك بن جريج قوله: رَبّكُمْ أعْلَمُ بِكُمْ إنْ يَشَأ يَرْحَمْكُمْ قال: فتؤمنوا أوْ إنْ يَشأ يُعَذّبْكُمْ فتموتوا على الشرك كما أنتم.

وقوله: وَما أرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أرسلناك يا محمد على من أرسلناك إليه لتدعوه إلى طاعتنا ربا ولا رقيبا، إنما أرسلناك إليهم لتبلغهم رسالاتنا، وبأيدينا صرفهم وتدبيرهم، فإن شئنا رحمناهم، وإن شئنا عذّبناهم.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى: {وَرَبّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَلَقَدْ فَضّلْنَا بَعْضَ النّبِيّينَ عَلَىَ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: وربك يا محمد أعلم بمن في السموات والأرض وما يصلحهم فإنه هو خالقهم ورازقهم ومدبرهم، وهو أعلم بمن هو أهل للتوبة والرحمة، ومن هو أهل للعذاب، أهدى للحقّ من سبق له مني الرحمة والسعادة، وأضلّ من سبق له مني الشقاء والخذلان، يقول: فلا يكبرنّ ذلك عليك، فإن ذلك من فعلي بهم لتفضيلي بعض النبيين على بعض، بإرسال بعضهم إلى بعض الخلق، وبعضهم إلى الجميع، ورفعي بعضهم على بعض درجات. كما:

16896ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَرَبّكَ أعْلَمُ بِمَنْ في السّمَوَاتِ والأرْضِ وَلَقَدْ فَضّلْنا بَعْضَ النّبِيّينَ عَلى بَعْضٍ اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكلّم موسى تكليما، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون، وهو عبد الله ورسوله، من كلمة الله وروحه، وآتى سليمان مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبورا، كنا نحدّث دعاء عُلّمه داود، تحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، وغفر لمحمد ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر.

16897ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج وَلَقَدْ فَضّلْنا بَعْضَ النّبِيّينَ عَلى بَعْضٍ قال: كلم الله موسى، وأرسل محمدا إلى الناس كافّة.

الآية : 56

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلِ ادْعُواْ الّذِينَ زَعَمْتُم مّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضّرّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه: ادعو أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضرّ ينزل بكم، فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم، أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعوهم آلهة، فإنهم لا يقدرون على ذلك، ولا يملكونه، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم. وقيل: إن الذين أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم هذا القول، كانوا يعبدون الملائكة وعُزيرا والمسيح، وبعضهم كانوا يعبدون نفرا من الجنّ. ذكر من قال ذلك:

16898ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: قُلِ ادْعُوا الّذِين زَعَمْتُمْ مِنْ

دُونِهِ فَلاَ يَـمْلِكُونَ كَشْـفَ الضّـرّ عَنْكُـمْ وَلا تَـحْوِيلاً قـال: كـان أهـل الشـرك يقولـون: نعبـد الــملائكة وعُزَيــرا، وهـم الـذين يـدعون، يعنــي الــملائكة والـمسيح وعُزيرا.

الآية : 57

القول في تأويل قوله تعالى: {أُولَـئِكَ الّـذِينَ يَـدْعُونَ يَبْتَغُـونَ إِلَـىَ رَبّهِـمُ الْوَسِيلَةَ أَيّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُـونَ رَحْمَتَـهُ وَيَخَـافُونَ عَـذَابَهُ إِنّ عَـذَابَ رَبّـكَ كَـانَ مَحْذُوراً }.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يدعوهم هؤلاء الـمشركون أربـابـا يَبْتَغُونَ إلى رَبّهِـمُ الوَسِيــلَةَ يقـول: يبتغـي الــمدعوّون أربــابــا إلــى ربهـم القُربـة والزّلفة، لأنهم أهل إيـمان به، والــمشركون بــالله يعبـدونهم مـن دون اللـه أَيّهُمْ أقْـرَبُ أيهـم بصالــح عملـه واجتهـاده فــي عبــادته أقـرب عنـده زلفـة وَيَرْجُونَ بأفعالهم تلك رَحْمَتَهُ وَيخافُونَ بخلافهم أمره عَذَابَهُ إنّ عَذَابَ رَبّكَ يا مـحمد كانَ مَـحْذورا متقـي. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك، قـال أهـل التأويــل، غير أنهم اختلفوا فـي الـمدعويّن، فقال بعضهم: هم نفر من الـجنّ. ذكر من قال ذلك:

16899ـ حدثنـي أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عـن الأعمـش، عـن إبراهيـم، عن عبد الله، فـي قوله: أُولَئِـكَ الّـذِينَ يَـدْعُونَ يَبْتَغُـونَ إلــى رَبّهِـمُ الوَسِيـلَةَ قال: كان ناس من الإنس يعبدون قوما من الـجنّ، فأسلــم الــجن وبقـي الإنس علـى كفرهم، فأنزل الله تعالـى أُولَئِـكَ الّـذِينَ يَـدْعُونَ يَبْتَغُـونَ إلـى رَبّهِمُ الوَسِيـلَةَ يعنـي الـجنّ.

حدثنا ابن الـمثنى، قال: حدثنا أبو النعمان الـحكم بن عبد الله العجلــي، قال: حدثنا شعبة، عن سلـيـمان، عن إبراهيـم، عن أبــي معمـر، قـال: قـال عبد الله فـي هذه الآية أُولَئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبّهِمُ الوَسيــلَةَ أيّهُـمْ أقْرَبُ قال: قَبـيـل من الـجنّ كانوا يعبدون فأسلـموا.

حدثنـي عبد الوارث بن عبد الصمد، قال: ثنـي أبـي، قال: ثنـي الـحسين، عن قتادة، عن معبد بن عبد الله الزّمّانـي، عن عبد الله بن عتبة بن مسـعود، عن ابن مسعود، فـي قوله: أُولَئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبّهِمُ الوَسِيــلَةَ قال: نزلت فــي نفـر مـن العـرب كـانوا يعبـدون نفـرا مـن الــجنّ، فأسلــم الـجنـيون، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، فأنزلت الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلـى رَبّهُمُ الوَسيـلَةَ أيّهُمْ أقْرَبُ.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عمه عبد الله بن مسعود، قال: نزلت هـذه الآيـة فـي نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الـجنّ، فأسلــم الـجنــيون والنفـر من العرب لا يشعرون بذلك.

16900ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى، قال: حدثنا مـحمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلـى رَبّهِمُ الوَسِيـلَةَ قـوم عبـدوا الــجنّ، فأسلــم أولئك الـجنّ، فقال الله تعالـى ذكره: أُولَئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلـى رَبّهِـمُ الوَسِيـلَةَ.

حدثنا مـحمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفـيان، عن الأعمش، عن إبراهيـم، عن أبـي معمر، عن عبـد اللـه أُولَئِـكَ الّـذِينَ يَـدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلـى رَبّهِمُ الوَسِيـلَةَ قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفرا من الـجنّ،

فأسلم النفر من الجنّ، واستمسك الإنس بعبادتهم، فقال أُولَئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبّهِمُ الوَسِيلَةَ.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن الأعمش، عن إبراهيم عن أبي معمر، قال: قال عبد الله: كان ناس يعبدون نفرا من الجنّ، فأسلم أولئك الجنيون، وثبتت الإنس على عبادتهم، فقال الله تبارك وتعالى: أوَلِئكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبّهِمُ الوَسِيلَةَ.

16901ـ حدثنا الحسن، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: أُولَئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبّهِمُ الوَسِيلَةَ أيّهُمْ أقْرَبُ قال كان أناس من أهل الجاهلية يعبدون نفرا من الجنّ فلما بعث النبيّ صلى الله عليه وسلم أسلموا جميعا، فكانوا يبتغون أيهم أقرب.

وقال آخرون: بل هم الملائكة.

16902ـ حدثني الحسين بن عليّ الصدائي، قال: حدثنا يحيى بن السكن، قال: أخبرنا أبو العوّام، قال: أخبرنا قتادة، عن عبد الله بن معبد الزّمّاني، عن عبد الله بن مسعود، قال: كان قبائل من العرب يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجنّ، ويقولون: هم بنات الله، فأنزل الله عزّ وجلّ أُولَئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَ معشر العرب يَبْتَغُونَ إلى رَبّهِمُ الوَسِيلَةَ.

16903ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد أُولَئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبّهِمُ الوَسِيلَةَ قال: الذين يدعون الملائكة تبتغي إلى ربها الوسيلة أيّهُمْ أقْرَبُ وَيَرْجُون رَحْمَتَهُ حتى بلغ إنّ عَذَابَ رَبّكَ كانَ مَحْذُورا قال: وهؤلاء الذين عبدوا الملائكة من المشركين.

وقال آخرون: بل هم عزير وعيسى، وأمه. ذكر من قال ذلك:

16904ـ حدثني يحيى بن جعفر، قال: أخبرنا يحيى بن السكن، قال: أخبرنا شعبة، عن إسماعيل السديّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله: أُولَئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبّهِمُ الوَسِيلَةَ قال: عيسى وأمه وعُزير.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي، قال: حدثنا شعبة، عن إسماعيل السدي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: عيسى ابن مريم وأمه وعُزير في هذه الآية أولَئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبّهِمُ الوَسِيلَةَ.

16905ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد يَبْتَغُونَ إلى رَبّهِمُ الوَسِيلَةَ قال: عيسى ابن مريم وعُزير والملائكة.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

16906ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: كان ابن عباس يقول في قوله: أُولَئِكَ الّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبّهِمُ الوَسِيلَةَ قال: هو عُزير والمسيح والشمس والقمر.

وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية قول عبد الله بن مسعود الذي رويناه، عن أبي معمر عنه، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن الذين يدعوهم المشركون آلهة أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة في عهد النبيّ صلى الله

عليه وسلم ومعلوم أن عُزيرا لم يكن موجودا على عهد نبينا عليه الصلاة والسلام، فيبتغي إلى ربه الوسيلة وأن عيسى قد كان رُفع، وإنما يبتغي إلى ربه الوسيلة من كان موجودا حيا يعمل بطاعة الله، ويتقرّب إليه بالصالح من الأعمال. فأما من كان لا سبيل له إلى العمل، فبم يبتغي إلى ربه الوسيلة. فإذ كان لا معنى لهذا القول، فلا قول في ذلك إلا قول من قال ما اخترنا فيه من التأويل، أو قول من قال: هم الملائكة، وهما قولان يحتملهما ظاهر التنزيل. وأما الوسيلة، فقد بيّنا أنها القربة والزلفة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16907ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: الوسيلة: القربة.

16908ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: الوسيلة، قال: القربة والزلفى.

الآية : 58

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن مّن قَرْيَةٍ إِلاّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً }.

يقول تعالى ذكره: وما من قرية من القرى إلا نحن مهلكوا أهلها بالفناء، فمبيدوهم استئصالاً قبل يوم القيامة، أو معذّبوها، إما ببلاء من قتل بالسيف، أو غير ذلك من صنوف العذاب عذابا شديدا. كما:

16909ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ: وَإِنَ مِنْ قَرْيَةٍ إلاّ نَحْن مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْمِ القِيامَة فمبيدوها أوْ معذّبُوها بالقتل والبلاء، قال: كل قرية في الأرض سيصيبها بعض هذا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه، إلا أنه قال: سيصيبها هذا أو بعضه.

16910ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَإنْ مِنْ قَرْيَةٍ إلاّ نَحْن مُهْلِكُوها قَبْلَ يَوْم القِيامَةِ أوْ مُعَذّبوها قضاء من الله كما تسمعون ليس منه بدّ، إما أن يهلكها بموت وإما أن يهلكها بعذاب مستأصل إذا تركوا أمره، وكذّبوا رسله.

حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَإنْ مِنْ قَرْيَةٍ إلاّ نَحْنُ مُهْلِكُوها قال: مبيدوها.

16911ـ حدثنا القاسم، قال: ثني الحسين، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن سماك بن حرب، عن عبد الرحمن بن عبد الله، قال: إذا ظهر الزنا والربا في أهل قرية أذن الله في هلاكها.

وقوله: كانَ ذلكَ فِي الكِتابِ مَسْطُورا يعني في الكتاب الذي كتب فيه كلّ ما هو كائن، وذلك اللوح المحفوظ. كما:

16912ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: كانَ ذلكَ فِي الكِتابِ مَسْطُورا قال: في أمّ الكتاب، وقرأ لَوْلا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَق ويعني بقوله مَسْطُورا مكتوبا مبينا ومنه قول العجاج:

واعْلَمْ بأنّ ذَا الجَلالِ قَدْ قَدَرْفي الكُتُبِ الأُولى التي كان سَطَرْأمْرَكَ هَذَا فاحْتَفِظْ فِيهِ النّهَرْ

الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَمَا مَنَعَنَآ أَن نّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاّ أَن كَذّبَ بِهَا الأوّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاّ تَخْوِيفاً }.

يقول تعالى ذكره: وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التي سألها قومك، إلا أن كان من قبلهم من الأمم المكذّبة، سألوا ذلك مثل سؤالهم فلما أتاهم ما سألوا منه كذّبوا رسلهم، فلم يصدّقوا مع مجيء الآيات، فعوجلوا فلم نرسل إلى قومك بالآيات، لأنّا لو أرسلنا بها إليها، فكذّبوا بها، سلكنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها. وبالذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16913ـ حدثنا ابن حميد وابن وكيع، قالا: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن جعفر بن أياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحي عنهم الجبال، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن نستأني بهم لعلنا نجتني منهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، قال: «بل تستأني بهم»، فأنزل الله: وَمَا مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بالآيَاتِ إلاّ أنْ كَذّبَ بِها الأوّلُونَ وآتَيْنا ثَمُودَ النّاقَةَ مُبْصِرَةً.

16914ـ حدثني إسحاق بن وهب، قال: حدثنا أبو عامر، قال: حدثنا مسعود بن عباد، عن مالك بن دينار، عن الحسن في قول الله تعالى وَما مَنَعَنا أنْ نُرْسِلَ بالآيَاتِ إلاّ أنْ كَذّبَ بِها الأوّلُونَ قال: رحمة لكم أيتها الأمة، إنا لو أرسلنا بالآيات فكذّبتم بها، أصابكم ما أصاب من قبلكم.

16915ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حماد بن زيد، عن أيوب، عن سعيد بن جبير، قال: قال المشركون لمحمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء، فمنهم من سخرت له الريح، ومنهم من كان يحيي الموتى، فإن سرّك أن نؤمن بك ونصدّقك، فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهبا، فأوحى الله إليه: إني قد سمعت الذي قالوا، فإن شئت أن نفعل الذي قالوا، فإن لم يؤمنوا نزل العذاب، فإنه ليس بعد نزول الآية مناظرة، وإن شئت أن تستأني قومك استأنيت بها، قال: «يا ربّ أستأني».

16916ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَما مَنَعَنا أنْ نُرْسِلَ بالآيَاتِ إلاّ أنْ كَذّبَ بِها الأوّلُونَ قال: قال أهل مكة لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم: إن كان ما تقول حقا، ويسرّك أن نؤمن، فحوّل لنا الصفا ذهبا، فأتاه جبرئيل عليه السلام، فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يناظروا، وإن شئت استأنيت بقومك، قال: «بَلِ أسْتَأنِي بقَوْمِي» فأنزل الله: وآتَيْنا ثَمُودَ النّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِها وأنزل الله عزّ وجلّ ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أفَهُمْ يُؤْمِنُونَ.

16917ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، أنهم سألوا أن يحوّل الصفا ذهبا، قال الله: وَما مَنَعَنا أنْ نُرْسِلَ بالآيَاتِ إلاّ أنْ كَذّبَ بِها الأوّلُونَ قال ابن جريج: لم يأت قرية بآية فيكذّبوا بها إلا عذّبوا، فلو جعلت لهم الصفا ذهبا ثم لم يؤمنوا عذّبوا. و«أن» الأولى التي مع مَنَعَنا، في موضع نصب بوقوع منعنا عليها، وأن الثانية

رفع، لأن معنى الكلام: وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأوّلين من الأمم، فالفعل لأن الثانية.

يقول تعالى ذكره: وقد سألَ الآيات يا محمد من قِبَل قومك ثمود، فآتيناها ما سألت، وجعلنا تلك الآية ناقة مبصرة. جعل الإبصار للناقة، كما تقول للشجة: موضحة، وهذه حجة مبينة. وإنما عنى بالمبصرة: المضيئة البينة التي من يراها كانوا أهل بصر بها، أنها لله حجة، كما قيل: والنهارَ مُبْصِرا كما:

16918ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وآتَيْنا ثَمُودَ النّاقَةَ مُبْصِرَةً: أي بيّنة.

16919ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله عزّ ذكره النّاقَةَ مُبْصِرَةً قال: آية.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وقوله: فَظَلَمُوا بِها يقول عزّ وجلّ: فكان بها ظلمهم، وذلك أنهم قتلوها وعقروها، فكان ظلمهم بعقرها وقتلها. وقد قيل: معنى ذلك: فكفروا بها، ولا وجه لذلك إلا أن يقول قائله أراد: فكفروا بالله بقتلها، فيكون ذلك وجها.

وأما قوله: وَما نُرْسِلُ بالآياتِ إلاّ تَخْوِيفا فإنه يقول: وما نرسل بالعبر والذكر إلا تخويفا للعباد، كما:

16920ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَما نُرْسِلُ بالآياتِ إلاّ تَخْوِيفا وإن الله يخوّف الناس بما شاء من آية لعلهم يعتبرون، أو يذكّرون، أو يرجعون، ذُكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود، فقال: يأيها الناس إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه.

16921ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا نوح بن قيس، عن أبي رجاء، عن الحسن وَما نُرْسلُ بالآياتِ إلاّ تَخْوِيفا قال: الموت الذريع.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنّ رَبّكَ أَحَاطَ بِالنّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرّؤيَ ا الّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاّ فِتْنَةً لّلنّاسِ وَالشّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاّ طُغْيَاناً كَبِيراً }.

وهذا حضّ من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، على تبليغ رسالته، وإعلام منه أنه قد تقدّم منه إليه القول بأنه سيمنعه من كلّ من بغاه سوءا وهلاكا، يقول جلّ ثناؤه: واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته، ونحن مانعوك منهم، فلا تتهيّب منهم أحدا، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16922ـ حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبد الصمد، قال: حدثنا شعبة، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن يقول: أحاط بالناس، عصمك من الناس.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا أبو بكر الهُذلي، عن الحسن وَإِذْ قُلْنا لَكَ إنّ رَبّكَ أحاطَ بالنّاسِ قال: يقول: أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك، فعرف أنه لا يُقتل.

16923ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أحاطَ بالنّاسِ قال: فهم في قبضته.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

16924ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو سفيان، عن معمر، عن الزهري، عن عروة بن الزبير قوله أحاطَ بالنّاسِ قال: منعك من الناس. قال معمر، قال قتادة، مثله.

16925ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قوله وَإِذْ قُلْنا لَكَ إنّ رَبّك أحاطَ بالنّاسِ قال: منعك من الناس.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَإِذْ قُلْنا لَكَ إنّ رَبّكَ أحاطَ بالنّاسِ أي منعك من الناس حتى تبلّغ رسالة ربك.

وقوله: وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: هو رؤيا عين، وهي ما رأى النَبيّ صلى الله عليه وسلم لما أُسري به من مكة إلى بيت المقدس. ذكر من قال ذلك:

16926ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا مالك بن إسماعيل، قال: حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أُسري به، وليست برؤيا منام.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، سُئِل عن قوله وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ قال: هي رؤيا عين رآها النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة أُسري به.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس، بنحوه.

16927ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، قال: حدثنا عمرو، عن فرات القزاز، عن سعيد بن جبير وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ قال: كان ذلك ليلة أُسري به إلى بيت المقدس، فرأى ما رأى فَكذّبه المشركون حين أخبرهم.

16928ـ حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، قوله وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ قال: أسري به عشاء إلى بيت المقدس، فصلى فيه، وأراه الله ما أراه من الآيات، ثم أصبح بمكة، فأخبرهم أنه أُسري به إلى بيت المقدس، فقالوا له: يا محمد ما شأنك، أمسيت فيه، ثم أصبحت فينا تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس، فعجبوا من ذلك حتى ارتدّ بعضهم عن الإسلام.

16929ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا هوذة، قال: حدثنا عوف، عن الحسن، في قوله وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ قال: قال كفار أهل مكة: أليس من كذب ابن أبي كبشة أنه يزعم أنه سار مسيرة شهرين في ليلة.

16930ـ حدثني أبو حصين، قال: حدثنا عبثر، قال: حدثنا حصين، عن أبي مالك في هذه الآية وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أَرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ قال: مسيره إلى بيت المقدس.

16931ـ حدثني أبو السائب ويعقوب، قالا: حدثنا ابن إدريس، عن الحسن بن عبد الله، عن أبي الضحى، عن مسروق في قوله وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أَرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ قال: حين أسري به.

16932ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أَرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ قال: ليلة أسري به.

16933ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أَرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاس قال: الرؤيا التي أريناك في بيت المقدس حين أسري به، فكانت تلك فتنة الكافر.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أَرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ يقول: الله أراه من الآيات والعبر في مسيره إلى بيت المقدس.

ذُكر لنا أن ناسا ارتدّوا بعد إسلامهم حين حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسيره، أنكروا ذلك وكذّبوا له، وعجبوا منه، وقالوا: تحدّثنا أنك سرت مسيرة شهرين في ليلة واحدة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أَرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ قال: هو ما أُري في بيت المقدس ليلة أسري به.

16934ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أَرَيْناكَ قال: أراه الله من الآيات في طريق بيت المقدس حين أسري به، نزلت فريضة الصلاة ليلة أسري به قبل أن يهاجر بسنة وتسع سنين من العشر التي مكثها بمكة، ثم رجع من ليلته، فقالت قريش: تعشى فينا وأصبح فينا، ثم زعم أنه جاء الشام في ليلة ثم رجع، وايم الله إن الحدأة لتجيئها شهرين: شهرا مقبلة، وشهرا مُدبرة.

16935ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله وَما جَعَلْنا الرّؤْيا الّتي أَرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ قال: هذا حين أسري به إلى بيت المقدس، افتتن فيها ناس، فقالوا: يذهب إلى بيت المقدس ويرجع في ليلة وقال: «لَمّا أتاني جَبْرائيلُ عَلَيْهِ السّلامُ بالبُرَاقِ لِيَحْمِلَني عَلَيْها صَرّتْ بأُذُنَيْها، وَانْقَبَض بَعْضُها إلى بَعْضٍ، فَنَظَرَ إلَيْها جَبْرائيلُ، فقالَ: وَالّذِي بَعَثَنِي بالحَقّ منْ عِنْدِهِ ما رَكِبَكَ أحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ خَيْرٌ مِنْهُ»، قالَ: «فَصرّتْ بأُذُنَيْها وَارْفَضّتْ عَرَقا حتى سالَ ما تَحْتَها، وكانَ مُنْتَهَى خَطْوها عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفها» فلما أتاهم بذلك، قالوا: ما كان محمد لينتهي حتى يأتي بكذبة تخرج من أقطارها، فأتوا أبا بكر رضي الله عنه، فقالوا: هذا صاحبك يقول كذا وكذا، فقال: وقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، فقال: إن كان قد قال ذلك فقد صدق، فقالوا: تصدّقه إن قال ذهب إلى بيت المقدس ورجع في ليلة؟ فقال أبو بكر: إي، نزع الله عقولكم، أصدّقه بخبر السماء، والسماء أبعد من بيت المقدس، ولا أصدّقه بخبر بيت المقدس؟ قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم: إنا قد جئنا بيت المقدس فصفه لنا، فلما قالوا ذلك، رفعه الله تبارك وتعالى ومثله بين عينيه،

فجعل يقول: «هو كذا، وفيه كذا»، فقال بعضهم: وأبيكم إن أخطأ منه حرفا، فقالوا: هذا رجل ساحر.

16936ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ يعني ليلة أسري به إلى بيت المقدس، ثم رجع من ليلته، فكانت فتنة لهم.

16937ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله الرّؤحيا التي أرَيْناكَ قال: حين أسري بمحمد صلى الله عليه وسلم.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه.

وقال آخرون: هي رؤياه التي رأى أنه يدخل مكة. ذكر من قال ذلك:

16938ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ قال: يقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُري أنه دخل مكة هو وأصحابه، وهو يومئذٍ بالمدينة، فعجّل رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة قبل الأجل، فردّه المشركون، فقالت أناس: قد ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان حدثنا أنه سيدخلها، فكانت رجعته فتنتهم.

وقال آخرون ممن قال: هي رؤيا منام: إنما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في منامه قوما يعلون منبره. ذكر من قال ذلك:

16939ـ حُدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة، قال: حدثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد، قال: ثني أبي، عن جدّي، قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني فلان ينزون على منبره نزو القردة، فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكا حتى مات. قال: وأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك وَما جَعَلْنا الرّؤْيا التي أرَيْناكَ إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ»... الآية.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى به رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس، وبيت المقدس ليلة أسري به، وقد ذكرنا بعض ذلك في أوّل هذه السورة.

وإنما قُلنا ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإياه عنى الله عزّ وجلّ بها، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وما جعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس، إلاّ فتنة للناس: يقول: إلا بَلاء للناس الذين ارتدّوا عن الإسلام، لمّا أخبروا بالرؤيا التي رآها عليه الصلاة والسلام، وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تماديا في غيهم، وكفرا إلى كفرهم، كما:

16940ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إلاّ فِتْنَةً للنّاسِ.

وأما قوله: وَالشّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ فإن أهل التأويل اختلفوا فيها، فقال بعضهم: هي شجرة الزّقّوم. ذكر من قال ذلك:

16941ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا مالك بن إسماعيل، قال: حدثنا أبو عبيدة، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس والشّجَرَةَ الـمَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ قال: شجرة الزّقوم.
16942ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله والشّجَرَةَ الـمَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ قال: هي شجرة الزقوم. قال أبو جهل: أيخوّفني ابن أبي كبشة بشجرة الزّقوم، ثم دعا بتمر وزُبد، فجعل يقول: زقمني، فأنزل الله تعالى طَلْعُها كأنّهُ رُءُوسُ الشّياطِين وأنزل ونُخَوّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاّ طُغْيانا كَبِيرا.
16943ـ حدثني أبو السائب ويعقوب، قالا: حدثنا ابن إدريس، عن الحسن بن عبيد الله، عن أبي الضحى، عن مسروق والشّجَرَةَ الـمَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ قال: شجرة الزّقوم.
حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الحسن بن عبيد الله، عن أبي الضحى، عن مسروق، مثله.
16944ـ حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عُلَية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله والشّجَرَةَ الـمَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ فإن قريشا كانوا يأكلون التمر والزبد، ويقولون: تزقموا هذا الزقوم. قال أبو رجاء: فحدثني عبد القدّوس، عن الحسن، قال: فوصفها الله لهم في الصافات.
حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا هوذة، قال: حدثنا عوف، عن الحسن، قال: قال أبو جهل وكفار أهل مكة: أليس من كذب ابن أبي كبَشة أنه يوعدكم بنار تحترق فيها الحجارة، ويزعم أنه ينبت فيها شجرة؟ والشّجَرَةَ الـمَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ قال: هي شجرة الزّقوم.
16945ـ حدثني عن عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: حدثنا عبثر، قال: حدثنا حصين، عن أبي مالك في هذه الآية والشّجَرَةَ الـمَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ قال: شجرة الزقوم.
حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا هشيم، عن حصين، عن أبي مالك، قال في قوله والشّجَرَةَ الـمَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ قال: هي شجرة الزقوم.
16946ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن رجل يقال له بدر، عن عكرمة، قال: شجرة الزقوم.
16947ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا إسرائيل، عن فرات القزّار، قال: سُئل سعيد بن جبير عن الشجرة الملعونة، قال: شجرة الزقوم.
حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا هشيم، عن عبد الملك العَزْرميّ، عن سعيد بن جبير وَالشّجَرَةَ الـمَلْعُونَةَ قال: شجرة الزقوم.
16948ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، بمثله.
16949ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثني الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد والشّجَرَةَ الـمَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ قال: الزقوم.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن أبي المَحجل، عن أبي معشر، عن إبراهيم، أنه كان يحلف ما يستثني، أن الشجرة الملعونة: شجرة الزقوم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا إسرائيل، عن فُرات القزاز، قال: سألت سعيد بن جبير، عن الشجرة الملعونة في القرآن، قال: شجرة الزّقوم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: هي الزقوم.

16950ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله والشّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ ونُخَوّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاّ طُغْيانا كَبِيرا وهي شجرة الزقوم، خوّف الله بها عباده، فافتتنوا بذلك، حتى قال قائلهم أبو جهل بن هشام: زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، وإنا والله ما نعلم الزقوم إلاّ التمر والزبد، فتزقموا، فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة: إنّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ في أصْلِ الجَحِيمِ طَلْعُها كأنّهُ رُءُوسُ الشّياطِينِ، إني خلقتها من النار، وعذّبت بها من شئت من عبادي.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة والشّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ قال: الزقوم وذلك أن المشركين قالوا: يخبرنا هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر حتى لا تدع منه شيئا، وذلك فتنة.

16951ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله والشّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ قال: شجرة الزقوم.

16952ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله والشّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ الزقوم التي سألوا الله أن يملأ بيوتهم منها. وقال: هي الصّرَفان بالزبد تتزقمه، والصرفان: صنف من التمر. قال: وقال أبو جهل: هي الصرفان بالزبد، وافتتنوا بها.

وقال آخرون: هي الكَشُوث. ذكر من قال ذلك:

16953ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن مولى بني هاشم حدثه، أن عبد الله بن الحارث بن نوفل، أرسله إلى ابن عباس، يسأله عن الشجرة الملعونة في القرآن؟ قال: هي هذه الشجرة التي تلوي على الشجرة، وتجعل في الماء، يعني الكشوثي.

وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا قول من قال: عنى بها شجرة الزقوم، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك. ونصبت الشجرة الملعونة عطفا بها على الرؤيا. فتأويل الكلام إذن: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك، والشجرة الملعونة في القرآن إلاّ فتنة للناس، فكانت فتنتهم في الرؤيا ما ذكرت من ارتداد من ارتدّ، وتمادِي أهل الشرك في شركهم، حين أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أراه الله في مسيره إلى بيت المقدس ليلة أُسريَ به. وكانت فتنتهم في الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبي جهل والمشركين معه: يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابتة، والنار تأكل الشجر فكيف تنبت فيها؟

وقوله: وَنُخَوّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاّ طُغْيانا كَبِيرا يقول: ونخوّف هؤلاء المشركين بما نتوعدهم من العقوبات والنكال، فما يزيدهم تخويفنا إلاّ طغيانا كبيرا، يقول: إلاّ تماديا وغيا كبيرا في كفرهم وذلك أنهم لما خُوّفوا بالنار التي طعامهم فيها الزقوم دعوا بالتمر والزبد، وقالوا: تزقموا من هذا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك وقد تقدّم ذكر بعض من قال ذلك، ونذكر بعض من بقي:

16954ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال قال ابن جريج وَالشّجَرَةَ المَلْعُونَةَ قال: طلعها كأنه رءوس الشياطين، والشياطين ملعونون. قال والشّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرآنِ لما ذكرها زادهم افتتانا وطغيانا، قال الله تبارك وتعالى، ونخوّفُهُم فَمَا يَزِيدُهُمْ إلاّ طُغْيانا كَبِيرا.

الآية : 61 و 62

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لاَدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـَذَا الّذِي كَرّمْتَ عَلَيّ لَئِنْ أَخّرْتَنِ إِلَىَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنّ ذُرّيّتَهُ إِلاّ قَلِيلاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد تمادي هؤلاء المشركين في غيهم وارتدادهم عتوّا على ربهم بتخويفه إياهم تحقيقهم قول عدّوهم وعدوّ والدهم، حين أمره ربه بالسجود له فعصاه وأبى السجود له، حسدا واستكبارا لَئِنْ أَخّرْتَنِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ لأَحْتَنِكَنّ ذُرّيّتَه إلاّ قَلِيلاً وكيف صدّقوا ظنه فيهم، وخالفوا أمر ربهم وطاعته، واتبعوا أمر عدوّهم وعدوّ والدهم.

ويعني بقوله وَإذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ: واذكر إذ قلنا للملائكة اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ فإنه استكبر وقال أأَسْجُدَ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينا يقول: لمن خلقته من طين فلما حذفت «مِن» تعلّق به قوله خَلَقْتَ فنصب، يفتخر عليه الجاهل بأنه خُلِق من نار، وخلق آدم من طين. كما:

16955ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: بعث ربّ العزّة تبارك وتعالى إبليس، فأخذ من أديم الأرض، من عذبها وملحها، فخلق منه آدم، فكل شيء خُلق من عذبها فهو صائر إلى السعادة وإن كان ابن كافرين، وكلّ شيء خَلقه من ملحها فهو صائر إلى الشقاوة وإن كان ابن نبيين ومن ثم قال إبليس أأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينا: أي هذه الطينة أنا جئت بها، ومن ثم سُمّي آدم. لأنه خُلق من أديم الأرض.

وقوله: أرَأيْتَكَ هَذَا الّذِي كَرّمْتَ عَليّ يقول تعالى ذكره: أرأيت هذا الذي كرّمته عليّ، فأمرتني بالسجود له، ويعني بذلك آدم لَئِنْ أخرتّنِ أقسم عدوّ الله، فقال لربه: لئن أخرت إهلاكي إلى يوم القيامة لأَحْتَنِكَنّ ذُرّيّتَهُ إلاّ قَلِيلاً يقول: لأستولينّ عليهم، ولأستأصلنهم، ولأستميلنهم. يقال منه: احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم أو غير ذلك، ومنه قول الشاعر:

نَشْكُو إلَيْكَ سَنَةً قَدْ أجْحَفَتْجَهْدا إلى جَهْدٍ بنا فأضْعَفَتْواحْتَنَكَتْ أمْوَالَنا وجَلّفَتْ

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

16956ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن

ابن أبـي نـجيح، عن مـجاهد، فـي قول الله تبـارك وتعالـى لأَحْتَنِكَنّ ذُرّيّتَهُ إلاّ قَلِـيلاً قال: لأحتوينهم.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن ابن جريج، عن مـجاهد، مثله.
16957ـ حدثنـي علـيّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثنـي معاوية، عن علـيّ. عن ابن عبـاس، قوله لأَحْتَنِكَنّ ذُرّيّتَهُ إلاّ قَلِـيلاً يقول: لأستولـينّ.
16958ـ حدثنـي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابـن زيـد، فـي قوله لأَحْتَنِكَنّ ذُرّيّتَهُ إلاّ قلـيلاً قـال: لأضـلنهم. وهـذه الألفـاظ وإن اختلفـت فإنهـا متقاربـات الـمعنى، لأن الاستـيلاء والاحتـواء بـمعنى واحـد، وإذا استولـى علـيهم فقد أضلهم.

الآية : 63

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى {وَاسْـتَفْزِزْ مَـنِ اسْـتَطَعْتَ مِنْهُـمْ بِصَـوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِـكَ وَرَجِلِـكَ وَشَـارِكْهُمْ فِـي الأَمْـوَالِ وَالأوْلادِ وَعِـدْهُمْ وَمَـا يَعِدُهُمُ الشّيْطَانُ إِلاّ غُرُوراً }.
يقول تعالـى ذكره بقوله وَاسْتَفزِزْ واستـخفف واستـجهل، مـن قـولهم: استفزّ فلانا كذا وكذا فهو يستفزّه مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَـوتِكَ. اختلـف أهـل التأويـل فـي الصوت الذي عنـاه جـلّ ثنـاؤه بقـوله وَاسْـتَفْزِز مَ.نِ اسْـتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوتِك فقال بعضهم: عنى بـه: صـوت الغنـاء واللعـب. ذكـر مـن ق ال ذلك:
16961ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، عن لـيث، عن مـجاهد، فـي قوله وَاسْتَفْزِز مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ قال: بـاللهو والغناء.
حدثنـي أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت لـيثا يذكر، عن مـجاهد، فـي قـوله: وَاسْـتَفْزِزْ مَـنِ اسْـتَطَعْتَ مِنْهُـمْ بِصَـوْتِكَ قـال: اللعـب واللهو.
وقال آخرون: عنى به واسْـتَفْزِزْ مَـنِ اسْـتَطَعْتَ مِنْهُـمْ بـدعائك إيـاه إلـى طاعتك ومعصية الله. ذكر من قال ذلكَ:
16962ـ حدثنـي علـيّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثنـي معاوية، عن علـيّ، عن ابن عبـاس وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ قال: صوته كلّ داع دعا إلـى معصية الله.
16963ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى، قال: حـدثنا مـحمد بـن ثـور، عـن معمر، عن قتادة وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ قال: بدعائك.
وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصحة أن يقال: إن اللـه تبـارك وتعالـى قـال لإبلـيس: واستفزز من ذرّيـة آدم مـن اسـتطعت أن تسـتفزّه بصـوتك، ولـم يخصص من ذلك صوتا دون صوت، فكل صوت كان دعاء إلـيه وإلـى عملـه وطاعته، وخلافـا للدعاء إلـى طاعة الله، فهو داخـل فـي معنـى صـوته الـذي قال الله تبـارك وتعالـى اسمه له وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ.
وقوله: وأَجْلِبْ عَلَـيْهِمْ بِخَيْـلِكَ ورَجِلكَ يقولَ: وأجمـع علـيهم مـن ركبـان جندك ومشـاتهم مـن يجلـب علـيها بـالدعاء إلـى طاعتـك، والصـرف عـن طاعتـي. يقال منه: أجلب فلان علـى فلان إجلابـا: إذا صاح علـيه. والـجَلَبة: الصوت، وربـما قـيـل: ما هذا الـجَلَب، كما يقال: الغَلَبـة والغَلَـب، والشّـفَقَة والشّفَق. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك، قال أهل التأويـل، ذكر من قال ذلك:

16964ـ حدثني سلم بن جنادة، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا يذكر عن مجاهد، في قوله وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ ورَجِلِكَ قال: كلّ راكب وماش في معاصي الله تعالى.
16965ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ قال: إن له خيلاً ورجلاً من الجنّ والإنس، وهم الذين يطيعونه.
حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ ورَجِلِكَ قال الرجال: المشاة.
16966ـ حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ قال: خيله: كل راكب في معصية الله ورجله: كل راجل في معصية الله.
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ قال: ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال إبليس. والرجْل: جمع راجل، كما التجْر: جمع تاجر، والصّحْب: جمع صاحب.
وأما قوله: وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ، فإن أهل التأويل اختلفوا في المشاركة التي عنيت بقوله وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ فقال بعضهم: هو أمره إياهم بإنفاق أموالهم في غير طاعة الله واكتسابهموها من غير حلها. ذكر من قال ذلك:
16967ـ حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا يذكر عن مجاهد وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ التي أصابوها من غير حلها.
حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ قال: ما أكل من مال بغير طاعة الله.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.
16968ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء بن أبي رَباح، قال: الشرك في أموال الربا.
16969ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، في قوله وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ قال: قد والله شاركهم في أموالهم، وأعطاهم الله أموالاً فأنفقوها في طاعة الشيطان في غير حقّ الله تبارك اسمه، وهو قول قتادة.
حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد، عن معمر، قال: قال الحسن وَشارِكْهُمْ في الأمْوَالِ مرهم أن يكسبوها من خبيث، وينفقوها في حرام.
16970ـ حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ قال: كلّ مال في معصية الله.

16971ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ قال: مشاركته إياهم في الأموال والأولاد، ما زَيّن لهم فيها من معاصي الله حتى ركبوها.
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد وَشارِكْهُمْ في الأمْوَالِ كلّ ما أنفقوا في غير حقه.
وقال آخرون: بل عُنِي بذلك كلّ ما كان من تحريم المشركين ما كانوا يحرّمون من الأنعام كالبحائر والسوائب ونحو ذلك. ذكر من قال ذلك:
16972ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ قال: الأموال: ما كانوا يحرّمون من أنعامهم.
16973ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا عيسى، عن عمران بن سليمان. عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: مشاركته في الأموال أن جعلوا البحيرة والسائبة والوصيلة لغير الله.
16974ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ فإنه قد فعل ذلك أما في الأموال، فأمرهم أن يجعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاما.
قال أبو جعفر: الصواب: حاميا.
وقال آخرون: بل عُنِي به ما كان المشركون يذبحونه لآلهتهم. ذكر من قال ذلك:
16975ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول: وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ يعني ما كانوا يذبحون لآلهتهم.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك كلّ مال عصى الله فيه بإنفاق في حرام أو اكتساب من حرام، أو ذبح للآلهة، أو تسييب، أو بحر للشيطان، وغير ذلك مما كان معصيا به أو فيه، وذلك أن الله قال وَشارِكْهُمْ في الأمْوَالِ فكلّ ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصى الله فيه، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض.
وقوله: والأوْلادِ اختلف أهل التأويل في صفة شركته بني آدم في أولادهم، فقال بعضهم: شركته إياهم فيهم بزناهم بأمهاتهم. ذكر من قال ذلك:
16976ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ قال: أولاد الزنا.
16977ـ حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا يذكر عن مجاهد وشارِكْهُمْ في الأمْوَالِ والأوْلادِ قال: أولاد الزنا.
حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَشارِكْهُم فِي الأمْوَالِ والأولادِ قال: أولاد الزنا.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: أولاد الزنا.

16978ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ قال: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول وَشارِكْهُمْ في الأمْوَالِ والأولادِ قال: أولاد الزنا، يعني بذلك أهل الشرك.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: وَشارِكْهُم فِي الأمْوَالِ والأولادِ قال: الأولاد: أولاد الزنا.

وقال آخرون: عُني بذلك: وأْدُهم أولادَهم وقتلهموهم. ذكر من قال ذلك:

16979ـ حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأولادِ قال: ما قتلوا من أولادهم، وأتوا فيهم الحرام.

وقال آخرون: بل عني بذلك: صبغهم إياهم في الكفر. ذكر من قال ذلك:

16980ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأولاد قال: قد والله شاركهم في أموالهم وأولادهم، فمجسوا وهوّدوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الإسلام وجزءوا من أموالهم جزءا للشيطان.

16981ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَال والأولادِ قال: قد فعل ذلك، أما في الأولاد فإنهم هوّدوهم ونصّروهم ومجّسوهم.

وقال آخرون: بل عني بذلك تسميتهم أولادهم عبد الحرث وعبد شمس. ذكر من قال ذلك:

16982ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني عيسى بن يونس، عن عمران بن سليمان، عن أبي صالح عن ابن عباس وَشارِكْهُم فِي الأمْوَالِ والأولادِ قال: مشاركته إياهم في الأولاد، سموا عبد الحرث وعبد شمس وعبد فلان.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: كلّ ولد ولدته أنثى عصى الله بتسميته ما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو قتله ووأده، أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بها بفعله به أو فيه، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك المولود له أو منه، لأن الله لم يخصص بقوله وَشارِكْهُم في الأمْوَالِ والأولادِ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى، فكلّ ما عصى الله فيه أو به، وأطيع به الشيطان أو فيه، فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به إبليس فيه.

وقوله: وَعِدْهُم وَما يَعِدُهُمُ الشّيْطانُ إلاّ غُرُورا يقول تعالى ذكره لإبليس: وعد أتباعك من ذرّية آدم، النصرة على من أرادهم بسوء. يقول الله: وَما يَعِدُهُمْ الشّيْطانُ إلاّ غُرُورا لأنه لا يغني عنهم من عقاب الله إذا نزل بهم شيئا، فهم من عداته في باطل وخديعة، كما قال لهم عدوّ الله حين حصحص الحقّ إنّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقّ وَوَعَدتُكُمْ فَأخْلَفْتُكُمْ وَما كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إلاّ أنْ دَعَوْتُكُمْ فاسْتَجَبْتُمْ لي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أنْفُسَكُمْ ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ وَما أنْتُمْ بِمُصْرِخِيّ إنّي كَفَرْتُ بِمَا أشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ.

الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشّيْطَانُ إِلاّ غُرُوراً }.

يقول تعالى ذكره بقوله وَاسْتَفزِزْ واستخفف واستجهل، من قولهم: استفزّ فلانا كذا وكذا فهو يستفزّه مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوتِكَ. اختلف أهل التأويل في الصوت الذي عناه جلّ ثناؤه بقوله وَاسْتَفْزِز مَ.نِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوتِك فقال بعضهم: عنى به: صوت الغناء واللعب. ذكر من ق ال ذلك:

16961ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، عن ليث، عن مجاهد، في قوله وَاسْتَفْزِز مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ قال: باللهو والغناء.

حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا يذكر، عن مجاهد، في قوله: وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ قال: اللعب واللهو.

وقال آخرون: عنى به واسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بدعائك إياه إلى طاعتك ومعصية الله. ذكر من قال ذلك:

16962ـ حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ قال: صوته كلّ داع دعا إلى معصية الله.

16963ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ قال: بدعائك.

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس: واستفزز من ذرّية آدم من استطعت أن تستفزّه بصوتك، ولم يخصص من ذلك صوتا دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافا للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تبارك وتعالى اسمه له وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ.

وقوله: وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ ورَجِلكَ يقول: وأجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من يجلب عليها بالدعاء إلى طاعتك، والصرف عن طاعتي. يقال منه: أجلب فلان على فلان إجلابا: إذا صاح عليه. والجَلَبة: الصوت، وربما قيل: ما هذا الجَلَب، كما يقال: الغَلَبة والغَلَب، والشّفَقَة والشّفَق. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل، ذكر من قال ذلك:

16964ـ حدثني سلم بن جنادة، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا يذكر عن مجاهد، في قوله وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ ورَجِلِكَ قال: كلّ راكب وماش في معاصي الله تعالى.

16965ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ قال: إن له خيلاً ورجلاً من الجنّ والإنس، وهم الذين يطيعونه.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ ورَجِلِكَ قال الرجال: المشاة.

16966ـ حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ قال: خيله: كل راكب في معصية الله ورجله: كل راجل في معصية الله.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله وأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ قال: ما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس، وما كان من راجل في معصية الله فهو من رجال

إبلـيس. والرجْـل: جمـع راجـل، كمـا التـجْر: جمـع تـاجر، والصّـحْب: جمـع صاحب.

وأما قوله: وَشارِكْهُمْ فِـي الأمْوَالِ والأوْلادِ، فإن أهل التأويـل اختلفوا فـي الـمشاركة التـي عنـيت بقوله وَشارِكْهُمْ فِـي الأمْوَالِ والأوْلادِ فقال بعضـهم: هو أمره إياهم بإنفـاق أموالهم فـي غير طاعة اللـه واكتسـابهموها مـن غيـر حلها. ذكر من قال ذلك:

16967ـ حدثنـي أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سـمعت لـيثا يذكر عن مـجاهد وَشارِكْهُمْ فِـي الأمْوَالِ التـي أصابوها من غير حلها.

حدثنـي مـحمد بن عمرو، قـال: حـدثنا أبـو عاصـم، قـال: حـدثنا عيسـى وحدثنـي الـحارث، قال: حدثنا الـحسن، قال: حدثنا ورقـاء، جميعـا عـن ابـن أبـي نـجيح، عن مـجاهد وَشارِكْهُمْ فِـي الأمْوَالِ قال: ما أكـل مـن مـال بغيـر طاعة الله.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن ابن جريج، عن مـجاهد، مثله.

16968ـ حدثنا القاسم، قـال: حـدثنا الـحسين، قـال: حـدثنا عيسـى بـن يونس، عن طلـحة بن عمرو، عن عطاء بن أبــي رَبــاح، قـال: الشـرك فــي أموال الربـا.

16969ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، ع ن قتـادة، عـن الـحسن، فـي قوله وَشارِكْهُمْ فِـي الأمْوَالِ والأوْلادِ قال: قـد واللـه شـاركهم فـي أموالهم، وأعطاهم الله أموالاً فأنفقوها فـي طاعة الشيطان فــي غيـر حقّ الله تبـارك اسمه، وهو قول قتادة.

حدثنا ابن عبد الأعلـى، قال: حدثنا مـحمد، عن معمر، قال: قال الـحسن وَشارِكْهُمْ فـي الأمْوَالِ مرهم أن يكسبوها من خبـيث، وينفقوها فـي حرام.

16970ـ حدثنـي علـيّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثنـي معاوية، عن علـيّ، عن ابن عبـاس وَشارِكْهُمْ فِـي الأمْوَالِ والأوْلادِ قال: كـلّ مـال فــي معصـية الله.

16971ـ حدثنـي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابـن زيـد، فــي قوله وَشـارِكْهُمْ فِــي الأمْـوَالِ والأوْلادِ قـال: مشـاركته إيـاهم فــي الأمـوال والأولاد، ما زَيّن لهم فـيها من معاصي الله حتـى ركبوها.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مـجاهد وَشارِكْهُمْ فـي الأمْوَالِ كلّ ما أنفقوا فـي غير حقه.

وقال آخرون: بل عُنِـي بذلك كلّ ما كان من تـحريـم الـمشركين ما كـانوا يحرّمون من الأنعام كالبحائر والسوائب ونـحو ذلك. ذكر من قال ذلك:

16972ـ حدثنـي مـحمد بن سعد، قال: ثنـي أبـي، قال: ثنـي عمي، ق ال: ثنـي أبـي، عن أبـيه، عن ابـن عبـ اس، فــي قـوله: وَشـارِكْهُمْ فِـ ي الأمْـوَالِ والأوْلادِ قال: الأموال: ما كانوا يحرّمون من أنعامهم.

16973ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قـال: حـدثنا عيسـى، عـن عمران بن سلـيـمان. عن أبـي صالـح، عن ابن عبـاس، قال: مشاركته فــي الأموال أن جعلوا البحيرة والسائبة والوصيـلة لغير الله.

16974ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى، قال: حـدثنا مــحمد بـن ثـور، عـن معمر، عن قتادة وَشارِكْهُمْ فِـي الأمْوَالِ فإنه قد فعل ذلك أما فــي الأمـوال، فأمرهم أن يجعلوا بحيرة وسائبة ووصيـلة وحاما.

قال أبو جعفر: الصواب: حاميا.
وقال آخرون: بل عُنِي به ما كان المشركون يذبحونه لآلهتهم. ذكر من قال ذلك:
16975ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول: وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ يعني ما كانوا يذبحون لآلهتهم.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك كلّ مال عصى الله فيه بإنفاق في حرام أو اكتساب من حرام، أو ذبح للآلهة، أو تسييب، أو بحر للشيطان، وغير ذلك مما كان معصيا به أو فيه، وذلك أن الله قال وَشارِكْهُمْ في الأمْوَالِ فكلّ ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصى الله فيه، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض.
وقوله: والأوْلادِ اختلف أهل التأويل في صفة شركته بني آدم في أولادهم، فقال بعضهم: شركته إياهم فيهم بزناهم بأمهاتهم. ذكر من قال ذلك:
16976ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأوْلادِ قال: أولاد الزنا.
16977ـ حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثا يذكر عن مجاهد وشارِكْهُمْ في الأمْوَالِ والأوْلادِ قال: أولاد الزنا.
حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَشارِكْهُم فِي الأمْوَالِ والأولادِ قال: أولاد الزنا.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: أولاد الزنا.
16978ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ قال: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول وَشارِكْهُمْ في الأمْوَالِ والأولادِ قال: أولاد الزنا، يعني بذلك أهل الشرك.
حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: وَشارِكْهُم فِي الأمْوَالِ والأولادِ قال: الأولاد: أولاد الزنا.
وقال آخرون: عُني بذلك: وأْدُهم أولادَهم وقتلهموهم. ذكر من قال ذلك:
16979ـ حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأولادِ قال: ما قتلوا من أولادهم، وأتوا فيهم الحرام.
وقال آخرون: بل عني بذلك: صبغهم إياهم في الكفر. ذكر من قال ذلك:
16980ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَالِ والأولاد قال: قد والله شاركهم في أموالهم وأولادهم، فمجسوا وهوّدوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الإسلام وجزءوا من أموالهم جزءا للشيطان.
16981ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَشارِكْهُمْ فِي الأمْوَال والأولادِ قال: قد فعل ذلك، أما في الأولاد فإنهم هوّدوهم ونصّروهم ومجّسوهم.

وقال آخرون: بل عني بذلك تسميتهم أولادهم عبد الحرث وعبد شمس. ذكر من قال ذلك:

16982ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني عيسى بن يونس، عن عمران بن سليمان، عن أبي صالح عن ابن عباس وَشارِكْهُم فِي الأمْوَالِ والأولادِ قال: مشاركته إياهم في الأولاد، سموا عبد الحرث وعبد شمس وعبد فلان.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: كلّ ولد ولدته أنثى عصى الله بتسميته ما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو قتله ووأده، أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بها بفعله به أو فيه، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك المولود له أو منه، لأن الله لم يخصص بقوله وَشارِكْهُم في الأمْوَالِ والأولادِ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى، فكلّ ما عصى الله فيه أو به، وأطيع به الشيطان أو فيه، فهو مشاركة من عصى الله فيه أو به إبليس فيه.

وقوله: وَعِدْهُم وَما يَعِدُهُمُ الشّيْطانُ إلاّ غُرُورا يقول تعالى ذكره لإبليس: وعد أتباعك من ذرّية آدم، النصرة على من أرادهم بسوء. يقول الله: وَما يَعِدُهُمْ الشّيْطانُ إلاّ غُرُورا لأنه لا يغني عنهم من عقاب الله إذا نزل بهم شيئا، فهم من عداته في باطل وخديعة، كما قال لهم عدوّ الله حين حصحص الحقّ إنّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقّ وَوَعَدتُكُمْ فَأخْلَفْتُكُمْ وَما كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إلاّ أنْ دَعَوْتُكُمْ فاسْتَجَبْتُمْ لي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أنْفُسَكُمْ ما أنا بِمُصَرِخِكُمْ وَما أنْتُمْ بِمُصْرِخِيّ إنّي كَفَرْتُ بِمَا أشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ.

الآية : 65

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىَ بِرَبّكَ وَكِيلاً }.

يقول تعالى ذكره لإبليس: إن عبادي الذين أطاعوني. فاتبعوا أمري وعصوك يا إبليس. ليس لك عليهم حجة.

وقوله: وكَفَى بَرَبّكَ وَكِيلاً يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وكفاك يا محمد ربك حفيظا، وقيما بأمرك. فانقَدْ لأمره. وبلغ رسالاته هؤلاء المشركين. ولا تخف أحدا، فإنه قد توكل بحفظك ونصرتك، كما:

16983ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إنّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ وكَفَى بَرَبّكَ وَكِيلاً وعباده المؤمنون. وقال الله في آية أخرى إنّما سُلْطانُهُ عَلى الّذِينَ يَتَوَلّوْنَهُ والّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ.

الآية : 66

القول في تأويل قوله تعالى: {رّبّكُمُ الّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ إِنّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً }.

يقول تعالى ذكره للمشركين به: ربكم أيها القوم هو الذي يسير لكم السفن في البحر. فيحملكم فيها لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ لتوصلوا بالركوب فيها إلى أماكن تجاراتكم ومطالبكم ومعايشكم، وتلتمسون من رزقه إنّه كانَ بِكُمْ رَحِيما يقول: إن الله كان بكم رحيما حين أجرى لكم الفلك في البحر، تسهيلاً منه بذلك عليكم التصرّف في طلب فضله في البلاد النائية التي

لولا تسهيله ذلك لكم لصعب عليكم الوصول إليها. وبنحو ما قلنا في قوله: يُزْجِي لَكُمْ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
16984ـ حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ. عن ابن عباس. قوله: رَبّكُمُ الّذِي يُزْجِي لَكُمُ الفُلْكَ في البَحْرِ يقول: يجري الفلك.
16985ـ حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة رَبّكُمُ الّذِين يُزْجي لَكُمُ الفُلْكَ فِي البَحْرِ قال: يسيرها في البحر.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس رَبّكُمُ الّذِي يُزْجي لَكُمُ الفُلكَ فِي البَحْرِ قال: يجري.
16986ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: رَبّكُمْ الّذِي يُزْجي لَكُمْ الفُلْكَ فِي البَحْرِ قال: يجريها.

الآية : 67

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا مَسّكُمُ الْضّرّ فِي الْبَحْرِ ضَلّ مَن تَدْعُونَ إِلاّ إِيّاهُ فَلَمّا نَجّاكُمْ إِلَى الْبَرّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً }.
يقول تعالى ذكره: وإذا نالتكم الشدّة والجهد في البحر ضلّ من تدعون: يقول: فقد تمّ من تدعون من دون الله من الأنداد والآلهة، وجار عن طريقكم فلم يغثكم، ولم تجدوا غير الله مغيثا يغيثكم دعوتموه، فلما دعوتموه وأغاثكم، وأجاب دعاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه في البحر، أعرضتم عما دعاكم إليه ربكم من خلع الأنداد، والبراءة من الآلهة، وإفراده بالألوهة كفرا منكم بنعمته وكانَ الإنْسانُ كَفُورا يقول: وكان الإنسان إذا جحد لنعم ربه.

الآية : 68

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَأَمِنْتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً }.
يقول تعالى ذكره: أَفَأمِنْتِم أيها الناس من ربكم، وقد كفرتم نعمته بتنجيته إياكم من هول ما كنتم فيه في البحر، وعظيم ما كنتم قد أشرفتم عليه من الهلاك، فلما نجاكم وصرتم إلى البرّ كفرتم، وأشركتم في عبادته غيره أنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ البَرّ يعني ناحية البرّ أوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِبا يقول: أو يمطركم حجارة من السماء تقتلكم، كما فعل بقوم لوط ثُمّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكيلاً يقول: ثم لا تجدوا لكم ما يقوم بالمدافعة عنكم من عذابه وما يمنعكم منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
16987ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: أفأمِنْتُمْ أن يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ البَرّ أوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِبا يقول: حجارة من السماء ثُمّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً: أي منعة ولا ناصرا.
16988ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: أفأمِنْتُمْ أنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ البَرّ أوْ يُرْسلَ عَلَيْكُمْ حاصِبا قال: مطر الحجارة إذا خرجتم من البحر.
وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله أوْ يُرْسلَ عَلَيْكُمْ حاصِبا إلى: أو يرسل عليكم ريحا عاصفا تحصب، ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشّامِ تَضْرِبُنابِحاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ
وأصل الحاصب: الريح تحصب بالحصباء الأرض فيها الرمل والحصى الصغار. يقال في الكلام: حصب فلان فلانا: إذا رماه بالحصباء. وإنما وُصفت الريح بأنها تحصب لرميها الناس بذلك، كما قال الأخطل:
ولَقَدْ عَلِمْتُ إذَا العِشارُ تَرَوّحَتْهُدْجَ الرّئالِ تَكبّهُنّ شَمالاً
تَرْمي العضاَهُ بِحاصِبٍ مِنْ ثَلْجهاحتى يَبِيتَ عَلى العِضَاهِ جِفالا

الآية : 69

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىَ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مّنَ الرّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً }.
يقول تعالى ذكره: أم أمنتم أيها القوم من ربكم، وقد كفرتم به بعد إنعامه عليكم، النعمة التي قد علمتم أن يعيدكم في البحر تارة أخرى: يقول: مرّة أخرى، والهاء التي في قوله «فيه» من ذكر البحر. كما:
16989ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة أنْ يُعيدَكُمْ فِيهِ تارَةً أُخْرَى: أي في البحر مرّة أخرى فَيُرْسلَ عَلَيْكُمْ قاصِفا مِنَ الرّيحِ وهي التي تقصف ما مرّت به فتحطمه وتدقه، من قولهم: قصف فلان ظهر فلان: إذا كسره فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرتُمْ يقول: فيغرقكم الله بهذه الريح القاصف بما كفرتم، يقولَ: بكفركم به ثُمّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعا يقول: ثم لا تجدوا لكم علينا تابعا يتبعنا بما فعلنا بكم، ولا ثائرا يثأرنا بأهلاكنا إياكم. وقيل: تبيعا في موضع التابع، كما قيل: عليم فيموضع عالم. والعرب تقول لكل طالب بدم أو دين أو غيره: تبيع. ومنه قول الشاعر:
عَدَوْا وَعَدَتْ غِزْلانُهُمْ فَكأنّهَاضَوَامنُ غُرْمٍ لَرّهُنّ تَبِيعُ
وبنحو الذي قلنا في القاصف والتبيع، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
16990ـ حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِنَ الرّيحِ يقول: عاصفا.
16991ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: قاصفا التي تُغْرق.
16992ـ حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ثُمّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعا يقول نصيرا.
16993ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال محمد: ثائرا، وقال الحرث: نصيرا ثائرا.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد ثُمّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعا قال: ثائرا.
16994ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة ثُمّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعا أي لا نخاف أن نتبع بشيء من ذلك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ثُمّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنا بِهِ تَبِيعا يقول: لا يتبعنا أحد بشيء من ذلك. والتارة: جمعه تارات وتير، وأفعلت منه: أترت.

الآية : 70

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ كَرّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مّنَ الطّيّبَاتِ وَفَضّلْنَاهُمْ عَلَىَ كَثِيرٍ مّمّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }.

يقولَ تعالى ذكره: وَلَقَدْ كَرّمْنا بَنِي آدَمَ بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم وَحَمَلْناهُمْ فِي البَرّ على ظهور الدوابّ والمراكب و في البَحْرِ في الفلك التي سخرناها لهم وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ يقول: من طيبات المطاعم والمشارب، وهي حلالها ولذيذاتها وَفَضّلْناهم عَلى كَثِيرٍ مِمّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً ذكر لنا أن ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم، وأخذ الأطعمة والأشربة بها ورفعها بها إلى أفواههم، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق، كما:

16995ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله وَلَقَدْ كَرّمْنا بَنِي آدم... الآية، قال: وَفَضّلْناهُمْ في اليدين يأكل بهما، ويعمل بهما، وما سوى الإنس يأكل بغير ذلك.

16996ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم، في قوله: وَلَقَدْ كَرّمْنا بَنِي آدَمَ قال: قالت الملائكة: يا ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها، ويتنعّمون، ولم تعطنا ذلك، فأعطناه في الآخرة فقال: وعزّتي لا أجعل ذرّية من خلقت بيدي، كمن قلت له كن فكان.

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ نَدْعُواْ كُلّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً }.

اختلفت أهل التأويل في معنى الإمام الذي ذكر الله جلّ ثناؤه أنه يدعو كلّ أناس به، فقال بعضهم: هو نبيه، ومن كان يقتدي به في الدنيا ويأتمّ به. ذكر من قال ذلك:

16997ـ حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: حدثنا فضيل، عن ليث، عن مجاهد يَوْمَ نَدْعُو كُلّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ قال: نبيهم.

حدثنا ابن حميد،قال: حدثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد يَوْمَ نَدْعُوا كُلّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ قال: نبيهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: بِإمامِهِمْ قال: نبيهم.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

16998ـ حدثنا محمد، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة كُلّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ قال: نبيهم.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، مثله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنه يدعوهم بكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا. ذكر من قال ذلك:

16999ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: يَوْمَ نَدْعُو كُلّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ قال: الإمام: ما عمل وأملى، فكتب عليه، فمن بعث متقيا لله جعل كتابه بيمينه، فقرأه واستبشر، ولم يظلم فتيلاً، وهو مثل قوله: وإنّهُما لَبِإمامٍ مُبِينٍ والإمام: ما أملى وعمل.

17000ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن يَوْمَ نَدْعُو كُلّ أُناسٍ بإمامِهِمْ قال: بأعمالهم.

حدثنا محمد، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: قال الحسن: بكتابهم الذي فيه أعمالهم.

17001ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله يَوْمَ نَدْعُو كُلّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ يقول: بكتابهم.

17002ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: بأعمالهم.

وقال آخرون: بل معناه: يوم ندعو كلّ أناس بكتابهم الذي أنزلت عليهم فيه أمري ونهيي. ذكر من قال ذلك:

17003ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت يحيى بن زيد في قول الله عزّ وجلّ يَوْمَ نَدْعُو كُلّ أُناسٍ بإمامِهِمْ قال: بكتابهم الذي أنزل عليهم فيه أمر الله ونهيه وفرائضه، والذي عليه يحاسبون، وقرأ: لِكُلّ جَعَلنا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجا قال: الشرعة: الدين، والمنهاج: السنة، وقرأ: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحا قال: فنوح أوّلهم، وأنت آخرهم.

17004ـ حدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد يَوْمَ نَدْعُو كُلّ أُناسٍ بإمامِهِمْ بكتابهم.

وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به، ويأتمّون به في الدنيا، لأن الأغلب من استعمال العرب الإمام فيما ائتمّ واقتدي به، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر أوْلى ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها.

وقوله: فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ يقول: فمن أعطي كتاب عمله بيمينه فَأُولَئِكَ يَقَرَءُونَ كِتابَهُمْ ذلك حتى يعرفوا جميع ما فيه وَلا يُظلَمُونَ فَتِيلاً يقول تعالى ذكره: ولا يظلمهم الله من جزاء أعمالهم فتيلاً، وهو المنفتل الذي في شقّ بطن النواة. وقد مضى البيان عن الفَتيل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

17005ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله وَلا يُظلَمُونَ فَتِيلاً قال: الذي في شقّ النواة.

الآية : 72

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَن كَانَ فِي هَـَذِهِ أَعْمَىَ فَهُوَ فِي الاَخِرَةِ أَعْمَىَ وَأَضَلّ سَبِيلاً }.

اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أشير إليه بقوله «هذه»، فقال بعضهم: أشير بذلك إلى النعم التي عدّدها تعالى ذكره بقوله: وَلَقَدْ كَرّمنا بَنِي آدَمَ وَحَملناهُمْ فِي البَرّ والبَحرِ وَرَزَقناهُمْ مِنَ الطّيّباتِ وَفَضّلناهُمْ على كَثِيرٍ مِمّنْ خَلَقْنا تَفضِيلاً فقال: وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ أعمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى وأضَلّ سَبِيلاً. ذكر من قال ذلك: 17006ـ حدثنا محمد بن المثنى،

قال: حدثنا عبد الأعلى، قال: حدثنا داود، عن محمد بن أبي موسى، قال: سئل عن هذه الآية وَمَنْ كانَ فِي هذِهِ أعمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعمَى وأضَلّ سَبِيلاً فقال: قال وَلَقد كَرّمنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلناهُمْ فِي البَرّ والبَحرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطّيّباتِ وَفَضّلْناهُمْ على كَثِيرٍ مِمّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً قال: من عمي عن شكر هذه النعم في الدنيا، فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن قدرة الله فيها وحججه، فهو في الآخرة أعمى. ذكر من قال ذلك:

17007ـ حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ أعْمَى يقول: من عمي عن قُدرة الله في الدنيا فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى.

17008ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في هَذِهِ أعْمَى قال: الدنيا.

17009ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ أعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى يقول: من كان في هذه الدنيا أعمى عما عاين فيها من نعم الله وخلقه وعجائبه فَهُوَ فِي الآخَرَةِ أعْمَى وأضَلّ سَبِيلاً فيما يغيب عنه من أمر الآخرة وأعمى.

حدثنا محمد، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ أعْمَى في الدنيا فيما أراه الله من آياته من خلق السموات والأرض والجبال والنجوم فَهُوَ فِي الآخِرَةِ الغائبة التي لم يرها أعْمى وأضَلّ سَبِيلاً.

17010ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وسئل عن قول الله تعالى وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ أعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى وأضَلّ سَبِيلاً فقرأ: إنّ فِي السّمَوَاتِ والأرْضِ لآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وفِي أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرُونَ. وقرأ: وَمِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمّ إذَا أنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ، وقرأ حتى بلغ: وَلَهُ مَنْ فِي السّمَوَاتِ والأرْضِ كُلّ لَهُ قانِتُونَ قال: كلّ له مطيعون، إلا ابن آدم. قال: فمن كانت في هذه الآيات التي يعرف أنها منا، ويشهد عليها وهو يرى قدرتنا ونعمتنا أعمى، فهو في الآخرة التي لم يرها أعمى وأضلّ سبيلاً.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها، وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضلّ سبيلاً: يقول: وأضلّ طريقا منه في أمر الدنيا التي قد عاينها ورآها.

وإنما قلنا: ذلك أولى تأويلاته بالصواب، لأن الله تعالى ذكره لم يخصص في قوله وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ الدنيا أعْمَى عمى الكافر به عن بعض حججه عليه فيها دون بعض، فيوجه ذلك إلى عماه عن نعمه بما أنعم به عليه من تكريمه بني آدم، وحمله إياهم في البرّ والبحر، وما عدّد في الآية التي ذكر فيها نعمه عليهم، بل عمّ بالخبر عن عماه في الدنيا، فهم كما عمّ تعالى ذكره.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى فكسرت القَرأَةُ جميعا أعني الحرف الأوّل قوله وَمَنْ كانَ فِي هَذِهِ أعْمَى. وأما قوله فَهُوَ

فِي الآخِرَةِ أعْمَى فإن عامة قرّاء الكوفيين أمالت أيضا قوله: فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى. وأما بعض قرّاء البصرة فإنه فتحه، وتأوّله بمعنى: فهو في الآخرة أشدّ عمى. واستشهد لصحة قراءته بقوله: وأضَلّ سَبِيلاً.

وهذه القراءة هي أوْلى القراءتين في ذلك بالصواب للشاهد الذي ذكرنا عن قارئه كذلك، وإنما كره من كره قراءته كذلك ظنا منه أن ذلك مقصود به قصد عمى العينين الذي لا يوصف أحد بأنه أعمى من آخر أعمى، إذ كان عمى البصر لا يتفاوت، فيكون أحدهما أزيد عمى من الآخر، إلا بإدخال أشدّ أو أبين، فليس الأمر في ذلك كذلك.

وإنما قلنا: ذلك من عمى القلب الذي يقع فيه التفاوت، فإنما عُنِي به عمى قلوب الكفار، عن حجج الله التي قد عاينتها أبصارهم، فلذلك جاز ذلك وحسُن. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17011ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أعْمَى قال: أعمى عن حجته في الآخرة.

الآية : 73

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاّتّخَذُوكَ خَلِيلاً }.

اختلف أهل التأويل في الفتنة التي كاد المشركون أن يفتنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عن الذي أوحى الله إليه إلى غيره فقال بعضهم: ذلك الإلمام بالآلهة، لأن المشركين دعوه إلى ذلك، فهمّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

17012ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القُمّي، من جعفر، عن سعيد، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود، فمنعته قريش، وقالوا: لا نَدَعُه حتى يلم بآلهتنا، فحدّث نفسه، وقال: «ما عَلَيّ أنْ ألمّ بِها بَعْدَ أنْ يَدَعُونِي أسْتَلِمُ الحَجَرَ، وَاللّهُ يَعْلَمُ أنّي لَهَا كارِهٌ»، فَأبَى الله، فَأنْزَلَ اللّهُ: وإنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الّذِي أوْحَيْنا إلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غيرَهُ الآية.

17013ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَلَوْلا أنْ ثَبّتْناكَ لَقَدْ كدْتَ تَرْكَن إلَيْهِمْ شَيْئا قَلِيلاً ذكر لنا أن قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه، وكان في قولهم أن قالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا، فما زالوا يكلّمونه حتى كاد أن يقارفهم ثم منعه الله وعصمه من ذلك، فقال: وَلَوْلا أنْ ثَبّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئا قَلِيلاً.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غيرَهُ قال: أطافوا به ليلة، فقالوا: أنت سيدنا وابن سيدنا، فأرادوه على بعض ما يريدون فهمّ أن يقارفَهُمْ في بعض ما يريدون، ثم عصمه الله، فذلك قوله: لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئا قَلِيلاً الذي أرادوا فهمّ أن يقارفهم فيه.

17014ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: قالوا له: ائت آلهتنا فامْسَسْها، فذلك قوله: شَيْئا قليلاً.

وقال آخرون: إنما كان ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم همّ أن يُنِظر قوما بإسلامهم إلى مدة سألوه الإنظار إليها. ذكر من قال ذلك:

17015ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَن الّذي أَوْحَيْنا إلَيْكَ لِتَفْتَري عَلَيْنا غيرَهُ وإذا لاتّخَذوكَ خَلِيلاً وذلك أن ثقيفا كانوا قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم: يا رسول لله أجّلنا سنة حتى يُهْدَى لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يُهْدى لآلهتنا أخذناه، ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم، وأن يؤجّلهم، فقال الله: وَلَوْلا أَنْ ثَبّتْناكَ لَقَدْ كَدْتَ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئا قَلِيلاً.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم، أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ليعمل بغيره، وذلك هو الافتراء على الله وجائز أن يكون ذلك كان ما ذكر عنهم من ذكر أنهم دعوه أن يمسّ آلهتهم، ويلمّ بها، وجائز أن يكون كان ذلك ما ذُكر عن ابن عباس من أمر ثقيف، ومسألتهم إياه ما سألواه مما ذكرنا وجائز أن يكون غير ذلك، ولا بيان في الكتاب ولا في خبر يقطع العذر أيّ ذلك كان، والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا، فلا شيء فيه أصوب من الإيمان بظاهره، حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما عُنِي بذلك منه.

وقوله: وَإذا لاتّخَذُوكَ خَلِيلاً يقول تعالى ذكره: ولو فعلت ما دَعَوْك إليه من الفتنة عن الذي أوحينا إليك لاتخذوك إذا لأنفسهم خليلاً، وكنت لهم وكانوا لك أولياء.

الآية : 74

القول في تأويل قوله تعالى {وَلَوْلاَ أَن ثَبّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً }.

يقول تعالى ذكره: ولولا أن ثبّتناك يا محمد بعصمتنا إياك عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئا قَلِيلاً يقول: لقد كدت تميل إليهم وتطمئنّ شيئا قليلاً، وذلك ما كان صلى الله عليه وسلم همّ به من أن يفعل بعض الذي كانوا سألوه فعله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر حين نزلت هذه الآية، ما:

17016ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا سليمان، قال: حدثنا أبو هلال، عن قتادة، في قوله وَلَوْلا أَنْ ثَبّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شَيْئا قَلِيلاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَكِلْنِي إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ».

الآية : 75

القول في تأويل قوله تعالى {إِذاً لأذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً }.

يقول تعالى ذكره: لو ركنت إلى هؤلاء المشركين يا محمد شيئا قليلاً فيما سألوك إذن لأذقناك ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17017ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: إذا لأَذَقْناكَ ضِعْفَ الحَياةِ وَضِعْفَ المَماتِ يعني: ضعف عذاب الدنيا والآخرة.

17018ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ضِعْفَ الحَياةِ قال: عذابها وَضِعْفَ المَماتِ قال: عذاب الآخرة.

حدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

17019ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة إذا لأَذَقْناكَ ضِعْفَ الحَياة وَضِعْفَ المَماتِ: أي عذاب الدنيا والآخرة.

حدثنا محمد، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: ضِعْفَ الحَياةِ وضِعْفَ المَمَاتِ قال: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

17020ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ضِعْفَ الحَياةِ وَضِعْفَ المَماتِ يعني عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في قوله: إذا لأَذَقْناكَ ضِعْفَ الحَياةِ مختصر، كقولك: ضعف عذاب الحياة وَضِعْفَ المَماتِ فهما عذابان، عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة. وقوله ثُمّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيرا يقول: ثم لا تجد لك يا محمد إن نحن أذقناك لركونك إلى هؤلاء المشركين لو ركنت إليهم، عذاب الحياة وعذاب الممات علينا نصيرا ينصرك علينا، ويمنعك من عذابك، وينقذك مما نالك منا من عقوبة.

الآية : 76

القول في تأويل قوله تعالى {وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزّونَكَ مِنَ الأرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاّ قَلِيلاً }.

يقول عزّ وجلّ: وإن كاد هؤلاء القوم ليستفزونك من الأرض: يقول: ليستخفونك من الأرض التي أنت بها ليخرجوك منها وَإذا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إلاّ قَلِيلاً يقول: ولو أخرجوك منها لم يلبثوا بعدك فيها إلاّ قليلاً، حتى أهلكهم بعذاب عاجل.

واختلف أهل التأويل في الذين كادوا أن يستفزّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوه من الأرض وفي الأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها فقال بعضهم: الذين كادوا أن يستفزّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اليهود، والأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها المدينة. ذكر من قال ذلك:

17021ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرميّ أنه بلغه أن بعض اليهود قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم: إن أرض الأنبياء أرض الشام، وإن هذه ليست بأرض الأنبياء، فأنزل الله وَإنْ كادُوا لَيَسْتَفِزّونَكَ مِنَ الأرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها.

وقال آخرون: بل كان القوم الذين فعلوا ذلك قريشا، والأرض مكة. ذكر من قال ذلك:

17022ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله وَإنْ كادُوا لَيَسْتَفِزّونَكَ مِنَ الأرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَإذا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إلاّ قَلِيلاً وقد همّ أهل مكة بإخراج النبيّ صلى الله عليه وسلم من مكة، ولو فعلوا ذلك لما توطنوا، ولكن الله كفهم عن إخراجه حتى أمره، ولقلما مع ذلك لبثوا بعد خروج نبيّ الله صلى الله عليه وسلم من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة لَيَسْتَفِزّونَكَ مِنَ الأرْضِ قال: قد فعلوا بعد ذلك، فأهلكهم الله يوم بدر، ولم يلبثوا بعده إلاّ قليلاً حتى أهلكهم الله يوم بدر. وكذلك كانت سنّة الله في الرسل إذا فعل بهم قومهم مثل ذلك.

17023ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد خِلافَكَ إلاّ قَلِيلاً قال: لو أخرجت قريش محمدا لعذّبوا بذلك.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول قتادة ومجاهد، وذلك أن قوله: وَإنْ كادُوا لَيَسْتَفِزّونَكَ مِنَ الأرْضِ في سياق خبر الله عزّ وجلّ عن قريش وذكره إياهم، ولم يجر لليهود قَبل ذلك ذكر، فيوجه قوله وَإنْ كادُوا إلى أنه خبر عنهم، فهو بأن يكون خبرا عمن جرى له ذكر أولى من غيره. وأما القليل الذي استثناه الله جلّ ذكره في قوله وإذا لا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إلاّ قَلِيلاً فإنه فيما قيل، ما بين خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى أن قتل الله من قتل من مشركيهم ببدر. ذكر من قال ذلك:

17024ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: وإذا لا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إلاّ قَلِيلاً يعني بالقليل يوم أخذهم ببدر، فكان ذلك هو القليل الذي لبثوا بعد.

17025ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَإذا لا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إلاّ قَلِيلاً كان القليل الذي لبثوا بعد خروج النبيّ صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم إلى بدر، فأخذهم بالعذاب يوم بدر، وعُنِي بقوله خلافك بعدك، كما قال الشاعر:

عَقَبَ الرّدَاذُ خِلافَها فكأنّـمَابسَط الشّواطِبُ بَـيْنَهُنّ حَصِيرا

يعني بقوله: خلافها: بعدها. وقد حُكي عن بعضهم أنه كان يقرؤها: خلفك. ومعنى ذلك، ومعنى الخلاف في هذا الموضع واحد.

الآية : 77

القول في تأويل قوله تعالى {سُنّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنّتِنَا تَحْوِيلاً }.

يقول تعالى ذكره: لو أخرجوك لم يلبثوا خلافك إلاّ قليلاً، ولأهلكناهم بعذاب من عندنا، سنتنا فيمن قد أرسلنا قبلك من رسلنا، فإنا كذلك كنا نفعل بالأمم إذا أخرجت رسلها من بين أظهرهم ونصبت السنة على الخروج من معنى قوله لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إلاّ قَلِيلاً لأن معنى ذلك: لعذّبناهم

بعد قليل كسنتنا في أمم من أرسلنا قبلك من رسلنا، ولا تجد لسنتنا تحويلاً عما جرت به. كما:

17026ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: سُنّةَ مَنْ قَدْ أرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا وَلا تَجِدُ لِسُنّتِنا تَحْوِيلاً: أي سنة الأمم والرسل كانت قبلك كذلك إذا كذّبوا رسلهم وأخرجوهم، لم يناظروا أن الله أنزل عليهم عذابه.

الآية : 78

القول في تأويل قوله تعالى {أَقِمِ الصّلاَةَ لِدُلُوكِ الشّمْسِ إِلَىَ غَسَقِ اللّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أقِمِ الصّلاةَ يا محمد لِدُلُوكِ الشّمْسِ.

واختلف أهل التأويل في الوقت الذي عناه الله بدلوك الشمس، فقال بعضهم: هو وقت غروبها، والصلاة التي أمر بإقامتها حينئذٍ: صلاة المغرب. ذكر من قال ذلك:

17027ـ حدثني واصل بن عبد الأعلى الأسدي، قال: حدثنا ابن فضيل، عن أبي إسحاق، يعني الشيباني، عن عبد الرحمن بن الأسود، عن أبيه، أنه كان مع عبد الله بن مسعود، على سطح حين غربت الشمس، فقرأ: أقِمِ الصّلاةَ لِدُلُوكِ الشّمْسِ إلى غَسَقِ اللّيل، حتى فرغ من الآية، ثم قال: والذي نفسي بيده إن هذا لَحِينَ دَلَكَتِ الشمس وأفطر الصائم ووقت الصلاة.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن عقبة بن عبد الغافر، أن أبا عُبيدة بن عبد الله كتب إليه أن عبد الله بن مسعود كان إذا غربت الشمس صلّى المغرب، ويفطر عندها إن كان صائما، ويقسم عليها يمينا ما يقسمه على شيء من الصلوات بالله الذي لا إله إلاّ هو، إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة، ويقرأ فيها تفسيرها من كتاب الله أقِمِ الصّلاةَ لِدُلُوكِ الشّمْسِ إلى غَسَقِ اللّيْلِ.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: هذا دلوك الشمس، وهذا غسق الليل، وأشار إلى المشرق والمغرب.

17028ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، قال: قال ابن عباس: دلوك الشمس: غروبها، يقول: دلكت براح.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبد الله، أنه قال: حين غربت الشمس دلكت، يعني براح مكانا.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: دلوكها: غروبها.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: قد ذكر لنا أن ابن مسعود كان يصليها إذا وجبت وعندها يفطر إذا كان صائما، ثم يقسم عليها قسما لا يقسمه على شيء من الصلوات بالله الذي لا إله إلاّ هو، إن هذه الساعة لميقات هذه الصلاة، ثم يقرأ ويصليها وتصديقها من كتاب الله: أقِمِ الصّلاةَ لِدُلُوكِ الشّمْسِ إلى غَسَقِ اللّيْلِ.

17029ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله أَقِمِ الصّلاةَ لِدُلُوكِ الشّمْسِ إلى غَسَقِ اللّيْلِ قال: كان أبي يقول: دلوكها: حين تريد الشمس تغرب إلى أن يغسق الليل، قال: هي المغرب حين يغسق الليل، وتَدلُك الشمس للغروب.

حدثني سعيد بن الربيع، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، سمع عمرو بن دينار أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول: كان عبد الله بن مسعود يصلي المغرب حين يغرب حاجب الشمس، ويحلف أنه الوقت الذي قال الله أَقِمِ الصّلاةَ لدُلُوكِ الشّمْسِ إلى غَسَقِ اللّيْلِ.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: قال عبد الله حين غربت الشمس: هذا والله الذي لا إله غيره وقت هذه الصلاة. وقال: دلوكها: غروبها.

وقال آخرون: دلوك الشمس: ميلها للزوال، والصلاة التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقامتها عند دلوكها: الظهر. ذكر من قال ذلك:

17030ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله، قال: دلوكها: ميلها، يعني الشمس.

17031ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن الشعبيّ، عن ابن عباس، قال، في قوله أَقِمِ الصّلاةَ لِدُلُوكِ الشّمْس قال: دلوكها: زوالها.

17032ـ حدثني موسى بن عبد الرحمن، قال: حدثنا أبو أسامة، عن عبد الحميد بن جعفر، عن نافع، عن ابن عمر، في قوله أَقِمِ الصّلاةَ لِدُلُوكِ الشّمْسِ قال: دلوكها: ميلها.

17033ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين بن واقد، عن سيار بن سلامة، عن أبي برزة الأسلميّ، قوله أَقِمِ الصّلاةَ لِدُلُوكِ الشّمْسِ قال: إذا زالت.

حدثنا ابن حميد مرة أخرى، قال: حدثنا أبو تميلة، قال: حدثنا الحسين بن واقد، قال: حدثنا سيار بن سلامة الرياحي، قال: أتيت أبا برزة فسألته والدي عن مواقيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر إذا زالت الشمس، ثم تلا: أَقِمِ الصّلاةَ لِدُلُوكِ الشّمْسِ.

17034ـ حدثني الحسين بن عليّ الصدائي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا مبارك، عن الحسن، قال: قال الله عزّ وجلّ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أَقِمِ الصّلاةَ لِدُلُوكِ الشّمْسِ إلى غَسَقِ اللّيْلِ قال: الظهر دلوكها، إذا زالت عن بطن السماء، وكان لها في الأرض فَيْء.

حدثنا يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا يونس، عن الحسن، في قوله أَقِمِ الصّلاةَ لدُلُوكِ الشّمْسِ قال: دلوكها: زوالها.

17035ـ حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن جويبر، عن الضحاك، مثل ذلك.

17036ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن أبي جعفر في أَقِمِ الصّلاةَ لِدِلُوكِ الشّمْسِ قال: لزوال الشمس.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الزهري، عن ابن عباس، قال دلوك الشمس: زيغها بعد نصف النهار، يعني الظلّ.

17037ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: دلوك الشمس، قال: حين تزيغ عن بطن السماء.
حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله أَقِمِ الصّلاةَ لِدِلُوكِ الشّمْسِ أي إذا زالت الشمس عن بطن السماء لصلاة الظهر.
17038ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد لِدُلُوكِ الشّمْسِ قال: حين تزيغ.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد قال: دلوك الشمس: حين تزيغ.
وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بقوله أقِمِ الصّلاةَ لِدُلُوكِ الشّمْسِ: صلاة الظهر، وذلك أن الدلوك في كلام العرب: الميل، يقال منه: دلك فلان إلى كذا: إذا مال إليه. ومنه الخبر الذي روي عن الحسن أن رجلاً قال له: أيُدالك الرجل امرأته؟ يعني بذلك: أيميل بها إلى المماطلة بحقها. ومنه قول الراجز:
هَذَا مَقامُ قَدَمَيْ رَباحِغُدْوَةَ حتى دَلَكَتْ بِرَاحِ
ويروى: براح بفتح الباء، فمن روى ذلك: بِراح، بكسر الباء، فإنه يعني: أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها، لينظر ما لقي من غيارها. وهذا تفسير أهل الغريب أبي عبيدة والأصمعي وأبي عمرو الشيبانيّ وغيرهم. وقد ذكرت في الخبر الذي رويت عن عبد الله بن مسعود، أنه قال حين غربت الشمس: دلكت براح، يعني: براح مكانا، ولست أدري هذا التفسير، أعني قوله: براح مكانا مِنْ كلام من هو ممن في الإسناد، أو من كلام عبد الله، فإن يكن من كلام عبد الله، فلا شكّ أنه كان أعلم بذلك من أهل الغريب الذين ذكرت قولهم، وأن الصواب في ذلك قوله، دون قولهم، وإن لم يكن من كلام عبد الله، فإن أهل العربية كانوا أعلم بذلك منه، ولما قال أهل الغريب في ذلك شاهد من قول العجاج، وهو قوله:
والشّمْسُ قد كادَتْ تَكُونُ دَنَفاأدْفَعُها بالرّاحِ كَيْ تَزَحْلَفا
فأخبر أنه يدفع شعاعها لينظر إلى مغيبها براحه. ومن روى ذلك بفتح الباء، فإنه جعله اسما للشمس وكسر الحاء لإخراجه إياه على تقدير قَطامِ وحَذامِ ورَقاشِ، فإذا كان معنى الدلوك في كلام العرب هو الميل، فلا شكَ أن الشمس إذا زالت عن كبد السماء، فقد مالت للغروب، وذلك وقت صلاة الظهر، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان في إسناد بعضه بعض النظر.
17039ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا خالد بن مخلد، قال: ثني محمد بن جعفر، قال: ثني يحيى بن سعيد، قال: ثني أبو بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري، عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتانِي جَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السّلامُ لِدُولُوكِ الشّمْسِ حِينَ زَالَتْ فَصَلّى بِيَ الظّهْرَ».
17040ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا أبو تميلة، قال: حدثنا الحسين بن واقد، قال: ثني سيار بن سلامة الرياحي، قال: قال أبو بَرزة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر إذا زالت الشمس، ثم تلا أقِمِ الصّلاةَ لِدُلُوكِ الشّمْسِ.

17041ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا عمرو بن قيس، عن ابن أبي ليلى، عن رجل، عن جابر بن عبد الله، قال: دعوت نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي، ثم خرجوا حين زالت الشمس، فخرج النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «اخْرُجْ يا أبا بَكْرٍ قَدْ دَلَكَتِ الشّمْسُ».

حدثني محمد بن عثمان الرازي، قال: حدثنا سهل بن بكار، قال: حدثنا أبو عوانة، عن الأسود بن قيس، عن نُبَيح العَنَزِيّ، عن جابر بن عبد الله، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، نحو حديث ابن حميد.

فإذا كان صحيحا ما قلنا بالذي به استشهدنا، فبين إذن أن معنى قوله جلّ ثناؤه: أقِمِ الصّلاةَ لِدُلُوكِ الشّمْسِ إلى غَسَقِ اللّيْلِ أن صلاة الظهر والعصر بحدودهما مما أوجب الله عليك فيهما لأنهما الصلاتان اللتان فرضهما الله على نبيه من وقت دلوك الشمس إلى غسق الليل وغسق الليل: هو إقباله ودنوّه بظلامه، كما قال الشاعر:

(آبَ هَذَا اللّيْلُ إذْ غَسَقَا)

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في الصلاة التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقامتها عنده، فقال بعضهم: الصلاة التي أمر بإقامتها عنده صلاة المغرب. ذكر من قال ذلك:

17042ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله أقِمِ الصّلاةَ لِدِلُوكِ الشّمْسِ إلى غَسَقِ اللّيْلِ قال: غسق الليل: بدوّ الليل.

17043ـ حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سمعت عكرمة سئل عن هذه الآية: أقِمِ الصّلاةَ لِدُلُوكِ الشّمْسِ إلى غَسَقِ اللّيْلِ قال: بدوّ الليل.

17044ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: غسق الليل: غروب الشمس.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

17045ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة غَسَقِ اللّيْلِ: صلاة المغرب.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة إلى غَسَقِ اللّيْلِ بدوّ الليل لصلاة المغرب.

وقد ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا تَزَالُ طائِفَةٌ مِنْ أمّتِي عَلى الفِطْرَةِ ما صَلّوْا صَلاةَ المَغْرِبِ قَبْلَ أنْ تَبْدُوَ النّجومُ».

17046ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله إلى غَسَقِ اللّيْلِ يعني ظلام الليل.

17047ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان أبي يقول: غَسَقِ اللّيْلِ: ظلمة الليل.

وقال آخرون: هي صلاة العصر. ذكر من قال ذلك:

17048ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن أبي جعفر إلى غَسَقِ اللّيْلِ قال: صلاة العصر.

وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: الصلاة التي أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم بإقامتها عند غسق الليل، هي صلاة المغرب دون غيرها، لأن غسق الليل هو ما وصفنا من إقبال الليل وظلامه، وذلك لا يكون إلا بعد مغيب الشمس. فأما صلاة العصر، فإنها مما تقام بين ابتداء دلوك الشمس إلى غسق الليل، لا عند غسق الليل. وأما قوله: وقُرآنَ الفَجْرِ فإن معناه وأقم قرآن الفجر: أي ما تقرأ به صلاة الفجر من القرآن، والقرآن معطوف على الصلاة في قوله: أقِمِ الصّلاةَ لِدُلُوكِ الشّمْسِ.

وكان بعض نحويي البصرة يقول: نصب قوله وَقُرآنَ الفَجْرِ على الإغراء، كأنه قال: وعليك قرآن الفجر إنّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودا يقول: إن ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن كان مشهودا، يشهده فيما ذكر ملائكة الليل وملائكة النهار. وبالذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل: وجاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

17049ـ حدثني عبيد بن أسباط بن محمد القرشي، قال: ثني أبي، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن ابن مسعود عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في هذه الآية وقُرآنَ الفَجْرِ إن قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودا قال: «تَشْهَدُهُ مَلائِكَةُ اللّيْلِ وَمَلائِكَةُ النّهارِ».

17050ـ حدثنا محمد بن سهل، قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا ليث بن سعد وحدثنا محمد بن سهل بن عسكر، قال حدثنا ابن أبي مريم، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن زيادة بن محمد، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة بن عبيد، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ اللّهَ يَفْتَحُ الذّكْرَ فِي ثَلاثِ ساعاتٍ يَبْقَينَ مِنَ اللّيْلِ: فِي السّاعَةِ الأُولى مِنْهُنّ يَنْظُرُ فِي الكِتابِ الّذِي لا يَنْظُرُ فِيهِ أحَدٌ غيرُه فَيَمْحُوا ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ، ثُمّ يَنْزِلُ فِي السّاعَةِ الثّانِيَةِ إلى جَنّةِ عَدْنٍ، وَهِيَ دَارُهُ الّتِي لَمْ تَرَها عَيْنٌ، وَلا تَخْطُرُ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ، وَهِيَ مَسْكَنُهُ، وَلا يَسْكُنُ مَعَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ غيرُ ثَلاثَةٍ: النّبِيّينَ والصّدّيقِينَ والشّهَدَاءِ، ثُمّ يَقولُ: طُوبَى لِمَنْ دَخَلَكِ، ثُمّ يَنْزِلُ فِي السّاعَةِ الثّالِثَةِ إلى السمّاءِ الدّنيْا بِرُوحِهِ وَمَلائِكَتِهِ فَتَنْتَفِضُ، فَيَقُولُ: قُومي بَعوْنِي، ثُمّ يَطّلِعُ إلى عِبادِهِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي أغْفِرْ لَهُ، مَنْ يَسْأَلْنِي أعْطِهِ، مَنْ يَدْعُونِي فَأسْتَجِيبَ لَهُ حتى يَطّلِعَ الفَجْرُ، فذلك حين يقول وَقُرآنَ الفَجْرِ إنّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودا» قال موسى في حديثه: شهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار. وقال ابن عسكر في حديثه: فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار.

17051ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن عقبة بن عبد الغافر، قال: قال أبو عبيدة بن عبد الله: كان عبد الله يحدّث أن صلاة الفجر عندها يجتمع الحرسان من ملائكة الله، ويقرأ هذه الآية: وَقُرآنَ الفَجْرِ إنّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودا.

17052ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وقُرآنَ الفَجْرِ إنّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودا وقرآن الفجر: صلاة الصبح، كنا نحدّث أن عندها يجتمع الحَرَسان من ملائكة الله حَرَس: الليل وحَرَس النهار.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَقُرآنَ الفَجْرِ صلاة الفجر. وأما قوله: كانَ مَشْهُودا فإنه يقول: ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون تلك الصلاة.

17053ـ حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن أبي عبيدة، عن عبد الله أنه قال في هذه الآية: وَقُرآنَ الفَجْرِ إنّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودا قال: تنزل ملائكة النهار وتصعد ملائكة الليل.

حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن فضيل، عن ضرار بن عبد الله بن أبي الهُذيل، عن أبي عبيدة، في قوله: وَقُرآنَ الفَجْرِ إنّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودا قال: يشهده حرس الليل وحرس النهار من الملائكة في صلاة الفجر.

17054ـ حدثنا أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، في قوله: وَقُرآنَ الفَجْرِ إنّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودا قال: كانوا يقولون تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر فتشهد فيها جميعا، ثم يصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء.

17055ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس وَقُرآنَ الفَجْرِ إنّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودا يعني صلاة الصبح.

17056ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَقرآنَ الفَجْرِ قال: صلاة الصبح.

17057ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد وَقُرآنَ الفَجْرِ صلاة الصبح إنّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودا قال: تجتمع في صلاة الفجر ملائكة الليل وملائكة النهار.

17058ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وَقُرآنَ الفَجْرِ يعني صلاة الغداة.

17059ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: وَقُرآنَ الفَجْرِ قال: صلاة الفجر إنّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودا قال: مشهودا من الملائكة فيما يذكرون. قال: وكان عليّ بن أبي طالب، وأبيّ بن كعب يقولان: الصلاة الوسطى التي حضّ الله عليها: صلاة الصبح. قال: وذلك أن صلاة الظهر وصلاة العصر: صلاتا النهار، والمغرب والعشاء: صلاتا الليل، وهي بينها، وهي صلاة نوم، ما نعمل صلاة يُغفل عنها مثلها.

17060ـ حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، عن الجريري، عن أبي الورد بن ثمامة، عن أبي محمد الحضرمي، قال: حدثنا كعب في هذا المسجد، قال: والذي نفس كعب بيده، إن هذه الآية وَقُرآنَ الفَجْر إنّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودا إنها لصلاة الفجر إنها لمشهودة.

حدثني الحسن بن عليّ بن عباس، قال: حدثنا بشر بن شعيب، قال: أخبرني أبي، عن الزهري، قال: ثني سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تَجْتَمِعُ مَلائِكَةُ اللّيْلِ وَمَلائِكَةُ النّهارِ فِي صَلاةِ الفَجْرِ»، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم وَقُرآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرآن الفَجْرِ كانَ مَشْهُودا.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، في قوله وَقُرآنَ الفَجْرِ إنّ قُرآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُودا قال: صلاة الفجر تجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار.

الآية : 79

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمِنَ الْلّيْلِ فَتَهَجّدْ بِهِ نَافِلَةً لّكَ عَسَىَ أَن يَبْعَثَكَ رَبّكَ مَقَاماً مّحْمُوداً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن، نافلة لك خالصة دون أمتك. والتهجد: التيقظ والسهر بعد نومة من الليل. وأما الهجود نفسه: فالنوم، كما قال الشاعر:

ألا طَرَقَتْنا والرّفاقُ هُجُودُفَباتَتْ بِعُلاّتِ النّوَالِ تَجُودُ

وقال الحُطَيئة:

ألا طَرَقَتْ هِنْدُ الهُنُودِ وُصحْبَتِيبِحَوْرَانَ حَوَرَانِ الجُنُودِ هُجُودُ

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17061ـ حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: حدثنا أبي وشعيب بن الليث، عن الليث، عن مجاهد بن يزيد، عن أبي هلال، عن الأعرج أنه قال: أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن رجل من الأنصار، أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فقال: لأنظرنّ كيف يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استيقظ، فرفع رأسه إلى السماء، فتلا أربع آيات من آخر سورة آل عمران إنّ فِي خَلْقِ السّمَوَاتِ والأرْضِ وَاخْتِلافِ اللّيْلِ والنّهارِ حتى مرّ بالأربع، ثم أهوى إلى القربة، فأخذ سواكا فاستنّ به، ثم توضأ، ثم صلى، ثم نام، ثم استيقظ فصنع كصنعه أوّل مرّة، ويزعمون أنه التهجد الذي أمره الله.

17062ـ حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن، قالا: حدثنا سعيد، عن أبي إسحاق، عن محمد بن عبد الرحمن، عن علقمة والأسود أنهما قالا: التهجد بعد نومة.

17063ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عامر، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن الأسود، قال: التهجد: بعد نومة.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، قال: ثني أبو إسحاق، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، عن علقمة والأسود، بمثله.

حدثني الحارث، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا هشيم، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: التهجد: بعد النوم.

17064ـ حدثني الحارث، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا يزيد، عن هشام، عن الحسن، قال: التهجد: ما كان بعد العشاء الآخرة.

17065ـ حُدثت عن عبد الله بن صالح، عن الليث، عن جعفر بن ربيعة، عن الأعرج، عن كثير بن العباس، عن الحجاج بن عمرو، قال: إنما التهجد بعد رقدة.

وأما قوله نافِلَةً لَكَ فإنه يقول: نفلاً لك عن فرائضك التي فرضتها عليك.

واختُلف في المعنى الذي من أجله خصّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع كون صلاة كلّ مصلّ بعد هجوده، إذا كان قبل هجوده قد كان أدّى فرائضه نافلة نفلاً، إذ كانت غير واجبة عليه، فقال بعضهم: معني خصوصه بذلك: هو أنها كانت فريضة عليه، وهي لغيره تطوّع، وقيل له: أقمها نافلة لك: أي فضلاً لك من الفرائض التي فرضتها عليك عما فرضت على غيرك. ذكر من قال ذلك:

17066ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ يعني بالنافلة أنها للنبيّ صلى الله عليه وسلم خاصة، أمر بقيام الليل وكُتب عليه.

وقال آخرون: بل قيل ذلك له عليه الصلاة والسلام لأنه لم يكن فعله ذلك يكفّر عنه شيئا من الذنوب، لأن الله تعالى كان قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فكان له نافلة فضل، فأما غيره فهو له كفارة، وليس هو له نافلة. ذكر من قال ذلك:

17067ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: النافلة للنبيّ صلى الله عليه وسلم خاصة من أجل أنه قد غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فما عمل من عمل سوى المكتوبة، فهو نافلة من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب، فهي نوافل وزيادة، والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم في كفارتها، فليست للناس نوافل.

وأولى القولين بالصواب في ذلك، القول الذي ذكرنا عن ابن عباس، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله تعالى قد خصه بما فرض عليه من قيام الليل، دون سائر أمته. فأما ما ذكر عن مجاهد في ذلك، فقول لا معنى له، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذُكِر عنه أكثر ما كان استغفارا لذنوبه بعد نزول قول الله عزّ وجلّ عليه لِيَغْفِرَ لَكَ اللّهُ ما تَقَدّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأخّرَ وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد مُنْصَرِفَه من الحديبية، وأنزل عليه إذَا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالفَتْحُ عام قبض. وقيل له فيها فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنّهُ كانَ تَوّابا فكان يُعدّ له صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد استغفار مئة مرّة، ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك، فبين إذن وجه فساد ما قاله مجاهد.

17068ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن الأعمش، عن شمر، عن عطية، عن شهر، عن أبي أمامة، قال: إنما كانت النافلة للنبيّ صلى الله عليه وسلم خاصة.

17069ـ حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة نافِلَةً لَكَ قال: تطوّعا وفضيلة لك.

وقوله: عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبّكَ مَقاما مَحْمودا وعسى من الله واجبة، وإنما وجه قول أهل العلم: عسى من الله واجبة، لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إياه ليس من صفته الغرور، ولا شكّ أنه قد أطمع من قال ذلك له في نفعه، إذا هو تعاهده ولزمه، فإن لزم المقول له ذلك وتعاهده ثم لم ينفعه، ولا سبب يحول بينه وبين نفعه إياه مع الأطماع الذي تقدم منه لصاحبه على تعاهده إياه ولزومه، فإنه لصاحبه غارّ بما كان من إخلافه إياه فيما كان أطمعه فيه بقوله الذي قال له. وإذ كان ذلك كذلك، وكان غير جائز أن يكون جلّ ثناؤه من صفته الغرور لعباده صحّ ووجب أن كلّ ما أطمعهم فيه من طمع على طاعته، أو على فعل من الأفعال، أو أمر أو نهى أمرهم به، أو نهاهم عنه، فإنه موف لهم به، وإنهم منه كالعدة التي لا يخلف الوفاء بها، قالوا: عسى ولعلّ من الله واجبة.

وتأويل الكلام: أقم الصلاة المفروضة يا محمد في هذه الأوقات التي أمرتك بإقامتها فيها، ومن الليل فتهجد فرضا فرضته عليك، لعلّ ربك يبعثك يوم القيامة مقاما تقوم فيه محمودا تحمده، وتغبط فيه.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود، فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدّة ذلك اليوم. ذكر من قال ذلك:

17070ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زُفَر، عن حُذيفة، قال: يجمع الناس في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، حُفاة عراة كما خُلقوا، قياما لا تكلّم نفس إلا بإذنه، ينادَى: يا محمد، فيقول: «لبيك وسعديك والخير في يديك، والشرّ ليس إليك، والمهديّ من هَدَيت، عبدك بين يديك، وبك وإليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك ربّ هذا البيت» فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زُفر، عن حُذيفة، قال: يُجْمع الناس في صعيد واحد. فلا تَكَلّم نفس، فأوّل ما يدعو محمد النبيّ صلى الله عليه وسلم، فيقوم محمد النبيّ صلى الله عليه وسلم، فيقول: «لبيك»، ثم ذكر مثله.

17071ـ حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد الرقي، قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن رشدين بن كريب، عن أبيه عن ابن عباس، قوله: عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبّكَ مَقاما مَحْمودا قال: المقام المحمود: مقام الشفاعة.

17072ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، قال: حدثنا أبو الزعراء، عن عبد الله في قصة ذكرها، قال: ثم يؤمر بالصراط فيضرب على جسر جهنم، فيمرّ الناس بقدر أعمالهم يمرّ أوّلهم كالبرق، وكمرّ الريح، وكمرّ الطير، وكأسرع البهائم، ثم كذلك حتى يمرّ الرجل سعيا، ثم مشيا، حتى يجيء آخرهم يتلبّط على بطنه، فيقول: ربّ لما أبطأت بي، فيقول: إني لم أبطأ بك، إنما أبطأ بك عملك، قال: ثم يأذن الله في الشفاعة، فيكون أوّل شافع يوم القيامة جبرئيل عليه السلام، روح القُدس، ثم إبراهيم خليل الرحمن، ثم موسى، أو عيسى، قال أبو الزعراء: لا أدري أيهما قال قال: ثم يقوم نبيكم عليه الصلاة والسلام رابعا، فلا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه، وهو المقام المحمود الذي ذكر الله عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبّكَ مَقاما مَحْمودا.

17073ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عديّ، عن عوف، عن الحسن في قول الله تعالى وَمِنَ اللّيْلِ فَتَهَجّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبّكَ مَقاما مَحْمُودا قال: المقام المحمود: مقام الشفاعة يوم القيامة.

17074ـ حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى: وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله تعالى: مَقاما مَحْمُودا قال: شفاعة محمد يوم القيامة.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

17075ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا أبو معاوية، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان، عن سليمان، قال: هو الشفاعة، يشفعه الله في أمته، فهو المقام المحمود.

17076ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبّكَ مَقاما مَحْمُودا، وقد ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم خُيّر بين أن يكون نبيا عبدا، أو ملكا نبيا، فأومأ إليه جبرئيل عليه السلام: أن تَوَاضَعْ، فاختار نبيّ الله أن يكون عبدا نبيا، فأعْطِي به نبيّ الله ثنتين: إنه أوّل من تنشقّ عنه الأرض، وأوّل شافع. وكان أهل العلم يَرَوْن أنه المقام المحمود الذي قال الله تبارك وتعالى عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبّكَ مَقاما مَحْمُودا شفاعة يوم القيامة.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة مَقاما مَحْمُودا قال: هي الشفاعة، يشفّعه الله في أمته.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا مَعْمر والثوريّ، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زُفَر، قال: سمعت حُذيفة يقول في قوله: عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبّكَ مَقاما مَحْمُودا قال: يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يُسمعهم الداعي، فَيْنَفُذُهم البصرُ حُفاة عُراة، كما خُلِقوا سكوتا لا تكلّم نفس إلا بإذنه، قال: فينادَى محمد، فيقول: لَبّيك وسَعْديك، والخيرُ في يديك، والشرّ ليس إليك، والمهديّ من هَدَيْت، وعبدُك بين يديك، ولك وإليك، لا مَلْجَأ ولا منجَى منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك ربّ البيت، قال: فذلك المقامُ المحمودُ الذي ذكر الله عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبّكَ مَقامَا مَحْمُودا.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زُفَر، قال حُذيفة: يجمع الله الناس في صعيد واحد، حيث يَنْفُذُهم البصر، ويُسْمعهم الداعي، حُفاة عُراة كما خُلقوا أوّل مرّة، ثم يقوم النبيّ صلى الله عليه وسلم فيقول: «لبيك وسعديك»، ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: هو المقام المحمود.

وقال آخرون: بل ذلك المقام المحمود الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبعثه إياه، هو أن يقاعده معه على عرشه. ذكر من قال ذلك:

17077ـ حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي، قال: حدثنا ابن فضيل، عن ليث، عن مجاهد، في قوله: عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبّكَ مَقاما مَحْمُودا قال: يُجْلسه معه على عرشه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صحّ به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك ما:

17078ـ حدثنا به أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن داود بن يزيد، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبّكَ مَقاما مَحْمودا سُئل عنها، قال: «هِيَ الشّفاعَةُ».

17079ـ حدثنا عليّ بن حرب، قال: حدثنا مَكّيّ بن إبراهيم، قال: حدثنا داود بن يزيد الأوْدِيّ، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه

وسلم فـي قوله: عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبّكَ مَقامـا مَـحْمُودا قـال: «هـو الـمقام الذي أشفع فـيه لأمتـي».

17080ـ حدثنا أبو عُتبة الـحِمْصِيّ أحمد بن الفَرَج، قـال: حـدثنا بقـية بـن الوليد، عن الزّبـيديّ، عن الزهريّ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالـك، عـن كعب بن مالك، أن النبـيّ صلى الله عليـه وسـلم قـال: «يُحشَـرُ النّـاسُ يَـوْمَ القِـيامَةِ، فَأكُونُ أنا وأُمّتِـي علـى تَلَ، فَـيَكْسُونِـي رَبّـي حُلّةً خَضْراءَ، ثُمّ يُؤْذَنَ لِـي، فأقُولُ ما شاءَ اللّهُ أنْ أقُولَ، فَذَلِكَ الـمَقامُ الـمَـحْمُودُ».

17081ـ حدثنـي مـحمد بن عبد الله بن عبد الـحكم، قال: حدثنا شعيب بن اللـيث، قال: ثنـي اللـيث، عن عبـيد الله بن أبــي جعفـر، أنـه قـال: سـمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقـول: سـمعت عبـد اللـه بـن عمـر يقـول: قـال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: «إنّ الشّـمْسَ لَتَـدْنُو حتــى يَبْلُـغَ العَـرَقُ نِصْفَ الأُذُنِ، فَبَـيْنَـما هُمْ كَذلِكَ اسْتَغاثُوا بآدَمَ عَلَـيْهِ السّـلامُ، فَـيَقُولُ: لَسْـتُ صَاحِبَ ذلكَ، ثُمّ بِـمُوسَى عَلَـيْهِ السّلامُ، فَـيَقُولُ كَذلكَ ثُـمّ بِـمُـحَمّدٍ فَـيَشْفَعُ بـينَ الـخَـلْقِ فَـيَـمْشِي حتـى يَأخُذَ بِحَلْقَةِ الــجَنّةِ، فَـيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُـهُ اللّـهُ مَقامـا مَـحْمُودا».

17082ـ حدثنـي أبو زيد عمر بن شَبّة، قال: حدثنا موسى بن إسماعيــل، قال: حدثنا سعيد بن زيد، عـن علــيّ بـن الـحكم، قـال: ثنــي عثمـان، عـن إبراهيـم، عن الأسود وعلقمة، عن ابن مسعود، قال: قال رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم: «إنّـي لأَقُومُ الــمَقامَ الـمَـحْمُودَ» فقـال رجـل: يـا رسـول الله، وما ذلك الـمقام الـمحمود؟ قال رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «ذَاكَ إذَا جِيءَ بِكُمْ حُفـاةً عُرَاةً غُرْلاً فَـيَكُونُ أوّلَ مَنْ يُكْسَى إبْراهِيـمُ عَلَــيْهِ السّلامُ، فَـيُؤْتَـى بِريطَتَـيْنِ بَـيْضَاوَيْنِ، فَـيَـلْبَسُهُما، ثُمّ يَقْعُدُ مُسْتَقْبِلَ العَـرْشِ، ثُمّ أوتـى بكِسْوتَـي فألْبَسُها، فَأقُومُ عَنْ يَـمِينِهِ مَقاما لا يَقُومُهُ غَيرِي يَغْبِطُنِـي فِـيهِ الأوّلُونَ والآخِرُونَ، ثُمّ يُفْتَـحُ نَهْرٌ مِنَ الكَوْثَرِ إلـى الـحَوْضِ».

17083ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى، قال: حـدثنا مــحمد بـن ثـور، عـن معمر، عن الزهريّ، عن علـيّ بن الـحسين، أن النبـيّ صلى الله عليه وسـلم قال: «إذَا كانَ يَوْمَ القِـيامَةِ مَدّ اللّهُ الأرْضُ مَدّ الأدِيــمِ حتــى لا يَكُـونَ لِبَشَـرٍ مِنَ النّاسِ إلاّ مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ»، قال النبـيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم: «فَـأكُونُ أوّلَ مَنْ يُدْعَى وَجَبْرَئِيـلُ عَنْ يَـمِينِ الرّحْمَنِ، واللّهِ ما رآهُ قَبْلَهـا، فَـأقُولُ: أيّ ربّ إنّ هَذَا أخْبَرَنِـي أنّكَ أرْسَـلْتَهُ إلَــيّ، فَــيَقُولُ اللّـهُ عَـزّ وَجَـلّ: صَـدَقَ، ثُـمّ أشْفَعُ، قال: فَهُوَ الـمَقامُ الـمَـحْمُودُ».

حدثنا الـحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهريّ، عن علـيّ بن الـحسين، قال: قال النبــيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم: «إذَا كانَ يَوْمُ القِـيامَةِ»، فذكر نـحوه، وزاد فـيه: «ثُـمّ أشْـفَعُ فَـأقُولُ: يـا ربّ عِبـادُكَ عَبَدُوكَ فـي أطْرافِ الأرْضِ، وَهُوَ الـمَقامُ الـمَـحْمُودُ».

17084ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عامر، قـال: حـدثنا إبراهيــم بـن طهمـان، عـن آدم، عـن علــيّ، قـال: سـمعت ابـن عمـر يقـول: إن النـاس يحشرون يوم القـيامة، فـيجيء مع كلّ نبـيّ أمته، ثم يجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم فـي آخر الأمـم هو وأمته، فـيرقـى هو وأمته علـى كَوم فوق الناس، فـيقول: يـا فلان اشـفع، ويـا فلان اشـفع، ويـا فلان اشـفع، فمـا زال يردّها بعضهم علـى بعض يرجع ذلك إلـيه، وهو الـمقام الـمحمود الذي وعده الله إياه.

حدثنا محمد بن عوف، قال: حدثنا حَيْوة وربيع، قالا: حدثنا محمد بن حرب، عن الزبيديّ، عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن كعب بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْشَرُ النّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ فَأكُونُ أنا وأمّتِي على تَلّ، فَيَكْسُونِي رَبّي عَزّ وَجَلّ حُلّةً خَضْرَاءَ، ثُمّ يُؤْذَنُ لِيَ فَأقُولُ ما شاءَ اللّهُ أنْ أقُولَ، فذلكَ المَقامُ المَحْمُودُ».

وهذا وإن كان هو الصحيح من القول في تأويل قوله عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبّكَ مَقاما مَحْمُودا لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين، فإن ما قاله مجاهد من أن الله يُقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه، قول غير مدفوع صحته، لا من جهة خبر ولا نظر، وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من أصحابه، ولا عن التابعين بإحالة ذلك. فأما من جهة النظر، فإن جميع من ينتحل الإسلام إنما اختلفوا في معنى ذلك على أوجه ثلاثة: فقالت فرقة منهم: الله عزّ وجلّ بائن من خلقه كان قبل خلقه الأشياء، ثم خلق الأشياء فلم يماسّها، وهو كما لم يزل، غير أن الأشياء التي خلقها، إذ لم يكن هو لها مماسا، وجب أن يكون لها مباينا، إذ لا فعال للأشياء إلا وهو مماسّ للأجسام أو مباين لها. قالوا: فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله عزّ وجلّ فاعل الأشياء، ولم يجز في قولهم: إنه يوصف بأنه مماسّ للأشياء، وجب بزعمهم أنه لها مباين، فعلى مذهب هؤلاء سواء أقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه، أو على الأرض إذ كان من قولهم إن بينونته من عرشه، وبينونته من أرضه بمعنى واحد في أنه بائن منهما كليهما، غير مماسّ لواحد منهما.

وقالت فرقة أخرى: كان الله تعالى ذكره قبل خلقه الأشياء، لا شيء يماسه، ولا شيء يباينه، ثم خلق الأشياء فأقامها بقدرته، وهو كما لم يزل قبل الأشياء خلقه لا شيء يماسه ولا شيء يباينه، فعلى قول هؤلاء أيضا سواء أقعد محمدا صلى الله عليه وسلم على عرشه، أو على أرضه، إذ كان سواء على قولهم عرشه وأرضه في أنه لا مماس ولا مباين لهذا، كما أنه لا مماس ولا مباين لهذه.

وقالت فرقة أخرى: كان الله عزّ ذكره قبل خلقه الأشياء لا شيء يماسه، ولا شيء يباينه، ثم أحدث الأشياء وخلقها، فخلق لنفسه عرشا استوى عليه جالسا، وصار له مماسا، كما أنه قد كان قبل خلقه الأشياء لا شيء يرزقه رزقا، ولا شيء يحرمه ذلك، ثم خلق الأشياء فرزق هذا وحرم هذا، وأعطى هذا، ومنع هذا، قالوا: فكذلك كان قبل خلقه الأشياء يماسه ولا يباينه، وخلق الأشياء فماس العرش بجلوسه عليه دون سائر خلقه، فهو مماس ما شاء من خلقه، ومباين ما شاء منه، فعلى مذهب هؤلاء أيضا سواء أقعد محمدا على عرشه، أو أقعده على منبر من نور، إذ كان من قولهم: إن جلوس الربّ على عرشه، ليس بجلوس يشغل جميع العرش، ولا في إقعاد محمد صلى الله عليه وسلم موجبا له صفة الربوبية، ولا مخرجه من صفة العبودية لربه، كما أن مباينة محمد صلى الله عليه وسلم ما كان مباينا له من الأشياء غير موجبة له صفة الربوبية، ولا مخرجته من صفة العبودية لربه من أجل أنه موصوف بأنه له مباين، كما أن الله عزّ وجلّ موصوف على قول قائل هذه المقالة بأنه مباين لها، هو مباين له. قالوا:

فإذا كان معنى مبـاين ومبـاين لا يـوجب لـمـحمد صـلى اللـه عليـه وسـلم الـخروج من صفة العبودة والدخول فـي معنى الربوبـية، فكذلك لا يوجب له ذلك قعوده علـى عرش الرحمن، فقد تبـين إذا بـما قُلنا أنه غير مـحال فـي قول أحد مـمن ينتـحل الإسلام ما قاله مـجاهد مـن أن اللـه تبـارك وتعالـى يُقْعِد مـحمدا علـى عرشه.

فإن قال قائل: فإنا لا ننكر إقعادا الله مـحمدا علـى عرشـه، وإنـما ننكـر إقعاده.

17085ـ حدثنـي عبـاس بن عبد العظيـم، قال: حدثنا يحيى بن كثـير، عن الـجَريريّ، عن سيف السّدُوسيّ، عن عبد اللـه بـن سـلام، قـال: إن مـحمدا صلى الله عليه وسلم يوم القـيامة علـى كرسيّ الربّ بـين يدي الربّ تبـارك وتعالـى، وإنـما ينكر إقعاده إياه معه. قـيـل: أفجائز عندك أن يقعده علـيه لا معه. فإن أجاز ذلك صار إلـى الإقرار بأنه إما معه، أو إلـى أنـه يقعـده، واللـه للعرش مبـاين، أو لا مـماسّ ولا مبـاين، وبأيّ ذلك قال كان منه دخـولاً فـي بعض ما كان ينكره وإن قال ذلك غير جائز كان منه خروجـا مـن قـول جميـع الفرق التـي حكينا قولهم، وذلك فراق لقـول جميـع مـن ينتـحل الإسـلام، إذ كان لا قول فـي ذلك إلا الأقوال الثلاثة التـي حكيناها، وغير مـحال فـي قـول منها ما قال مـجاهد فـي ذلك.

الآية : 80

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِـدْقٍ وَأَخْرِجْنِـي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه: وقل يا مـحمد يا ربّ أدخـلنـي مدخـل صدق.

واختلف أهل التأويـل فـي معنى مُدْخـل الصدق الذي أمره الله نبـيه صلى الله عليه وسلم أن يرغب إلـيه فـي أن يدخـله إيـاه، وفـي مخـرج الصـدق الذي أمره أن يرغب إلـيه فـي أن يخرجه إياه، فقال بعضهم: عَنَـى بـمُدْخـل الصّدق: مُدْخـل رسول الله صلى الله عليه وسلم الـمدينة، حين هاجر إلـيها، ومُخْرج الصدق: مُخْرجه من مكة، حين خرج منها مهاجرا إلـى الـمدينة.ذكـر من قال ذلك:

17086ـ حدثنا ابن وكيع وابن حميد، قالا: حدثنا جرير، عن قابوس بن أبـي ظَبْـيان، عن أبـيه، عن ابن عبـاس قال: كان النبـيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم بـمكة، ثم أمر بـالهجرة، فأنزل الله تبـارك وتعالـى اسمه وَقُلْ رَبّ أَدْخِـلْنِـي مُدْخَـلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِـي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لـي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطانا نَصِيرا.

17087ـ حدثنا مـحمد بن عبد الله بن بزيع، قال: حدثنا بشر بن الـمفضل، عن عوف عن الـحسن، فـي قول الله: أَدْخِـلْنِـي مُدْخَـلَ صِـدْقٍ وأَخْرِجْنِـي مُخْرَجَ صِدْقٍ قال: كفـار أهل مكة لـما ائتـمروا برسول الله صلى اللـه عليـه وسلم لـيقتلوه، أو يطردوه، أو يُوثِقوه، وأراد الله قتال أهـل مكـة، فـأمره أن يخرج إلـى الـمدينة، فهو الذي قال الله أَدْخِـلْنِـي مُدْخَـلَ صِدْقٍ.

17088ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى، قال: حـدثنا مـحمد بـن ثـور، عـن مَعْمر، عن قتادة مُدْخَـلَ صِدْقٍ قال: الـمدينة وَمُخْرَجَ صِدْقٍ قال: مكة.

حدثنا بشر، قال: حـدثنا يزيـد، قـال: حـدثنا سـعيد، عـن قتـادة وَقُـلْ رَبّ أَدْخِـلْنِـي مُدْخَـلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِـي مُخْرَجَ صِدْقٍ أخرجـه اللـه مـن مكـة إلـى الهجرة بـالـمدينة.

17089ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَقُلْ رَبّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ قال: المدينة حين هاجر إليها، ومخرج صدق: مكة حين خرج منها مخرج صدق، قال ذلك حين خرج مهاجرا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقل ربّ أمتني إماتة صِدْق، وأخرجني بعد الممات من قبري يوم القيامة مُخْرَج صدق. ذكر من قال ذلك:

17090ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس وَقُلْ رَبّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ... الآية، قال: يعني بالإدخال: الموت، والإخراج: الحياة بعد الممات.

وقال آخرون: بل عَنَى بذلك: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني من النبوّة مُدْخَل صدق، وأخرجني منه مُخْرَج صدق. ذكر من قال ذلك:

17091ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ قال: فيما أرسلتني به من أمرك وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ قال كذلك أيضا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، بنحوه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أدخلني مدخل صدق: الجنة، وأخرجني مخرج صدق: من مكة إلى المدينة. ذكر من قال ذلك:

17092ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: قال الحسن: أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ الجنة ومُخْرَجَ صِدْقٍ من مكة إلى المدينة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أدخلني في الإسلام مُدْخل صدق. ذكر من قال ذلك:

17093ـ حدثنا سهل بن موسى الرازي، قال: حدثنا ابن نمير، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح في قوله: رَبّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ قال: أدخلني في الإسلام مدخل صدق وأَخْرِجْنِي منه مُخْرَجَ صِدْقٍ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أدخلني مكة آمنا، وأخرجني منها آمنا. ذكر من قال ذلك:

17094ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك قال في قوله: رَبّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ يعني مكة، دخل فيها آمنا، وخرج منها آمنا.

وأشبه هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: معنى ذلك: وأدخلني المدينة مُدْخل صدق، وأخرجني من مكة مُخْرج صدق.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية، لأن ذلك عقيب قوله: وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزّونَكَ مِن الأرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وإذا لا يَلْبَثُونَ خِلاَفَكَ إلاّ قَلِيلاً. وقد دللنا فيما مضى، على أنه عنى بذلك أهل مكة فإذ كان ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون أرادوا من استفزازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليخرجوه عن مكة، كان بيّنا، إذ كان الله قد أخرجه منها، أن قوله: وَقُلْ رَبّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ أمر منه له بالرغبة إليه في أن يخرجه من البلدة التي هم المشركون بإخراجه منها مخرج صدق، وأن يدخله البلدة التي نقله الله إليها مدخل صدق.

وقوله: وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطانا نَصِيرا اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: واجعل لي ملكا ناصرا ينصرني على من ناوأني، وعِزّا أقيم به دينك، وأدفع به عنه من أراده بسوء. ذكر من قال ذلك:

17095ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: حدثنا بشر بن المفضل، عن عوف، عن الحسن، في قول الله عزّ وجلّ: وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطانا نَصِيرا يُوعِده لَيَنْزِعَنّ مُلك فارس، وعزّ فارس، وليجعلنه له، وعزّ الرّوم، ومُلك الروم، وليجعلنه له.

17096ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطانا نَصِيرا وإن نبيّ الله علم أن لا طاقةَ له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطانا نصيرا لكتاب الله عزّ وجلّ، ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله، وإن السلطان رحمة من الله جعلها بين أظهر عباده، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض، فأكل شديدهم ضعيفهم.

وقال آخرون: بل عُنِي بذلك حجة بينة. ذكر من قال ذلك:

17097ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ سُلْطانا نَصِيرا قال: حجة بينة.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك أمر من الله تعالى نبيه بالرغبة إليه في أن يؤتيه سلطانا نصيرا له على من بغاه وكاده، وحاول منعه من إقامته فرائض الله في نفسه وعباده.

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون هموا به من إخراجه من مكة، فأعلمه عزّ وجلّ أنهم لو فعلوا ذلك عوجلوا بالعذاب عن قريب، ثم أمره بالرغبة إليه في إخراجه من بين أظهرهم إخراج صدق يحاوله عليهم، ويدخله بلدة غيرها، بمدخل صدق يحاوله عليهم ولأهلها في دخولها إليها، وأن يجعل له سلطانا نصيرا على أهل البلدة التي أخرجه أهلها منها، وعلى كلّ من كان لهم شبيها، وإذا أوتي ذلك، فقد أوتي لا شكّ حجة بينة.

وأما قوله: نَصِيرا فإن ابن زيد كان يقول فيه، نحو قولنا الذي قلنا فيه.

17098ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَاجْعَلَ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطانا نَصِيرا قال: ينصرني، وقد قال الله لموسى سَنَشُدّ عَضُدَكَ بأخِيكَ وَنجْعَلُ لَكُما سُلْطانا فَلا يَصِلُونَ إلَيكُما بآياتنا هذا مقدّم ومؤخّر، إنما هو سلطان بآياتنا فلا يصلون إليكما.

الآية : 81 و 82

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقُلْ جَآءَ الْحَقّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً * وَنُنَزّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظّالِمِينَ إَلاّ خَسَاراً }.

يقول تعالى ذكره: وقل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين كادوا أن يستفزّونك من الأرض ليخرجوك منها: جاءَ الحَقّ وَزَهَقَ الباطِلُ.

واختلف أهل التأويل في معنى الحقّ الذي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعْلم المشركين أنه قد جاء، والباطل الذي أمره أن يعلمهم أنه قد زَهَق، فقال بعضهم: الحقّ: هو القرآن في هذا الموضع، والباطل: هو الشيطان. ذكر من قال ذلك:

17099ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَقُلْ جاءَ الحَقّ قال: الحقّ: القرآن وَزَهَقَ الباطِلُ إنّ الباطِلَ كانَ زَهُوقا.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَقُلْ جاءَ الحَقّ قال: القرآن: وَزَهَقَ الباطِلُ قال: هلك الباطل وهو الشيطان.

وقال آخرون: بل عُنِي بالحقّ جهاد المشركين وبالباطل الشرك. ذكر من قال ذلك:

17100ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: وَقُلْ جاءَ الحَقّ قال: دنا القتال وَزَهَقَ الباطِلُ قال: الشرك وما هم فيه.

17101ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وحول البيت ثلاثُ مئة وستون صنما، فجعل يطعنها ويقول: جاءَ الحَقّ وَزَهَقَ الباطِلُ إنّ الباطِلَ كانَ زَهُوقا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله تبارك وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يخبر المشركين أن الحقّ قد جاء، وهو كلّ ما كان لله فيه رضا وطاعة، وأن الباطل قد زهق: يقول: وذهب كلّ ما كان لا رضا لله فيه ولا طاعة مما هو له معصية وللشيطان طاعة، وذلك أن الحقّ هو كلّ ما خالف طاعة إبليس، وأن الباطل: هو كلّ ما وافق طاعته، ولم يخصص الله عزّ ذكره بالخبر عن بعض طاعاته، ولا ذهاب بعض معاصيه، بل عمّ الخبر عن مجيء جميع الحقّ، وذهاب جميع الباطل، وبذلك جاء القرآن والتنزيل، وعلى ذلك قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الشرك بالله، أعني على إقامة جميع الحقّ، وإبطال جميع الباطل.

وأما قوله عزّ وجلّ: وَزَهَقَ الباطِلُ فإن معناه: ذهب الباطل، من قولهم: زَهَقت نفسه: إذا خرجت وأزهقتها أنا ومن قولهم: أزهق السهم: إذا جاوز الغرض فاستمرّ على جهته، يقال منه: زهق الباطل، يزهَق زُهوقا، وأزهقه الله: أي أذهبه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17102ـ حدثنا عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس إنّ الباطِلَ كانَ زَهُوقا يقول: ذاهبا.

وقوله عزّ وجلّ: وَنُنَزّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ يقول تعالى ذكره: وننزّل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل من الضلالة، ويبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويحلون حلاله، ويحرّمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة، ويُنجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم وَلا يَزِيدُ الظّالِمِينَ إلاّ خَسارا يقول: ولا يزيد هذا الذي ننزل عليك من القرآن الكافرين به إلا خسارا:

يقول: إهلاكا، لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشيء أو نهى عن شيء كفروا به، فلم يأتمروا لأمره، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه، فزادهم ذلك خسارا إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار، ورجسا إلى رجسهم قبلُ، كما:

17103ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَنُنَزّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ للْمُؤْمِنِينَ إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه وَلا يَزِيدُ الظّالِمِينَ به إلاّ خَسارا أنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه، وإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين.

الآية : 83

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسّهُ الشّرّ كَانَ يَئُوساً }.

يقول تبارك وتعالى: وإذا أنعمنا على الإنسان، فنجّيناه من رب ما هو فيه في البحر، وهو ما قد أشرف فيه عليه من الهلاك بعصوف الريح عليه إلى البرّ، وغير ذلك من نعمنا، أعرض عن ذكرنا، وقد كان بنا مستغيثا دون كلّ أحد سوانا في حال الشدّة التي كان فيها وَنأي بِجانِبِهِ يقول: وبعد منا بجانبه، يعني بنفسه، كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَيَ ضُرَ مَسّهُ قبل ذلك، كما:

17104ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن مجاهد، في قوله: وَنأي بِجانِبِهِ قال: تباعد منا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

والقراءة على تصيير الهمزة في نَأَى قبل الألف، وهي اللغة الفصيحة، وبها نقرأ. وكان بعض أهل المدينة يقرأ ذلك «وَناء» فيصير الهمزة بعد الألف، وذلك وإن كان لغة جائزة قد جاءت عن العرب بتقديمهم في نظائر ذلك الهمز في موضع هو فيه مؤخرّ، وتأخيرهموه في موضع، هو مقدّم، كما قال الشاعر:

أعلامٌ يقَلّلُ رَاءَ رُؤْيافَهْوَ يَهْذِي بِما رأى فِي المَنامِ

وكما قال آبار وهي أبار، فقدموا الهمزة، فليس ذلك هو اللغة الجُودَي، بل الأخرى هي الفصيحة.

وقوله عزّ وجل: وَإِذَا مَسّهُ الشّرّ كانَ يَئُوسا يقول: وإذا مسه الشرّ والشدّة كان قنوطا من الفرج والرّوْح.

وبنحو الذي قلنا في اليئوس، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17105ـ حدثنا عليّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَإِذَا مَسّهُ الشّرُ كانَ يَئُوسا يقول: قَنُوطا.

17106ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَإِذَا مَسّهُ الشّرّ كانَ يَئُوسا يقول: إذا مسه الشرّ أيِس وقَنِط.

الآية : 84

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ كُلّ يَعْمَلُ عَلَىَ شَاكِلَتِهِ فَرَبّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىَ سَبِيلاً }.

يقول عزّ وجلّ لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للناس: كلكم يعمل على شاكلته: على ناحيته وطريقته فَرَبّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هو منكم أَهْدَى سَبِيلاً يقول: ربكم أعلم بمن هو منكم أهدى طريقا إلى

الـحقّ من غيره. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك، قال أهل التأويـل. ذكر من قـال ذلك:
17107ـ حدثنا علـيّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثنـي معاوية، عن علــيّ، عن ابن عبـاس، قوله: كُلّ يَعْمَلُ عَلـى شاكِلَتِهِ يقول: علـى ناحيته.
17108ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو، قـال: حـدثنا أبـو عاصـم، قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث، قال: حدثنا الـحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبـي نـجيح، عن مـجاهد، قوله: عَلـى شاكِلَتِهِ قال: علـى ناحيته.
حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن ابن جريج، عن مـجاهد قُلْ كُلّ يَعْمَلُ علـى شاكِلَتِهِ قال: علـى طبـيعته علـى حِدَته.
17109ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قُلْ كُل يَعْمَلُ عَلـى شاكِلَتِهِيقول: علـى ناحيته وعلـى ما ينوي.
وقال آخرون: الشَاكلة: الدّين. ذكر من قال ذلك:
17110ـ حدثنـي يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابـن زيـد، فــي قوله: كُلّ يَعْمَلُ علـى شاكِلَتِهِ قال: علـى دينه، الشاكلة: الدين.

الآية : 85

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الـرّوحُ مِـنْ أَمْـرِ رَبّي وَمَآ أُوتِيتُم مّن الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلاً }.
يقول تعالـى ذكره لنَبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: ويسـألك الكفــار بـالله من أهل الكتاب عن الروح ما هي؟ قل لهم: الروح من أمر ربــي، ومـا أوتـيتـم أنتـم وجميع الناس من العلـم إلا قلـيلاً. وذُكِر أن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح، فنزلت هذه الآية بـمسألتهم إياه عنهـا، كانوا قوما من الـيهود. ذكر الرواية بذلك:
17111ـ حدثنا أبو هشام، قال: حـدثنا وكيـع، قـال: حـدثنا الأعمـش، عـن إبراهيـم، عن علقمة، عن عبد الله، قـال: كنـت مـع النبــيّ صـلى اللـه عليـه وسلم فـي حرث بـالـمدينة، ومعه عَسِيب يتوكأ عليـه، فمر بقوم من الـيهود، فقال بعضهم: اسألوه عـن الـروح، وقـال بعضـهم: لا تسـألوه، فقـام متوكئـا علـى عسيبه، فقمت خـلفه، فظننت أنه يوحَى إلـيه، فقـال: وَيَسْـئَلُونَكَ عَـنِ الرّوحِ قُلِ الرُوحُ مِنْ أمْرِ رَبّـي وَما أُوتِـيتُـمْ مِنَ العِلْـمِ إلاّ قَلِـيلاً فقال بعضهم لبعض: ألَـم نقل لكم لا تسألوه.
حدثنا يحيى بن إبراهيـم الـمسعوديّ، قال: حدثنا أبـي، عن أبـيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن إبراهيـم، عن علقمة، عن عبد الله، قـال: بــينا أنـا أمشـي مع رسول الله صلى الله عليه وسـلم فــي حَـرّة بـالــمدينة، إذ مررنـا علــى يهود، فقال بعضهم: سَلُوه عن الروح، فقالوا: ما أربكم إلـى أن تسـمعوا مـا تكرهـون، فقـاموا إلــيه، فسـألوه، فقـام فعرفـت أنـه يـوحَى إلــيه، فقمـت مكانـي، ثم قرأ: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِنْ أمْرِ رَبّــي وَمـا أُوتِـيُتـمْ مِنَ العِلْـمِ إلاّ قَلِـيلاً فقالوا: ألَـم ننهكم أن تسألوه.
17112ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى، قال: حدثنا ابن عبد الأعلـى، قال: حدثنا داود، عن عكرمة، قال: سأل أهل الكتاب رسول الله صلى الله عليـه وسـلم عن الروح، فأنزل الله تعالـى: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِنْ أمْرِ رَبّــي وَما أُوتِـيُتُـمْ مِنَ العِلْـمِ إلاّ قَلِـيلاً فقالوا: أتزعم أنـا لــم نـؤتَ مـن العلــم إلا قلـيلا، وقد أوتـينا التورَاة، وهي الـحكمة، وَمَنْ يُؤْتَ الـحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِـيَ خَيْـرا

كَثِيرا. قال: فنزلت: وَلَوْ أنّ ما فِي الأرْضِ من شَجَرَةٍ أقْلامٌ والبَحْرُ يَمُدّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ قال: ما أوتيتم على علم، فنجاكم الله به من النار، فهو كثير طيب، وهو في علم الله قليل.

حدثني إسماعيل بن أبي المتوكل، قال: حدثنا الأشجعيّ أبو عاصم الحِمْصيّ، قال: حدثنا إسحاق بن عيسى أبو يعقوب، قال: حدثنا القاسم بن معن، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: إني لمع النبيّ صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة، إذ أتاه يهوديّ، قال: يا أبا القاسم، ما الروح؟ فسكت النبيّ صلى الله عليه وسلم، وأنزل الله عزّ وجلّ: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِنْ أمْرِ ربّي.

17113ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ لقيت اليهود نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، فتغَشّوه وسألوه وقالوا: إن كان نبيا علم، فسيعلم ذلك، فسألوه عن الروح، وعن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين فأنزل الله في كتابه ذلك كله وَيَسْئَلُونَكَ عَن الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِنْ أمْرِ رَبّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً يعني اليهود.

17114ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قال: يهود تسأل عنه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قال: يهود تسأله.

17115ـ حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ... الآية: وذلك أن اليهود قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم: أخبرنا ما الروح، وكيف تعذّب الروح التي في الجسد وإنما الروح من الله عزّ وجلّ، ولم يكن نزل عليه فيه شيء، فلم يُجِر إليهم شيئا، فأتاه جَبرئيل عليه السلام، فقال له: قُلِ الرّوحُ مِنْ أمْرِ رَبّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً فأخبرهم النبيّ صلى الله عليه وسلم بذلك، قالوا له: من جاءَك بهذا؟ فقال لهم النبيّ صلى الله عليه وسلم: «جاءنِي بِهِ جِبْرِيلُ مِنْ عِنْدِ اللّهِ»، فقالوا: والله ما قاله لك إلا عدوّ لنا، فأنزل الله تبارك اسمه: قُلْ مَنْ كانَ عَدُوّا لِجْبرِيلَ فإنّهُ نَزّلَهُ عَلى قَلْبِكَ... الآية.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله، قال: كنت أمشي مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فمررنا بأناس من اليهود، فقالوا: يا أبا القاسم ما الرّوح؟ فأسْكِت، فرأيت أنه يوحَى إليه، قال: فتنحيت عنه إلى سُباطة، فنزلت عليه: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ... الآية، فقالت اليهود: هكذا نجده عندنا.

واختلف أهل التأويل في الروح الذي ذُكِر في هذا الموضع ما هي؟ فقال بعضهم: هي جبرئيل عليه السلام. ذكر من قال ذلك:

17116ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قال: هو جبرائيل، قال قتادة: وكان ابن عباس يكتمه.

وقال آخرون: هي مَلك من الملائكة. ذكر من قال ذلك:

17117ـ حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الروحِ قال: الروح: مَلك.
17118ـ حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية، عمن حدثه عن عليّ بن أبي طالب، أنه قال في قوله: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قال: هو ملَك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكل وجه منها سبعون ألف لسان، لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله عزّ وجلّ بتلك اللغات كلها، يخلق الله من كلّ تسبيحة ملَكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة.
وقد بيّنا معنى الرّوح في غير هذا الموضع من كتابنا، بما أغنى عن إعادته.
وأما قوله: منْ أمْرِ رَبّي فإنه يعني: أنه من الأمر الذي يعلمه الله عزّ وجلّ دونكم، فلا تعلمونه ويعلم ما هو.
وأما قوله: وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنيّ بقوله وَما أُوتِيتُمْ منَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً فقال بعضهم: عنى بذلك: الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وجميع الناس غيرهم، ولكن لما ضمّ غير المخاطب إلى المخاطب، خرج الكلام على المخاطبة، لأن العرب كذلك تفعل إذا اجتمع في الكلام مخبر عنه غائب ومخاطب، أخرجو الكلام خطابا للجمع. ذكر من قال ذلك:
17119ـ حدثني ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت بمكة وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً أفعنيتنا أم قومك؟ قال: «كُلاّ قَدْ عَنَيْتُ»، قالوا: فإنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كلّ شيء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هِيَ في عِلْمِ اللّهِ قَلِيلٌ، وَقَدْ آتاكُمْ ما إنْ عَمِلْتُمْ بِهِ انْتَفَعْتُمْ»، فَأنْزَل الله وَلَوْ أنّ ما فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ... إلى قوله إنّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ.
17120ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله عزّ وجلّ وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً قال: يا محمد والناس أجمعون.
وقال آخرون: بل عنى بذلك الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح خاصة دون غيرهم. ذكر من قال ذلك:
17121ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلِيلاً يعني: اليهود.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: خرج الكلام خطابا لمن خوطب به، والمراد به جميع الخلق، لأن علم كلّ أحد سوى الله، وإن كثر في علم الله قليل. وإنما معنى الكلام: وما أوتيتم أيها الناس من العلم إلاّ قليلاً من كثير مما يعلم الله.

الآية : 86

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنّ بِالّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً }.

يقول ذكره: ولئن شئنا لنذهبنّ بالذي آتيناك من العلم الذي أوحينا إليك من هذا القرآن لنذهبنّ به، فلا تعلمه، ثم لا تجد لنفسك بما نفعل بك من ذلك وكيلاً، يعني: قيّما يقوم لك، فيمنعنا من فعل ذلك بك، ولا ناصرا ينصرك، فيحول بيننا وبين ما نريد بك، قال: وكان عبد الله بن مسعود يتأوّل معنى ذهاب الله عزّ وجلّ به رفعه من صدور قارئيه. ذكر الرواية بذلك:

17122ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عبد العزيز بن رفيع، عن بُنْدار، عن معقل، قال: قلت لعبد الله، وذكر أنه يُسرى على القرآن: كيف وقد أثبتناه في صدورنا ومصاحفنا؟ قال: يُسرى عليه ليلاً، فلا يبقى منه في مصحف ولا في صدر رجل، ثم قرأ عبد الله: وَلَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبنّ بالّذِي أوْحَيْنا إلَيْكَ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثنا ابن إسحاق بن يحيى، عن المسيب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود، قال: تطرق الناسَ ريح حمراء من نحو الشام، فلا يبقى في مصحف رجل ولا قلبه آية. قال رجل: يا أبا عبد الرحمن، إني قد جمعت القرآن، قال: لا يبقى في صدرك منه شيء. ثم قرأ ابن مسعود: وَلَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبنّ بالّذِي أوْحَيْنا إلَيْكَ».

الآية : 87

القول في تأويل قوله تعالى: {إلاّ رَحْمَةً مّن رّبّكَ إنّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً }.

يقول عزّ وجلّ: ولئنْ شِئْنا لنذهبنّ يا محمد بالّذِي أوْحيْنَا إلَيْكَ ولكنه لا يشاء ذلك، رحمة من ربك وتفضلاً منه عليك إنّ فضْلهُ كانَ عليكَ كبيرا باصطفائه إياك لرسالته، وإنزاله عليك كتابه، وسائر نعمه عليك التي لا تحصى.

الآية : 88

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالْجِنّ عَلَىَ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }.

يقول جل ثناؤه: قل يا محمد للذين قالوا لك: أنا نأتي بمثل هذا القرآن: لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، لا يأتون أبدا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض عونا وظهرا. وذُكِر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب قوم من اليهود جادلوه في القرآن، وسألوه أن يأتيهم بآية غيره شاهدة له على نبّوته، لأن مثل هذا القرآن بهم قدرة على أن يأتوا به. ذكر الرواية بذلك:

17123ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يونس بن بكير، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سيحان وعمر بن أصان وبحري بن عمرو، وعزيز بن أبي عزيز، وسلام بن مِشْكم، فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئنا به حقّ من عند الله عزّ وجلّ، فإنا لا نراه متناسقا كما تناسق التوراة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما وَاللّهِ أنّكُمْ لَتَعْرِفُونَ أنّهُ مِنْ عِنْدَ اللّهِ تَجِدُونَهُ مَكْتُوبا عِنْدَكُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ والجِنّ عَلَى أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ما جاءُوا بِهِ» فقال عند ذلك، وهم جميعا: فِنْحاص، وعبد الله بن صُورِيا، وكِنانة

بن أبـي الـحُقـيق، وأَشـيع، وكعـب بـن أسـد، وسـموءَل بـن زيـد، وجبـل بـن عمرو: يا مـحمد ما يعلّـمك هذا إنس ولا جان؟ فقال رسول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم: «أما وَاللّهِ إنّكُمْ لَتَعْلَـمُونَ أنّـهُ مِـنْ عِنْـدَ اللّـهِ تَـجِدُونَهُ مَكْتُوبـا عِنْدَكمْ فِـي التّوْرَاةِ والإنـجِيـلِ»، فقالوا: يا مـحمد، إن الله يصنع لرسـوله إذا بعثه ما شاء، ويقدر منه علـى ما أراد، فأنزل علـينا كتابـا نقرؤه ونعرفه، وإلاّ جئناك بـمثل ما يأتـي به، فأنزل اللهِ عزّ وجلّ فـيهم وفـيـما قـالوا: قُـلْ لَئِـنِ اجْتَـمَعَتِ الإنْسُ والـجِنّ عَلـى أنْ يَأتُوا بِـمِثْلِ هَذَا القُرآنِ لا يَأتُونَ بِـمِثْلِهِ وَلَـوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا.

17124ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عـن ابـن جريج، قوله لَئِنِ اجْتَـمَعَتِ الإنْسُ والـجِنّ... إلـى قوله وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرا قال: معينا، قال: يقول: لو برزت الـجنّ وأعـانهم الإنـس، فتظـاهروا لـم يأتوا بـمثل هذا القرآن. وقوله عزّ وجلّ لا يَأتُونَ بِـمِثْلِهِ رفـع، وهـو جـواب لقوله «لئـن»، لأن العـرب إذا أجـابت لئـن بلا رفعـوا مـا بعـدها، لأن «لئـن» كالـيـمين وجواب الـيـمين بلا مرفوع، وربـما جزم لأن التـي يجاب بها زيــدت علـيه لام، كما قال الأعشى:

لَئِنْ مُنِـيتَ بِنا عَنْ غِبّ مَعْرَكةٍ لا تُلْفنا عَنْ دِماءِ القَوْمِ نَنْتَفِلُ

الآية : 89

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَقَدْ صَرّفْنَا لِلنّاسِ فِي هَـذَا الْقُـرْآنِ مِـن كُلّ مَثَلٍ فَأَبَىَ أَكْثَرُ النّاسِ إِلاّ كُفُوراً }.

يقول ذكره: ولقد بـيّنا للناس فـي هذا القرآن من كلّ مثل، احتـجاجا بذلك كله علـيهم، وتذكيرا لهم، وتنبـيها علـى الـحقّ لـيتبعوه ويعملوا به فَأبى أكْثَـرُ النّاسِ إلاّ كُفُورا يقول: فأبى أكثر الناس إلاّ جحـودا للـحقّ، وإنكـارا لـحجج الله وأدلته.

الآية : 90

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقَالُواْ لَن نّؤْمِنَ لَـكَ حَتّـىَ تَفْجُـرَ لَنَـا مِـنَ الأرْضِ يَنْبُوعاً }.

يقول ذكره: وقـال يـا مـحمد، الـمشركون بـالله مـن قومـك لـك: لـن نصدّقك، حتـى تفجّر لنا من أرضنا هذه عينا تنبع لنا بـالـماء.

وقوله يَنْبُوعا يفعول من قول القائل: نبع الـماء: إذا ظهر وفـار، ينْبُع ويَنْبَع، وهو ما نبع. كما:

17125ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قـوله حتـى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعا: أي حتــى تفْجُـر لنـا مـن الأرض عيونـا: أي ببلدنا هذا.

حدثنا الـحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قوله حتـى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعا قال: عيونا.

حدثنا مـحمد، قال: حدثنا مـحمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

17126ـ حدثنا مـحمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث، قال: حدثنا الـحسن، قال: حدثنا ورقـاء، جميعـا عـن ابـن أبـي نـجيح، عن مـجاهد يَنْبُوعا قال: عيونا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله تَفْجُرَ فروي عن إبراهيم النخعيّ أنه قرأ حتى تَفْجُرَ لَنا خفيفة وقوله فَتُفَجّرَ الأنهَارَ خِلاَلَها تَفْجِيرا بالتشديد، وكذلك كانت قراء الكوفيين يقرءونها، فكأنهم ذهبوا بتخفيفهم الأولى إلى معنى: حتى تفجر لنا من الأرض ماء مرّة واحدة. وبتشديدهم الثانية إلى أنها تفجر في أماكن شتى، مرّة بعد أخرى، إذا كان ذلك تفجر أنهار لا نهر واحد والتخفيف في الأولى والتشديد في الثانية على ما ذكرت من قراءة الكوفيين أعجب إليّ لما ذكرت من افتراق معنييهما، وإن لم تكن الأولى مدفوعة صحتها.

الآية : 91

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنّةٌ مّن نّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجّرَ الأنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيراً }.

يقول ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقال لك يا محمد مشركو قومك: لن نصدّقك حتى تستنبط لنا عينا من أرضنا، تَدفّق بالماء أو تفور، أو يكون لك بستان، وهو الجنة، من نخيل وعنب، فتفجّر الأنهار خلالها تفجيرا بأرضنا هذه التي نحن بها خلالها، يعني: خلال النخيل والكروم ويعني بقوله: خِلالها تَفجِيرا بينها في أصولها تفجيرا بسبب أبنيتها.

الآية : 92

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوْ تُسْقِطَ السّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: كِسَفا فقرأته عامّة قرّاء الكوفة والبصرة بسكون السين، بمعنى: أو تسقط السماء كما زعمت علينا كِسفا، وذلك أن الكِسْف في كلام العرب: جمع كِسْفة، وهو جمع الكثير من العدد للجنس، كما تجمع السّدْرة بسِدْر، والتمرة بتمر، فحُكي عن العرب سماعا: أعطني كِسْفة من هذا الثوب: أي قطعة منه، يقال منه: جاءنا بثريد كِسْف: أي قطع خبز. وقد يحتمل إذا قرىء كذلك «كِسْفا» بسكون السين أن يكون مرادا به المصدر من كسف. فأما الكِسَفُ بفتح السين، فإنه جمع ما بين الثلاث إلى العشر، يقال: كِسَفة واحدة، وثلاث كِسَف، وكذلك إلى العشر. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض الكوفيين كِسَفا بفتح السين بمعنى: جمع الكِسْفة الواحدة من الثلاث إلى العشر، يعني بذلك قِطَعا: ما بين الثلاث إلى العشر.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بسكون السين، لأن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، لم يقصدوا في مسألتهم إياه ذلك أن يكون بحدّ معلوم من القطع، إنما سألوا أن يُسقط عليهم من السماء قِطَعا، وبذلك جاء التأويل أيضا عن أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17127ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله كِسْفا قال: السماء جميعا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

17128ـ قال ابن جريج: قال عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قوله كمَا زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفا قال: مرّة واحدة، والتي في الروم ويَجْعَلُهُ كِسَفا قال: قطعا، قال ابن جريج: كسفا لقول الله: إنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأرْضَ أوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفا مِنَ السّماءِ.

17129ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة أوْ تُسْقِطَ السّماءَ كمَا زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفا قال: أي قطعا.

17130ـ حدثنا عليّ، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: كِسَفا يقول: قطعا.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة كِسَفا قال: قطعا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله أوْ تُسْقِطَ السّماءَ كمَا زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفا يعني قِطَعا.

القول في تأويل قوله: أوْ تَأْتِيَ باللّهِ وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً: يقول تعالى ذكره عن قيل المشركين لنبيّ الله صلى الله عليه وسلم: أو يأتي بالله يا محمد والملائكة قبيلاً.

واختلف أهل التأويل في معنى القبيل في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: حتى يأتي الله والملائكة كلّ قبيلة منا قبيلة قبيلة، فيعاينونهم. ذكر من قال ذلك:

17131ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً قال: على حدتنا، كلّ قبيلة.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله أوْ تَأْتِي باللّهِ وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً قال: قبائل على حدتها كلّ قبيلة.

وقال آخرون: معنى ذلك: أوْ تأتي بالله والملائكة عيانا نقابلهم مقابلة، فنعاينهم معاينة. ذكر من قال ذلك:

17132ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة أوْ تَأْتيَ باللّهِ وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً نعاينهم معاينة.

17133ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج أوْ تَأتيَ باللّهِ وَالمَلائِكَةِ قَبِيلاً فنعاينهم.

ووجّهه بعض أهل العربية إلى أنه بمعنى الكفيل من قولهم: هو قَبيلُ فلان بما لفلان عليه وزعيمه.

وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب، القول الذي قاله قتادة من أنه بمعنى المعاينة، من قولهم: قابلت فلانا مقابلة، وفلان قبيل فلان، بمعنى قبالته، كما قال الشاعر:

نُصَالِحُكُمْ حتى تَبُوءُوا بِمِثْلِهاكصَرْخَةِ حُبْلَى يَسّرَتْها قَبِيلُها

يعني قابِلَتها. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: إذا وصفوا بتقدير فعيل من قولهم قابلت ونحوها، جعلوا لفظ صفة الاثنين

والـجميع من الـمؤنث والـمذكر علـى لفظ واحد، نـحو قولهم: هذه قبـيـلـي، وهما قبـيـلـي، وهم قبـيـلـي، وهن قبـيـلـي.

الآية : 93

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىَ فِـي السّمَآءِ وَلَن نّؤْمِنَ لِرُقِيّكَ حَتّى تُنَزّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نّقْرَؤُهُ قُـلْ سُـبْحَانَ رَبّـي هَـلْ كُنتُ إَلاّ بَشَراً رّسُولاً }.

يقول تعالـى ذكره مخبرا عن الـمشركين الذين ذكرنا أمرهـم فــي هـذه الآيات: أو يكون لك يا مـحمد بـيت من ذهب وهو الزخرف. كما:

17134ـ حدثنـي مـحمد بن سعد، قال: ثنـي أبـي، قال: ثنـي عمي، ق ال: ثنـي أبـي، عن أبـيه، عن ابن عبـاس أوْ يَكُونَ لَـكَ بَـيْتٌ مِـنْ زُخْـرُفٍ يقـول: بـيت من ذهب.

17135ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو، قـال: حـدثنا أبـو عاصـم، قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث، قال: حدثنا الـحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبـي نـجيح، عن مـجاهد، قوله مِنْ زُخْرُفٍ قال: من ذهب.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن ابن جريج، عن مـجاهد، مثله.

17136ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة أوْ يَكُونَ لَكَ بَـيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ والزخرف هنا: الذهب.

حدثنا الـحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، فـي قوله أوْ يَكُونَ لَكَ بَـيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ قال: من ذهب.

17137ـ حدثنا الـحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الـرزاق، قـال: أخبرنـا الثوريّ، عن رجل، عن الـحكم قال: قال مـجاهد: كن ا لا نـدري مـا الزخـرف حتـى رأيناه فـي قراءة ابن مسعود: «أوْ يَكُونَ لَكَ بَـيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ».

حدثنا مـحمد بن الـمثنى، قال: حدثنا مـحمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الـحكم، عن مـجاهد، قال: لـم أدر ما الزخرف، حتـى سمعنا فـي قـراءة عبد الله بن مسعود: «بَـيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ».

وقوله أوْ تَرْقـى فِـي السّماءِ يعنـي: أو تصعد فـي درج إلـى السماء وإنـما قـيـل فـي السماء، وإنـما يرقـى إلـيها لا فــيها، لأن القـوم قـالوا: أو ترقــى فـي سلـم إلـى السماء، فأدخــلت «فــي» فــي الكلام لــيدلّ علــى معنـى الكلام، يقال: رَقِـيت فـي السلـم، فأنا أرقَـى رَقـيا ورِقِــيا ورُقــيا، كمـا قـال الشاعر:

أنتَ الَّذِي كَلّفتَنِـي رَقْـيَ الدّرْجعَلـى الكلالِ والـمَشِيبِ والعَرْجِ

وقوله: وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِـيّكَ يقول: ولن نصدّقك من أجل رُقِـيَك إلـى السماء حتـى تُنَزّلَ عَلَـيْنا كِتابـا منشورا نَقْـرَؤُهُ فــيه أمرنـا بـاتبــاعك والإيــمان بـك، كما:

17138ـ حدثنا مـحمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث، قال: حدثنا الـحسن، قال: حدثنا ورقـاء، جميعـا عـن ابـن أبـي نـجيح، عن مـجاهد، قـوله كِتابــا نَقْـرَؤُهُ قـال: مـن ربّ العالــمين إلــى فلان، عند كلّ رجل صحيفة تصبح عند رأسه يقرؤها.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن ابن جريج، عن مـجاهد بنـحوه، إلاّ أنه قـال: كتابــا نقـرؤه مـن ربّ العالــمين، وقـال أيضـا: تصبح عند رأسه موضوعة يقرؤها.

17139ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله حتى تُنَزّلَ عَلَيْنا كِتابا نَقْرَؤُهُ: أي كتابا خاصا نؤمر فيه باتباعك.

وقوله: قُلْ سُبْحانَ رَبّي يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين لك هذه الأقوال، تنزيها لله عما يصفونه به، وتعظيما له من أن يؤتى به وملائكته، أو يكون لي سبيل إلى شيء مما تسألونيه: هَلْ كُنْتُ إلاّ بَشَرا رَسُولاً يقول: هل أنا إلاّ عبد من عبيده من بني آدم، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتموني من هذه الأمور، وإنما يقدر عليها خالقي وخالقكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، والذي سألتموني أن أفعله بيد الله الذي أنا وأنتم عبيد له، لا يقدر على ذلك غيره.

وهذا الكلام الذي أخبر الله أنه كلّم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر كان من ملإ من قريش اجتمعوا لمناظرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومُحاجّته، فكلّموه بما أخبر الله عنهم في هذه الآيات.

ذكر تسمية الذين ناظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك منهم والسبب الذي من أجله ناظروه به

17140ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يونس بن بكير، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني شيخ من أهل مصر، قدم منذ بضع وأربعين سنة، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلاً من بني عبد الدار وأبا البختري أخا بني أسد، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، وأميّة بن خلف، والعاص بن وائل، ونُبَيها ومُنَبها ابني الحجاج السّهميين اجتمعوا، أو من اجتمع منهم، بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تُعْذِروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا، وهو يظنّ أنه بدا لهم في أمره بَدَاء، وكان عليهم حريصا، يحبّ رشدهم ويعزّ عليه عَنَتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنُعْذِر فيك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء، وعِبْت الدين، وسفّهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرّقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلاّ وقد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا، وإن كنت تريد به مُلكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك به رَئِيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجنّ: الرئيّ فربما كان ذلك، بذلنا أموالنا في طلب الطبّ لك حتى نبرئك منه، أو نُعذِرَ فيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بِي ما تَقُولُونَ، ما جِئْتُكُمْ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أطْلُبُ أمْوَالَكُمْ، وَلا الشّرَفَ فِيكُمْ وَلا المُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنّ اللّهَ بَعَثَنِي إلَيْكُمْ رَسُولاً، وأنْزَلَ عَلَيّ كِتابا، وأمَرَنِي أنْ أكُونَ لَكُمْ بَشِيرا وَنَذِيرا، فَبَلّغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فإنْ تَقْبَلُوا مِنّي ما جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظّكُمْ فِي الدّنْيا والآخِرَةِ، وإنْ تَرُدّوهُ عَلَيّ أصْبِرْ لأمْرِ اللّهِ حتى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه ليس أحد من

الناس أضيق بلادا، ولا أقلّ مالاً، ولا أشدّ عيشا منا، فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسيّرْ عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، ويبسط لنا بلادنا، وليفجّر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصَيّ بن كلاب، فإنه كان شيخا صدوقا، فنسألهم عما تقول، حقّ هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألناك، وصدقوك صدقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك بالحقّ رسولاً، كما تقول. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بِهذَا بُعِثْتُ، إِنّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، فَقَدْ بَلّغْتُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ إِليكم، فإِنْ تَقْبَلُوهُ فَهُوَ حَظّكُمْ فِي الدّنْيا والآخِرَةِ، وإِنْ تَرُدّوهُ عَلَيّ أَصْبِرْ لأَمْرِ اللّهِ حتى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» قالوا: فإن لم تفعل لنا هذا، فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث ملكا يصدّقك بما تقول، ويراجعنا عنك، واسأله فليجعل لك جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة، ويغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أَنا بِفاعِلٍ، ما أنا بالّذِي يَسأَلُ رَبّهُ هذَا، وَما بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهذَا، وَلَكِنّ اللّهَ بَعَثَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرا، فإِنْ تَقْبَلُوا ما جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظّكُمْ فِي الدّنْيا والآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدّوهُ عَلَيّ أَصْبِرْ لأَمْرِ اللّهِ حتى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ» قالوا: فأسقط السماء علينا كِسَفا، كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإنا لا نؤمن لك إلاّ أن تفعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذلكَ إلى الله إِنْ شاءَ فَعَلَ بِكُمْ ذلكَ»، فقالوا: يا محمد، فما علم ربك أنا سنجلس معك، ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدّم إليك، ويعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به، فقد بلغنا أنه إنما يعلّمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله ما نؤمن بالرحمن أبدا، أعذرنا إليك يا محمد، أما والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة، وهنّ بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً. فلما قالوا ذلك، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أميّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهو ابن عمته هو لعاتكة بنت عبد المطلب، فقال له: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورا، ليعرفوا منزلتك من الله فَلم تفعل ذلك، ثم سألوك أن تعجل ما تخوّفهم به من العذاب، فوالله لا أومن لك أبدا، حتى تتخذ إلى السماء سلما ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي معك بنسخة منشورة معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله لو فعلت ذلك لظننتُ ألاّ أصدّقك، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا أسيفا لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه، ولِمَا رأى من مباعدتهم إياه فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وسبّ آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسنّ له غدا بحجر قدر ما أطيق حَمْله، فإذا سجد في صلاته فضخت رأسه به.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا ابن إسحاق، قال: ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، عن سعيد بن جبير أو عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس، بنحوه، إلاّ أنه قال: وأبا سفيان بن حرب، والنضر بن الحرث أبناء بني عبد الدار، وأبا البختريّ بن هشام.

17141ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد، قال: قلت له في قوله تعالى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعا قال: قلت له: نزلت في عبد الله بن أبي أمية، قال: قد زعموا ذلك.

الآية : 94

القول في تأويل قوله تعالى {وَمَا مَنَعَ النّاسَ أَن يُؤْمِنُوَاْ إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىَ إِلاّ أَن قَالُوَاْ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رّسُولاً }.

يقول تعالى ذكره: وما منع يا محمد مشركي قومك الإيمان بالله، وبما جئتهم به من الحقّ إذْ جاءَهُمُ الهُدَى يقول: إذ جاءهم البيان من عند الله بحقيقة ما تدعوهم وصحة ما جئتهم به، إلاّ قولهم جهلاً منهم أبَعَثَ اللّهُ بَشَرا رَسُولاً فأن الأولى في موضع نصب بوقوع منع عليها، والثانية في موضع رفع، لأن الفعل لها.

الآية : 95

القول في تأويل قوله تعالى {قُل لّوْ كَانَ فِي الأرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنّينَ لَنَزّلْنَا عَلَيْهِم مّنَ السّمَآءِ مَلَكاً رّسُولاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أبوا الإيمان بك وتصديقك فيما جئتهم به من عندي، استنكارا لأن يبعث الله رسولاً من البشر: لو كان أيها الناس في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، لَنَزّلْنَا عليهم من السماء ملَكا رسولاً، لأن الملائكة إنما تراهم أمثالهم من الملائكة، ومن خصّه الله من بني آدم برؤيتها، فأما غيرهم فلا يقدرون على رؤيتها فكيف يبعث إليهم من الملائكة الرسل، وهم لا يقدرون على رؤيتهم وهم بهيئاتهم التي خلقهم الله بها، وإنما يرسل إلى البشر الرسول منهم، كما لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، ثم أرسلنا إليهم رسولاً أرسلناه منهم ملَكا مثلهم.

الآية : 96

القول في تأويل قوله تعالى {قُلْ كَفَىَ بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد للقائلين لك: أبَعَثَ اللّهُ بَشَرا رَسُولا كَفَى باللّهِ شَهِيدا بَيْنِي وَبَيْنِكُمْ فإنه نعم الكافي والحاكم إنّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيرا يقول: إن الله بعباده ذو خبرة وعلم بأمورهم وأفعالهم، والمحقّ منهم والمُبطل، والمهْديّ والضالّ بَصِيرا بتدبيرهم وسياستهم وتصريفهم فيما شاء، وكيف شاء وأحبّ، لا يخفى عليه شيء من أمورهم، وهو مجازٍ جميعَهم بما قدّم عند ورودهم عليه.

الآية : 97

القول في تأويل قوله تعالى {وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىَ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مّأْوَاهُمْ جَهَنّمُ كُلّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً }.

يقول تعالى ذكره: ومن يهد الله يا محمد للإيمان به، ولتصديقك وتصديق ما جئت به من عند ربك، فوفّقه لذلك، فهو المهتد الرشيد المصيب الحقّ، لا من هداه غيره، فإن الهداية بيده. ومن يضلل يقول: ومن يضلله الله عن الحقّ، فيخذله عن إصابته، ولم يوفّقه للإيمان بالله وتصديق رسوله، فلن تجد لهم يا محمد أولياء ينصرونهم من دون الله، إذا أراد الله عقوبتهم والاستنقاذ منهم. ونَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ يقول: ونجمعهم بموقف القيامة من بعد تفرّقهم في القبور عند قيام الساعة على وجوههم عُمْيا وَبُكْما وهو جمع أبكم، ويعني بالبُكْم: الخُرْس، كما:

17142ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: وَبُكْما قال: الخرس وَصُمّا وهو جمع أصمّ.

فإن قال قائل: وكيف وصف الله هؤلاء بأنهم يحشرون عميا وبكما وصما، وقد قال ورأى المُجْرِمون النّارَ فَظَنّوا أنّهُمْ مُوَاقِعُوها فأخبر أنهم يرون، وقال: إذَا رأتْهُمْ مِنْ مكانٍ بَعيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيّظا وزَفِيرا وإذَا أُلْقُوا مِنْها مَكانا ضَيّقا مُقَرّنِينَ دَعَوْا هُنالكَ ثُبُورا فأخبر أنهم يسمعون وينطقون؟ قيل: جائز أن يكون ما وصفهم الله به من العَمي والبكم والصمم يكون صفتهم في حال حشرهم إلى موقف القيامة، ثم يجعل لهم أسماع وأبصار ومنطق في أحوال أخر غير حال الحشر، ويجوز أن يكون ذلك، كما روي عن ابن عباس في الخبر الذي:

17143ـ حدثنيه عليّ بن داود، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ونَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عمْيا وَبُكْما وصُمّا ثم قال: ورأى المُجْرِمُونَ النّارَ فَظَنّوا وق ال: سَمِعُوا لَهَا تَغَيّظا وَزَفِيرا وقال دَعَوْا هُنالكَ ثُبُورا. أما قوله: عُمْيا فلا يرون شيئا يسرّهم. وقوله: بُكْما لا ينطقون بحجة. وقوله: صُمّا لا يسمعون شيئا يسرّهم. وقوله: مَأْوَاهُمْ جَهَنّمُ يقول جلّ ثناؤه: ومصيرهم إلى جهنم، وفيها مساكنهم، وهم وَقُودها، كما:

17144ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، ق ال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: مَأْوَاهُمْ جَهَنّمُ يعني إنهم وقودها.

وقوله: كُلّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيرا يعني بقوله خبت: لانت وسكنت، كما قال عديّ بن زيد العبادي في وصف مزنة:

وَسْطَهُ كالْيَرَاعِ أوْ سُرُجِ المِجْدَلِحِينا يَخْبُو وحِينا يُنِيرُ

يعني بقوله: يخبو السرج: أنها تلين وتضعف أحيانا، وتقوى وتنير أخرى، ومنه قول القطامي:

فَيَخْبو ساعَةً ويَهُبّ ساعا

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في العبارة عن تأويله. ذكر من قال ذلك:

17145ـ حدثني عليّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: كُلّما خَبَتْ قال: سكنت.

17146ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، كُلّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيرا يقول: كلما أحرقتهم تسعر بهم حطبا، فإذا أحرقتهم فلم تبق منهم شيئا صارت جمرا تتوهّج، فذلك خُبُوّها، فإذا بدّلوا خلقا جديدا عاودتهم.

17147ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن مجاهد حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد مثله.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس كُلّما خَبَتْ قال: خبوّها أنها تَسَعّر بهم حطبا، فإذا أحرقتهم، فلم يبق منهم شيء صارت جمرا تتوهج، فإذا بُدّلوا خلقا جديدا عاودتهم.

17148ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: كُلّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيرا يقول: كلما احترقت جلودهم بُدّلوا جلودا غيرها، ليذوقوا العذاب.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: كُلّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيرا قال: كلما لان منها شيء.

17149ـ حُدثت عن مروان، عن جويبر، عن الضحاك كُلّما خَبَتْ قال: سكنت. وقوله: زِدْناهُمْ سَعيرا يقول: زدنا هؤلاء الكفار سعيرا، وذلك إسعار النار عليهم والتهابها فيهم وتأججها بعد خبوّها، في أجسامهم.

الآية : 98

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا وَقَالُواْ أَإِذَا كُنّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً }.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصفنا من فعلنا يوم القيامة بهؤلاء المشركين، ما ذكرت أن نفعل بهم من حشرهم على وجوههم عميا وبكما وصما، وإصلائنا إياهم النار على ما بيّنا من حالتهم فيها ثوابَهم بكفرهم في الدنيا بآياتنا، يعني بأدلته وحججه، وهم رسله الذين دعوهم إلى عبادته، وإفرادهم إياه بالألوهة دون الأوثان والأصنام، وبقولهم إذا أُمروا بالإيمان بالميعاد، وبثواب الله وعقابه في الآخرة أَئِذَا كُنّا عِظاما بالية وَرُفاتا قد صرنا ترابا أَئِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقا جَدِيدا يقولون: نُبعث بعد ذلك خلقا جديدا كما ابتدأناه أوّل مرّة في الدنيا استنكارا منهم لذلك، واستعظاما وتعجبا من أن يكون ذلك.

الآية : 99

القول في تأويل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنّ اللّهَ الّذِي خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىَ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظّالِمُونَ إِلاّ كُفُوراً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أو لم ينظر هؤلاء القائلون من المشركين أَئِذَا كُنّا عِظاما وَرُفاتا أَئِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقا جَدِيدا بعيون قلوبهم، فيعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض، فابتدعها من غير شيء، وأقامها بقُدرته، قادر بتلك القُدرة على أن يخلق مثلهم أشكالهم، وأمثالهم من الخلق بعد فنائهم، وقبل ذلك، وأن من قدر على ذلك فلا يمتنع عليه إعادتهم خلقا جديدا، بعد أن يصيروا عظاما ورُفاتا. وقوله وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ يقول تعالى ذكره: وجعل الله لهؤلاء

الـمشركين أجلاً لهلاكهم، ووقتا لعذابهم لا ريب فـيه. يقول: لا شك فـيه أنــه آتـيهم ذلـك الأجـل. فَـأَبَى الظّالِـمُونَ إلاّ كُفُـورا يقـول: فـأبى الكـافرون إلا جحودا بحقـيقة وعيده الذي أوعدهم وتكذيبـا به.

الآية : 100

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قُل لّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبّـي إِذاً لأمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإنْفَاقِ وَكَانَ الإنْسَانُ قَتُوراً }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه: قل يا مـحمد لهؤلاء الـمشركين: لو أنتــم أيهـا الناس تـملكون خزائن أملاك ربـي من الأمـوال، وعنـى بــالرحمة فــي هـذا الـموضع: الـمال إذًا لأَمْسَكْتُـمْ خَشْيَةَ الإنْفـاقِ يقول: إذن لبَخِـلْتُـمْ بِـهِ، فَلــم تـجودوا بها علـى غيركم، خشية من الإنفـاق والإقتار، كما:

17150ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عـن ابـن جريج، قال: قال ابن عبـاس: إذًا لأَمْسَكْتُـمْ خَشْيَةَ الإنْفـاقِ قال: الفقر.

17151ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة خَشْيَةَ الإنْفـاقِ أي خشية الفـاقة.

حدثنا الـحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

وقوله: وكانَ الإنْسانُ قَتُورا يقول: وكان الإنسان بخيلاً مـمسكا، كما:

17152ـ حدثنـي علـيّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثنـي معاوية، عن علـيّ، عن ابن عبـاس، فـي قوله: وكَان الإنْسانُ قَتُورا يقول: بخيلاً.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الـحسين، قال: ثنـي حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عبـاس، فـي قوله: وكانَ الإنْسانُ قَتُورا قال: بخيلاً.

17153ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وكـانَ الإنْسانُ قَتُورا قال: بخيلاً مـمكسا.

وفـي القتور فـي كلام العرب لغات أربع، يقال: قَتَر فلان يَقْتُرُ ويَقْتِر، وقتّر يُقَتّر، وأقتر يُقْتِر، ما قال أبو دُواد:

لا أعُدّ الإقْتارَ عُدْما وَلَكِن ˚فَقْدُ مَنْ قد رُزِيْتُهُ الإعْدَامُ

الآية : 101

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىَ تِسْعَ آيَاتٍ بَيّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنّي لأظُنّكَ يَمُوسَىَ مَسْحُوراً }.

يقول تعالـى ذكره: ولقد آتـينا موسى بن عمران تسع آيات بـيّنات ثُبــين لـمن رآها أنها حجج لـموسى شاهدة علـى صدقه وحقـيقة نبوّته.

وقد اختلف أهل التأويـل فـيهنّ وما هنّ. فقال بعضهم فـي ذلك ما:

17154ـ حدثنـي به مـحمد بن سعد، قال: ثنـي أبــي، قـال: ثنــي عمـي، قال: ثنـي أبـي عن أبـيه، عن ابن عبــاس، قـوله: وَلَقَـدْ آتَـيْنا مُوسَـى تِسْـعَ آياتٍ بَـيّناتٍ قـال: التسـع الآيـات البــينات: يـده، وعصـاه، ولسـانه، والبحـر، والطوفـان، والـجراد، والقمل، والضفـادع، والدم آيات مفصلات.

17155ـ حُدثت عن الـحسين، قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد، قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: وَلَقَدْ آتَـيْنا مُوسَى تِسْعَ آيـاتٍ بَــيّناتٍ إلقاء العصا مرّتـين عند فرعـون، ونـزع يـده، والعقـدة التــي كـانت بلسـانه،

وخمس آيات في الأعراف: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

وقال آخرون: نحوا من هذا القول، غير أنهم جعلوا آيتين منهنّ: إحداهما الطمسة، والأخرى الحجر. ذكر من قال ذلك:

17156ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن برياة بن سفيان، عن محمد بن كعب القرظي، قال: سألني عمر بن عبد العزيز، عن قوله: وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيّناتٍ فقلت له: هي الطوفان والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والبحر، وعصاه، والطمسة، والحجر، فقال: وما الطمسة؟ فقلت: دعا موسى وأمّن هارون، فقال: قد أجيبت دعوتكما، وقال عمر: كيف يكون الفقه إلا هكذا. فدعا عمر بن عبد العزيز بخريطة كانت لعبد العزيز بن مروان أصيبت بمصر، فإذا فيها الجوزة والبيضة والعدسة ما تنكر، مسخت حجارة كانت من أموال فرعون أصيبت بمصر.

وقال آخرون: نحوا من ذلك إلا أنهم جعلوا اثنتين منهنّ: إحداهما السنين، والأخرى النقص من الثمرات. ذكر من قال ذلك:

17157ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن عكرمة ومطر الورّاق، في قوله: تِسْعَ آياتٍ قالا: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد، والسنون، ونقص من الثمرات.

17158ـ حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن الشعبي، في قوله: تِسْع آياتٍ بَيّناتٍ قال: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص من الثمرات، وعصاه، ويده.

17159ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: سُئل عطاء بن أبي رباح عن قوله: وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيّناتٍ ما هي؟ قال: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وعصى موسى، ويده.

17160ـ قال: ابن جريج: وقال مجاهد مثل قول عطاء، وزاد: أخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثّمَرَاتِ قال: هما التاسعتان، ويقولون: التاسعتان: السنين، وذهاب عجمة لسان موسى.

17161ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن ابن عباس، في قوله: تِسْعَ آياتٍ بَيّناتٍ وهي متتابعات، وهي في سورة الأعراف وَلَقَدْ أخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسّنِينَ وَنقْصٍ مِنَ الثّمَرَاتِ قال: السنين في أهل البوادي، ونقص من الثمرات لأهل القُرى، فهاتان آيتان، والطوافان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، هذه خمس، ويد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين من غير سوء: البرص، وعصاه إذ ألقاها، فإذا هي ثعبان مبين.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن ابن عباس، قوله: وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيّناتٍ قال: يد موسى، وعصاه، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم والسنين، ونقص من الثمرات.

وقال آخرون نحوا من ذلك إلا أنهم جعلوا السنين، والنقص من الثمرات آية واحدة، وجعلوا التاسعة: تلقف العصا ما يأفكون. ذكر من قال ذلك:

17162ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال الحسن، في قوله: تِسْعَ آياتٍ بَيّناتٍ، وَلَقَدْ أخْذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بالسّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثّمَرَاتِ قال: هذه آية واحدة، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ويد موسى، وعصاه إذ ألقاها فإذا هي ثعبان مبين، وإذ ألقاها فإذا هي تلقف ما يأفكون. وقال آخرون في ذلك ما:

17163ـ حدثني محمد بن المثنى، قال: ثني محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرّة، قال: سمعت عبد الله بن سلمة يحدّث عن صفوان بن عسال، قال: قال يهوديّ لصاحبه: اذهب بنا إلى النبيّ حتى نسأله عن هذه الآية. ولَقَدْ آتَيْنا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيّناتٍ قال: لا تقل له نبيّ، فإنه إن سمعك صارت له أربعة أعين، قال: فسألا، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لا تُشْرِكُوا بالله شَيْئا، وَلا تَسْرِقُوا، وَلا تَزْنُوا، وَلا تَقْتُلُوا النّفْسَ التي حَرّمَ اللّهُ إلاّ بالحَقّ، وَلا تَسْحَرُوا، وَلا تَأكُلُوا الرّبا، وَلا تَمْشُوا بَبريءٍ إلى ذي سُلْطانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، أو قال: لا تَفرّوا مِنَ الزّحْف» شعبة الشاكّ «وأنْتُمْ يا يَهُودُ عَلَيْكُمْ خاصّةً لا تَعْدُوا في السّبْت» فقبّلا يده ورجله، وقالا: نشهد أنك نبيّ، قال: «فما يمنعكما أن تسلما؟» قالا: إن داود دعا أن لا يزال من ذرّيته نبيّ، وإنا نخشى أن تقتلنا يهود.

حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا سهل بن يوسف وأبو داود وعبد الرحمن بن مهدي، عن سعيد، عن عمرو، قال: سمعت عبد الله بن سلمة يحدّث عن صفوان بن عسال المرادي، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحوه، إلا أن ابن مهديّ قال: «لا تَمْشُوا إلى ذي سُلْطانٍ» وقال ابن مهدي: أراه قال: «ببريء».

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عبد الله بن إدريس وأبو أسامة بنحوه، عن شعبة بن الحجاج، عن عمرو بن مرّة، عن عبد الله بن سلمة، عن صفوان بن عسال، قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبيّ، فقال صاحبه: لا تقل نبيّ، إنه لو سمعك كان له أربع أعين، قال: فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، يسألانه عن تسع آيات بينات، فقال: «هنّ: وَلا تُشْرِكُوا باللّهِ شَيْئا، وَلا تَسْرِقُوا، وَلا تَزْنُوا، وَلا تَقْتُلُوا النّفْسَ التي حَرّمَ اللّهُ إلاّ بالحَقّ، وَلا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إلى ذِي سُلْطانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلا تَسْحَرُوا، وَلا تَأكُلُوا الرّبا، وَلا تَقْذِفُوا المُحْصَنَةَ، وَلا تَوَلّوْا يَوْمَ الزّحْفِ وَعَلَيْكُمْ خاصَةً يَهُودُ: أنْ لا تَعْدُوا في السّبْتِ» قال: فقبّلوا يديه ورجليه، وقالوا: نشهد أنك نبيّ، قال: «فَمَا يَمْنَعُكُمْ أنْ تَتّبِعُونِي؟» قالوا: إن داود دعا أن لا يزال من ذرّيته نبيّ، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود.

حدثنا مجاهد بن موسى، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا شعبة بن الحجاج، عن عمرو بن مرّة، عن عبد الله بن سلمة، عن صفوان بن عسّال، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بنحوه.

وأما قوله: فاسألْ بَنِي إسْرَائيلَ إذْ جاءَهُمْ فإن عامّة قرّاء الإسلام على قراءته على وجه الأمر بمعنى: فاسأل يا محمد بني إسرائيل إذ جاءهم موسى ورُوي عن الحسن البصري في تأويله ما:

17164ـ حدثني به الحارث، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج، عن هارون، عن إسماعيل، عن الحسن فأسألْ بَنِي إسْرَائِيلَ قال: سؤالك إياهم: نظرك في القرآن.

ورُوي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك: «فَسَأَلَ» بمعنى: فسأل موسى فرعون بني إسرائيل أن يرسلهم معه على وجه الخبر. ذكر من قال ذلك:

17165ـ حدثنا أحمد بن يوسف، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج، عن هارون، عن حنظلة السّدوسيّ، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس، أنه قرأ: «فَسأَلَ بَنِي إسْرَائِيلَ إذْ جاءَهُمْ» يعني أن موسى سأل فرعونَ بني إسرائيل أن يرسلهم معه.

والقراءة التي لا أستجيز أن يُقرأ بغيرها، هي القراءة التي عليها قرّاء الأمصار، لإجماع الحجة من القرّاء على تصويبها، ورغبتهم عما خالفهم.

وقوله: فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنَ إنّي لأَظُنّكَ يا مُوسَى مَسْحُورا يقول: فقال لموسى فرعونُ: إني لأظنك يا موسى تتعاطى علم السحر، فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك وقد يجوز أن يكون مرادا به إني لأظنك يا موسى ساحرا، فوُضِع مفعول موضع فاعل، كما قيل: إنك مشؤوم علينا وميمون، وإنما هو شائم ويامن. وقد تأوّل بعضهم حجابا مستورا، بمعنى: حجابا ساترا، والعرب قد تخرج فاعلاً بلفظ مفعول كثيرا.

الآية : 102

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـؤُلآءِ إِلاّ رَبّ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنّي لأظُنّكَ يَفِرْعَونُ مَثْبُوراً }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله لَقَدْ عَلِمْتَ فقرأ عامة قرّاء الأمصار ذلك لَقَدْ عَلِمْتَ بفتح التاء، على وجه الخطاب من موسى لفرعون. ورُوي عن عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك، أنه قرأ: «لَقَدْ عَلِمْتُ» بضمّ التاء، على وجه الخبر من موسى عن نفسه. ومن قرأ ذلك على هذه القراءة، فإنه ينبغي أن يكون على مذهبه تأويل قوله إنّي لأَظُنّكَ يا مُوسَى مَسْحُورا إني لأظنك قد سُحِرت، فترى أنك تتكلم بصواب وليس بصواب. وهذا وجه من التأويل. غير أن القراءة التي عليها قرّاء الأمصار خلافها، وغير جائز عندنا خلاف الحجة فيما جاءت به من القراءة مجمعة عليه.

وبعد، فإن الله تعالى ذكره قد أخبر عن فرعون وقومه أنهم جحدوا ما جاءهم به موسى من الآيات التسع، مع علمهم بأنها من عند الله بقوله وأدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آياتٍ إلى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، إنّهُمْ كانُوا قَوْما فاسِقِينَ فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً قالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أنْفُسُهُمْ ظُلْما وَعُلُوّا فأخبر جلّ ثناؤه أنهم قالوا: هي سحر، مع علمهم واستيقان أنفسهم بأنها من عند الله، فكذلك قوله: لَقَدْ عَلِمْتَ إنما هو خبر من موسى لفرعون بأنه عالم بأنها آيات من عند الله. وقد ذُكر عن ابن عباس أنه احتجّ في ذلك بمثل الذي ذكرنا من الحجة. قال:

17166ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه كان يقرأ: لَقَدْ عَلِمْتَ يا فرعون بالنصب ما أنْزَلَ هَؤُلاءِ إلاّ رَبّ السّمَواتِ والأرْضِ، ثم تلا وَجَحَدُوا بِها واسْتَيْقَنَتْها أنْفُسُهُمْ ظُلْما وعُلُوّا. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: قال موسى لفرعون: لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات التسع البينات التي أريتكها حجة لي على حقيقة ما أدعوك إليه، وشاهدة لي على صدق وصحة قولي، إني لله رسول، ما بعثني إليك إلا ربّ السموات والأرض، لأن ذلك لا يقدر عليه، ولا على أمثاله أحد سواه. بصائر

يعني بالبصائر: الآيات، أنهنّ بصائر لمن استبصر بهنّ، وهدى لمن اهتدى بهنّ، يعرف بهنّ من رآهنْ أن من جاء بهنّ فمحقّ، وأنهنّ من عند الله لا من عند غيره، إذ كنّ معجزات لا يقدر عليهنّ، ولا على شيء منهنّ سوى ربّ السموات والأرض وهو جمع بصيرة.

وقوله: وإنّي لأظُنّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُورا يقول: إني لأظنك يا فرعون ملعونا ممنوعا من الخير. والعرب تقول: ما ثبرك عن هذا الأمر: أي ما منعك منه، وما صدّك عنه؟ وثبره الله فهو يُثْبره ويُثَبَره لغتان، ورجل مثبور: محبوس عن الخيرات هالك ومنه قول الشاعر:

إذْ أُجارِي الشّيْطانَ في سَنَنِ الغَيّوَمنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُهُ

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17167ـ حدثنا عبد الله بن عبد الله الكلابي، قال: حدثنا أبو خالد الأحمر، قال: حدثنا عمر بن عبد الله، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله: إنّي لأَظُنّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُورا قال ملعونا.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا مروان بن معاوية، قال: أخبرنا عمر بن عبد الله الثقفي، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مثله.

حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: إنّي لأَظُنّكَ يا فِرْعَوْنَ مَثْبُورا يقول: ملعونا.

وقال آخرون: بل معناه: إني لأظنك يا فرعون مغلوبا. ذكر من قال ذلك:

17168ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: إنّي لأَظُنّكَ يا فِرْعَوْنَ مَثْبُورا يعني: مغلوبا.

17169ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله إنّي لأَظُنّكَ يا فِرْعَوْنَ مَثْبُورا يقول: مغلوبا.

وقال بعضهم: معنى ذلك: إنى لأظنك يا فرعون هالكا. ذكر من قال ذلك:

17170ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: مثبورا: أي هالكا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

17171ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وإنّي لأَظُنّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُورا: أي هالكا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، بنحوه.

وقال آخرون: معناه: إني لأظنك مبدّلاً مغيرا. ذكر من قال ذلك:

17172ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عبد الله بن موسى، عن عيسى بن موسى، عن عطية إنّي لأَظُنّكَ يا فِرْعَوْنَ مَثْبُورا قال: مبدّلاً.

وقال آخرون: معناه: مخبولاً لا عقل له. ذكر من قال ذلك:

17173ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَإنّي لأَظُنّكَ يا فِرْعَوْنَ مَثْبُورا قال: الإنسان إذا لم يكن له عقل فما

ينفعه؟ يعني: إذا لم يكن له عقل ينتفع به في دينه ومعاشه دعته العرب مثبورا. قال: أظنك ليس لك عقل يا فرعون، قال: بينا هو يخافه ولا ينطق لساني أن أقول هذا لفرعون، فلما شرح الله صدره، اجترأ أن يقول له فوق ما أمره الله.

وقد بيّنا الذي هو أولى بالصواب في ذلك قبل.

الآية : 103 و 104

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزّهُم مّنَ الأرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مّعَهُ جَمِيعاً * وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً }.

يقول تعالى ذكره: فأراد فرعون أن يستفزّ موسى وبني إسرائيل من الأرض، فَأَغْرَقْناهُ في البحر، وَمَن مَعَهُ من جنده جَمِيعا، ونجّينا موسى وبني إسرائيل، وقلنا لهم مِنْ بَعْدِ هلاك فرعون اسْكُنُوا الأرْضَ أرض الشام فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخَرِةِ جئْنا بكُمْ لَفيفا يقول: فإذا جاءت الساعة، وهي وعد الآخرة، جئنا بكم لفيفا: يقول: حشرناكم من قبوركم إلى موقف القيامة لفيفا: أي مختلطين قد التفّ بعضكم على بعض، لا تتعارفون، ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيّه، من قولك: لففت الجيوش: إذا ضربت بعضها ببعض، فاختلط الجميع، وكذلك كلّ شيء خُلط بشيء فقد لُفّ به.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

17174ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن ابن أبي رَزِين جِئْنا بِكُمْ لَفِيفا قال: من كلّ قوم.

وقال آخرون: بل معناه: جئنا بكم جميعا. ذكر من قال ذلك:

17175ـ حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: جِئْنا بِكُمْ لَفِيفا قال: جميعا.

17176ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد جِئْنا بِكُمْ لَفِيفا جميعا.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

17177ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله فإذَا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفا: أي جميعا، أولكم وآخركم.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله جِئْنا بِكُمْ لَفِيفا قال: جميعا.

17178ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله جِئْنا بِكُمْ لَفِيفا يعني جميعا. ووحّده اللفيف، وهو خبر عن الجميع، لأنه بمعنى المصدر كقول القائل: لفقته لفّا ولفيفا.

الآية : 105 و 106

القول في تأويل قوله تعالى: {وَبِالْحَقّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ مُبَشّراً وَنَذِيراً * وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النّاسِ عَلَىَ مُكْثٍ وَنَزّلْنَاهُ تَنْزِيلاً }.

يقول تعالى ذكره: وبالحقّ أنزلنا هذا القرآن: يقول: أنزلناه نأمر فيه بالعدل والإنصاف والأخلاق الجميلة، والأمور المستحسنة الحميدة، وننهى فيه عن الظلم والأمور القبيحة، والأخلاق الردية، والأفعال الذّميمة وبالحَقّ نَزَلَ يقول: وبذلك نزل من عند الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وقوله: وَما أرْسَلْناكَ إلاّ مُبَشّرا وَنَذِيرا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أرسلناك يا محمد إلى من أرسلناك إليه من عبادنا، إلا مبشرا بالجنّة من أطاعنا، فانتهى إلى أمرنا ونَهْينا، ومنذرا لمن عصانا وخالف أمرنا ونهينَا. وَقُرآنا فَرَقْناهُ لِتَقْرأَهُ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار فَرَقْناهُ بتخفيف الراء من فرقناه، بمعنى: أحكمناه وفصلناه وبيناه. وذُكر عن ابن عباس، أنه كان يقرؤه بتشديد الراء «فَرّقْناهُ» بمعنى: نزّلناه شيئا بعد شيء، آية بعد آية، وقصة بعد قصة.

وأولى القراءتين بالصواب عندنا، القراءة الأولى، لأنها القراءة التي عليها الحجة مجمعة، ولا يجوز خلافها فيما كانت عليه مجمعة من أمر الدين والقرآن. فإذا كان ذلك أولى القراءتين بالصواب، فتأويل الكلام: وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا، وفصلناه قرآنا، وبيّناه وأحكمناه، لتقرأه على الناس على مكث. وبنحو الذي قلنا في ذلك من التأويل، قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17179ـ حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَقُرآنا فَرَقْناهُ يقول: فصلناه.

17180ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن أبي الربيع عن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب أنه قرأ: وَقُرآنا فَرَقْناهُ مخففا: يعني بيناه.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس وَقُرآنا فَرَقْناهُ قال: فصلناه.

17181ـ حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا بدل بن المحبر، قال: حدثنا عباد، يعني ابن راشد، عن داود، عن الحسن أنه قرأ: وَقُرآنا فَرَقْناهُ خفّفها: فرق الله بين الحقّ والباطل.

وأما الذين قرأوا القراءة الأخرى، فإنهم تأوّلوا ما قد ذكرت من التأويل. ذكر من قال ما حكيت من التأويل عن قارىء ذلك كذلك:

17182ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: كان ابن عباس يقرؤها: «وَقُرآنا فَرّقْناهُ» مثقلة، يقول: أنزل آية آية.

17183ـ حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا داود، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة، قال: وَلا يَأْتُونَكَ بِمثَلٍ إلاّ جِئْناكَ بالحَقّ وأحْسَنَ تَفْسِيرا، «وَقُرآنا فَرّقْناهُ لِتَقْرأَهُ عَلى النّاسِ علَى مُكْثٍ وَنَزّلْناهُ تَنْزِيلاً».

17184ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: «وَقُرآنا فَرّقْناهُ لِتَقْرأَهُ عَلى النّاسِ» لم ينزل جميعا، وكان بين أوّله وآخره نحو من عشرين سنة.

17185ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: «وَقُرآنا فَرّقْناهُ» قال: فرّقه: لم ينزله جميعه. وقرأ: وَقالَ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً حتى بلغ وأحْسَنَ تَفْسِيرا يَنْقُض عليهم ما يأتون به.

وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول: نصب قوله وَقُرآنا بمعنى: ورحمة، ويتأوّل ذلك: وَما أرسَلْناكَ إلاّ مُبَشّرَا وَنَذِيرا ورحمة، ويقول: جاز ذلك، لأن القرآن رحمة، ونصبه على الوجه الذي قلناه أولى، وذلك كما قال جلّ ثناؤه: والقَمَرَ قَدّرْناهُ مَنازِلَ وقوله: لِتَقْرَأهُ عَلى النّاسِ عَلى مُكْثٍ يقول: لتقرأه على الناس على تُؤَدة، فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يفهم عنك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17186ـ حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن عبيد المكتِب، قال: قلت لمجاهد: رجل قرأ البقرة وآل عمران، وآخر قرأ البقرة، وركوعهما وسجودهما واحد، أيهما أفضل؟ قال: الذي قرأ البقرة، وقرأ: وَقُرآنا فَرَقْناه لِتَقْرَأهُ عَلى النّاسِ عَلى مُكْثٍ.

17187ـ حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: لِتَقْرَأهُ عَلى النّاسِ عَلى مُكْثٍ يقول: على تأييد.

17188ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: عَلى مُكْثٍ قال: على ترتيل.

17189ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قوله: لِتَقْرأهُ على النّاسِ عَلى مكث قال: في ترتيل.

17190ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: لِتَقْرَأهُ عَلى النّاسِ عَلى مُكْثٍ قال: التفسير الذي قال الله وَرتّلِ القُرآنَ تَرْتيلاً: تفسيره.

17191ـ حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن عبيد، عن مجاهد، قوله: لِتَقْرَأهُ عَلى النّاسِ عَلى مُكْثٍ على تؤدة.

وفي المُكث للعرب لغات: مُكْث، ومَكْث، ومِكْث ومِكّيثي مقصور، ومُكْثانا، والقراءة بضمّ الميم.

وقوله: وَنَزّلناهُ تَنْزِيلاً يقول تعالى ذكره: فرقنا تنزيله، وأنزلناه شيئا بعد شيء، كما:

17192ـ حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، قال: حدثنا، عن أبي رجاء، قال: تلا الحسن: «وَقُرآنا فَرّقْناهُ لِتَقْرَأهُ عَلى النّاسِ عَلى مُكْثٍ وَنَزّلْناهُ تَنْزِيلاً» قال: كان الله تبارك وتعالى ينزل هذا القرآن بعضه قبل بعض لما علم أنه سيكون ويحدث في الناس، لقد ذكر لنا أنه كان بين أوّله وآخره ثماني عشرة سنة، قال: فسألته يوما على سخطة، فقلت: يا أبا سعيد «وَقُرآنا فَرّقْناهُ» فثقلها أبو رجاء، فقال الحسن: ليس فرّقناه، ولكن فرَقناه، فقرأ الحسن مخففة. قلت: من يُحدثك هذا يا أبا سعيد أصحاب محمد؟ قال: فمن يحدّثنيه قال: أنزل عليه بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة ثماني سنين، وبالمدينة عشر سنين.

17193ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَقُرآنا فَرَقْناهُ لِتَقْرَأهُ عَلى النّاسِ عَلى مُكْثٍ وَنَزّلْناهُ تَنْزِيلاً لم ينزل في

ليلة ولا ليلتين، ولا شهر ولا شهرين، ولا سنة ولا سنتين، ولكن كان بين أوّله وآخره عشرون سنة، وما شاء الله من ذلك.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قال: كان يقول: أنزل على نبيّ الله القرآن ثماني سنين، وعشرا بعد ما هاجر. وكان قتادة يقول: عشرا بمكة، وعشرا بالمدينة.

الآية : 107 و 108

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوَاْ إِنّ الّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىَ عَلَيْهِمْ يَخِرّونَ لِلأَذْقَانِ سُجّداً * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبّنَا لَمَفْعُولاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى تُفَجُرَ لَنا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعا: آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، أو لا تؤمنوا به، فإن إيمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله ولا تركككم الإيمان به يُنقص ذلك. وإن تكفروا به، فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتابين، إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرّون تعظيما له وتكريما، وعلما منهم بأنه من عند الله، لأذقانهم سجدا بالأرض.

واختلف أهل التأويل في الذي عُنِي بقوله يَخِرّونَ للأَذْقانِ فقال بعضهم: عُنِي به: الوجوه. ذكر من قال ذلك:

17194ـ حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: يخِرّونَ للأَذْقانِ سُجّدا يقول: للوجوه.

17195ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة يَخِرّونَ للأَذْقانِ سُجّدا قال للوجوه.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

وقال آخرون: بل عُنِيَ بذلك اللّحَى. ذكر من قال ذلك:

17196ـ حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال الحسن في قوله: يَخِرّونَ للأَذْقانِ قال: اللّحَى.

وقوله: سُبْحانَ رَبّنا إنْ كانَ وَعْدُ رَبّنا لَمَفْعُولاً يقول جلّ ثناؤه: ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن، إذ خرّوا للأذقان سجودا عند سماعهم القرآن يُتْلى عليهم: تنزيها لربنا وتبرئه له مما يضيف إليه المشركون به، ما كان وعد ربنا من ثواب وعقاب، إلا مفعولاً حقا يقينا، إيمان بالقرآن وتصديق به. والأذقان في كلام العرب: جمع ذَقَن وهو مجمع اللّحيين، وإذ كان ذلك كذلك، فالذي قال الحسن في ذلك أشبه بظاهر التنزيل. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في الذين عنوا بقوله أوتُوا العِلْمَ وفي يُتْلَى عَلِيْهم. ذكر من قال ذلك:

17197ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: الّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ... إلى قوله خُشُوعا قال: هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل الله على محمد قالوا سُبْحانَ رَبّنا إنْ كانَ وَعْدُ رَبّنا لَمَفْعُولاً.

17198ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: قُلْ آمِنوا بِهِ أوْ لا تُؤْمِنُوا إنّ الّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ من قبل النبيّ صلى الله عليه وسلم إذَا يُتْلَى عَلَيهِمْ ما أنزل إليهم من عند الله يَخِرّونَ للأَذْقانِ سُجّدا وَيَقُولُونَ سُبْحانَ رَبّنا إنْ كانَ وَعْدُ رَبّنا لَمَفْعولاً.

وقال آخرون: عُنِي بقوله: الّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ (القرآن الذي أُنزل على) محمد صلى الله عليه وسلم. ذكر من قال ذلك:

17199ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: إذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ كتابهم.

17200ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله إذا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ما أنزل الله إليهم من عند الله.

وإنما قلنا: عُنِي بقوله: إذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ القرآن، لأنه في سياق ذكر القرآن لم يجر لغيره من الكتب ذكر، فيصرف الكلام إليه، ولذلك جعلت الهاء التي في قوله: مِنْ قَبْلِهِ من ذكر القرآن، لأن الكلام بذكره جرى قبله، وذلك قوله: وَقُرآنا فَرَقْناهُ وما بعده في سياق الخبر عنه، فذلك وجبت صحة ما قلنا إذا لم يأت بخلاف ما قلنا فيه حجة يجب التسليم لها.

الآية : 109

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَخِرّونَ لِلأذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً}.

يقول تعالى ذكره: ويخرّ هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان، إذا يُتْلَى عليهم القرآن لأذقانهم يبكون، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعا، يعني خضوعا لأمر الله وطاعته، واستكانة له. 17201ـ حدثنا أحمد بن منيع، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرنا مِسْعر، عن عبد الأعلى التيميّ، أن من أوتي من العلم ما لم يبكه لخليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه، لأن الله نعت العلماء فقال إنّ الّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرّونَ للأَذْقانِ... الآيتين.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، عن مسعر بن كدام، عن عبد الأعلى التيمي بنحوه، إلاّ أنه قال: إذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرّونَ للأَذْقانِ ثم قال: ويَخِرّونَ للأَذْقانِ يَبْكُونَ... الآية.

17202ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ويَخُرّونَ للأَذْقانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعا. قال: هذا جواب وتفسير للآية التي في كهيعص إذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُ الرّحْمَنَ خَرّوا سُجّدا وَبُكِيّا.

الآية : 110

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرّحْمَـنَ أَيّاً مّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأسْمَآءَ الْحُسْنَىَ وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً}.

يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لمشركي قومك المنكرين دعاء الرحمن: ادْعُوا اللّهَ أيها القوم أوِ ادْعُوا الرّحْمَنَ أيّا مّا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى بأيّ أسمائه جلّ جلاله تدعون ربكم، فإنما تدعون واحدا، وله

الأسماء الحُسنى. وإنما قيل ذلك له صلى الله عليه وسلم، لأن المشركين فيما ذكر سمعوا النبيّ صلى الله عليه وسلم يدعو ربه: يا ربنا الله، ويا ربنا الرحمن، فظنوا أنه يدعو إلهين، فأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام هذه الآية احتجاجا لنبيه عليهم. ذكر الرواية بما ذكرنا:

17203ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس. قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم ساجدا يدعو: «يا رَحْمَنُ يا رَحِيمُ»، فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدا، وهو يدعو مثنى مثنى، فأنزل الله تعالى: قُلِ ادْعُوا اللّهَ أوِ ادْعُوا الرّحْمَنَ أيّا مّا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى... الآية.

17204ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني عيسى، عن الأوزاعي، عن مكحول، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يتهجّد بمكة ذات ليلة، يقول في سجوده: «يا رَحْمَنُ يا رَحِيمُ»، فسمعه رجل من المشركين، فلما أصبح قال لأصحابه: انظروا ما قال ابن أبي كبشة، يدعو الليلة الرحمن الذي باليمامة، وكان باليمامة رجل يقال له الرحمن: فنزلت: قُلِ ادْعُوا اللّهَ أوِ ادْعُوا الرّحْمَنَ أيّا مّا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى».

17205ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: قُلِ ادْعُوا اللّهَ أوِ ادْعُوا الرّحْمَن أيّا مّا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى.

17206ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: أيّا مّا تَدْعُوا بشيء من أسمائه.

17207ـ حدثني موسى بن سهل، قال: حدثنا محمد بن بكار البصري، قال: ثني حماد بن عيسى، عن عبيد بن الطفيل الجهني، قال: حدثنا ابن جريج، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، عن مكحول، عن عَزّاك بن مالك، عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ لِلّهِ تسْعَةً وَتسْعينَ اسْما كُلّهُنّ في القُرآنِ، مَنْ أحْصَاهنّ دَخَلَ الجَنّةَ».

قال أبو جعفر: ولدخول «ما» في قوله أيّا مّا تَدْعُوا وجهان: أحدهما أن تكون صلة، كما قيل: عَمّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنّ نَادِمِينَ. والآخر أن تكون في معنى إن: كررت لما اختلف لفظاهما، كما قيل: ما إن رأيت كالليلة ليلة.

وقوله: وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً اختلف أهل التأويل في الصلاة، فقال بعضهم: عنى بذلك: ولا تجهر بدعائك، ولا تخافت به، ولكن بين ذلك. وقالوا: عنى بالصلاة في هذا الموضع: الدعاء. ذكر من قال ذلك:

17208ـ حدثني يحيى بن عيسى الدامغاني، قال: حدثنا ابن المبارك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، في قوله: وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قالت: في الدعاء.

حدثنا بشار، قال: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: نزلت في الدعاء.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مثله.

17209ـ حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثنا عباد بن العوّام، عن أشعث بن سوار، عن عكرمة، عن ابن عباس في قول الله تعالى: وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: كانوا يجهرون بالدعاء، فلما نزلت هذه الآية أُمروا أن لا يجهروا، ولا يخافتوا.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا حماد، عن عمرو بن مالك البكري، عن أبي الجوزاء عن عائشة، قالت: نزلت في الدعاء.

17210ـ حدثني مطر بن محمد الضبي، قال: حدثنا عبد الله بن داود، قال: حدثنا شريك، عن زياد بن فياض، عن أبي عياض، في قوله: وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: الدعاء.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن إبراهيم الهَجري، عن أبي عياض وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: نزلت في الدعاء.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا شريك، عن زياد بن فياض، عن أبي عياض مثله.

17211ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان عمن ذكره عن عطاء وَلا تَجْهَرْ بصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: نزلت في الدعاء.

17212ـ حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد في الآية: وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بها قال: في الدعاء.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، قال: نزلت في الدعاء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها في الدعاء والمسألة.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، قال: نزلت في الدعاء والمسألة.

17213ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى، قال: ثني سفيان، قال: ثني قيس بن مسلم، عن سعيد بن جبير في قوله وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: في الدعاء.

17214ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري، قال: حدثنا سفيان، عن ابن عياش العامري، عن عبد الله بن شدّاد قال: كان أعراب إذا سلم النبيّ صلى الله عليه وسلم قالوا: اللهمّ ارزقنا إبلاً وولدا، قال: فنزلت هذه الآية: وَلا تَجْهَرْ بصَلاتكَ وَلا تُخافتْ بها.

17215ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، في قوله وَلا تَجْهَرْ بصَلاتكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: في الدعاء.

حدثني ابن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ... الآية، قال: في الدعاء والمسألة.

17216ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني عيسى، عن الأوزاعي، عن مكحول وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: ذلك في الدعاء.

وقال آخرون: عنى بذلك الصلاة. واختلف قائلو هذه المقالة في المعنى الذي عنى بالنهي عن الجهر به، فقال بعضهم: الذي نهى عن الجهر به منها القراءة. ذكر من قال ذلك:

17217ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبّوا القرآن ومن أنزله، ومن جاء به، قال: فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ فيسمع المشركون وَلا تُخافِتْ بِها عن أصحابك، فلا تُسْمِعهم القرآن حتى يأخذوا عنك.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمار، عن أبي رَوْق، عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا جهر بالصلاة بالمسلمين بالقرآن، شقّ ذلك على المشركين إذا سمعوه، فيُؤْذون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشتم والعيب به، وذلك بمكة، فأنزل الله: يا محمد لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ يقول: لا تُعلِنْ بالقراءة بالقرآن إعلانا شديدا يسمعه المشركون فيؤذونك، ولا تخافت بالقراءة القرآن: يقول: لا تخفض صوتَك حتى لا تُسْمِع أذنيك وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً يقول: اطلب بين الإعلان والجهر وبين التخافت والخفض طريقا، لا جهرا شديدا، ولا خفضا لا تُسْمع أذنيك، فذلك القدر فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سقط هذا كله، يفعل الآن أيّ ذلك شاء.

17218ـ حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها... الآية، هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة كان إذا صلى بأصحابه، فرفع صوته بالقراءة أسمع المشركين، فآذوه، فأمره الله أو لا يرفع صوته، فيسمع عدوّه، ولا يخافت فلا يُسْمِع مَن خلفه من المسلمين، فأمره الله أن يبتغي بين ذلك سبيلاً.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالقرآن، فكان المشركون إذا سمعوا صوته سبّوا القرآن، ومن جاء به فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يخفي القرآن فما يسمعه أصحابه، فأنزل الله وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بينَ ذلك سَبِيلاً.

حدثنا محمد بن عليّ بن الحسن بن شقيق، قال: سمعت أبي، يقول: أخبرنا أبو حمزة عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم إذا رفع صوته وسَمع المشركون، سبّوا القرآن، ومن جاء به، وإذا خفض لم يسمع أصحابه، قال الله: وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً.

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا يونس: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني داود بن الحُصَين، من عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرّقوا، وأبَوا أن يستمعوا منه، فكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو، وهو يصلي، استرق السمع دونهم فرقا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع، ذهب خشية أذاهم، فلم يستمع، فإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته، لم يستمع الذين يستمعون من قراءته شيئا، فأنزل الله عليه: وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ فيتفرّقوا عنك وَلا تُخافِتْ بِها فلا تُسْمِع من أراد أن يسمعها، ممن يسترق ذلك دونهم، لعله يرعَوِي إلى بعض ما يسمع، فينتفع به، وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً.

17219ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة القرآن في المسجد الحرام، فقالت قريش: لا تجهر بالقراءة فتؤذي آلهتنا، فنهجو ربك، فأنزل الله: وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها... الآية.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، في قوله وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مختف بمكة، فكان إذا صلى بأصحابه رفع الصوت بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله لنبيه: وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ: أي بقراءتك، فيسمع المشركون، فيسبّوا القرآن وَلا تُخافِتْ بِها عن أصحابك، فلا تسمعهم وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، في قوله وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: في القراءة.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا سعيد، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، في هذه الآية وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا رفع صوته أعجب ذلك أصحابه، وإذا سمع ذلك المشركون سبّوه، فنزلت هذه الآية.

17220ـ حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، عن سلمة، عن علقمة، عن محمد بن سيرين، قال: نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته، وأن عمر كان يرفع صوته قال: فقيل لأبي بكر: لم تصنع هذا؟ فقال: أناجي ربي، وقد علم حاجتي، قيل: أحسنت وقيل لعمر: لم تصنع هذا؟ قال: أطرد الشيطان، وأوقظ الوسنان، قيل: أحسنت فلما نزلت وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً قيل لأبي بكر: ارفع شيئا، وقيل لعمر: اخفض شيئا.

17221ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا حسان بن إبراهيم، عن إبراهيم الصائغ، عن عطاء، في قوله: وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: يقول ناس إنها في الصلاة، ويقول آخرون إنها في الدعاء.

17222ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَلا تَـجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً وكان نبيّ الله وهو بمكة، إذا سمع المشركون صوته رموه بكلّ خبث، فأمره الله أن يغضّ من صوته، وأن يجعل صلاته بينه وبين ربه، وكان يقال: ما سمعته أذنك فليس بمخافتة.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله وَلا تَـجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بالصلاة، فيُرمَى بالخبث، فقال: لا ترْفعْ صَوْتكَ فتُؤْذَى وَلا تُخافِتْ بِها، وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً.

وقال آخرون: إنما عُنِي بذلك: ولا تجهر بالتشهد في صلاتك، ولا تخافت بها. ذكر من قال ذلك:

17223ـ حدثني أبو السائب، قال: حدثنا حفص بن غِياث، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: نزلت هذه الآية في التشهد وَلا تَـجْهَرْ بصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها.

17224ـ حدثني أبو السائب، قال: حدثنا حفص، عن أشعث، عن ابن سيرين مثله. وزاد فيه: وكان الأعرابيّ يجهر فيقول: التحيات لله، والصلوات لله، يرفع فيها صوته، فنزلت وَلا تَـجْهَرْ بِصَلاتِكَ.

وقال آخرون: بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمكة جِهارا، فأمر بإخفائها. ذكر من قال ذلك:

17225ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة والحسن البصري قالا: قال في بني إسرائيل وَلا تَـجْهرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بيَن ذلكَ سَبِيلاً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى يجهر بصلاته، فآذى ذلك المشركين بمكة، حتى أخفى صلاته هو وأصحابه، فلذلك قال وَلا تَـجَهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها وَابْتَغِ بيْنَ ذلكَ سَبِيلاً وقال في الأعراف: وَاذْكُرْ رَبّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرّعا وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بالغُدُوّ والآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الغافِلِينَ.

وقال آخرون: معنى ذلك: ولا تجهر بصلاتك تحسنها من إتيانها في العلانية، ولا تخافت بها: تسيئها في السريرة. ذكر من قال ذلك:

17226ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن أنه كان يقول: ولاَ تَـجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها: أي لا تراء بها عَلاَنية، ولا تخفها سرّا وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: كان الحسن يقول في قوله: وَلا تَـجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: لا تحسن علانيتها، وتسيء سريرتها.

حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم، عن عوف، عن الحسن، في قوله: وَلا تَـجْهَرْ بِصَلاتِكَ ولاَ تُخافِتْ بِها قال: لا تراء بها في العلانية، ولا تخفها في السريرة.

حدثني عليّ بن الحسن الأزرقي، قال: حدثنا الأشجعي، عن سفيان، عن منصور، عن الحسن وَلا تَـجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخافِتْ بِها قال: تحسن علانيتها، وتسيء سريرتها.

17227ـ حدثني عليّ، قال: حدثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَلا تَـجْهَرْ بِصَلاتِكَ ولاَ تُـخافِتْ بِها قال: لا تصلّ مراءاة الناس ولا تدعها مخافة. وقال آخرون في ذلك ما:
17228ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَلا تَـجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُـخافِتْ بِها وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً قال: السبيل بين ذلك الذي سنّ له جبرائيل من الصلاة التي عليها المسلمون. قال: وكان أهل الكتاب يُخافتون، ثم يجهر أحدهم بالحرف، فيصيح به، ويصيحون هم به وراءه، فنهى أن يصيح كما يصيح هؤلاء، وأن يُخافت كما يُخافت القوم، ثم كان السبيل الذي بين ذلك، الذي سنّ له جبرائيل من الصلاة.
وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، ما ذكرنا عن ابن عباس في الخبر الذي رواه أبو جعفر، عن سعيد، عن ابن عباس، لأن ذلك أصحّ الأسانيد التي رُوِي عن صحابيّ فيه قولٌ مخرّجا، وأشبه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن قوله: وَلا تَـجْهرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُـخافِتْ بِها عقيب قوله قُلِ ادْعِوا اللّهَ أوِ ادْعُوا الرّحْمنَ أيّا مّا تَدْعُوا فَلَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى وعقيب تقريع الكفار بكفرهم بالقرآن، وذلك بعدهم منه ومن الإيمان. فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى وأشبه بقوله وَلاَ تَـجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُـخافِتْ بِها أن يكون من سبب ما هو في سياقه من الكلام، ما لم يأت بمعنى يوجب صرفه عنه، أو يكون على انصرافه عنه دليل يعلم به الانصراف عما هو في سياقه.
فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: قل ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى، ولا تجهر يا محمد بقراءتك في صلاتك ودعائك فيها ربك ومسألتك إياه، وذكرك فيها، فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون، ولا تخافت بها فلا يسمعها أصحابك وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سبِيلاً ولكن التمس بين الجهر والمخافتة طريقا إلى أن تسمع أصحابك، ولا يسمعه المشركون فيؤذوك. ولولا أن أقوال أهل التأويل مضت بما ذكرت عنهم من التأويل، وأنا لا نستجير خلافهم فيما جاء عنهم، لكان وجها يحتمله التأويل أن يقال: ولا تجهر بصلاتك التي أمرناك بالمخافتة بها، وهي صلاة النهار لأنها عجماء، لا يجهر بها، ولا تخافت بصلاتك التي أمرناك بالجهر بها، وهي صلاة الليل، فإنها يجهر بها وَابْتَغِ بينَ ذلكَ سَبِيلاً بأن تجهر بالتي أمرناك بالجهر بها، وتخافت بالتي أمرناك بالمخافتة بها، لا تجهر بجميعها، ولا تخافت بكلها، فكان ذلك وجها غير بعيد من الصحة، ولكنا لا نرى ذلك صحيحا لإجماع الحجة من أهل التأويل على خلافه. فإن قال قائل: فأية قراءة هذه التي بين الجهر والمخافتة؟ قيل:
17229ـ حدثني مطر بن محمد، قال: حدثنا قتيبة، ووهب بن جرير، قالا: حدثنا شعبة، عن الأشعث بن سليم، عن الأسود بن هلال، قال: قال عبد الله: لم يخافت من أسمع أذنيه.
حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا شعبة، عن الأشعث، عن الأسود بن هلال، عن عبد الله، مثله.

الآية : 111

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي لَمْ يَتّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُنْ لّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لّهُ وَلِيّ مّنَ الذّلّ وَكَبّرْهُ تَكْبِيراً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَقُلْ يا محمد الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي لَمْ يَتّخِذْ وَلَدا فيكون مربوبا لاربا، لأن ربّ الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد ولَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ فيكون عاجزا ذا حاجة إلى معونة غيره ضعيفا، ولا يكون إلها من يكون محتاجا إلى معين على ما حاول، ولم يكن منفردا بالمُلك والسلطان وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيّ مِنَ الذُلّ يقول: ولم يكن له حليف حالفه من الذلّ الذي به، لأن من كان ذا حاجة إلى نصرة غيره، فذليل مهين، ولا يكون من كان ذليلاً مهينا يحتاج إلى ناصر إلها يطاع وكَبّرْهُ تَكْبِيرا يقول: وعظم ربك يا محمد بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل، وأطعه فيما أمرك ونهاك.

وبنحو الذي قلنا في قوله: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيّ مِنَ الذّلّ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17230ـ حدثنا محمد بن عمرو،قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيّ مِنَ الذّلّ قال: لم يحالف أحدا، ولا يبتغي نصر أحد.

حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

17231ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يعلّم أهله هذه الآية الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي لَمْ يَتّخِذْ وَلَدا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيّ مِنَ الذّلّ وكَبّرْهُ تَكْبِيرا الصغير من أهله والكبير.

17232ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، قال: حدثنا أبو الجنيد، عن جعفر، عن سعيد، عن ابن عباس، قال: إن التوراة كلها في خمس عشرة آية من بني إسرائيل، ثم تلا لا تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إلها آخَرَ.

17233ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، عن القُرَظي، أنه كان يقول في هذه الآية: الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي لَمْ يَتّخِذْ وَلَدا... الآية. قال: إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولدا. وقالت العرب: لبيك، لبيك، لا شريك لك، إلا شريكا هو لك. وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذلّ الله، فأنزل الله: وَقُلِ الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي لَمْ يَتّخِذْ وَلَدا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيّ مِنَ الذّلّ وكَبّرْهُ أنت يا محمد على ما يقولون تَكْبِيرا.

آخر تفسير سورة بني إسرائيل، والحمد لله ربّ العالمين.

سورة الكهف

سورة الكهف مكية وآياتها عشر ومائة

بِسمِ اللّهِ الرحمَن الرّحِيمِ

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى:

{الْحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أَنْزَلَ عَلَىَ عَبْـدِهِ الْكِتَـابَ وَلَـمْ يَجْعَـل لّـهُ عِوَجَا }.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الحمد لله الذي خصّ برسالته محمدا وانتخبه لبلاغها عنه, فابتعثه إلى خلقه نبيا مرسلاً, وأنزل عليه كتابه قيما, ولم يجعل له عِوَجا.

وعُنِي بقوله عزّ ذكره: قَيّما معتدلاً مستقيما. وقيل: عُنِي به: أنه قيم على سائر الكتب يصدّقها ويحفظها. ذكر من قال: عني به معتدلاً مستقيما:

17234ـ حدثني عليّ بن داود, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجا قَيّما يقول: أنزل الكتاب عَدلاً قيما, ولم يجعل له عِوَجا, فأخبر ابن عباس بقوله هذا مع بيانه معنى القيم أن القيم مؤخر بعد قوله, ولم يجعل له عوجا, ومعناه التقديم بمعنى: أنزل الكتاب على عبده قَيّما.

17235ـ حُدثت عن محمد بن زيد, عن جويبر, عن الضحاك, في قوله قَيّما قال: مستقيما.

17236ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوْجا قَيّما: أي معتدلاً لا اختلاف فيه.

17237ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَوَجا قَيّما قال: أنزل الله الكتاب قيما, ولم يجعل له عِوَجا.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي أنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الكِتابَ ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَوَجا قَيّما.

قال: وفي بعض القراءات: «وَلَكِنْ جَعَلَهُ قَيّما».

والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله ابن عباس, ومن قال بقوله في ذلك, لدلالة قوله: ولَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجا فأخبر جلّ ثناؤه أنه أنزل الكتاب الذي أنزله إلى محمد صلى الله عليه وسلم قَيّما مستقيما لا اختلاف فيه ولا تفاوت, بل بعضه يصدق بعضا, وبعضه يشهد لبعض, لا عِوَج فيه, ولا ميل عن الحقّ, وكُسرت العين من قوله عَوِجا لأن العرب كذلك تقول في كلّ اعوجاج كان في دين, أو فيما لا يُرَى شخصه قائما, فيُدْرَك عِيانا منتصبا كالعاج في الدين, ولذلك كُسِرت العين في هذا الموضع, وكذلك العِوَج في الطريق, لأنه ليس بالشخص المنتصب. فأما ما كان من عِوَج في الأشخاص المنتصبة قياما, فإن عينها تفتح كالعَوج في القناة, والخشبة, ونحوها. وكان ابن عباس يقول في معنى قوله ولَمَ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجا: ولم يجعل له ملتبسا. ذكر من قال ذلك:

17238ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس ولَمَ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجا قَيّما ولم يجعل له ملتبسا.

ولا خلاف أيضا بين أهل العربية في أن معنى قوله قَيّما وإن كان مؤخرا, التقديم إلى جنب الكتاب. وقيل: إنما افتتح جلّ ثناؤه هذه السورة بذكر نفسه بما هو له أهل, وبالخبر عن إنزال كتابه على رسوله إخبارا منه للمشركين من أهل مكة, بأن محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم, وذلك أن المشركين كانوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء علمهموها اليهود من قريظة والنضير, وأمروهم بمسألتهموه

عنها, وقالوا: إن أخبركم بها فهو نبـيّ, وإن لـم يخـبركم بهـا فهـو منقـوّل, فوعدهم رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم للـجواب عنهـا موعـدا, فأبطـأ الوحي عنه بعض الإبطاء, وتـأخّر مـجيء جبرائيـل علـيه السـلام عنـه عـن ميعاده القـوم, فتـحدّث الـمشركون بـأنه أخـلفهم موعـدَه, وأنـه متقـوّل, فأنزل الله هذه السورة جوابـا عن مسائلهم, وافتتـح أوّلها بـذكره, وتكـذيب الـمشركين فـي أحدوثتهم التـي تـحدّثوها بـينهم. ذكر من قال ذلك:

17239ـ حدثنا أبو كريب, قال: حـدثنا يـونس بـن بكيـر, عـن مـحمد بـن إسحاق, قال: ثنـي شيخ من أهل مصر, قدم منـذ بضـع وأربعيـن سـنة, عـن عكرمة, عن ابن عبـاس فـيـما يروي أبو جعفر الطـبري قـال: بعثـت قريـش النضْر بن الـحارث, وعُقبة بن أبـي معيط إلـى أحبـار يهود بـالـمدينة, فقـالوا لهم: سلوهم عن مـحمد, وصِفُوا لهم صفته, وأخـبروهم بقـوله, فـإنهم أهـل الكتاب الأوّل, وعندهم علـم ما لـيس عندنا من علـم الأنبـياء. فخرجـا حتـى قَدِما الـمدينة, فسألوا أحبـار يهودَ عن رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم, ووصـفوا لهـم أمـره وبع ض قـوله, وق الا: إنكـم أهـل التـوراة, وقـد جئنـاكم لتـخبرونا عن صاحبنا هذا, قال: فقـالت لهـم أحبــار يهـود: سـلوه عـن ثلاث نأمركم بهنّ, فإن أخبركم بهنّ فهـو نبــيّ مرسـل, وإن لــم يفعـل فــالرجل متقوّل, فَرَوْا فـيه رأيكم: سلوه عن فتـية ذهبـوا فـي الـدهر الأوّل, مـا كـان من أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيـب. وسـلوه عـن رجـل طَـوّاف, بلـغ مشارق الأرض ومغاربها, مـا كـان نبـؤه؟ وسـلوه عـن الـروح مـا هـو؟ فـإن أخبركم بذلك, فإنه نبـيّ فـاتّبعوه, وإن هو لــم يخـبركم, فهـو رجـلٌ متقـوّل, فـاصنعوا فـي أمره ما بدا لكم. فأقبل النضْر وعقبة حتـى قَـدِما مكـة علـى قريش, فقالا: يا معشر قريش: قد جئناكم بفصل مـا بــينكم وبــين مــحمد, قد أمرنا أحبـار يهودَ أن نَسأله, عن أمور, فأخبروهم بها, فجاءوا رسول اللـه صلى الله عليه وسلم, فقالوا: يا مـحمد أخبرنـا, فسـألوه عمـا أمروهـم بـه, فقال لهم رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم: «أُخْبِرُكُـمْ غَـدا بِــمَا سألْتُــمْ عَنْهُ», ولـم يستثن فـانصرفوا عنه, فمكث رسول اللَه صلى اللَه عليه وسلم خمس عشرة لـيـلة, لا يُحَدِث الله إلـيه فـي ذلـك وحيـا, ولا يأتــيه جبرائيــل علـيه السلام, حتـى أرجـف أهـل مكـة وق الوا: وعَ دَنا مــحمد غـدا, والــيوم خمس عشرة قد أصبحنا فــيها لا يخبرنـا بشـيء مــما سـألناه عنـه. وحتــى أحزنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مُكْثُ الوحي عنـه, وشـقّ علــيه مـا يتكلـم به أهل مكة. ثم جـاءه جبرائيــل علــيه السـلام, مـن اللـه عـزّ وجـلّ, بسورة أصحاب الكهف, فـيها معاتبته إياه علـى حزنه علـيهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفِتـية والرجل الطوّاف, وقـول اللـه عـزّ وجـلّ وَيَسـأَلُونَكَ عَ نِ الرّوحِ قُلِ الرّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبّـي وَمـا أُوتِـيتُـمْ مِـنَ العِلْــمِ إلاّ قَلِـيلاً ق ال ابـن إسحاق: فبلغنـي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتـح السـورة فقـال الـحَمْدِ لِلّهِ الّذِي أَنْزَلَ عَلـى عَبْدِهِ الكِتابَ يعنـي مــحمدا إنـك رسولــي فــي تـحقـيق ما سألوا عنه من نبوّته ولَـمْ يَجْعَـلْ لَـهُ عِوَجـا قَـيّــما: أي معتـدلاً, لا اختلاف فـيه.

الآية : 2 و 3

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَيّماً لّيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مّـن لّـدُنْهُ وَيُبَشّـرَ الْمُؤْمِنِينَ الّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحَاتِ أَنّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً * مّاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً }.

يقول تعالى ذكره: أنزل على عبده القرآن معتدلاً مستقيما لا عوج فيه لينذركم أيها الناس بأسا من الله شديدا. وعنى بالبأس العذاب العاجل, والنكال الحاضر والسطوة. وقوله: مِنْ لَدُنْهُ يعني: من عند الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17240ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يونس بن بكير, عن محمد بن إسحاق لِيُنْذِرَ بَأْسا شَدِيدا عاجل عقوبة في الدنيا وعذابا في الآخرة. مِنْ لَدنْهِ: أي من عند ربك الذي بعثك رسولاً.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, بنحوه.

17241ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: مِنْ لَدُنْهُ: أي من عنده.

فإن قال قائل: فأين مفعول قوله لِيُنْذَرِ فإن مفعوله محذوف اكتفى بدلالة ما ظهر من الكلام عليه من ذكره, وهو مضمر متصل بينذر قبل البأس, كأنه قيل: لينذركم بأسا, كما قيل: يُخَوّفُ أوْلِياءَهُ إنما هو: يخوّفكم أولياءه.

وقوله: وَيُبَشّرَ المُؤْمِنِينَ يقول: ويبشر المصدقين الله ورسوله الّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحات وهو العمل بما أمر الله بالعمل به, والانتهاء عما نهى الله عنه أنّ لَهُمْ أجْرا حَسَنا يقول: ثوابا جزيلاً له من الله على إيمانهم بالله ورسوله, وعملهم في الدنيا الصالحات من الأعمال, وذلك الثواب: هو الجنة التي وعدها المتقون. وقوله: ماكِثِينَ فِيهِ أبَدا خالدين, لا ينتقلون عنه, ولا يُنْقَلون ونصب ماكثين على الحال من قوله: أنّ لَهُمْ أجْرا حَسَنا في هذه الحال في حال مكثهم في ذلك الأجر. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17242ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سَلَمة, عن ابن إسحاق وَيُبَشّرَ المُؤْمِنِينَ الّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحاتِ أنّ لَهُمْ أجْرا حَسَنا ماكِثِينَ فِيهِ أبَدا: أي في دار خلد لا يموتون فيها, الذين صدقوك بما جئت به عن الله, وعملوا بما أمرتهم.

الآية : 4 و 5

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيُنْذِرَ الّذِينَ قَالُواْ اتّخَذَ اللّهُ وَلَداً * مّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاّ كَذِباً }.

يقول تعالى ذكره: ويحذر أيضا محمد القوم الّذِين قالُوا اتّخَذَ اللّهُ وَلَدا من مشركي قومه وغيرهم, بأسَ الله وعاجلَ نقمته, وآجل عذابه, على قيلهم ذلك, كما:

17243ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق وَيُنْذِرَ الّذِينَ قالُوا اتّخَذَ اللّهُ وَلَدا يعني قريشا في قولهم: إنما نعبد الملائكة, وهنّ بنات الله.

وقوله: ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ يقول: ما لقائلي هذا القول, يعني قولهم اتّخَذَ اللّهُ وَلَدا بِهِ: يعني بالله من علم, والهاء في قوله بِهِ من ذكر الله. وإنما معنى الكلام: ما لهؤلاء القائلين هذا القول بالله, إنه لا يجوز أن يكون له ولد من علم, فلجهلهم بالله وعظمته قالوا ذلك. وقوله: ولاَ لآبائِهِمْ يقول: ولا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل الذي هم عليه

اليوم, كان لهم بالله وبعظمته علم. وقوله: كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أفْوَاهِهِمْ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدنيين والكوفيين والبصريين: كَبُرَتْ كَلِمَةً بنصب كلمةً بمعنى: كبُرت كلمتهم التي قالوها كلمةً على التفسير, كما يقال: نعم رجلاً عمرو, ونعم الرجل رجلاً قام, ونعم رجلاً قام. وكان بعض نحويّي أهل البصرة يقول: نُبئت كلمةً لأنها في معنى: أكْبِر بها كلمة, كما قال جلّ ثناؤه وَسَاءتْ مُرْتَفَقا وقال: هي في النصب مثل قول الشاعر:

ولقدْ عَلِمْتُ إذَا اللّقاحُ تَرَوّحتْهَدَجَ الرّئالِ تَكُبّهُنّ شَمالا

أي تكبهنّ الرياح شمالاً. فكأنه قال: كبرت تلك الكلمة. وذُكِر عن بعض المكيين أنه كان يقرأ ذلك: «كَبُرَتْ كَلِمَةٌ» رفعا, كما يقال: عَظُم قولُك وكَبُر شأنُك. وإذا قرىء ذلك كذلك لم يكن في قوله كَبُرَتْ كَلِمَةً مُضمر, وكان صفة للكلمة.

والصواب من القراءة في ذلك عندي, قراءة من قرأ: كَبُرَتْ كَلِمَةً نصبا لإجماع الحجة من القرّاء عليها, فتأويل الكلام: عَظُمت الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء القوم الذين قالوا: اتخذ الله ولدا, والملائكة بنات الله, كما:

17244ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أفْوَاهِهِمْ قولهم: إن الملائكة بنات الله.

وقوله: إنْ يَقُولُونَ إلاّ كَذِبا يقول عزّ ذكره: ما يقول هؤلاء القائلون اتخذ الله ولدا بقيلهم ذلك إلا كذبا وفرية افتروها على الله.

الآية : 6 - 8

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَعَلّكَ بَاخِعٌ نّفْسَكَ عَلَىَ آثَارِهِمْ إن لّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـَذَا الْحَدِيثِ أسَفاً * إنّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأرْضِ زِينَةً لّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أيّهُم أحْسَنُ عَمَلاً * وَإنّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً }.

يعني تعالى ذكره بذلك: فلعلك يا محمد قاتلُ نفسك ومهلكها على آثار قومك الذين قالوا لك لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعا تمرّدا منهم على ربهم, إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذي أنزلته عَليك فيصدّقوا بأنه من عند الله حزنا وتلهفا ووجدا, بإدبارهم عنك, وإعراضهم عما أتيتهم به وتركهم الإيمان بك. يقال منه: بخع فلان نفسه يبخعها بَخْعا وبخوعا ومنه قول ذي الرّمة:

ألا أيّهَذَا الباخِعُ الوَجْدُ نَفْسَهُلِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ المَقادِرُ

يريد: نحّته فخفف.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: باخِعٌ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17245ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَلَعَلّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ يقول: قاتل نفسك.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا مَعْمر, عن قتادة, مثله.

وأما قوله: أسَفـا فإنّ أهل التأويـل اختلفـوا فــي تأويــله, فقـال بعضـهم: معناه: فلعلك بـاخع نفسك إن لـم يؤمنوا بهذا الـحديث غضبـا. ذكر مـن قـال ذلك:

17246ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنْ لَـمْ يُؤْمِنُوا بِهَذا الـحَدِيثِ أسَفـا قال: غضبـا.

وقال آخرون: جَزَعا. ذكر من قال ذلك:

17247ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى «ح» وحدثنـي الـحارث, قـال: حـدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قول الله أسَفـا قال: جزَعا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

وقال آخرون: معناه: حزنا علـيهم. ذكر من قال ذلك:

17248ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الـرزاق, قـال: أخبرنـا معمر, عن قتادة, فـي قوله: أسَفـا قال: حزنا علـيهم.

وقد بـيّنا معنى الأسف فـيـما مضى من كتابنا هذا, بـما أغنـى عـن إعـادته فـي هذا الـموضع.

وهذه معاتبة من الله عزّ ذكره علــى وجـده بـمبــاعدة قـومه إيـاه فـيــما دعاهم إلـيه مـن الإيــمان بــالله, والـبراءة مـن الآلهـة والأنـداد, وكـان بهـم رحيـما.

وبنـحو ما قلنا فـي ذلك, قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

17249ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق فَلَعَلّكَ بـاخِعٌ نَفْسَكَ عَلـى آثارِهِمْ إنْ لَـمْ يُؤْمِنُوا بِهَـذَا الــحَدِيثِ أسَفــا يعـاتبه علــى حزنـه علـيهم حين فـاتـه ما كان يرجو منهم: أي لا تفعل.

وقوله: إنّا جَعَلْنا ما عَلَـى الأرْضِ زِينَةً لَهَا يقول عزّ ذكره: إنا جعلنا ما علـى الأرض زينة للأرض لِنَبْلُوَهُمْ أيّهُـمْ أحْسَـنُ عَمَلاً يقـول: لنــختبر عبــادنا أيّهـم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهينا وأعمل فـيها بطاعتنا. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك, قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

17250ـ حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عــن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد ما عَلــى الأرضِ زِينَـةً لَهَـا قـال: مـا علــيها مـن شيء.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

17251ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّا جَعَلْنا ما عَلـى الأرْضِ زِينَةً لَهَا ذكر لنا أن نبـيّ الله صلى الله عليـه وسـلم كان يقول: «إنّ الدّنـيْا خَضِرَةٌ حُلْـوَةٌ, وَإنّ اللّـهَ مُسْتَـخْــلِفَكُمْ فِــيها, فَنـاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ, فـاتّقُوا الدّنـيْا, واتّقُوا النّساءَ».

وأما قوله: لِنَبْلُوَهُمْ أيّهُمْ أحْسَنُ عَمَلاً فإن أهل التأويـل قالوا فــي تأويــله نـحو قولنا فـيه. ذكر من قال ذلك:

17252ـ حدثنا القاسم, قـال: حـدثنا الــحسين, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم العسقلانـي, قال: لِنَبْلُوَهُمْ أيّهُمْ أحْسَنُ عَمَلاً قال: أترك لها.

17253ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق إنّا جَعَلْنا ما عَلى الأرْض زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أيّهُمْ أحْسَنُ عَمَلاً اختبارا لهم أيهم أتبع لأمري وأعمل بطاعتي.

وقوله: وَإنّا لَجاعلُونَ ما عَلَيْها صَعِيدا جُرزا يقول عزّ ذكره: وإنما لمخرّبوها بعد عمارتناها بما جعلنا عليها من الزينة, فمصيروها صعيدا جرزا لا نبات عليها ولا زرع ولا غرس. وقد قيل: إنه أريد بالصعيد في هذا الموضع: المستوي بوجه الأرض, وذلك هو شبيه بمعنى قولنا في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك, وبمعنى الجرز, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17254ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وإنّا لَجَاعِلُونَ ما عَلَيْها صَعِيدا جُرُزا يقول: يهلك كلّ شيء عليها ويبيد.

17255ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد صَعِيدا جُرُزا قال: بلقعا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

17256ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإنّا لَجاعلُونَ ما عَلَيْها صَعيدا جُرُزا والصعيد: الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات.

17257ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سَلَمة, عن ابن إسحاق وَإنّا لَجَاعِلُونَ ما عَلَيْها صَعِيدا جُرُزا يعني: الأرض إن ما عليها لفانٍ وبائد, وإن المرجع لإليّ, فلا تأس, ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها.

17258ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: صَعِيدا جُرُزا قال: الجزر: الأرض التي ليس فيها شيء, ألا ترى أنه يقول: أوَ لَمْ يَرَوْا أنّا نَسُوقُ الماءَ إلى الأرْضِ الجُرُزِ فنُخْرِجُ بِهِ زَرْعا قال: والجرز: لا شيء فيها, لا نبات ولا منفعة. والصعيد: المستوي. وقرأ: لاَ تَرَى فِيها عِوَجا وَلا أمْتا قال: مستوية: يقال: جُرِزت الأرض فهي مجروزة, وجرزها الجراد والنعم, وأرَضُون أجْراز: إذا كانت لا شيء فيها. ويقال للسنة المجدبة: جُرُز وسنون أجراز لجدوبها ويبسها وقلّة أمطارها قال الراجز:

قَدْ جَرَفَتْهُنّ السّنُونُ الأجْرَازْ

يقال: أجرز القوم: إذا صارت أرضهم جُرُزا, وجَرَزوا هم أرضهم: إذا أكلوا نباتها كله.

الآية : 9

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتَ أَنّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرّقِيمِ كَانُواْ مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَبا, فإن ما خلقت من السموات والأرض, وما فيهنّ من العجائب أعجب من أمر أصحاب الكهف, وحجتي بكل ذلك ثابتة على هؤلاء المشركين من قومك, وغيرهم

من سائر عبادي. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17259ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أمْ حَسِبْتَ أنّ أصحَابَ الكَهْفِ والرّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبا قال محمد بن عمرو في حديثه, قال: ليسوا عجبا بأعجب آياتنا. وقال الحارث في حديثه بقولهم: أعجب آياتنا: ليسوا أعجب آياتنا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: أمْ حَسِبْتَ أنّ أصْحَابَ الكَهْفِ والرّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبا كانوا يقولون هم عجب.

17260ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أمْ حَسِبْتَ أنّ أصحَابَ الكَهْفِ والرّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبا يقول: قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك.

17261ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق أمْ حَسِبْتَ أنّ أصحَابَ الكَهْفِ والرّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبا. أي وما قدروا من قَدْر فيما صنعت من أمر الخلائق, وما وضعت على العباد من حججي ما هو أعظم من ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عَجَبا, فإن الذين آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه. ذكر من قال ذلك:

17262ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أمْ حَسِبْتَ أنّ أصحَابَ الكَهْفِ والرّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبا يقول: الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم.

وإنما قلنا: إن القول الأوّل أولى بتأويل الآية, لأنّ الله عزّ وجلّ أنزل قصة أصحاب الكهف على نبيه احتجاجا بها على المشركين من قومه على ما ذكرنا في الرواية عن ابن عباس, إذ سألوه عنها اختبارا منهم له بالجواب عنها صدقه, فكان تقريعهم بتكذيبهم بما هو أوكد عليهم في الحجة مما سألوا عنهم, وزعموا أنهم يؤمنون عند الإجابة عنه أشبه من الخبر عما أنعم الله على رسوله من النعم.

وأما الكهف, فإنه كهف الجبل الذي أوى إليه القوم الذين قصّ الله شأنهم في هذه السورة.

وأما الرقيم, فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنىّ به, فقال بعضهم: هو اسم قرية, أو واد على اختلاف بينهم في ذلك. ذكر من قال ذلك:

17263ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى بن عبد الأعلى وعبد الرحمن, قالا: حدثنا سفيان, عن الشيبانيّ, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: يزعم كعب أن الرقيم: القرية.

17264ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس أمْ حَسِبْتَ أنّ أصحَابَ الكَهْفِ والرّقِيمِ قال: الرقيم: واد بين عُسْفان وأيلة دون فلسطين, وهو قريب من أيلة.

17265ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت أبـي, عن عطية, قال: الرقـيـم: واد.
17266ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أمْ حَسِبْتَ أنّ أصـحَابَ الكَهْـفِ والرّقِـيــمِ كنّـا نــحدّث أن الرقـيــم: الـوادي الذي فـيه أصحاب الكهف.
حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن سمِاك بن حرب, عن عكرمة, عن ابـن عبــاس, فــي قـوله الرّقِـيــمِ قـال: يزعم كعب: أنها القرية.
17267ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الـرزاق, قـال: أخبرنـا معمر, عن ابن أبـي نـجيح عـن مــجاهد, فــي قـوله: الرّقِـيــمِ قـال: يقـول بعضهم: الرقـيــم: كتـاب تبــانهم. ويقـول بعضـهم: هـو الـوادي الـذي فــيه كهفهم.
17268ـ حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قـال: سـمعت أبــا معـاذ, قـال: حدثنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول: أما الكهف: فهو غـار الوادي, والرقـيـم: اسم الوادي.
وقال آخرون: الرقـيـم: الكتاب. ذكر من قال ذلك:
17269ـ حدثنا علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علــيّ, عـن ابـن عبــاس, قـوله: أمْ حَسِـبْتَ أنّ أصـحَابَ الكهْـفِ والرّقِـيــمِ يقـول: الكتاب.
17270ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: حدثنا أبــي, عـن ابن قـيس, عن سعيد بن جبـير, قال: الرقـيـم: لوح مـن حجـارة كتبـوا فــيه قصص أصحاب الكهف, ثم وضعوه علـى بـاب الكهف.
17271ـ حدثنـي يـونس, قـال: أخبرنـا ابـن وهـب, قـال: قـال ابـن زيـد: الرقـيـم: كتاب, ولذلك الكتاب خبر فلـم يخبر اللـه عـن ذلـك الكتـاب وعمـا فـيه, وقرأ: وَما أدْرَاكَ ما عِلّـيّونَ كِتِابٌ مرْقُومٌ يَشْهدُهُ الـمُقَرّبُون وَمـا أدْرَاكَ ما سِجّينٌ كتابٌ مرْقُومٌ.
وقال آخرون: بل هو اسم جبل أصحاب الكهف. ذكر من قال ذلك:
17272ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, قال: قال ابن عبـاس: الرقـيـم: الـجبل الذي فـيه الكهف.
قال أبو جعفر: وقد قـيـل إن اسم ذلك الـجبل: بنـجلوس.
17273ـ حدثنا بذلك ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عـن عبد الله بن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, عن ابن عبـاس: وقد قـيــل: إن اسـمه بناجلوس.
17274ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, قال: أخبرنـي وهب بن سلـيـمان عن شـعيب الــجَبِئي أن اسـم جبـل الكهف: بناجلوس. واسم الكهف: حيزم. والكلب: خُمران. وقد رُوي عن ابن عبـاس فـي الرقـيـم ما:
17275ـ حدثنا به الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا إسرائيـل عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عبـاس قال: كلّ القرآن أعلــمه, إلا حنانـا, والأوّاه, والرقـيـم.

17276ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرني عمرو بن دينار, أنه سمع عكرمة يقول: قال ابن عباس: ما أدري ما الرقيم, أكتاب, أم بنيان؟.

وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنيا به: لوح, أو حجر, أو شيء كُتب فيه كتاب. وقد قال أهل الأخبار: إن ذلك لوح كُتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أوَوْا إلى الكهف. ثم قال بعضهم: رُفع ذلك اللوح في خزانة الملك. وقال بعضهم: بل جُعل على باب كهفهم. وقال بعضهم: بل كان ذلك محفوظا عند بعض أهل بلدهم. وإنما الرقم: فعيل. أصله: مرقوم, ثم صُرف إلى فعيل, كما قيل للمجروح: جريح, وللمقتول: قتيل, يقال منه: رقمت كذا وكذا: إذا كتبته, ومنه قيل للرقم في الثوب رقم, لأنه الخطّ الذي يعرف به ثمنه. ومن ذلك قيل للحيّة: أرقم, لما فيه من الآثار والعرب تقول: عليك بالرقمة, ودع الضفة: بمعنى عليك برقمة الوادي حيث الماء, ودع الضفة الجانبة. والضفتان: جانبا الوادي. وأحسب أن الذي قال الرقيم: الوادي, ذهب به إلى هذا, أعني به إلى رقمة الوادي.

الآية : 10

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبّنَآ آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أمْ حَسِبْتَ أنّ أصحَابَ الكَهْفِ والرّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبا حين أوى الفتية أصحاب الكهف إلى كهف الجبل, هربا بدينهم إلى الله, فقالوا إذ أووه: رَبّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً رغبة منهم إلى ربهم, في أن يرزقهم من عنده رحمة. وقوله: وَهَيّىءْ لَنا مِنْ أمْرِنا رَشَدا يقول: وقالوا: يسّر لنا بما نبتغي وما نلتمس من رضاك والهرب من الكفر بك, ومن عبادة الأوثان التي يدعونا إليها قومنا, رَشَدا يقول: سَدادا إلى العمل بالذي تحبّ.

وقد اختلف أهل العلم في سبب مصير هؤلاء الفِتية إلى الكهف الذي ذكره الله في كتابه, فقال بعضهم: كان سبب ذلك, أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى, وكان لهم ملك عابد وَثَن, دعاهم إلى عبادة الأصنام فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم, أو يقتلهم, فاستخفَوا منه في الكهف. ذكر من قال ذلك:

17277ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: حدثنا عمرو في قوله: أصحَابَ الكَهْفِ والرّقِيمِ كانت الفِتية على دين عيسى على الإسلام, وكان ملكهم كافرا, وقد أخرج لهم صنما, فأبَوا, وقالوا: رَبّنا رَبّ السّمَوَاتِ والأرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إلها لَقَدْ قُلْنا إذا شَطَطا قال: فاعتزلوا عن قومهم لعبادة الله, فقال أحدهم: إنه كان لأبي كهف يأوي فيه غنمه, فانطلقوا بنا نكن فيه, فدخلوه, وفُقدوا في ذلك الزمان فطُلبوا, فقيل: دخلوا هذا الكهف, فقال قومهم: لا نريد لهم عقوبة ولا عذابا أشدّ من أن نردم عليهم هذا الكهف, فبنوه عليهم ثم ردموه. ثم إن الله بعث عليهم ملكا على دين عيسى, ورفع ذلك البناء الذي كان ردم عليهم, فقال بعضهم لبعض: كَمْ لَبِثْتُمْ؟ ف قالُوا لَبِثْنا يَوْما أوْ بَعْضَ يَوْمٍ... حتى بلغ فابْعَثُوا أحدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إلى المَدِينَةِ وكان ورِق ذلك الزمان كبارا, فأرسلوا أحدهم يأتيهم بطعام وشراب فلما ذهب ليخرج, رأى

على باب الكهف شيئا أنكره فأراد أن يرجع, ثم مضى حتى دخل المدينة, فأنكر ما رأى, ثم أخرج درهما, فنظروا إليه فأنكروه, وأنكروا الدرهم, وقالوا: من أين لك هذا؟ هذا من ورق غير هذا الزمان, واجتمعوا عليه يسألونه, فلم يزالوا به حتى انطلقوا به إلى ملكهم, وكان لقومهم لوح يكتبون فيه ما يكون, فنظروا في ذلك اللوح, وسأله الملك, فأخبره بأمره, ونظروا في الكتاب متى فقد, فاستبشروا به وبأصحابه, وقيل له: انطلق بنا فأرنا أصحابك, فانطلق وانطلقوا معه, ليريهم, فدخل قبل القوم, فضرب على آذانهم, فقال الذين غلبوا على أمرهم: لَنَتّخِذَنّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدا.

17278ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: مَرِج أمر أهل الإنجيل وعظُمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك, حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت, وفيهم على ذلك بقايا على أمر عيسى ابن مريم, متمسكون بعبادة الله وتوحيده, فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم, ملك من الروم يقال له: دَقْيَنوس, كان قد عبد الأصنام, وذبح للطواغيت, وقتل من خالفه في ذلك ممن أقام على دين عيسى ابن مريم. كان ينزل في قُرى الروم, فلا يترك في قرية ينزلها أحدا ممن يدين بدين عيسى ابن مريم إلا قتله, حتى يعبد الأصنام, ويذبح للطواغيت, حتى نزل دقينوس مدينة الفِتية أصحاب الكهف فلما نزلها دقينوس كبر ذلك على أهل الإيمان, فاستخْفَوا منه وهربوا في كلّ وجه. وكان دقينوس قد أمر حين قدمها أن يتبع أهل الإيمان فيُجمعوا له, واتخذ شُرَطا من الكفّار من أهلها, فجعلوا يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم التي يستخفون فيها, فيستخرجونهم إلى دقينوس, فقدمهم إلى المجامع التي يذبح فيها للطواغيت فيخيرهم بين القتل, وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت, فمنهم من يرغب في الحياة ويُفْظَع بالقتل فيَفتِتن, ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الصلابة من أهل الإيمان بالله, جعلوا يُسْلمون أنفسهم للعذاب والقتل, فيقتلون ويقطعون, ثم يربط ما قطع من أجسادهم, فيعلّق على سور المدينة من نواحيها كلها, وعلى كلّ باب من أبوابها, حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان, فمنهم من كفر فُترك, ومنهم من صُلب على دينه فقُتل فلما رأى ذلك الفِتية أصحاب الكهف, حزنوا حزنا شديدا, حتى تغيرت ألوانهم, وَنحِلت أجسامهم, واستعانوا بالصلاة والصيام والصدقة, والتحميد, والتسبيح, والتهليل, والتكبير, والبكاء, والتضرّع إلى الله, وكانوا فتية أحداثا أحرارا من أبناء أشراف الروم.

17279ـ فحدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن عبد الله بن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: لقد حُدّثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانه وضح الورِق. قال ابن عباس: فكانوا كذلك في عبادة الله ليلهم ونهارهم, يبكون إلى الله, ويستغيثونه, وكانوا ثمانية نفر مَكْسِلمينا, وكان أكبرهم, وهو الذي كلّم الملك عنهم, ومَحْسيميلنينا, ويَمليخا, ومَرْطوس, وكشوطوش, وبيرونس, ودينموس, ويطونس قالوس فلما أجمع دقينوس أن يجمع أهل القرية لعبادة الأصنام, والذبح للطواغيت, بكوا إلى الله وتضرّعوا إليه, وجعلوا يقولون: اللهمّ ربّ السموات والأرض, لن ندعو من دونك إلها لَقَدْ قُلْنا إذًا شَطَطا اكشف عن

عبادك المؤمنين هذه الفتنة وادفع عنهم البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك, ومِنُعوا عبادتك إلا سرّا, مستخفِينَ بذلك, حتى يعبدوك علانية. فبينما هم على ذلك, عرفهم عُرفاؤهم من الكفار, ممن كان يجمع أهل المدينة لعبادة الأصنام, والذبح للطواغيت, وذكروا أمرهم, وكانوا قد خَلَوا في مُصَلّى لهم يعبدون الله فيه, ويتضرّعون إليه, ويتوقّعون أن يُذْكَروا لدقينوس, فانطلق أولئك الكفرة حتى دخلوا عليهم مُصَلاّهم, فوجدوهم سجودا على وجوههم يتضرّعون, ويبكون, ويرغبون إلى الله أن ينجيهم من دقينوس وفتنته فلما رآهم أولئك الكفرة من عُرفائهم قالوا لهم: ما خَلّفكم عن أمر الملك؟ انطلقوا إليه ثم خرجوا من عندهم, فرفعوا أمرهم إلى دقينوس, وقالوا: تجمع الناس للذبح لآلهتك, وهؤلاء فِتية من أهل بيتك, يسخَرون منك, ويستهزئون بك, ويعصُون أمرك, ويتركون آلهتك, يَعمِدون إلى مُصَلَى لهم ولأصحاب عيسى ابن مريم يصلون فيه, ويتضرّعون إلى إلههم وإله عيسى وأصحاب عيسى, فلم تتركهم يصنعون هذا وهم بين ظَهرانْي سلطانك ومُلكك, وهم ثمانية نفر: رئيسهم مكسلمينا, وهم أبناء عظماء المدينة؟ فلما قالوا ذلك لدقينوس, بعث إليهم, فأتى بهم من المصلّى الذي كانوا فيه تفيض أعينهم من الدموع مُعَفرة وجوههم في التراب, فقال لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تُعبد في الأرض, وأن تجعلوا أنفسكم أُسْوة لسَراة أهل مدينتكم, ولمن حضر منّا من الناس؟ اختاروا مني: إما أن تذبحوا لآلهتنا كما ذبح الناس, وإما أن أقتلكم فقال مكسلمينا: إن لنا إلها نبعده ملأ السموات والأرض عَظَمتُه, لن ندعو من دونه إلها أبدا, ولن نقرّ بهذا الذي تدعونا إليه أبدا, ولكنا نعبد الله ربنا, له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصا أبدا, إياه نعبد, وإياه نسأل النجاة والخير, فأما الطواغيت وعبادتها, فلن نقرّ بها أبدا, ولسنا بكائنين عُبّادا للشياطين, ولا جاعلي أنفسنا وأجسادنا عُبادا لها, بعد إذ هدانا الله له رهبتَك, أو فَرَقا من عبودتك, اصنع بنا م ا بدا لك ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقينوس مثل ما قال. قال: فلما قالوا ذلك له, أمر بهم فنزع عنهم لبوس كان عليهم من لبوس عظمائهم, ثم قال: أما إذ فعلتم ما فعلتم فإني سأؤخركم أن تكونوا من أهل مملكتي وبطانتي, وأهل بلادي, وسأفرُغ لكم, فأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة, وما يمنعني أن أعجّل ذلك لكم إلا أني أراكم فتيانا حديثة أسنانُكم, ولا أحبّ أن أهلككم حتى أستأنَي بكم, وأنا جاعل لكم أجلاً تَذكرون فيه, وتراجعون عقولكم. ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة, فُنزعت عنهم ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده. وانطلق دقينوس مكانه إلى مدينة سوى مدينتهم التي هم بها قريبا منها لبعض ما يريد من أمره.

فلما رأى الفِتية دقينوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه, وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكر بهم, فأتمروا بينهم أن يأخذ كلّ واحد منهم نفقة من بيت أبيه, فيتصدّقوا منها, ويتزوّدوا بما بقي, ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له: بنجلوس فيمكثوا فيه, ويعبدوا الله حتى إذا رجع دقينوس أتوه فقاموا بين يديه, فيصنع بهم ما شاء. فلما قال ذلك بعضهم لبعض, عمد كلّ فتى منهم, فأخذ من بيت أبيه نفقة, فتصدّق منها, وانطلقوا بما بقـي معهم من نفقتهم, واتبعهم كلّب لهم, حتى أتوا ذلك الكهف الذي في ذلك الجبل, فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا

الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد, ابتغاء وجه الله تعالى, والحياة التي لا تنقطع, وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يُقال له يمليخا, فكان على طعامهم, يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرّا من أهلها وذلك أنه كان من أجملهم وأجلدهم, فكان يمليخا يصنع ذلك, فإذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا, ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها, ثم يأخذ وَرِقَه, فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا, ويتسمّع ويتجسّس لهم الخبر, هل ذكر هو وأصحابه بشيء من ملإ المدينة, ثم يرجع إلى أصحابه بطعامهم وشرابهم, ويخبرهم بما سمع من أخبار الناس, فلبثوا بذلك ما لبثوا.

ثم قدم دقينوس الجبّار المدينة التي منها خرج إلى مدينته, وهي مدينة أَفْسوس فأمر عظماء أهلها, فذبحوا للطواغيت, ففزع من ذلك أهل الإيمان, فتخبأوا من كلّ مخبأ وكان يمليخا بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم وشرابهم ببعض نفقتهم, فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل, فأخبرهم أن الجبار دقينوس قد دخل المدينة, وأنهم قد ذُكروا وافتقدوا والتمسوا مع عظماء أهل المدينة ليذبحوا للطواغيت فلما أخبرهم بذلك, فزعوا فزعا شديدا, ووقعوا سجودا على وجوههم يدعون الله, ويتضرّعون إليه, ويتعوّذون به من الفتنة ثم إن يمليخا قال لهم: يا إخوتاه, ارفعوا رؤوسكم, فاطعَموا من هذا الطعام الذي جئتكم به, وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤوسهم, وأعينهم تفيض من الدمع حذرا وتخوّفا على أنفسهم, فطعموا منه, وذلك مع غروب الشمس, ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون, ويذكر بعضهم بعضا على حزن منهم, مشفقين مما أتاهم به صاحبهم من الخبر.

فبيناهم على ذلك, إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف سنين عددا, وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف, فأصابهم ما أصابهم وهم مؤمنون مُوقنون, مصدّقون بالوعد, ونفقتهم موضوعة عندهم فلما كان الغد فقدهم دقينوس, فالتمسهم فلم يجدهم, فقال لعظماء أهل المدينة: لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا. لقد كانوا يظنون أن بي غضبا عليهم فيما صنعوا في أوّل شأنهم, لجهلهم ما جهلوا من أمري, ما كنت لأجهل عليهم في نفسي, ولا أؤاخذ أحدا منهم بشيء إن هم تابوا وعبدوا آلهتي, ولو فعلوا لتركتهم, وما عاقبتهم بشيء سلف منهم. فقال له عظماء أهل المدينة: ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مَرَدة عُصاة, مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم, وقد كنتَ أجّلتهم أجلاً, وأخّرتهم عن العقوبة التي أصبت بها غيرهم, ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل, ولكنهم لم يتوبوا ولم ينزعوا ولم يندموا على ما فعلوا, وكانوا منذ انطلقت يبذّرون أموالهم بالمدينة فلما علموا بقدومك فرّوا فلم يُروا بعد. فإن أحببت أن تُؤْتَى بهم, فأرسل إلى آبائهم فامتحنهم, واشدُد عليهم يدُلوك عليهم, فإنهم مختبئون منك.

فلما قالوا ذلك لدقينوس الجبار, غضب غضبا شديدا, ثم أرسل إلى آبائهم, فأتى بهم فسألهم عنهم وقال: أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوا أمري, وتركوا آلهتي ائتوني بهم, وأنبئوني بمكانهم فقال له آباؤهم: أما نحن فلم نعص أمرك ولم نخالفك. قد عبدنا آلهتك وذبحنا لهم, فلم تقتلنا في قوم مَرَدة, قد ذهبوا بأموالنا فبذّروها وأهلكوها في

أسواق المدينة, ثم انطلقوا, فارتقوا في جبل يدعى بنجلوس, وبينه وبين المدينة أرض بعيدة هَربا منك؟ فلما قالوا ذلك خلّى سبيلهم, وجعل يأتمر ماذا يصنع بالفِتية, فألقى الله عزّ وجلّ في نفسه أن يأمر بالكهف فيُسدّ عليهم كرامة من الله, أراد أن يكرمهم, ويكرم أجساد الفتية, فلا يجول, ولا يطوف بها شيء, وأراد أن يحييهم, ويجعلهم آية لأمة تُستخلف من بعدهم, وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها, وأن الله يبعث من في القبور. فأمر دقينوس بالكهف أن يسدّ عليهم, وقال: دعوا هؤلاء الفتية المَرَدة الذين تركوا آلهتي فليموتوا كما هم في الكهف عطشا وجوعا, وليكن كهفهم الذي اختاروا لأنفسهم قبرا لهم ففعل بهم ذلك عدوّ الله, وهو يظنّ أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم, وقد تَوّفى الله أرواحهم وفاة النوم, وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف, قد غَشّاه الله ما غشاهم, يُقلّبون ذات اليمين وذات الشمال.

ثم إن رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقينوس يكتمان إيمانهما: اسم أحدهما بيدروس, واسم الآخر: روناس, فأتمرا أن يكتبا شأن الفتية أصحاب الكهف, أنسابهم وأسماءهم وأسماء آبائهم, وقصة خبرهم في لوحين من رَصاص, ثم يصنعا له تابوتا من نحاس, ثم يجعلا اللوحين فيه, ثم يكتبا عليه في فم الكهف بين ظهراني البنيان, ويختما على التابوت بخاتمهما, وقالا: لعلّ الله أن يُظْهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة, فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم, ففعلا ثم بنيا عليه في البنيان, فبقي دقينوس وقرنه الذين كانوا منهم ما شاء الله أن يبقوا, ثم هلك دقينوس والقرن الذي كانوا معه, وقرون بعده كثيرة, وخلفت الخلوف بعد الخلوف.

17280ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عبد الله بن كثير, عن مجاهد, قال: كان أصحاب الكهف أبناء عظماء مدينتهم, وأهل شرفهم, فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد, فقال رجل منهم هو أسنهم: إني لأجد في نفسي شيئا ما أظنّ أن أحدا يجده, قالوا: ماذا تجد؟ قال: أجد في نفسي أن ربي ربّ السموات والأرض, وقالوا: نحن نجد. فقاموا جميعا, فقالوا: رَبّنا رَبّ السّمَوَاتِ والأرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إلَها لَقَدْ قُلْنا إذًا شَطَطا, فاجتمعوا أن يدخلوا الكهفَ, وعلى مدينتهم إذ ذاك جبار يقال له دقينوس, فلبثوا في الكهف ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا رقدا.

17281ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن عبد العزيز بن أبي روّاد, عن عبد الله بن عبيد بن عمير, قال: كان أصحاب الكهف فتيانا ملوكا مُطَوّقين مُسَوّرين ذوي ذوائب, وكان معهم كلب صيدهم, فخرجوا في عيد لهم عظيم في زيّ وموكب, وأخرجوا معهم آلهتم التي يعبدون. وقذف الله في قلوب الفتية الإيمان فآمنوا, وأخفى كلّ واحد منهم الإيمان عن صاحبه, فقالوا في أنفسهم من غير أن يظهر إيمان بعضهم لبعض: نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرمهم. فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظلّ شجرة, فجلس فيه, ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده, فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر منه, فجاء حتى جلس إليه, ثم خرج الآخرون, فجاؤوا حتى جلسوا إليهما, فاجتمعوا, فقال بعضهم: ما جمعَكم؟ وقال آخر: بل ما جمعكم؟ وكلٌّ يكتم إيمانه من صاحبه مخافة

على نفسه, ثم قالوا: ليخرج منكم فَتَيان, فيخْلُوَا, فيتواثقا أن لا يفشيَ واحد منهما على صاحبه, ثم يفشي كلّ واحد منهما لصاحبه أمره, فإنا نرجو أن نكون على أمر واحد. فخرج فَتَيان منهم فتواثقا, ثم تكلما, فذكر كلّ واحد منهما أمره لصاحبه, فأقبلا مستبشَرين إلى أصحابهما قد اتفقا على أمر واحد, فإذا هم جميعا على الإيمان, وإذا كهف في الجبل قريب منهم, فقال بعضهم لبعض: ائتوا إلى الكهف يَنْشُرْ لَكُمْ رَبّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ويُهَيّىءْ لَكُمْ مِنْ أمْرِكُمْ مِرْفَقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا, فجعله الله عليهم رقدة واحدة, فناموا ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا. قال: وفقدهم قومُهم فطلبوهم وبعثوا البرد, فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم. فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح: فلان ابن فلان, وفلان ابن فلان أبناء ملوكنا, فَقَدناهم في عيد كذا وكذا في شهر كذا وكذا في سنة كذا وكذا, في مملكة فلان ابن فلان ورفعوا اللوح في الخزانة. فمات ذلك الملك وغلب عليهم ملك مسلم مع المسلمين, وجاء قرن بعد قرن, فلبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا.

وقال آخرون: بل كان مصيرهم إلى الكهف هربا من طلب سلطان كان طلبهم بسبب دَعوى جناية ادّعى على صاحب لهم أنه جناها. ذكر من قال ذلك:

17282ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, قال: أخبرني إسماعيل بن شروس, أنه سمع وهب بن منبه يقول: جاء حواريّ عيسى ابن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف, فأراد أن يدخلها, فقيل له: إن على بابها صنما لا يدخلها أحد إلاّ سجد له. فكره أن يدخلها, فأتى حَمّاما, فكان فيه قريبا من تلك المدينة, فكان يعمل فيه يؤاجر نفسه من صاحب الحمام. ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودرّ عليه الرزق, فجعل يعرض عليه الإسلام, وجعل يسترسل إليه, وعلقه فتية من أهل المدينة, وجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة, حتى آمنوا به وصدّقوه, وكانوا على مثل حاله في حُسْن الهيئة. وكان يشترط على صاحب الحمّام أن الليل لي لا تحول بيني وبين الصلاة إذا حضرت فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة, فدخل بها الحمام, فعيّره الحواريّ, فقال: أنت ابن الملك, وتدخل معك هذه النكداء؟ فاستحيا, فذهب فرجع مرّة أخرى, فقال له مثل ذلك, فسبه وانتهره ولم يلتفت حتى دخل ودخلت معه المرأة, فماتا في الحمام جميعا. فأتى الملك, فقيل له: قتل صاحب الحمام ابنك فالتُمس, فلم يقدر عليه هرَبا, قال: من كان يصحبه؟ فسموا الفتية, فالتُمسوا, فخرجوا من المدينة, فمرّوا بصاحب لهم في زرع له, وهو على مثل أمرهم, فذكروا أنهم التُمسوا, فانطلق معهم الكلب, حتى أواهم الليل إلى الكهف, فدخلوه, فقالوا: نبيت ههنا الليلة, ثم نصبح إن شاء الله فترون رأيكم, فضرب على آذانهم. فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف فكلما أراد رجل أن يدخل أرعب, فلم يطق أحد أن يدخله, فقال قائل: أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم؟ قال: بلى قال: فابن عليهم باب الكهف, ودعهم فيه يموتوا عطشا وجوعا, ففعل.

الآية : 11 - 12

القول في تأويل قوله تعالى: {فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً * ثُمّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَىَ لِمَا لَبِثُواْ أَمَداً }.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: فَضَرَبْنا عَلى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ: فضربنا على آذانهم بالنوم في الكهف: أي ألقينا عليهم النوم, كما يقول القائل لآخر: ضربك الله بالفالِج, بمعنى ابتلاه الله به, وأرسله عليه. وقوله: سِنِينَ عَدَدا يعني سنين معدودة, ونصب العدد بقوله فَضَرَبْنا. وقوله: ثُمّ بَعَثْناهُمْ لنَعْلَمَ أيّ الحِزْبَيْنِ أحْصَى يقول: ثم بعثنا هؤلاء الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف بعد ما ضربنا على آذانهم فيه سنين عددا من رقدتهم, لينظر عبادي فيعلموا بالبحث, أيّ الطائفتين اللتين اختلفتا في قدر مبلغ مُكْث الفتية في كهفهم رقودا أحْصَى لِمَا لَبِثُوا أمَدا يقول: أصوب لقدر لبثهم فيه أمدا ويعني بالأمد: الغاية, كما قال النابغة:

إلاّ لِمِثْلِكَ أوْ مَنْ أنْتَ سابِقُهُسَبْقَ الجَوَادِ إذا اسْتَوْلَى على الأمَدِ

وذُكر أن الذين اختلفوا في ذلك من أمورهم, قوم من قوم الفتية, فقال بعضهم: كان الحزبان جميعا كافرين. وقال بعضهم: بل كان أحدهما مسلما, والآخر كافرا. ذكر من قال: كان الحزبان من قوم الفتية:

17283ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أيّ الحِزْبين من قوم الفتية.

حدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, بنحوه.

حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

17284ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله ثُمّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أيّ الحِزْبَيْنِ أحْصَى لِما لَبِثُوا أمَدا يقول: ما كان لواحد من الفريقين علم, لا لكفارهم ولا لمؤمنيهم.

وأما قوله: أمَدا فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه, فقال بعضهم: معناه: بعيدا. ذكر من قال ذلك:

17285ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله لِمَا لَبِثُوا أمَدا يقول: بعيدا.

وقال آخرون: معناه: عددا. ذكر من قال ذلك:

17286ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أمَدا قال: عددا.

حدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وفي نصب قوله أمَدا وجهان: أحدهما أن يكون منصوبا على التفسير من قوله أحْصَى كأنه قيل: أيّ الحزبين أصوب عددا لقدر لبثهم.

وهذا هو أولى الوجهين في ذلك بالصواب, لأن تفسير أهل التفسير بذلك جاء.

والآخر: أن يكون منصوبا بوقوع قوله لَبِثُوا عليه, كأنه قال: أيّ الحزبين أحصى للبثهم غاية.

الآية : 13 - 14

القول في تأويل قوله تعالى {نَحْنُ نَقُصّ عَلَيْكَ نبَأَهُم بِالْحَقّ إِنّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَىَ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبّنَا رَبّ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نّدْعُوَاْ مِن دُونِهِ إِلَهاً لّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: نحن يا محمد نقصّ عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف بالحقّ, يعني: بالصدق واليقين الذي لا شكّ فيه إنّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبّهِمْ يقول: إن الفتية الذين أوَوْا إلى الكهف الذين سألك عن نبئهم الملأ من مشركي قومك, فتية آمنوا بربهم, وَزِدْناهُمْ هُدًى يقول: وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيمانا, وبصيرة بدينهم, حتى صبروا على هجران دار قومهم, والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله, وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه, إلى خشونة المكث في كهف الجبل.

وقوله: وَرَبَطْنا على قُلُوبِهِمْ يقول عزّ ذكره: وألهمناهم الصبر, وشددنا قلوبهم بنور الإيمان حتى عزفت أنفسهم عما كانوا عليه من خفض العيش, كما:

17287ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد عن قتادة وَرَبَطْنا على قُلُوبِهِمْ يقول: بالإيمان.

وقوله: إذْ قامُوا فقالُوا رَبّنا رَبّ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول: حين قاموا بين يدي الجبار دقينوس, فقالوا له إذ عاتبهم على تركهم عبادة آلهته: ربّنا رَبّ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول: قالوا ربنا ملك السموات والأرض وما فيهما من شيء, وآلهتك مربوبة, وغير جائز لنا أن نترك عبادة الربّ ونعبد المربوب لَنْ نَدْعُوَ منْ دُونِه إلَها يقول: لن ندعو من دون ربّ السموات والأرض إلها, لأنه لا إله غيره, وإن كلّ ما دونه فهو خلقه لَقَدْ قُلْنا إذا شَطَطا يقول جلّ ثناؤه: لئن دعونا إلها غير إله السموات والأرض, لقد قلنا إذن بدعائنا غيره إلها, شططا من القول: يعني غاليا من الكذب, مجاوزا مقداره في البطول والغلوّ: كما قال الشاعر:

ألا يا لَقَوْمي قَدْ أشْطَتْ عَوَاذِلي ويزْعُمْنَ أنْ أوْدَى بِحَقّيَ باطلي

يقال منه: قد أشط فلان في السوم إذا جاوز القدر وارتفع, يشطّ إشطاطا وشططا. فأما من البعد فإنما يقال: شطّ منزل فلان يشطّ شطوطا ومن الطول: شطت الجارية تشطّ شطاطا وشطاطة: إذا طالت. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله شَطَطا قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17288ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله لَقَدْ قُلْنا إذا شَطَطا يقول كذبا.

17289ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله لَقَدْ قُلْنا إذا شَطَطا قال: لقد قلنا إذن خطأ, قال: الشطط: الخطأ من القول.

الآية : 15

القول في تأويل قوله تعالى: {هَـَؤُلآءِ قَوْمُنَا اتّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً لّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَىَ عَلَى اللّهِ كَذِباً }.

يقول عزّ ذكره مخبرا عن قيل الفتية من أصحاب الكهف: هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها من دونه لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بسُلْطانٍ بَيّنٍ يقول: هلا يأتون على عبادتهم إياها بحجة بينة. وفي الكلام محذوف

اجتزىء بـما ظهر عما حذف, وذلك فـي قوله: لَـوْلا يَ أْتُونَ عَلَـيْهِمْ بسُـلْطانٍ بَـيّنٍ فـالهاء والـميـم فـي علـيهم مـن ذكـر الآلِهـة, والآلهـة لا يؤتـى علـيها بسلطان, ولا يُسأل السلطان عليها, وإنـما يسأل عابـدوها السـلطان علـى عبـادتهموها, فمعلوم إذ كان الأمر كذلك, أن معنى الكلام: لولا يـأتون علـى عبـادتهموها, واتـخاذهموها آلهة من دون الله بسلطان بـين. وبنـحو مـا قلنـا فـي معنى السلطان, قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

17290ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله لَوْلا يَأْتُونَ عَلَـيْهِمْ بسُلْطانٍ بَـيّنٍ يقول: بعذر بـين.

وعنى بقوله عزّ ذكره: فَمَنْ أَظْلَـمُ مِـمّنْ افْتَرَى علـى اللّهِ كَذِبـا ومن أشدّ اعتداء وإشراكا بـالله, مـمن اختلق, فتـخرّص علـى الله كذبـا, وأشـرك مـع الله فـي سلطانه شريكا يعبده دونه, ويتـخده إلها.

الآية : 16

القول فـي تأويـل قوله تعالـى {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إَلاّ اللّـهَ فَـأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبّكُم مّن رّحْمَتِهِ وَيُهَيّىءْ لَكُمْ مّنْ أَمْرِكُمْ مّرْفَقاً }.

يقول تعالـى ذكره مخبرا عن قـيـل بعض الفتـية لبعض: وإذا اعتزلتـم أيها الفتـية قومكم الذين اتـخذوا من دون الله آلهـة وَمـا يَعْبُـدُونَ إلاّ اللّـهَ يقـول: وإذا اعتزلتـم قومكم الذين يعبدون من الآلهة سـوى اللـه, ف «مـا» إذ كـان ذلك معناه فـي موضع نصب عطفـا لها علـى الهاء, والـميـم التـي فـي قوله وإذِ اعْتَزَلْتُـمُوهُمْ. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك, قـال أهـل التأويــل. ذكـر مـن قال ذلك:

17291ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله وَإذَ اعْتَزَلْتُـمُوهُمْ وَما يَعْبُـدُونَ إلاّ اللّـهَ وهـي فــي مصـحف عبـد اللـه: «وَمـا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ» هذا تفسيرها.

وأما قوله: فَأْوُوا إلـى الكَهْفِ فإنه يعنـي به: فصيروا إلـى غار الـجبل الذي يسمّى بنـجلوس, يَنْشُرْ لَكُمْ رَبّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ يقول: يبسـط لكـم ربكـم مـن رحمته بتـيسيره لكم الــمخرج مـن الأمـر الـذي قـد رُمِيتــم بـه مـن الكـافر دقـينوس وطلبه إياكم لعرضكم علـى الفتنة.

وقوله: فَأْوُوا إلـى الكَهْفِ جواب لإذ, كأن معنى الكلام: وإذ اعتزلتــم أيهـا القوم قومكم, فأْوُوا إلـى الكهف كما يقـال: إذ أذنبـت فــاستغفر اللـه وتـب إلـيه.

وقوله: ويُهَيّىءْ لَكُمْ مِنْ أمْرِكُمْ مِرْفَقا يقول: ويـيسر لكم من أمركم الذي أنتـم فـيه مـن الغـمّ والكـرب خوفــا منكـم علــى أنفسـكم ودينكـم مرفقـا, ويعنـي بـالـمرفق: ما ترتفقون به من شيءْ. وفـي الـمرفق من الــيد وغيـر الـيد لغتان: كسر الـميـم وفتـح الفـاء, وفتــح الـميــم وكسـر الفــاء. وكـان الكسائي يُنكر فـي مِرْفَـق الإنسـان الـذي فــي الــيد إلا فتــح الفــاء وكسـر الـميـم. وكان الفرّاء يحكي فـيهما, أعنـي فـي مرفق الأمـر والــيد اللغتــين كلتـيهما, وكان ينشد فـي ذلك قول الشاعر:

(بتّ أُجافِـي مِرْفَقا عَنْ مِرْفَقِـي)

ويقول: كسر الـميـم فـيه أجود.

وكان بعض نـحويّـي أهل البصرة يقول فـي قوله: مِنْ أمْرِكُمْ مِرْفَقا شـيئا ترتفقون به مثـل الــمقطع, ومرفقـا جعلـه اسـما كالــمسجد, ويكـون لغـة, يقولون: رفق يَرْفُق مَرْفقا, وإن شئت مَرْفقا تريد رفقا ولـم يُقْرأ.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك. فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة: «ويُهَيّىءْ لَكُمْ مِنْ أمْرِكُمْ مَرْفِقا» بفتح الميم وكسر الفاء, وقرأته عامّة قرّاء العراق في المصرين مِرْفَقا بكسر الميم وفتح الفاء.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان بمعنى واحد, قد قرأ بكلّ واحدة منهما قرّاء من أهل القرآن, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. غير أن الأمر وإن كان كذلك, فإن الذي أختار في قراءة ذلك: ويُهَيّىءْ لَكُمْ أمْرِكُمْ مِرْفَقا بكسر الميم وفتح الفاء, لأن ذلك أفصح اللغتين وأشهرهما في العرب, وكذلك ذلك في كلّ ما ارتُفق به من شيء.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى {وَتَرَى الشّمْسَ إِذَا طَلَعَت تّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مّرْشِداً }.

يقول تعالى ذكره وَتَرَى الشّمْسَ يامحمد إذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ. يعني بقوله: تَزَاوَرُ: تعدِل وتميل, من الزّوَر: وهو العِوَج والميل يقال منه: في هذه الأرض زَوَر: إذا كان فيها اعوجاج, وفي فلان عن فلان ازْورار, إذا كان فيه عنه إعراض ومنه قول بشر بن أبي خازم:

يَؤُمّ بِها الحُدَاةُ مِياهَ نَخْلٍوَفِيها عَنْ أبانَينِ ازْوِرَارُ

يعني: إعراضا وصدّا.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة: «تَزّاوَرُ» بتشديد الزاي, بمعنى: تتزاور بتاءين, ثم أدغم إحدى التاءين في الزاي, كما قيل: تظّاهرون عليهم. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: تَزَاوَرُ بتخفيف التاء والزاي, كأنه عنى به تفاعل من الزور. ورُوي عن بعضهم: «تَزْوَرّ» بتخفيف التاء وتسكين الزاي وتشديد الراء مثل تحمّر, وبعضهم: «تَزْوَارّ» مثل تحمارّ.

والصواب من القول في قراءة ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان, أعني تَزَاوَرُ بتخفيف الزاي, و تَزّاوَرُ بتشديدها معروفتان, مستفيضة القراءة بكلّ واحدة منهما في قرّاء الأمصار, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب. وأما القراءتان الأخريان فإنهما قراءتان لا أرى القراءة بهما, وإن كان لهما في العربية وجه مفهوم, لشذوذهما عما عليه قرأة الأمصار. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17292ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, قال: حدثنا محمد بن أبي الوضاح, عن سالم الأفطس, عن سعيد بن جبير, قال: وَتَرى الشّمْسَ إذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ قال: تميل.

17293ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ يقول: تميل عنهم.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَتَرَى الشّمْسَ إذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ وإذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشّمالِ يقول: تميل عن كهفهم يمينا وشمالاً.

17294ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَتَرى الشّمْسَ إذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ يقول: تميل ذات اليمين, تدعهم ذات اليمين.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزّاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ قال: تميل عن كهفهم ذات اليمين.

17295ـ حُدثت عن يزيد بن هارون, عن سفيان بن حسين, عن يَعْلَى بن مسلم, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: لو أن الشمس تطلع عليهم لأحرقتهم, ولو أنهم لا يقلّبون لأكلتهم الأرض, قال: وذلك قوله: وَتَرى الشّمْسَ إذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَإذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشّمالِ.

حدثني محمد بن سنان القزاز, قال: حدثنا موسى بن إسماعيل, قال: حدثنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح, عن سالم الأفطس, عن سعيد بن جبير, قال: تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ تميل.

وقوله: وَإذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشّمالِ يقول تعالى ذكره: وإذا غربت الشمس تتركهم من ذات شمالهم. وإنما معنى الكلام: وترى الشمس إذا طلعت تعدل عن كهفهم, فتطلع عليه من ذات اليمين, لئلا تصيب الفتية, لأنها لو طلعت عليهم قبالهم لأحرقتهم وثيابهم, أو أشحبتهم. وإذا غربت تتركهم بذات الشمال, فلا تصيبهم يقال منه: قرضت موضع كذا: إذا قطعته فجاوزته. وكذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة. وأما الكوفيون فإنهم يزعمون أنه المحاذاة, وذكروا أنهم سمعوا من العرب قرضته قُبُلا ودُبُرا, وحذوته ذات اليمين والشمال, وقُبلاً ودبرا: أي كنت بحذائه قالوا: والقرض والحذو بمعنى واحد. وأصل القرض: القطع, يقال منه: قرضت الثوب: إذا قطعته ومنه قيل للمقراض: مقراض, لأنه يقطع ومنه قرض الفأر الثوب ومنه قول ذي الرّمّة:

إلى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أجْوَازَ مُشْرِفٍشِمالاً وعَنْ أيْمانِهنّ الفَوَارِسُ

يعني بقوله: يَقْرِضْن: يقطعن. وبنحو ما قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17296ـ حدثني عليّ, قال: ثني أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَإذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشّمالِ يقول: تَذَرُهم.

17297ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا محمد بن أبي الوضاح, عن سالم الأفطس, عن سعيد بن جبير, قال وَإذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ تتركهم ذات الشمال.

17298ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: تَقْرِضُهُمْ قال: تتركهم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

17299ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشّمالِ يقول: تدعهم ذات الشمال.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا مَعْمر, عن قتادة, قوله: تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشّمالِ قال: تَدَعُهم ذات الشمال.

حدثنا ابن سنان القَزّاز, قال: حدثنا موسى بن إسماعيل, قال: أخبرنا محمد بن مسلم بن أبي الوضّاح عن سالم, عن سعيد بن جبير وَإذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ قال: تتركهم.

وقوله: وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ يقول: والفتية الذين أووا إليه في متسع منه يُجْمع: فَجَوات, وفِجَاء ممدودا. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17300ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ يقول: في فضاء من الكهف, قال الله: ذلكَ مِنْ آياتِ الله.

17301ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا محمد بن أبي الوضّاح, عن سالم الأفطس, عن سعيد بن جبير وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ قال: المكان الداخل.

17302ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ قال: المكان الذاهب.

حدثني ابن سِنان, قال: حدثنا موسى بن إسماعيل, قال: حدثنا محمد بن مسلم أبو سعيد بن أبي الوضّاح, عن سالم الأفطس, عن سعيد بن جبير فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ قال: في مكان داخل.

وقوله: ذلكَ مِنْ آياتِ اللّهِ يقول عزّ ذكره: فعلنا هذا الذي فعلنا بهؤلاء الفتية الذين قصصنا عليكم أمرهم من تصييرناهم, إذ أردنا أن نضرب على آذانهم بحيث تزاور الشمس عن مضاجعهم ذات اليمين إذا هي طلعت, وتقرضهم ذات الشمال إذا هي غَرَبت, مع كونهم في المتسع من المكان, بحيث لاتُحرْقهم الشمس فتُشحبهم, ولا تُبْلي على طول رقدتهم ثيابهم, فتعفَن على أجسادهم, من حجج الله وأدلته على خلقه, والأدلة التي يستدلّ بها أولو الألباب على عظيم قدرته وسلطانه, وأنه لا يُعجزه شيء أراده. وقوله مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ المُهْتَدِ يقول عزّ وجلّ: من يوفّقه الله للاهتداء بآياته وحججه إلى الحقّ التي جعلها أدلة عليه, فهو المهتدي. يقول: فهو الذي قد أصاب سبيل الحقّ وَمَنْ يُضْلِلْ يقول: ومن أضله الله عن آياته وأدلته, فلم يوفقه للاستدلال بها على سبيل الرشاد فَلَنْ تَجِد لَهُ وَلِيّا مُرْشِدا يقول: فلن تجد له يا محمد خليلاً وحليفا يرشده لإصابتها, لأن التوفيق والخِذْلان بيد الله, يوفق من يشاء من عباده, ويخذل من أراد يقول: فلا يَحْزنُك إدبار من أدبر عنك من قومك وتكذيبهم إياك, فإني لو شئت هديتهم فآمنوا, وبيدي الهداية والضلال.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيدِ لَوِ اطّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وتحسب يا محمد هؤلاء الفتية الذين قصصنا عليك قصتهم, لو رأيتهم في حال ضربنا على آذانهم في كهفهم الذي أووا إليه أيقاظا. والأيقاظ: جمع يَقِظ ومنه قول الراجز:

وَوَجَدُوا إِخْوَتهُمْ أيْقاظاوسَيْفَ غَيّاظٍ لَهُمْ غَيّاظا
وقوله: وَهُمْ رُقُودٌ يقول: وهم نيام. والرقود: جمع راقد, كالجلوس: جمع جالس, والقعود: جمع قاعد. وقوله: وَنُقَلّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينَ وَذَاتَ الشّمالِ يقول جلّ ثناؤه: ونقلّب هؤلاء الفتية في رقدتهم مرّة للجنب الأيمن, ومرّة للجنب الأيسر, كما:
17303ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَنُقَلّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَات الشّمالِ وهذا التقليب في رقدتهم الأولى. قال: وذُكر لنا أن أبا عياض قال: لهم في كل عام تقليبتان.
17304ـ حُدثت عن يزيد, قال: أخبرنا سفيان بن حسين, عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس وَنُقَلّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشّمالِ قال: لو أنهم لا يقلّبون لأكلتهم الأرض.
وقوله: وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله بقوله: وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ فقال بعضهم: هو كلب من كلابهم كان معهم. وقد ذكرنا كثيرا ممن قال ذلك فيما مضى. وقال بعضهم: كان إنسانا من الناس طباخا لهم تَبِعهم.
وأما الوصيد, فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله, فقال بعضهم: هو الفِناء. ذكر من قال ذلك:
17305ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: بالوَصِيد يقول: بالفِناء.
17306ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مَهديّ, قال: حدثنا محمد بن أبي الوضّاح, عن سالم الأفطس, عن سعيد بن جبير وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ قال: بالفناء.
17307ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد بالوَصِيد قال: بالفناء.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد بالوَصِيد قال: بالفناء. قال ابن جريج: يمسك باب الكهف.
17308ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ يقول: بفناء الكهف.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قوله: بالوَصِيدِ قال: بفناء الكهف.
17309ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: بالوَصِيدِ قال: يعني بالفناء.
وقال آخرون: الوَصِيد: الصعيد. ذكر من قال ذلك:
17310ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ يعني فناءهم, ويقال: الوصيد: الصعيد.
17311ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن هارون, عن عنترة, عن سعيد بن جبير, في قوله: وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ قال: الوصيد: الصعيد.

17312ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, عن عمرو, في قوله: وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ قال: الوصيد: الصعيد, التراب.
وقال آخرون: الوصيد الباب. ذكر من قال ذلك:
17313ـ حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا أبو عاصم, عن شبيب, عن عكرمة, عن ابن عباس وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ قال: بالباب, وقالوا بالفناء.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب, قول من قال: الوصيد: الباب, أو فناء الباب حيث يغلق الباب, وذلك أن الباب يُوصَد, وإيصاده: إطباقه وإغلاقه من قول الله عزّ وجلّ: إنّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ وفيه لغتان: الأصيد, وهي لغة أهل نجد, والوصيد: وهي لغة أهل تهامة. وذُكِر عن أبي عمرو بن العلاء, قال: إنها لغة أهل اليمن, وذلك نظير قولهم: ورّخت الكتاب وأرختـه, ووكدت الأمر وأكدته فمن قال الوصيد, قال: أوصدت الباب فأنا أُوصِده, وهو مُوصَد ومن قال الأصيد, قال: آصدت الباب فهو مُؤْصَد, فكان معنى الكلام: وكلبهم باسط ذَراعيه بفناء كهفهم عند الباب, يحفظ عليهم بابه.
وقوله: لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارا يقول: لو اطلعت عليهم في رقدتهم التي رقدوها في كهفهم, لأدبرت عنهم هاربا منهم فارّا, وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبا يقول: ولملئت نفسُك من اطلاعك عليهم فَزَعا, لما كان الله ألبسهم من الهيبة, كي لا يصل إليهم واصل, ولا تلمِسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله, وتوقظهم من رقدتهم قدرته وسلطانه في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه, وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده, ليعلموا أن وعد الله حقّ, وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله: وَلُمِلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبا فقرأته عامة قرّاء المدينة بتشديد اللام من قوله: «ولُمِلّئْتَ» بمعنى أنه كان يمتلىءَ مرّة بعد مرّة. وقرأ ذلك عامة قراء العراق: وَلُمِلِئْتَ بالتخفيف, بمعنى: لملئت مرّة, وهما عندنا قراءتان مستفيضتان في القراءة, متقاربتا المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

الآية : 19 و 20

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَم لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُواْ أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَـَذِهِ إِلَىَ الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىَ طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً * إِنّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوَاْ إِذاً أَبَداً }.
يقول تعالى ذكره: كما أرقدنا هؤلاء الفتية في الكهف, فحفظناهم من وصول واصل إليهم, وعين ناظر أن ينظر إليهم, وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان, وثيابهم من العفن على مرّ الأيام بقدرتنا فكذلك بعثناهم من رقدتهم, وأيقظناهم من نومهم, لنعرّفهم عظيم سلطاننا, وعجيب فعلنا في خلقنا, وليزدادوا بصيرة في أمرهم الذي هم عليه من براءتهم من عبادة الآلهة, وإخلاصهم لعبادة الله وحده لا شريك له, إذا تبيّنوا طول الزمان عليهم, وهم بهيئتهم حين رقدوا. وقوله: لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ يقول: ليسأل بعضهم بعضا قالَ قائلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ يقول عزّ ذكره: فتساءلوا فقال قائل منهم لأصحابه: كَمْ لبثْتمْ وذلك أنهم استنكروا من

أنفسهم طول رقدتهم قالُوا لَبِثْنا يَوْما أوْ بَعْضَ يَـوْمٍ يقـول: فأجـابه الآخـرون فقالوا: لَبِثْنا يوما أو بعض يوم. ظنا منهم أن ذلك كذلك كان, فقال الآخـرون: رَبّكُمْ أعْلَـمُ بِـمَا لَبِثْتُـمْ فسلّـموا العلـم إلـى الله.

وقوله: فـابْعَثُوا أحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إلــى الــمَدِينَةِ يعنــي مـدينتهم التــي خرجوا منها هِرابـا, التـي تسمى أفسوس فَلْـيَنْظُرْ أيّها أزْكَى طَعاما فَلْـيأتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ذكر أنهم هبوا من رقدتهم جياعا, فلذلك طلبوا الطعـام. ذكـر مـن قال ذلك, وذكر السبب الذي من أجله ذكر أنهم بعثوا من رقدتهم حين بعثــوا منها:

17314ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الـرزاق, قـال: أخبرنـا معمر, قال: أخبرنـي إسماعيـل بن بشروس, أنه سمع وهب بن منبه يقـول: إنهم غبروا, يعنـي الفتـية من أصحاب الكهف بعد ما بنى علـيهم بـاب الكهف زمانا بعد زمان, ثم إن راعيا أدركه الـمطر عند الكهف, فقال: لو فتـحت هذا الكهف وأدخـلت غنـمي من الـمطر, فلـم يزل يعالـجه حتـى فتـح ما أدخـــله فـيه, وردّ إلـيهم أرواحهـم فــي أجسـامهم مـن الغـد حيـن أصـبحوا, فبعثـوا أحدهم بورق يشتري طعاما فلـما أتـى بـاب مدينتهم, رأى شيئا يُنكره, حتـى دخـل علـى رجل فقال: بعنـي بهذه الدراهم طعاما, فقال: ومن أين لك هذه الدراهم؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لـي أمس, فآوانـا اللـيــل, ثـم أصـبحوا, فأرسلونـي, فقال: هذه الدراهم كانت علـى عهد مُلك فلان, فأنـيّ لـك بهـا؟ فرفعه إلـى الـملك, وكان ملكا صالـحا, فقال: من أين لك هذه الوَرق؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لـي أمس, حتـى أدركَنا اللـيـل فـي كهف كذا وكـذا, ثـم أمرونـي أن أشتري لهم طعاما قال: وأين أصحابك؟ قال: فـي الكهـف قـال: فـانطلقوا معه حتـى أتوا بـاب الكهف, فقال: دعونـي أدخـل علـى أصحابـي قبلكم فلـما رأوه, ودنا منهم ضُرِب علـى أذنه وآذانهم, فجعلـوا كلــما دخــل رجل أرعب, فلـم يقدروا علـى أن يدخــلوا علــيهم, فبنـوا عنـدهم كنــيسة, اتـخذوها مسجدا يصلون فـيه.

17315ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الـرزاق, قـال: أخبرنـا معمر, عن قتادة, عن عكرمة, قال: كان أصحاب الكهف أبناء ملـوك الـروم, رزقهم الله الإسلام, فتعوّذوا بـدينهم, واعـتزلوا قـومهم, حتــى انتهـوا إلــى الكهف, فضَرَب الله علـى سمعهم, فلبثوا دهرا طويلاً, حتـى هَلكـت أمتهـم, وجاءت أمّة مسلـمة, وكان ملكهم مسلـما, فـاختلفوا فـي الـروح والــجسد, فقال قائل: يبعث الـروح والــجسد جميعـا وقـال قائـل: يُبعـث الـروح, فأمـا الـجسد فتأكله الأرض, فلا يكون شيئا فشقّ علـى ملكهم اختلافهم, فـانطلق فلبس الـمُسُوح, وجلس علـى الرّماد, ثم دعا الله تعالـى فقال: أي ربّ, قد ترى اختلاف هؤلاء, فـابعث لهم آية تبـين لهم, فبعـث اللـه أصـحاب الكهـف, فبعثوا أحدهم يشـتري لهـم طعامـا, فدخــل السـوق, فجعـل يُنكـر الوجـوه, ويعرف الطرق, ويرى الإيـمان بـالــمدينة ظـاهرا, فــانطلق وهـو مستــخف حتـى أتـى رجلاً يشتري منه طعاما فلـما نظـر الرجـل إلــى الـوَرِق أنكرهـا, قال: حسبت أنه قال: كأنها أخفـاف الرّبَـع, يعنــي الإبـل الصـغار, فقـال لـه الفتـى: أليس ملككم فلانا؟ قال: بل ملكنا فلان فلـم يزل ذلك بـينهما حتـى رفعه إلـى الـملك, فسأله, فأخبره الفتـى خبر أصحابه, فبعـث الــملك فــي الناس, فجمعهم, فقال: إنكم قد اختلفتـم فـي الروح والـجسد, وإن الله قـد بعث لكم آية, فهذا رجل من قـوم فلان, يعنــي ملكهـم الـذي مضـى, فقـال

الفتى: انطلقوا بي إلى أصحابي فركب الملك, وركب معه الناس حتى انتهوا إلى الكهف فقال الفتى دعوني أدخل إلى أصحابي, فلما أبصرهم ضُرِب على أذنه وعلى آذانهم فلما استبطؤوه دخل الملك, ودخل الناس معه, فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئا, غير أنها لا أرواح فيها, فقال الملك: هذه آية بعثها الله لكم. قال قتادة: وعن ابن عباس, كان قد غزا مع حبيب بن مسلمة, فمرّوا بالكهف, فإذا فيه عظام, فقال رجل: هذه عظام أصحاب الكهف, فقال ابن عباس: لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة.

17316ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق فيما ذكر من حديث أصحاب الكهف, قال: ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تيذوسيس فلما ملك بقي ملكه ثمانيا وستين سنة, فتحزّب الناس في مُلكه, فكانوا أحزابا, فمنهم من يؤمن بالله, ويعلم أنّ الساعة حقّ, ومنهم من يكذّب, فكبر ذلك على الملك الصالح تيذوسيس, وبكى إلى الله وتضرّع إليه, وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحقّ ويقولون: لا حياة إلا الحياة الدنيا, وإنما تُبعث النفوس, ولا تُبعث الأجساد, ونسُوا ما في الكتاب فجعل تيذوسيس يرسل إلى من يظنّ فيه خيرا, وأنهم أئمة في الحقّ, فجعلوا يكذّبون بالساعة, حتى كادوا أن يُحوّلوا الناس عن الحقّ ومِلة الحَواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح تيذوسيس, دخل بيته فأغلقه عليه, ولبس مِسْحا وجعل تحته رمادا, ثم جلس عليه, فدأب ذلك ليله ونهاره زمانا يتضرّع إلى الله, ويبكي إليه مما يرى فيه الناس ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد, أراد أن يَظْهر على الفتية أصحاب الكهف, ويبين للناس شأنهم, ويجعلهم آية لهم, وحجة عليهم, ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها, وأن يستجيب لعبده الصالح تيذوسيس, ويتمّ نعمته عليه, فلا ينزع منه مُلكه, ولا الإيمان الذي أعطاه, وأن يعبد الله لا يشرك به شيئا, وأن يجمع من كان تبدّد من المؤمنين, فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي به الكهف, وكان الجبل بنجلوس الذي فيه الكهف لذلك الرجل, وكان اسم ذلك الرجل أولياس, أن يهدم البنيان الذي على فم الكهف, فيبنى به حظيرة لغنمه, فاستأجر عاملين, فجعلا ينزعان تلك الحجارة, ويبنيان بها تلك الحظيرة, حتى نزعا ما على فم الكهف, حتى فتحا عنهم باب الكهف, وحجبهم الله من الناس بالرعب فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم غاية ما يمكنه أن يدخل من باب الكهف, ثم يتقدّم حتى يرى كلبهم دونهم إلى باب الكهف نائما فلما نزعا الحجارة, وفتحا عليهم باب الكهف, أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهري الكهف, فجلسوا فرحين مُسْفِرة وجوههم طيّبة أنفُسهم, فسلّم بعضهم على بعض, حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها إذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون فيها. ثم قاموا إلى الصلاة فصلّوا, كالذي كانوا يفعلون, لا يرَون, ولا يُرَى في وجوههم, ولا أبشارهم, ولا ألوانهم شيء يُنكرونه كهيئتهم حين رقدوا بعشيّ أمس, وهم يرون أن ملكهم دقينوس الجبار في طلبهم والتماسهم.

فلما قضوا صلاتهم كما كانوا يفعلون, قالوا لـيملـيخا, وكـان هـو صـاحب نفقتهـم, الـذي كـان يبتـاع لهـم طعـامهم وشـرابهم مـن الـمدينة, وجـاءهم بـالـخبر أن دقـينوس يـلتـمسنهم, ويسأل عنهم: أنبئنا يا أخي مـا الـذي قـال الناس فـي شأننا عشيّ أمسى عند هذا الـجبـار؟ وهـم يظنـون أنهـم رقـدوا كبعض ما كانوا يرقدون, وقد خُيّـل إلـيهم أنهـم قـد نـاموا كـأطول مـا كـانوا ينامون فـي اللـيـلة التـي أصبحوا فـيها, حتـى تساءلوا بـينهم, فقال بعضـهم لبعض: كَمْ لَبِثْتُـمْ نـياما؟ قالُوا لَبِثْنا يَوْما أوْ بَعْضَ يَوْمٍ قالُوا رَبّكُـمْ أعْلَـمُ بِـما لَبِثْتُـمْ وكـل ذلـك فـي أنفسـهم يسـير. فقـال لَهـم يـملـيخا: افتُقِدْتـم والتـمستـم بـالـمدينة, وهو يريد أن يُؤْتَـى بكم الـيوم, فتَذْبحُون للطـواغيت, أو يقتُلُكم, فما شاء الله بعد ذلك. فقال لهم مكسلـمينا: يـا إخوتـاه اعلـموا أنكم ملآقوْن, فلا تكفروا بعد إيـمانكم إذا دعاكم عدوّ الله, ولا تُنكروا الـحياة التـي لا تبـيد بعـد إيـمانكم بـالله, والـحياة مـن بعـد الـموت ثـم قـالوا لـيـمـليخا: انطلق إلـى الـمدينة فتسمّع ما يقال لنا بها الـيوم, وما الذي نُذكر به عند دقـينوس, وتلطّف, ولا يشعَرنّ بنا أحد, وابتع لنا طعاما فأتنا به, فـإنه قد آن لك, وزدنا علـى الطعام الذي قد جئتنا بـه, فـإنه قـد كـان قلـيلاً, فقـد أصبحنا جياعا ففعل يـمـليخا كما كان يفعل, ووضع ثـيابه, وأخذ الثـياب التـي كان يتنكر فـيها, وأخذ وَرِقا مـن نفقتهـم التـي كـانت معهـم, التـي ضُـربت بطابَع دقـينوس الـملك, فـانطلق يـمـليخا خارجـا فلـما مـرّ بـبـاب الكهـف, رأى الـحجارة منزوعة عن بـاب الكهف, فعجب منها, ثم مرّ فلـم يبـال بهـا, حتـى أتـى الـمدينة مستـخفـيا يصدّ عن الطريـق تـخوّفـا أن يـراه أحـد مـن أهلهـا, فـيعرفه, فـيذهب بـه إلـى دقـينوس, ولا يش عر العبـد الصالـح أن دقـينوس وأهل زمانه قد هَلكوا قبل ذلك بثلاث مئة وتسع سنـين, أو ما شـاء الله من ذلك إذ كان ما بـين أن نـاموا إلـى أن استـيقظوا ثلاث مئـة وتسع سنـين. فلـما رأى يـمـليخا بـاب الـمدينة رفع بصره, فرأى فوق ظهر البـاب علامة تكون لأهل الإيـمان, إذا كان ظاهرا فـيها فلـما رآها عجب وجعل ينظر مستـخفـيا إلـيها فنظر يـمينا وشمالاً, فتعجب بـينه وبـين نفسه, ثم ترك ذلك البـاب, فتـحوّل إلـى بـاب آخر من أبوابها, فنظر فـرأى مـن ذلـك مـا يحيـط بـالـمدينة كلها, ورأى علـى كلّ بـاب مثل ذلك فجعل يخيـل إلـيه أن الـمدينة لـيس بـالـمدينة التـي كان يعـرف, ورأى ناسـا كثـيرين مـحدثـين لـم يكـن يراهم قبل ذلك, فجعل يـمشي ويعجب ويخيـل إلـيه أنه حيران ثم رجع إلـى البـاب الذي أتـى منـه, فجعـل يعجـب بـينه وبـين نفسـه ويقـول: يـا لـيت شـعري, أمـا هـذه عشـية أمـس, فكـان الـمسلـمون يخفـون هـذه العلامـة ويستـخفون بها, وأما الـيوم فإنها ظاهرة لعلـيّ حالـم؟ ثـم يـرى أنـه لـيس بنائم فأخذ كساءه فجعله علـى رأسه, ثم دخـل الـمدينة, فجعل يـمشي بـين ظهري سوقها, فـيسمع أناسـا كثـيرا يحلفـون بـاسم عيسـى ابـن مريـم, فزاده فرقـا, ورأى أنـه حيـران, فقـام مُسـندا ظهـره إلـى جـدار مـن جُـدُر الـمدينة ويقول فـي نفسه: والله ما أدري ما هـذا أمـا عشـية أمـس فلـيس علـى الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريـم إلا قُتـل وأمـا الغـداة فأسـمعهم, وكلّ إنسان يذكرأمر عيسى لا يخاف ثم قال فـي نفسـه: لعـلّ هـذه لـيست بـالـمدينة التـي أعرف أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحدا منهم, والله ما أعلـم مدينة قرب مدينتنا فقام كالـحيران لا يتوجه وجهـا ثـم لقـي فتـى مـن أهـل الـمدينة, فقال له: ما اسم هذه الـمدينة يـا فتـى؟ قـال: اسـمها أفسـوس,

فقال في نفسه: لعلّ بي مسا, أو بي أمر أذهب عقلي؟ والله يحقّ لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصيبني شرّ فأهلك. هذا الذي يحدّث به يمليخا أصحابه حين تبين لهم ما به.

ثم إنه أفاق فقال: والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس لي فدنا من الذين يبيعون الطعام, فأخرج الورِق التي كانت معه, فأعطاها رجلاً منهم, فقال: بعني بهذه الورِق يا عبد الله طعاما. فأخذها الرجل, فنظر إلى ضرب الورق ونقشها, فعجب منها, ثم طرحها إلى رجل من أصحابه, فنظر إليها, ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل, ويتعجبون منها, ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد أصاب كنزا خبيئا في الأرض منذ زمان ودهر طويل فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا, وجعل يرتعد ويظنّ أنهم قد فطنوا به وعرفوه, وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقينوس يسلمونه إليه. وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرّفونه, فقال لهم وهو شديد الفرق منهم: أفضلوا عليّ, فقد أخذتم ورقي فأمسكوا, وأما طعامكم فلا حاجة لي به. قالوا له: من أنت يا فتى, وما شأنك؟ والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأوّلين, فأنت تريد أن تخفيه منا, فانطلق معنا فأرناه وشاركنا فيه, نخف عليك ما وجدت, فإنك إن لا تفعل نأت بك السلطان, فنسلمك إليه فيقتلك. فلما سمع قولهم, عجب في نفسه فقال: قد وقعت في كلّ شيء كنت أحذر منه ثم قالوا: يا فتى إنك والله ما تستطيع أن تكتم ما وجدت, ولا تظنّ في نفسك أنه سيخفى حالك. فجعل يمليخا لا يدري ما يقول لهم وما يرجع إليهم, وفَرِق حتى ما يحير إليهم جوابا فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطوقوه في عنقه, ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة ملبّبا, حتى سمع به من فيها, فقيل: أخذ رجلٌ عنده كنزٌ.

واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم, فجعلوا ينظرون إليه ويقولون: والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة, وما رأيناه فيها قطّ, وما نعرفه فجعل يمليخا لا يدري ما يقول لهم, مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة, فَرِق, فسكت فلم يتكلم ولو أنه قال إنه من أهل المدينة لم يصدّق. وكان مستيقنا أنّ أباه وإخوته بالمدينة, وأن حسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها, وأنهم سيأتونه إذا سمعوا, وقد استيقن أنه من عشية أمس يعرف كثيرا من أهلها, وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا.

فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأته بعض أهله, أبوه أو بعض إخوته فيخلصه من أيديهم, إذ اختطفوه فانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها, وهما رجلان صالحان, كان اسم أحدهما أريوس, واسم الآخر أسطيوس فلما انطلق به إليهما, ظنّ يمليخا أنه يُنطلق به إلى دقينوس الجبار ملكهم الذي هربوا منه, فجعل يلتفت يمينا وشمالاً, وجعل الناس يسخرون منه, كما يُسخر من المجنون والحيران, فجعل يمليخا يبكي. ثم رفع رأسه إلى السماء وإلى الله, ثم قال: اللهمّ إله السموات والأرض, أولج معي روحا منك اليوم تؤيدني به عند هذا الجبار. وجعل يبكي ويقول في نفسه: فرق بيني وبين إخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت, وأنى يُذهب بي إلى دقينوس الجبار فلو أنهم يعلمون, فيأتون, فنقوم جميعا بين يدي دقينوس فإنا كنا تواثقنا لنكوننّ

معا, لا نكفر بـالله ولا نشرك به شيئا, ولا نعبد الطواغيت من دون الله. فُرّق بـيني وبـينهم, فلن يرونـي ولن أراهم أبدا وقد كنا تواثقنـا أن لا نفـترق فــي حياة ولا موت أبدا. يا لـيت شعري ما هو فـاعل بـي؟ أقاتلـي هو أم لا؟ ذلــك الذي يحدّث به يـمليخا نفسه فـيـما أخبر أصحابه حين رجع إلـيهم.

فلـما انتهـى إلــى الرجلــين الصالــحين أريـوس وأسـطيوس, فلــما رأى يـمليخا أنه لـم يُذهب بـه إلــى دقــينوس, أفــاق وسـكن عنـه البكـاء فأخـذ أريوس وأسطيوس الورق فنظرا إلـيها وعجبـا منهـا, ثـم قـال أحـدهما: أيـن الكنز الذي وجدت يا فتـى؟ هذا الورِق يشهد علـيك أنك قد وجدت كنزا فقال لهما يـمليخا: ما وجدت كنـزا ولكـن هـذه الـورِق ورق آبــائي, ونقـش هـذه الـمدينة وضربها, ولكن والله ما أدري مـا شأنــي, ومـا أدري مـا أقـول لكـم فقال له أحدهما: مـمن أنت؟ فقال له يـملــيخا: مـا أدري, فكنـت أرى أنــي من أهل هذه القرية, قالوا: فمن أبوك ومن يعرفك بها؟ فأنبأهم بـاسم أبـيه, فلـم يجدوا أحدا يعرفه ولا أبـاه فقال له أحـدهما: أنـت رجـل كـذّاب لا تنبئنـا بـالـحقّ فلـم يدر يـمليخا ما يقـول لهـم, غيرأنـه نكـس بصـره إلــى الأرض. فقال له بعض من حوله: هذا رجل مـجنون فقال بعضـهم: لــيس بـمــجنون, ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي ينفلـت منكـم فقـال لـه أحـدهما, ونظـر إلــيه نظرا شديدا: أتظنّ أنك إذ تتــجانن نرسـلك ونصـدّقك بـأن هـذا مـال أبــيك, وضرب هذه الورق ونقشها منذ أكـثر مـن ثلاث مئـة سـنة؟ وإنــما أنـت غلام شاب تظنّ أنك تأفكنا, ونـحن شمط كما ترى, وحولك سُراة أهـل الــمدينة, وولاة أمرها, إنـي لأظننـي سآمر بك فتعذّب عذابـا شديدا, ثـم أوثقـك حتــى تعترف بهذا الكنز الذي وجدت. فلـمال قال ذلك, قال يـمليخا: أنبئوني عـن شيء أسألكم عنه, فإن فعلتـم صدقتكم عما عندي أرأيتـم دقـينوس الــملك الذي كان فـي هذه الـمدينة عشية أمس ما فعـل؟ فقـال لـه الرجـل: لـيس علـى وجه الأرض رجل اسمه دقـينوس, ولـم يكن إلا ملك قد هلك منذ زمان ودهر طويـل, وهَلكت بعده قرون كثـيرة فقال له يـملــيخا: فـوالله إنــي إذا لـحيران, وما هو بـمصدّق أحد من الناس بـما أقول والله لقـد علــمت, لقـد فررنا من الـجبـار دقـينوس, وإنـي قد رأيته عشية أمـس حيـن دخــل مدينـة أفسوس, ولكـن لا أدري أمدينـة أفسـوس هـذه أم لا؟ فــانطلقا معـي إلــى الكهف الذي فـي جبل بنــجلوس أريكـم أصحابــي. فلــما سـمع أريـوس مـا يقول يـمليخا قال: يا قوم لعلّ هذه آية من آيات الله جعلها لكـم علـى يـدي هذا الفتـى, فـانطلقوا بنا معه يرنا أصحابه, كما قال. فـانطلق معـه أريـوس وأسطيوس, وانطلق معهم أهل الـمدينة كبـيرهم وصغيرهم, نــحو أصـحاب الكهف لـينظروا إلـيهم.

ولـما رأى الفتـية أصحاب الكهف يـملــيخا قـد احتبـس علــيهم بطعـامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتـي بـه, ظنـوا أنـه قـد أُخِـذ فـذُهب بـه إلــى ملكهم دَقْـينوس الذي هربوا منه. فبـينــما هـم يظنـون ذلـك ويتــخوّفونه, إذ سمعوا الأصوات وجلبة الـخيـل مصعدة نـحوهم, فظنوا أنهم رُسـل الـجبــار دقـينوس بعث إلـيهم لـيُؤْتـي بهم, فقـاموا حيـن سـمعوا ذلـك إلــى الصلاة, وسلّـم بعضهم علـى بعض, وأوصى بعضهم بعضا, وقـالوا: انطلقـوا بنـا نـأت أخانا يـمليخا, فإنه الآن بـين يدي الـجبـار دقـينوس ينتظر متـى نأته. فبـينـما هم يقولون ذلك, وهم جلـوس بــين ظهـري الكهـف, فلــم يـروا إلا أريـوس وأصحابه وقوفـا علـى بـاب الكهف. وسبقهم يـمليخا, فدخــل علــيهم وهـو

يبكي. فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن شأنه, فأخبرهم خبره وقصّ عليهم النبأ كله, فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله, وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس, وتصديقا للبعث, وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها. ثم دخل على أثر يملیخا أريوس, فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة, فقام بباب الكهف ثم دعا رجالاً من عظماء أهل المدينة, ففتح التابوت عندهم, فوجدوا فيه لوحين من رصاص, مكتوبا فيهما كتاب, فقرأهما فوجد فيهما: أن مكسلمينا, ومحسلمينا, ويملیخا, ومرطونس, وكسطونس, ويبورس, ويكرنوس, ويطبيونس, وقالوش, كانوا فتية هربوا من ملكهم دقينوس الجبار, مخافة أن يفتنهم عن دينهم, فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسدّ عليهم بالحجارة, وإنا كتبنا شأنهم وقصة خبرهم, ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم. فلما قرأوه, عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية للبعث فيهم, ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه. ثم دخلوا على الفتية الكهف, فوجودهم جلوسا بين ظهريه, مُشرقة وجوههم, لم تبل ثيابهم. فخرّ أريوس وأصحابه سجودا, وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته. ثم كلم بعضهم بعضا, وأنبأهم الفتية عن الذين لقوا من ملكهم دقينوس ذلك الجبار الذي كانوا هربوا منه. ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح تيذوسيس, أن عَجِّل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله, جعلها الله على ملكك, وجعلها آية للعالمين, لتكون لهم نورا وضياء, وتصديقا بالبعث, فاعجل على فتية بعثهم الله, وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة.

فلما أتى الملك تيذوسيس الخبر, قام من المَسْندة التي كان عليها, ورجع إليه رأيه وعقله, وذهب عنه همه, ورجع إلى الله عزّ وجلّ, فقال: أحمدك اللهمّ ربّ السموات والأرض, أعبدك, وأحمدك, وأسبح لك تطوّلت عليّ, ورحمتني برحمتك, فلم تطفىء النور الذي كنت جعلته لآبائي, وللعبد الصالح قسطيطينوس الملك, فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه, وساروا معه حتى أتوا مدينة أفسوس, فتلقاهم أهل المدينة, وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف حتى أتوه فلما رأى الفتية تيذوسيس, فرحوا به, وخرّوا سجودا على وجوههم وقام تيذوسيس قدامهم, ثم اعتنقهم وبكى, وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه, ويقول: والله ما أشبه بكم إلا الحواريون حين رأوا المسيح. وقال: فرج الله عنكم, كأنكم الذي تُدْعَون فتحْشَرون من القبور فقال الفتية لتيذوسيس: إنا نودّعك السلام, والسلام عليك ورحمة الله, حفظك الله, وحفظ لك ملكك بالسلام, ونعيذك بالله من شرّ الجنّ والإنس فأمر بعيش من خُلّر ونشيل. إن أسوأ ما سلك في بطن الإنسان أن لا يعلم شيئا إلا كرامة إن أكرم بها, ولا هوان إن أهين به.

فبينما الملك قائم, إذ رجعوا إلى مضاجعهم, فناموا, وتوفي الله أنفسهم بأمره. وقام الملك إليهم, فجعل ثيابه عليهم, وأمر أن يجعل لكلّ رجل منهم تابوت من ذهب فلما أَمْسَوا ونام, أتوه في المنام, فقالوا: إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة, ولكنا خُلقنا من تراب وإلى التراب نصير, فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك حينئذٍ بتابوت من ساج, فجعلوهم فيه, وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم

بـالرعب, فلـم يقدر أحد علـى أن يدخـل علـيهم. وأمر الـملك فجعل كهفهم مسجدا يُصَلّـى فـيه, وجعل لهم عيدا عظيـما, وأمر أن يؤتـى كلّ سنة. فهـذا حديث أصحاب الكهف.

17317ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن عبد العزيز بن أبـي روّاد, عن عبد الله بن عبـيد بـن عميـر, ق ال: بعثهـم اللـه يعنـي الفتـية أصحاب الكهف وقد سلط علـيهم ملك مسلـم, يعنـي علـى أهل مدينتهم وسلّط اللـه علـى الفتـية الـجوع, فقال قائل منهم: كَـمْ لَبِثْتُـمْ ق الُوا لَبِثْنـا يَوْمـا أوْ بَعْـضَ يَوْمٍ قال: فردّوا علـم ذلك إلـى الله, قالُوا رَبّكُمْ أعْلَـمُ بِـما لَبِثْتُـمْ فـابْعَثُوا أحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ إلـى الـمَدِينَةِ وإذا معهم ورِق مـن ضـرب الـملك الـذي كانوا فـي زمانه فَلْـيَأتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ: أي بطعام وَلا يُشْعِرَنّ بِكُمْ أحَدا. فخـرج أحدهم فرأى الـمعالـم متنكرة حتـى انتهى إلـى الـمدينة, فـاستقبله النـاس لا يعرف منهم أحدا فخرج ولا يعرفونه, حتـى انتهـى إلـي صـاحب الطعـام, فسامه بطعامه, فقال صـاحب الطعـام: هـات ورقـك فـأخرج إلـيه الـورق, فقال: من أين لـك هـذا الـورق؟ قـال: هـذه ورِقُنـا وورِق أهـل بلادنـا فقـال: هيهات هذه الورِق من ضرب فلان بن فلان منذ ثلاث مئة وتسع سنـين أنـت أصبت كنزا ولست بتاركك حتـى أرفعك إلـى الـملك. فرفعـه إلـى الـملك, وإذا الـملك مسلـم وأصحابه مسلـمون, ففرح واستبشر, وأظهر لهم أمـره, وأخبرهم خبر أصحابه فبعثوا إلـى اللوح فـي الـخزانة, فـأتوا بـه, فوافـق مـا وصف من أمرهم, فقال الـمشركون: نـحن أحقّ بهم هؤلاء أبناء آبـائنا, وقال الـمسلـمون: نـحن أحقّ بهم, هم مسلـمون منا. فـانطلقوا معه إلـى الكهف فلـما أتوا بـاب الكهـف قـال: دعونـي حتـى أدخـل علـى أصحابـي حتـى أبشرهم, فإنهم إن رأوكم معي أرعبتـموهم فدخـل فبشّـرهم, وقبـض اللـه أرواحهم. قال: وعمى الله علـيهم مكانهم, فلـم يهتدوا, فقـال الـمشركون: نبنـي علـيهم بُنـيانا, فإنهم أبناء آبـائنا, ونعبد الله فـيها. وقـال الـمسلـمون: نـحن أحقّ بهم, هم منا, نبنـي علـيهم مسجدا نصلـي فـيه, ونعبد الله فـيه.

وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب عندي قول مـن قـال: إن اللـه تعالـى بعثهم من رقدتهم لـيتساءلوا بـينهم كما بـيّنا قبل, لأن الله عزّ ذكـره, كـذلك أخبر عبـاده فـي كتابه, وإن الله أعثر علـيهم القـوم الـذين أعـثرهم علـيهم, لـيتـحقق عندهم ببعث الله هؤلاء الفتـية من رقدتهم بعد طول مدتها بهيئتهـم يوم رقدوا, ولـم يشيبوا علـى مرّ الأيام واللـيالـي علـيهم, ولـم يهرَموا علـى كرّ الدهور والأزمان فـيهم قدرته علـى بعث من أماته فـي الدنـيا مـن قـبره إلـى موقـف القـيامة يوم القـيامة, لأن الله عـزّ ذكـره بـذلك أخبرنـا, فقـال: وكذلكَ أعْثَرنْا عَلَـيْهِمْ لِـيَعْلَـمُوا أنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ وأنّ السّاعَةِ لا رَيْبَ فِـيها.

واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله: فـابْعَثُوا أحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هذِهِ فقرأ ذلـك عامّة قرّاء أهل الـمدينة وبعض العراقـيين بِوَرِقِكُمْ هذِهِ بفتـح الـواو وكسـر الراء والقاف. وقرأ عامّة قرّاء الكوفة والبصرة: «بوَرْقِكُمْ» بسـكون الـراء, وكسـر القـاف. وقـرأه بعـض الـمكيـين بكسـر الـراء, وإدغـام القـاف فـي الكاف, وكلّ هذه القراءات متفقات الـمعانـي, وإن اختلفـت الألفـاظ منهـا, وهنّ لغات معروفـات من كلام العرب, غير أن الأصل فـي ذلـك فتـح الـواو وكسر الراء والقاف, لأنـه الـوَرِق, ومـا عـدا ذلـك فـإنه داخـل علـيه طلـب التـخفـيف. وفـيه أيضا لغة أخرى وهو «الوَرْق», كما يقـال للكَبِـد كَبْـدَ. فـإذا كان ذلك هو الأصل, فـالقراءة به إلـيّ أعجب, مـن غيـر أن تكـون الأخريـان

مدفوعة صحتهما, وقد ذكرنا الرواية بأن الذي بُعث معه بالوَرِق إلى المدينة كان اسمه يمليخا. وقد:

17318ـ حدثني عبيد الله بن محمد الزهري, قال: حدثنا سفيان, عن مقاتل فابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بوَرِقِكُمْ هَذِهِ اسمه يمليخ.

وأما قوله: فَلْيَنْظُرْ أيّهَا أَزْكَى طَعاما فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم: معناه فلينظر أيّ أهل المدينة أكثر طعاما. ذكر من قال ذلك:

17319ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي حصين, عن عكرِمة أيّها أزْكَى طَعاما قال: أكثر.

وحدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن أبي حُصَين, عن عكرِمة مثله, إلا أنه قال: أيّهُ أكْثَرُ.

وقال آخرون: بَل معناه: أيها أحلّ طعاما. ذكر من قال ذلك:

17320ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي حصين, عن سعيد بن جبير: أيّها أزْكَى طَعاما قال: أحلّ.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن أبي حصين, عن سعيد بن جبير, مثله.

وقال آخرون: بل معناه: أيها خير طعاما. ذكر من قال ذلك:

17321ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: أزْكَى طَعاما قال: خير طعاما.

وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: أحلّ وأطهر, وذلك أنه لا معنى في اختيار الأكثر طعاما للشراء منه إلا بمعنى إذا كان أكثرهم طعاما, كان خليقا أن يكون الأفضل منه عنده أوجد, وإذا شرط على المأمور الشراء من صاحب الأفضل, فقد أمر بشراء الجيد, كان ما عند المشتري ذلك منه قليلاً الجيد أو كثيرا, وإنما وجه من وجه تأويل أزكى إلى الأكثر, لأنه وجد العرب تقول: قد زكا مال فلان: إذا كثر, وكما قال الشاعر:

قَبائِلُنا سَبْعٌ وأنْتُمْ ثَلاثَةٌوَللسّبْعُ أزْكَى مِنْ ثَلاثٍ وأطْيَبُ

بمعنى: أكثر, وذلك وإن كان كذلك, فإن الحلال الجيد وإن قلّ, أكثر من الحرام الخبيث وإن كثر. وقيل: فَلْيَنْظُرْ أيّها فأضيف إلى كناية المدينة, والمراد بها أهلها, لأن تأويل الكلام: فلينظر أيّ أهلها أزكى طعاما لمعرفة السامع بالمراد من الكلام. وقد يُحتمل أن يكونوا عنوا بقولهم أيّها أزْكَى طَعاما: أيها أحلّ, من أجل أنهم كانوا فارقوا قومهم وهم أهل أوثان, فلم يستجيزوا أكل ذبيحتهم.

وقوله: فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ يقول: فليأتكم بقوت منه تقتاتونه, وطعام تأكلونه, كما:

17322ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن عبد العزيز بن أبي روّاد, عن عبد الله بن عبيد بن عمير فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ قال: بطعام.

وقوله: وَلْيَتَلَطَّفْ يقول: وليترفق في شرائه ما يشتري, وفي طريقه ودخوله المدينة وَلا يُشْعِرَنّ بِكُمْ أحَدا يقول: ولا يعلمنّ بكم أحدا من الناس. وقوله: إنّهُمْ إنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ يعنون بذلك: دقينوس وأصحابه قالوا: إن دقينوس وأصحابه إن يظهروا عليكم, فيعلموا مكانكم, يرجموكم شتما بالقول, كما:

17323ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, في قوله: إنّهُمْ إنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ قال: يشتموكم بالقول, يؤذوكم.

وقوله: أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلّتِهِمْ يقول: أو يردّوكم في دينهم, فتصيروا كفارا بعبادة الأوثان. وَلَنْ تُفْلِحُوا إذًا أبَدا يقول: ولن تدركوا الفلاح, وهو البقاء الدائم والخلود في الجنان, إذن: أي إن أنتم عُدْتم في ملتهم. أبدا: أيام حياتكم.

الآية : 21

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوَاْ أَنّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ وَأَنّ السّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ابْنُواْ عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رّبّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىَ أَمْرِهِمْ لَنَتّخِذَنّ عَلَيْهِمْ مّسْجِداً }.

يقول تعالى ذكره: وكما بعثناهم بعد طول رقدتهم كهيئتهم ساعة رقدوا, ليتساءلوا بينهم, فيزدادوا بعظيم سلطان الله بصيرة, وبحسن دفاع الله عن أوليائه معرفة كَذلكَ أعْثَرْنا عَلَيْهِمْ يقول: كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا في شكّ من قُدرة الله على إحياء الموتى, وفي مِرْية من إنشاء أجسام خلقه, كهيئتهم يوم قبضهم بعد البِلَى, فيعلموا أن وعْد الله حقّ, ويُوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17324ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وكذلكَ أعْثَرْنا عَلَيْهِمْ يقول: أطلعنا عليهم ليعلم من كذب بهذا الحديث, أن وعد الله حقّ, وأن الساعة لا ريب فيها.

وقوله: إذْ يَتَنازَعُون بَيْنَهُمْ أمْرَهُمْ يعني: الذين أعثروا على الفتية. يقول تعالى: وكذلك أعثرنا هؤلاء المختلفين في قيام الساعة, وإحياء الله الموتى بعد مماتهم من قوم تيذوسيس, حين يتنازعون بينهم أمرهم فيما الله فاعل بمن أفناه من عباده, فأبلاه في قبره بعد مماته, أمنشئهم هو أم غير منشئهم. وقوله: فقالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيانا يقول: فقال الذين أعثرناهم على أصحاب الكهف: ابنوا عليهم بنيانا رَبّهمْ أعْلَمُ بِهِمْ يقول: ربّ الفتية أعلم بالفتية وشأنهم. وقوله: قالَ الّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أمْرِهِمْ يقول جلّ ثناؤه: قال القوم الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف لَنَتّخِذَنّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدا.

وقد اختُلف في قائلي هذه المقالة, أهم الرهط المسلمون, أم هم الكفار؟ وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى, وسنذكر إن شاء الله ما لم يمض منه.

17325ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قالَ الّذِينَ غَلَبُوا على أمْرِهِمْ لَنَتّخِذَنّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدا قال: يعني عدوّهم.

17326ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن عبد العزيز بن أبي روّاد, عن عبد الله بن عبيد بن عمير, قال: عمّى الله على الذين أعثرهم على أصحاب الكهف مكانهم, فلم يهتدوا, فقال المشركون: نبني عليهم بنيانا, فإنهم أبناء آبائنا, ونعبد الله فيها, وقال المسلمون: بل نحن أحقّ بهم, هم منا, نبني عليهم مسجدا نصلي فيه, ونعبد الله فيه.

الآية : 22

القول في تأويل قوله تعالى: {سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رّبّي أَعْلَمُ بِعِدّتِهِم مّا يَعْلَمُهُمْ إِلاّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاّ مِرَآءً ظَاهِراً وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مّنْهُمْ أَحَداً }.

يقول تعالى ذكره: سيقول بعض الخائضين في أمر الفِتْية من أصحاب الكهف, هم ثلاثة رابعهم كلبهم, ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم رجْما بالغَيْبِ: يقول: قذفا بالظنّ غير يقين علم, كما قال الشاعر:

(وأجْعَلُ مِنّي الحَقّ غَيْبا مُرَجّمَا)

وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17327ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْما بالغَيْبِ: أي قذفا بالغيب.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: رَجْما بالغَيْبِ قال: قذفا بالظنّ.

وقوله: وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثامنُهُمْ كَلْبُهُمْ يقول: ويقول بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم. قُلْ رَبيّ أعْلَمُ بِعِدّتِهِمْ يقول عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لقائلي هذه الأقوال في عدد الفتية من أصحاب الكهف رجما منهم بالغيب: رَبّي أعْلَمُ بِعِدّتِهِمْ ما يَعْلَمُهُمْ يقول: ما يعلم عددهم إلاّ قَلِيلٌ من خلقه, كما:

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ما يَعْلَمُهُمْ إلاّ قَلِيلٌ يقول: قليل من الناس.

وقال آخرون: بل عنى بالقليل: أهل الكتاب. ذكر من قال ذلك:

17328ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس ما يَعْلَمُهُمْ إلاّ قَلِيلٌ قال: يعني أهل الكتاب. وكان ابن عباس يقول: أنا ممن استثناه الله, ويقول: عدتهم سبعة.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسرائيل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس ما يَعْلَمُهُمْ إلاّ قَلِيلٌ قال: أنا من القليل, كانوا سبعة.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول: أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله, كانوا سبعة وثامنهم كلبهم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: قال ابن عباس: عدتهم سبعة وثامنهم كلبهم, وأنا ممن استثنى الله.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: ما يَعْلَمُهُمْ إلاّ قَلِيلٌ قال: كان ابن عباس يقول: أنا من القليل, هم سبعة وثامنهم كلبهم.

وقوله: فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاّ مِرَاءً ظاهِرا يقول عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فلا تمار يا محمد: يقول: لا تجادل أهل الكتاب فيهم, يعني في عدّة أهل الكهف, وحُذِفت العِدّة اكتفاء بذكرهم فيها لمعرفة

السامعين بالمراد. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: فَلا تُمارِ فِيهِمْ قال: لا تمار في عدّتهم.

وقوله: إلاّ مِرَاءً ظاهِرا اختلف أهل التأويل في معنى المِراء الظاهر الذي استثناه الله, ورخص فيه لنبيه صلى الله عليه وسلم, فقال بعضهم: هو ما قصّ الله في كتابه أبيح له أن يتلوه عليهم, ولا يماريهم بغير ذلك. ذكر من قال ذلك:

17329ـ حدثني محمد بن سعيد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاّ مِرَاءً ظاهِرا يقول: حَسْبُك ما قصصت عليك فلا تمار فيهم.

17330ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاّ مِرَاءً ظاهِرا يقول: إلا بما قد أظهرنا لك من أمرهم.

17331ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاّ مِرَاءً ظاهِرا: أي حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة فَلا تُمَارِ فِيهِمْ قال: حَسْبُك ما قصصنا عليك من شأنهم.

17332ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إلاّ مِرَاءً ظاهِرا يقول: حَسْبُك ما قصصنا عليك.

وقال آخرون: المِراء الظاهر هو أن يقول ليس كما تقولون, ونحو هذا من القول. ذكر من قال ذلك:

17333ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: إلاّ مِرَاءً ظاهِرا قال: أن يقول لهم: ليس كما تقولون, ليس تعلمون عدّتهم إن قالوا كذا وكذا فقل ليس كذلك, فإنهم لا يعلمون عدّتهم, وقرأ: سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ حتى بلغ رَجْما بالغَيْبِ.

وقوله: وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أحَدا يقول تعالى ذكره: ولا تستفت في عدّة الفتية من أصحاب الكهف منهم, يعني من أهل الكتاب, أحدا, لأنهم لا يعلمون عدتهم, وإنما يقولون فيهم رجما بالغيب, لا يقينا من القول. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17334ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يحيى بن عيسى, عن سفيان, عن قابوس, عن أبيه, عن ابن عباس, في قوله: وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أحَدا قال: هم أهل الكتاب.

17335ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أحَدا من يهود.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أحَدا: من يهود, قال: ولا تسأل يهودَ عن أمر أصحاب الكهف, إلا ما قَد أخبرتك من أمرهم.

17336ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أحَدا: من أهل الكتاب. كنا نحدّث أنهم كانوا بني

الركنا. والركنا: ملوك الروم, رزقهم الله الإسلام, فتفرّدوا بدينهم, واعـتزلوا قومهم, حتـى انتهوا إلـى الكهف, فضرب الله علـى أصمختهم, فلبثـوا دهـرا طويلاً حتـى هلكت أمّتهم وجاءت أمّة مسلـمة بعدهم, وكان ملكهم مسلـما.

الآية : 23 و 24

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلاَ تَقُولَنّ لِشَيْءٍ إِنّـي فَاعِـلٌ ذَلِـكَ غَـداً * إِلاّ أَن يَشَآءَ اللّهُ وَاذْكُر رّبّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىَ أَن يَهْدِيَنِ رَبّي لأَقْـرَبَ مِـنْ هَـذَا رَشَداً }.

وهذا تأديب من الله عزّ ذكره لنبـيه صلى الله عليه وسلم عهد إلـيه أن لا يجزم علـى ما يحدث من الأمـور أنـه كـائن لا مــحالة, إلا أن يصـله بــمشيئة الله, لأنه لا يكون شيء إلا بـمشيئة الله.

وإنـما قـيـل له ذلك فـيـما بلغنا من أجل أنه وعـد سائلــيه عـن الــمسائل الثلاث اللواتـي قد ذكرناها فـيـما مضى, اللواتـي إحداهنّ الـمسألة عن أمــر الفتــية مـن أصـحاب الكهـف أن يجيبهـم عنهـنّ غـد يـومهم, ولــم يسـتثن, فـاحتبس الوحي عنه فـيـما قـيـل من أجل ذلك خمس عشـرة, حتــى حزنـه إبطاؤه, ثم أنزل الله علــيه الــجواب عنهـنّ, وعـرف نبــيه سـبب احتبــاس الوحي عنه, وعلّـمه ما الذي ينبغي أن يستعمل فـي عِدَاته وخبره عما يحدث من الأمور التـي لـم يأته مـن اللـه بهـا تنزيــل, فقـال: وَلا تَقُـولَنّ يـا مــحمد لِشَيْءٍ إنّـي فـاعِلٌ ذلك غَدا كما قلت لهؤلاء الذين سألوك عـن أمـر أصـحاب الكهف, والـمسائل التـي سألوك عنها, سأخبركم عنها غدا إلاّ أنْ يَشاءَ اللّـهُ. ومعنى الكلام: إلا أن تقول معه: إن شاء الله, فترك ذكر تقـول اكتفــاء بــما ذكر منه, إذ كان فـي الكلام دلالة علــيه. وكـان بعـض أهـل العربــية يقـول: جائز أن يكون معنى قوله: إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ استثناء من القول, لا من الفعــل كأن معناه عنده: لا تقولنّ قولاً إلا أن يشاء الله ذلك القول, وهذا وجــه بعيـد من الـمفهوم بـالظاهر من التنزيـل مع خلافه تأويـل أهل التأويـل.

وقوله: وَاذْكُرْ رَبّكَ إذَا نَسِيتَ اختلف أهل التأويـل فـي معناه, فقال بعضهم: واستثن فـي يـمينك إذا ذكرت أنك نسيت ذلك فـي حال اليــمين. ذكـر مـن قال ذلك:

17337ـ حدثنا مـحمد بن هارون الـحربـيّ, قال: حـدثنا نعيــم بـن حمـاد, قال: حدثنا هشيـم, عن الأعمش, عن مـجاهد, عن ابن عبـاس, فـي الرجـل يحلف, قال لـه: أن يستثنَــي ولـو إلــى سـنة, وكـان يقـول: وَاذْكُـرْ رَبّـكَ إذَا نَسِيتَ فـي ذلك قـيـل للأعمش سمعتَه من مـجاهد, فقال: ثنـي به لـيث بـن أبـي سلـيـم, يرى ذهب كسائي هذا.

17338ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن أبـي جعفر, عن الربـيع, عن أبـي العالـية, فـي قوله وَلا تَقُولَنّ لِشَيْءٍ إنّـي فـاعِلٌ ذلكَ غَدا إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ وَاذْكُرْ رَبّكَ إذَا نَسِيتَ الاستثناء, ثم ذكرت فـاستثن.

17339ـ حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا الـمعتــمر, عـن أبــيه, فـي قوله: وَاذْكُرْ رَبّكَ إذَا نَسِيتَ قال: بلغنـي أن الـحسن, قال: إذا ذكـر أنــه لـم يقل: إن شاء الله, فـليقل: إن شاء الله.

وقال آخرون: معناه: واذكر ربك إذا عصيت. ذكر من قال ذلك:

17340ـ حدثنـي نصر بن عبد الرحمن, قال: حدثنا حكام بـن سلــم, عـن أبـي سنان, عن ثابت, عن عكرِمة, فــي قـول اللــه: وَاذْكُـرْ رَبّـكَ إذَا نَسِـيتَ قال: اذكر ربك إذا عصيت.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أبـي سنان, عن ثابت, عن عكرمة, مثله.

وأولـى القولـين فـي ذلك بـالصواب, قول من قال: معناه: واذكر ربك إذا تركت ذكره, لأن أحد معانـي النسيان فـي كلام العرب الترك, وقد بـيّنا ذلـك فـيـما مضى قبل.

فإن قال قائل: أفجائز للرجل أن يستثنـيَ فـي يـمينه إذ كان معنـى الكلام ما ذكرت بعد مدة من حال حلفه؟ قـيـل: بـل الصـواب أن يسـتثنى ولـو بعـد حِنْثه فـي يـمينه, فـيقول: إن شاء الله لـيخرج بقـيـله ذلك مــما ألزمـه اللـه فـي ذلك بهذه الآية, فـيسقط عنه الـحرج بـتركه مـا أمـره بقـيــله م ن ذلـك فأما الكفـارة فلا تسقط عنه بحال, إلا أن يكون استثناؤه موصولاً بـيـمينه.

فإن قال: فما وجه قول من قال له: ثُنْياه ولو بعد سنة, ومن قال له ذلك ولو بعد شهر, وقول من قال ما دام فـي مـجلسه؟ قـيــل: إن معنـاهم فــي ذلك نـحو معنانا فــي أن ذلـك لـه, ولـو بعـد عشـر سنــين, وأنـه بــاستثنائه وقـيـله إن شاء الله بعد حين من حال حلفه, يسقط عنه الـحرج الذي لو لــم يقله كان له لازما فأما الكفـارة فله لازمة بـالــحِنْث بكـلّ حـال, إلا أن يكـون استثناؤه كان موصولاً بـالـحلف, وذلك أنا لا نعلـم قائلاً قـال مــمن قـال لـه الثّنْـيا بعد حين يزعم أن ذلك يضع عنه الكفـارة إذا حنِث, ففــي ذلـك أوضـح الدلـيـل علـى صحة ما قلنا فـي ذلك, وأن معنى
القول فـيه, كان نـحو معنانا فـيه.

وقوله: وَقُلْ عَسَى أنْ يَهْدِينِ رَبّـي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدا يقـول عـزّ ذكـره لنبـيه صلى الله عليه وسلم: قـل ولعـلّ اللـه أن يهدينــي فـيسدّدنــي لأسـدّ مـما وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون, إن هو شاء.

وقد قـيـل: إن ذلك مـما أمر النبـيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم أن يقـوله إذا نسي الاستثناء فـي كلامه, الذي هو عنده فــي أمـر مسـتقبل مـع قـوله: إن شاء الله, إذا ذكر. ذكر من قال ذلك:

17341ـ حدثنا ابن عبد الأعلـى, ق ال: حـدثنا الـمعتــمر, عـن أبــيه, ع ن مـحمد, رجل من أهل الكوفة, كان يفسر القرآن, وكان يجلـس إلــيه يحيـى بن عبـاد, قال: وَلا تَقُولَنّ لِشَيْءٍ إنّـي فـاعِلٌ ذلكَ غَدا إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ وَاذْكُرْ رَبّكَ إذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أنْ يَهْدِيَنَ رَبّـي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَـدا قـال فقـال: وإذا نسي الإنسان أن يقول: إن شاء الله, قال: فتوبته مـن ذلـك, أو كفّــارة ذلك أن يقول: عَسَى أنْ يَهْدِينِ رَبّـي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدا.

الآية : 25 و 26

القـول فــي تأويــل قـولـه تعالــى: {وَلَبِثُـواْ فِـي كَهْفِهِـمْ ثَلاثَ مِئَـةٍ سِـنِينَ وَازْدَادُواْ تِسْعاً * قُلِ اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُ غَيْبُ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مّن دُونِهِ مِن وَلِيّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً }.

اختلف أهل التأويـل فـي معنى قوله وَلَبَثُوا فِـي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِــينَ وَازْدَادُوا تِسْعا فقال بعضهم: ذلك خبر من الله تعالـى ذكره عن أهل الكتــاب أنهم يقولون ذلك كذلك, واستشهدوا علـى صحة قولهم ذلك بقوله: قُلِ اللّــهُ أعْلَـمُ بِـمَا لَبِثُوا وقالوا: لو كان ذلك خبرا من الله عن قدر لبثهم فـي الكهف,

لـم يكن لقوله قُلِ اللّهُ أعْلَـمُ بِـمَا لَبِثُوا وجه مفهوم, وقـد أعلــم اللـه خــلقه مبلغ لبثهم فـيه وقدره. ذكر من قال ذلك:
17342ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَبِثُوا فِـي كَهْفِهِمْ ثلاثَ مِئَـةٍ سِنِــينَ وَازْدَادُوا تِسْـعا هـذا قـول أهـل الكتـاب, فردّه الله علـيهم فقال: قُلِ اللّهُ أعْلَـمُ بِـمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السّمَواتِ والأرْضِ.
حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة فـي قوله وَلَبِثُوا فِـي كَهْفِهِمْ ق ال: فـ ي حـرف ابن مسـعود: «وَقـالُوا وَلَبِثُوا» يعنـي أنه قال الناس, ألا ترى أنه قال: قُلِ اللّهُ أعْلَـمُ بِـمَا لَبِثُوا.
17343ـ حدثنا علـيّ بن سهل, قال: حـدثنا ضـمرة بـن ربــيعة, عـن ابـن شوذب عن مطر الورّاق, فـي قول الله: وَلَبِثُوا فِـي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِــينَ قال: إنـما هو شيء قالته الـيهود, فردّه الله علــيهم وقـال: قُـلِ اللّـهُ أعْلَــمُ بِـمَا لَبِثُوا.
وقال آخرون: بل ذلك خبر من الله عن مبلغ ما لبثوا فـي كهفهم. ذكر من قال ذلك:
17344ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحرث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مــجاهد وَلَبِثُـوا فِــي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَـةٍ سِنِــينَ وَازْدَادُوا تِسْعا قال: عدد ما لبثوا.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد بنـحوه, وزاد فـيه قُلِ اللّهُ أعْلَـمُ بِـمَا لَبِثُوا.
17345ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن عبد العزيز بن أبـي رواد, عن عبد الله بن عبـيد بن عمير, قال: ولَبَثُـوا فــي كَهْفِهِـم ثَلاثَ مِئَـةٍ سِنِــينَ وَازْدَادُوا تِسْعا قال: وتسع سنـين.
17346ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق بنـحوه.
17347ـ حدثنا موسى بـن عبـد الرحمـن الـمسروقــي, قـال: حـدثنا أبـو أسامة, قال: ثنـي الأجلـح, عن الضحاك بن مزاحم, قـال: نزلـت هـذه الآيـة وَلَبِثُوا فِـي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ فقالوا: أيامـا أو أشـهرا أو سنــين؟ فـأنزل اللـه: سِنِـينَ وَازْدَادُوا تِسْعا.
17348ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحرث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد وَلَبِثُوا فـي كَهْفِهِمْ قال: بـين جبلـين.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.
وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب أن يقال كما قال الله عزّ ذكره: ولبـث أصحاب الكهف فـي كهفهم رقـودا إلــى أن بعثهـم اللـه, لـيتساءلوا بـينهم, وإلـى أن أعثر علـيهم من أعثر, ثلاث مئة سنـين وتسع سنـين, وذلك أن الله بذلك أخبر فـي كتابه. وأما الذي ذُكر عن ابن مسعود أنه قرأ «وَقالُوا: وَلَبِثُـوا فِـي كَهْفِهِم» وقول من قال: ذلك من قول أهل الكتـاب, وقـد ردّ اللـه ذلـك علـيهم, فَإن معناه فـي ذلك: إن شاء الله كان أن أهل الكتـاب قـالوا فيــما ذكر علـى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن للفتـية من لـدن دخــلوا الكهف إلـى يومنا ثلاث مئة سنــين وتسـع سنــين, فـردّ اللـه ذلـك علــيهم, وأخبر نبـيه أن ذلـك قـدر لبثهـم فــي الكهـف مـن لـدن أوَوا إلــيه أن بعثهـم

ليتساءلوا بينهم ثم قال جلّ ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم, من بعد أن بعثهم من رقدتهم إلى يومهم هذا, لا يعلم بذلك غير الله, وغير من أعلمه الله ذلك.

فإن قال قائل: وما يدلّ على أن ذلك كذلك؟ قيل: الدالّ على ذلك أنه جلّ ثناؤه ابتدأ الخبر عن قدر لبثهم في كهفهم ابتداء, فقال: وَلِبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سنينَ وَازْدَادُوا تسْعا ولم يضع دليلاً على أن ذلك خبر منه عن قول قوم قالوه, وغير جائز أن يضاف خبره عن شيء إلى أنه خبر عن غيره بغير برهان, لأن ذلك لو جاز جاز في كلّ أخباره, وإذا جاز ذلك في أخباره جاز في أخبار غيره أن يضاف إليه أنها أخباره, وذلك قلب أعيان الحقائق وما لا يخيل فساده.

فإن ظنّ ظانّ أن قوله: قُلِ اللّهُ أعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا دليل على أن قوله: وَلِبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ خبر منه عن قوم قالوه, فإن ذلك كان يجب أن يكون كذلك لو كان لا يحتمل من التأويل غيره فأما وهو محتمل ما قلنا من أن يكون معناه: قل الله أعلم بما لبثوا إلى يوم أنزلنا هذه السورة, وما أشبه ذلك من المعاني فغير واجب أن يكون ذلك دليلاً على أن قوله: وَلِبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ خبر من الله عن قوم قالوه, وإذا لم يكن دليلاً على ذلك, ولم يأت خبر بأن قوله: وَلِبِثُوا في كَهْفِهِمْ خَبر من الله عن قوم قالوه, ولا قامت بصحة ذلك حجة يجب التسليم لها, صحّ ما قلنا, وفسَد ما خالفه.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ فقرأت ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفين ثَلاثِ مِئَةٍ سِنِينَ بتنوين: ثلاث مئةٍ, بمعنى: ولبثوا في كهفهم سنين ثلاث مئة. وقرأته عامة قرّاء أهل الكوفة: «ثَلاثَ مِئَةِ سِنِينَ» بإضافة ثلاث مئة إلى السنين, غير منوّن.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراة من قرأه: ثلاثَ مِئَةٍ بالتنوين سِنِينَ, وذلك أن العرب إنما تضيف المئة إلى ما يفسرها إذا جاء تفسيرها بلفظ الواحد, وذلك كقولهم ثلاث مئة درهم, وعندي مئة دينار, لأن المئة والألف عدد كثير, والعرب لا تفسر ذلك إلا بما كان بمعناه في كثرة العدد, والواحد يؤدّي عن الجنس, وليس ذلك للقليل من العدد, وإن كانت العرب ربما وضعت الجمع القليل موضع الكثير, وليس ذلك بالكثير. وأما إذا جاء تفسيرها بلفظ الجمع, فإنها تنوّن, فتقول: عندي ألفٌ دراهمُ, وعندي مئةٌ دنانير, على ما قد وصفت.

وقوله: لَهُ غَيْبُ السّمَوَاتِ والأرْضِ يقول تعالى ذكره: لله علم غيب السموات والأرض, لا يعزب عنه علمَ شيء منه, ولا يخفى عليه شيء, يقول: فسلموا له علم مبلغ ما لبثت الفتية في الكهف إلى يومكم هذا, فإن ذلك لا يعلمه سوى الذي يعلم غيب السموات والأرض, وليس ذلك إلا الله الواحد القهار.

وقوله: أبْصرْ بِهِ وأسمِعْ يقول: أبصر بالله وأسمع, وذلك بمعنى المبالغة في المدح, كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه.

وتأويل الكلام: ما أبصر الله لكلّ موجود, وأسمعه لكلّ مسموع, لا يخفى عليه من ذلك شيء, كما:

17349ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أبْصرْ بِهِ وأسمِعْ فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع, تبارك وتعالى.

17350ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أَبْصِرْ بِهِ وأسمِعْ ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيّ قال: يرى أعمالهم, ويسمع ذلك منهم سميعا بصيرا.

وقوله: ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيّ يقول جلّ ثناؤه: ما لخلقه دون ربهم الذي خلقهم وليّ, يلي أمرهم وتدبيرهم, وصرفهم فيما هم فيه مصرفون. وَلا يُشْرِكُ فِي حُكمِهِ أحَدا يقول: ولا يجعل الله في قضائه, وحكمه في خلقه أحدا سواه شريكا, بل هو المنفرد بالحكم والقضاء فيهم, وتدبيرهم وتصريفهم فيما شاء وأحبّ.

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاتْلُ مَآ أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبّكَ لاَ مُبَدّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واتبع يا محمد ما أنزل إليك من كتاب ربك هذا, ولا تتركنّ تلاوته, واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه, والعمل بحلاله وحرامه, فتكون من الهالكين وذلك أن مصير من خالفه, وترك اتباعه يوم القيامة إلى جهنم لا مُبَدّلَ لكَلِماتِهِ يقول: لا مغير لما أوعد بكلماته التي أنزلها عليك أهل معاصيه, والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحيناه إليك.

وقوله: وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدا يقول: وإن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك فتتبعه وتأتمّ به, فنالك وعيد الله الذي أوعد فيه المخالفين حدوده, لن تجد من دون الله موئلاً تئل إليه ومعدلاً تعدل عنه إليه, لأن قدرة الله محيطة بك وبجميع خلقه, لا يقدر أحد منهم على الهرب من أمر أراد به.

وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: مُلْتَحَدا قال أهل التأويل, وإن اختلفت ألفاظهم في البيان عنه. ذكر من قال ذلك:

17351ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن سفيان, عن منصور, عن مجاهد, في قوله: مُلْتَحَدا قال: مَلْجَأ.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مُلْتَحَدا قال: ملجأ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

17352ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدا قال: موئلاً.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: مُلْتَحَدا قال: ملجأ ولا موئلاً.

17353ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدا قال: لا يجدون ملتحدا يلتحدونه, ولا يجدون من دونه ملجأ ولا أحدا يمنعهم. والملتحد: إنما هو المفتعل من اللحد, يقال منه: لحدت إلى كذا: إذا ملت إليه ومنه قيل للحد: لحد, لأنه في ناحية من القبر, وليس بالشقّ الذي في وسطه, ومنه الإلحاد في الدين, وهو المعاندة بالعدول عنه, والترك له.

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَاصْبِرْ يا محمد نَفْسَكَ مَعَ أصحابك الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها يُرِيدُونَ بفعلهم ذلك وَجْهَهُ لا يريدون عرضا من عرض الدنيا.

وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في قوله يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ في سورة الأنعام, والصواب من
القول في ذلك عندنا, فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. والقرّاء على قراءة ذلك: بالغَدَاة والعَشِيّ, وقد ذُكر عن عبد الله بن عامر وأبي عبد الرحمن السلمي أنهما كانا يقرآنه: «بالغدوة والعشيّ», وذلك قراءة عند أهل العلم بالعربية مكروهة, لأن غدوة معرّفة, ولا ألف ولا لام فيها, وإنما يعرّف بالألف واللام ما لم يكن معرفة فأما المعارف فلا تعرّف بهما. وبعد, فإن غدوة لا تضاف إلى شيء, وامتناعها من الإضافة دليل واضح على امتناع الألف واللام من الدخول عليها, لأن ما دخلته الألف واللام من الأسماء صلحت فيه الإضافة وإنما تقول العرب: أتيتك غداة الجمعة, ولا تقول: أتيتك غدوة الجمعة, والقراءة عندنا في ذلك ما عليه القرّاء في الأمصار لا نستجيز غيرها لإجماعها على ذلك, وللعلة التي بيّنا من جهة العربية.

وقوله: وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ يقول جلّ ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم: ولا تصرف عيناك عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم إلى غيرهم من الكفار, ولا تجاوزهم إليه وأصله من قولهم: عدوت ذلك, فأنا أعدوه: إذا جاوزته. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17354ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, في قوله: وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ قال: لا تجاوزهم إلى غيرهم.

حدثني عليّ, قال: ثني عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ يقول: لا تتعدّهم إلى غيرهم.

17355ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: واصْبِرْ نَفْسِكَ... الآية, قال: قال القوم للنبيّ صلى الله عليه وسلم: إنا نستحيي أن نجالس فلانا وفلانا, فجانبهم يا محمد, وجالس أشراف العرب, فنزل القرآن وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاة والعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ ولا تحقرهم, قال: قد أمروني بذلك, قال: وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكرِنا وَاتّبَعَ هَوَاهُ وكانَ أمْرُهُ فُرُطا.

17356ـ حدثنا الربيع بن سليمان, قال: حدثنا ابن وهب, قال: أخبرني أسامة بن زيد, عن أبي حازم, عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف, أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بضع أبياته وَاصْبِر نَفْسَكَ مَعَ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ

فخرج يلتمس, فوجد قوما يذكرون الله, منهم ثائر الرأس, وجافّ الجلد, وذو الثوب الواحد, فلما رآهم جلس معهم, فقال: «الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي جَعَلَ لِي فِي أُمّتي مَنْ أمرني أنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُ» ورُفعت العينان بالفعل, وهو لا تعد.

وقوله: تُرِيدُ زِينَة الحَياةَ الدّنيْا يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: لا تعدُ عيناك عن هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم إلى أشراف المشركين, تبغي بمجالستهم الشرف والفخر وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيما ذكر قوم من عظماء أهل الشرك, وقال بعضهم: بل من عظماء قبائل العرب ممن لا بصيرة لهم بالإسلام, فرأوه جالسا مع خباب وصهيب وبلال, فسألوه أن يقيمهم عنه إذا حضروا, قالوا: فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأنزل الله عليه: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ثم كان يقوم إذا أراد القيام, ويتركهم قعودا, فأنزل الله عليه وَاصْبِرْ نَفسَكَ مَعَ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيّ... الآية وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَياةِ الدّنيْا يريد زينة الحياة الدنيا: مجالسة أولئك العظماء الأشراف, وقد ذكرت الرواية بذلك فيما مضى قبل في سورة الأنعام.

17357ـ حدثني الحسين بن عمرو العنقزي, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا أسباط بن نصر, عن السدي, عن أبي سعيد الأزدي, وكان قارىء الأزد عن أبي الكنود, عن خباب في قصة ذكرها عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, ذكر فيها هذا الكلام مدرجا في الخبر وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَياةِ الدّنيْا قال: تجالس الأشراف.

17358ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرت أن عيينة بن حصن قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم: لقد آذاني ريح سلمان الفارسي, فاجعل لنا مجلسا منك لا يجامعوننا فيه, واجعل لهم مجلسا لا نجامعهم فيه, فنزلت الآية.

17359ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قال: ذُكر لنا أنه لما نزلت هذه الآية قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «الحَمْدِ لِلّهِ الّذِي جَعَلَ فِي أُمّتي مَنْ أُمِرْتُ أنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُ».

17360ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله تُرِيدُ زِينَةَ الحَياةِ الدّنيْا قال: تريد أشراف الدنيا.

17361ـ حدثنا صالح بن مسمار, قال: حدثنا الوليد بن عبد الملك, قال: سليمان بن عطاء, عن مسلمة بن عبد الله الجهنيّ, عن عمه أبي مشجعة بن ربعي, عن سلمان الفارسي, قال: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: عيينة بن حصن, والأقرع بن حابس وذووهم, فقالوا: يا نبيّ الله, إنك لو جلست في صدر المسجد, ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم يعنون سلمان وأبا ذرّ وفقراء المسلمين, وكانت عليهم جباب الصوف, ولم يكن عليهم غيرها جلسنا إليك وحادثناك, وأخذنا عنك فأنزل الله: وَاتْلُ ما أُوحِيَ إلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبّكَ لا مُبَدّلَ لِكَلِماتِهِ وَلَنْ تَجدَ مِنْ دُونهِ مُلْتَحَدا, حتى بلغ إنّا أعْتَدْنا للظّالِمِينَ نارا يتهدّدهم بالنار فقام نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله, فقال: «الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي لَمْ يُمتْنِي حتى

أمَرَنِـي أنْ أَصْـبِرَ نَفْسِـي مَـعَ رجِـالٍ مِـنْ أُمّتِـي, مَعَكُـمُ الـمَـحيْا وَمَعَكُـمُ الـمَـماتُ».

وقوله: وَلا تُطعْ مَنْ أغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتّبَعَ هَـوَاهُ يقـول تعالـى ذكـره لنبـيه صلى الله عليه وسلم: ولا تطع يا مـحمد من شـغلنا قلبـه مـن الكفـار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بـالغداة والعشـيّ عنـك, عـن ذكرنا, بـالكفر وغلبة الشقاء علـيه, واتبع هواه, وترك اتبـاع أمر اللـه ونهيـه, وآثر هوى نفسه علـى طاعة ربه, وهم فـيـما ذُكر: عيـينة بن حصن, والأقـرع بن حابس وذووهم.

17362ـ حدثنـي الـحسين بن عمرو بن مـحمد العنقزي, قال: حدثنا أبـي, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, عن أبـي سـعيد الأزدي, عـن أبــي الكنـود, عن خبـاب وَلا تُطِعْ مَنْ أغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا قال: عيُـينة, والأقرع.

وأما قوله: وكانَ أمْرُهُ فُرُطا فإن أهل التأويـل اختلفوا فـي تأويـله, فقـال بعضهم: معناه: وكان أمره ضياعا. ذكر من قال ذلك:

17363ـ حدثنا مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحرث, قال: حدثنا الـحسن, قـال حـدثنا ورقـاء, جميعـا عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد فـي قول الله: وكانَ أمْرُهُ فُرُطا قال ابن عمرو فـي حديثه قال: ضائعا. وقال الـحرث فـي حديثه: ضياعا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, قال: ضياعا.

وقال آخرون: بل معناه: وكان أمره ندما. ذكر من قال ذلك:

17364ـ حدثنا مـحمد بن الـمثنى, قال: حـدثنا بـدل بـن الـمــحبر, قـال: حدثنا عبـاد بن راشد, عن داود فُرُطا قال: ندامة.

وقال آخرون: بل معناه: هلاكا. ذكر من قال ذلك:

17365ـ حدثنـي الـحسين بن عمرو, قال: حدثنا أبـي, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, عن أبـي سعيد الأزدي, عن أبـي الكنود, عن خبـاب وكانَ أمْـرُهُ فُرُطا قال: هلاكا.

وقال آخرون: بل معناه: خلافـا للـحق. ذكر من قال ذلك:

17366ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: وكـانَ أمْرُهُ فُرُطا قال: مخالفـا للـحقّ, ذلك الفُرُط.

وأولـى الأقوال فـي ذلك بـالصواب, قول من قال: معناه: ضـياعا وهلاكـا, من قولهم: أفـرط فلان فــي هـذا الأمـر إفراطـا: إذا أسـرف فــيه وتــجاوز قدره, وكذلك قوله: وكانَ أمْرُهُ فُرُطا معناه: وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبـه عن ذكرنا فـي الرياء والكبر, واحتقار أهل الإيـمان, سرفـا قـد تــجاوز حـدّه, فَضَيّع بذلك الـحقّ وهلك. وقد:

17367ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, قال: قيــل لـه: كيف قرأ عاصم؟ فقال كانَ أمْرُهُ فُرُطا قال أبو كريـب: قـال أبـو بكـر: كـان عُيـينة بن حصن يفخر بقول أنا وأنا.

الآية : 29

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَقُلِ الْحَقّ مِن رّبّكُمْ فَمَـن شَـآءَ فَلْيُـؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنّا أَعْتَدْنَا لِلظّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُـرَادِقُهَا وَإِن يَسْـتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوجُوهَ بِئْسَ الشّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا, واتبعوا أهواءهم: الحقّ أيها الناس من عند ربكم, وإليه التوفيق والخذلان, وبيده الهدى والضلال يهدي من يشاء منكم للرشاد, فيؤمن, ويضلّ من يشاء عن الهدى فيكفر, ليس إليّ من ذلك شيء, ولست بطارد لهواكم من كان للحقّ متبعا, وبالله وبما أنزل عليّ مؤمنا, فإن شئتم فآمنوا, وإن شئتم فاكفروا, فإنكم إن كفرتم فقد أعدّ لكم ربكم على كفركم به نار أحاط بكم سرادقها, وإن آمنتم به وعملتم بطاعته, فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته. وروي عن ابن عباس في ذلك ما:

17368ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ يقول: من شاء الله له الإيمان آمن, ومن شاء الله له الكفر كفر, وهو قوله: وَما تَشاءُونَ إلاّ أنْ يَشاءَ اللّهُ رَبْ العَالَمِينَ وليس هذا بإطلاق من الله الكفر لمن شاء, والإيمان لمن أراد, وإنما هو تهديد ووعيد.

وقد بين أن ذلك كذلك قوله: إنّا اعْتَدْنا للظّالِمينَ نارا والآيات بعدها. كما:

17369ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن عمر بن حبيب, عن داود, عن مجاهد, في قوله: فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ. قال: وعيد من الله, فليس بمعجزي.

17370ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ, وقوله اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ قال: هذا كله وعيد ليس مصانعة ولا مراشاة ولا تفويضا. وقوله: إنّا أعْتَدْنا للظّالِمينَ نارا يقول تعالى ذكره: إنا أعددنا, وهو من العُدّة. للظالمين: الذين كفروا بربهم. كما:

17371ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّا أعْتَدْنا للظّالِمِينَ نارا أحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُها قال: للكافرين.

وقوله: أحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُها يقول: أحاط سرادق النار التي أعدّها الله للكافرين بربهم, وذلك فيما قيل: حائط من نار يطيف بهم كسرادق الفسطاط, وهي الحجرة التي تطيف بالفسطاط, كما قال رؤبة:

يا حَكَمَ بنَ المُنْذِرِ بْنَ الجارُودْسُرادِقُ الفَضْلِ عَلَيْكَ مَمْدُودْ

وكما قال سلامة بن جندل:

هُوَ المُولِجُ النّعْمانَ بيْتا سَماؤُهُصُدُورُ الفُيُولِ بعدَ بَيْتٍ مُسَرْدَق

يعني: بيتا له سرادق. ذكر من قال ذلك:

17372ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, في قوله: إنّا أعْتَدْنا للظّالِمِينَ نارا أحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُها قال: هي حائط من نار.

17373ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عمن أخبره, قال أحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا قال: دخان يحيط بالكفار يوم القيامة, وهو الذي قال الله: ظِلّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ.

وقد رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في ذلك خبر يدلّ على أن معنى قوله أحاطَ بِهِمْ سرادِقُها أحاط بهم ذلك في الدنيا, وأن ذلك السرادق هو البحر. ذكر من قال ذلك:

17374ـ حدثني العباس بن محمد والحسين بن نصر, قالا: حدثنا أبو عاصم, عن عبد الله بن أمية, قال: ثني محمد بن حيي بن يعلى, عن صفوان بن يعلى, عن يعلى بن أمية, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البَحْرُ هُوَ جَهَنّمُ» قال: فقيل له: كيف ذلك, فتلا هذه الآية, أو قرأ هذه الآية: نارا أحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُها ثم قال: واللّهِ لا أدْخُلُها أبَدا أوْ ما دُمْتُ حَيّا, وَلا تُصِيبُني مِنْها قَطْرَة.

17375ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا يعمر بن بشر, قال: حدثنا ابن المبارك, قال: أخبرنا رشدين بن سعد, قال: ثني عمرو بن الحارث, عن أبي السمح, عن أبي الهيثم, عن أبي سعيد الخدري, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «سُرَادِقُ النّارِ أرْبَعَةُ جُدُرٍ, كِثْفُ كُلّ وَاحِدٍ مِثْلُ مَسِيرَةِ أرْبعِينَ سَنَةً».

حدثنا بشر, قال: حدثنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحارث, عن درّاج, عن أبي الهيثم, عن أبي سعيد, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنّ لِسُرَادِقِ النّارِ أرْبَعَةَ جُدُرٍ, كِثْفُ كُلّ وَاحِدَة مِثْلُ مَسِيرةِ أرْبَعِينَ سَنَةً».

17376ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو, عن دراج, عن أبي الهيثم, عن أبي سعيد, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ماءٌ كالمُهْلِ», قالَ: «كَعَكَرِ الزّيْتِ, فإذَا قَرّبَهُ إلَيْه سقط فَرْوَةُ وَجْهِهِ فِيهِ».

وقوله: وَإن يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِمَاءٍ كالمُهْلِ يقول تعالى ذكره: وإن يستغث هؤلاء الظالمون يوم القيامة في النار من شدّة ما بهم من العطش, فيطلبونَ الماء يُغاثوا بماء المُهْل.

واختلف أهل التأويل في المهل, فقال بعضهم: هو كلّ شيء أذيب وإنماع. ذكر من قال ذلك:

17377ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ذُكر لنا أن ابن مسعود أهديت إليه سِقاية من ذهب وفضة, فأمر بأخدود فخدّ في الأرض, ثم قذف فيه من جزل حطب, ثم قذف فيه تلك السقاية, حتى إذا أزبدت وانماعت قال لغلامه: ادع من يحضُرنا من أهل الكوفة, فدعا رهطا, فلما دخلوا عليه قال: أترون هذا؟ قالوا: نعم, قال: ما رأينا في الدنيا شبيها للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة, حين أزبد وإنماع.

وقال آخرون: هو القيح والدم الأسود. ذكر من قال ذلك:

17378ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام عن عنبسة, عن محمد بن عبد الرحمن, عن القاسم, عن أبي بَزّة, عن مجاهد في قوله: وَإنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثوا بِمَاءٍ كالمُهْلِ قال: القيح والدم.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد بمَاءٍ كالمُهْلِ قال: القيح والدم الأسود, كعكر الزيت. قال الحرث في حديثه: يعني دردّيّة.

17379ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: كالمُهْلِ قال: يقول: أسود كهيئة الزيت.

17380ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: بِمَاءٍ كالمَهْلِ ماء جهنم أسود, وهي سوداء, وشجرها أسود, وأهلها سود.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَإنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِمَاءٍ كالمُهْلِ قال: هو ماء غليظ مثل دردي الزيت.

وقال آخرون: هو الشيء الذي قد انتهى حرّة. ذكر من قال ذلك:

17381ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القمي, عن جعفر وهارون بن عنترة, عن سعيد بن جبير, قال: المهل: هو الذي قد انتهى حرّة.

وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها, فمتقاربات المعنى, وذلك أن كلّ ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حرّة, وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردي الزيت, فقد انتهى أيضا حرّة. وقد:

17382ـ حُدثت عن معمر بن المثنى, أنه قال: سمعت المنتجع بن نبهان يقول: والله لفلان أبغض إليّ من الطلياء والمهل, قال: فقلنا له: وما هما؟ فقال: الجرباء, والملة التي تنحدر عن جوانب الخبزة إذا ملت في النار من النار, كأنها سهلة حمراء مدققة, فهي أحمره, فالمهل إذا هو كلّ مائع قد أوقد عليه حتى بلغ غاية حرّة, أو لم يكن مائعا, فإنماع بالوقود عليه, وبلغ أقصى الغاية في شدّة الحرّ.

وقوله: يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ يقول جلّ ثناؤه: يشوي ذلك الماء الذي يغاثون به وجوههم. كما:

17383ـ حدثني محمد بن خلف العسقلاني, قال: حدثنا حيوة بن شريح, قال: حدثنا بقية, عن صفوان بن عمرو, عن عبد الله بن بُسْر هكذا قال ابن خلف عن أبي أمامة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, في قوله ويُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرّعُهُ قال: «يقرب إليه فيتكرّهه, فإذا قرب منه, شوى وجهه, ووقعت فَرْوة رأسه, فإذا شربه قطع أمعاءه», يقول الله: وَإنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِمَاءٍ كالمُهْلِ يَشوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطالَقاني ويعمر بن بشر, قالا: حدثنا ابن المبارك, عن صفوان, عن عبد الله بن بُسْر, عن أبي أمامة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بمثله.

17384ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر وهارون بن عنترة, عن سعيد بن جبير, قال هارون: إذا جاع أهل النار. وقال جعفر: إذا جاء أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم, فأكلوا منها, فاختلست جلود وجوههم, فلو أن مارّا مارّ بهم يعرفهم, لعرف جلود وجوههم فيها, ثم يصبّ عليهم العطش, فيستغيثون, فيغاثون بماء كالمهل, وهو الذي قد انتهى حرّة, فإذا أدنوه من أفواههم انشوى من حرّة لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود.

وقوله: بِئْسَ الشَّرابُ يقول تعالى ذكره: بئس الشراب, هذا الماء الذي يغاث به هؤلاء الظالمون في جهنم الذي صفته ما وصف في هذه الآية.

وقوله: وَساءَتْ مُرْتَفَقا يقول تعالى ذكره: وساءت هذه النار التي أعتدناها لهؤلاء الظالمين مرتفقا والمرتفَق في كلام العرب: المتكأ, يقال منه: ارتفقت إذا اتكأت, كما قال الشاعر:

قالَتْ لَهُ وَارْتَفَقَتْ ألا فَتَيَسُوقُ بالقَوْمِ غَزَالاتِ الضّحَى

أراد: واتكأت على مرفقها وقد ارتفق الرجل: إذا بات على مرفقه لا يأتيه نوم, وهو مرتفق, كما قال أبو ذؤيب الهذليّ:
نامَ الخَلِيّ وَبِتّ اللّيْلَ مُرْتَفِقاكأنّ عَيْنِيَ فِيها الصّابُ مَذْبُوحُ
وأما من الرفق فإنه يقال: قد ارتفقت بك مرتفقا, وكان مجاهد يتأوّل قوله: وَساءَتْ مُرْتَفَقا يعني المجتمع. ذكر الرواية بذلك:
17385ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مُرْتَفَقا: أي مجتمعا.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا معتمر, عن ليث, عن مجاهد وَساءَتْ مُرْتَفَقَا قال: مجتمعا.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد مثله.
ولست أعرف الارتفاق بمعنى الاجتماع في كلام العرب, وإنما الارتفاق: افتعال, إما من المرفق, وإما من الرفق.

الآية : 30

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ إِنّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً }.
يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله, وعملوا بطاعة الله, وانتهوا إلى أمره ونهيه, إنا لا نضيع ثواب من أحسن عملاً, فأطاع الله, واتبع أمره ونهيه, بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.
فإن قال قائل: وأين خَبَر «إنّ» الأولى؟ قيل: جائز أن يكون خبرها قوله: إنّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً فيكون معنى الكلام: إنا لا نضيع أجر من عمل صالحا, فترك الكلام الأوّل, واعتمد على الثاني بنية التكرير, كما قيل: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشّهْرِ الحَرَامِ قِتالٍ فِيهِ بمعنى: عن قتال فيه على التكرير, وكما قال الشاعر:
إنّ الخَلِيفَةَ إنّ اللّهَ سَرْبَلَهُسِرْبالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الخَواتِيمُ
ويروى: تُرْخَى وجائز أن يكون: إنّ الّذِينَ آمَنُوا جزاءً, فيكون معنى الكلام: إن من عمل صالحا فإنا لا نضيع أجره, فتضمر الفاء في قوله «إنّا» وجائز أن يكون خبرها: أولئك لهم جنات عدن, فيكون معنى الكلام: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات, أولئك لهم جنات عدن.

الآية : 31

القول في تأويل قوله تعالى: {أُوْلَـَئِكَ لَهُمْ جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأنْهَارُ يُحَلّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مّتّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأرَآئِكِ نِعْمَ الثّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً }.
يقول تعالى ذكره: لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتُ عدن, يعني بساتين إقامة في الآخرة. تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأنهَارُ يقول: تجري من دونهم ومن أيديهم الأنهار. وقال جلّ ثناؤه: من تحتهم, ومعناه: من دونهم وبين أيديهم, يُحَلّوْنَ فِيها مِنْ أساوِرَ يقول: يلبسون فيها من الحليّ أساور من ذهب, والأساور: جمع إسوار.

وقوله: يَـلْبَسُونَ ثِـيابـا خُضْرا مِنْ سُنْدُسٍ والسندس: جمع واحدها سندسة, وهـي مـا رقّ مـن الديبــاج: والاسـتبرق: مـا غلـظ منـه وَثــخُن وقـيــل: إن الاستبرق: هو الـحرير ومنه قول الـمرَقّش:
تَرَاهُنّ يَـلْبَسْنَ الـمَشاعِرَ مَرّةً‌واسْتَبْرَقَ الدّيبـاجِ طَوْرا لِبـاسُها
يعنـي: وغلـيظ الديبـاج.
وقوله: مُتّكِيئنَ فِـيها علـى الأرَائِكِ يقول: متكئين فـي جنـات عـدن علــى الأرائك, وهي السّرُر فـي الـحِجال, واحدتها: أريكة ومنه قول الشاعر:
خُدُودا جَفَتْ فـي السّيْرِ حتـى كأنّـمايُبـاشِرْنَ بـالـمَعْزاءِ مَسّ الأرَائِك
ومنه قول الأعشى:
بـينَ الرّوَاقِ وجانِبٍ مِنْ سِتْرِهامِنْها وبـينَ أرِيكَةٍ الأنْضادِ
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك, قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
17386ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الـرزاق, قـال: أخبرنـا معمر, عن قتادة, فـي قوله عَلَـى الأرَائِكِ قـال: هـي الــحجال. قـال معمـر, وقال غيره: السرر فـي الـحجال.
وقوله: نِعْمَ الثّوَابُ يقول: نعم الثواب جنات عدن, وما وصف جلّ ثناؤه أنه جعل لهؤلاء الذين آمنوا وعلـموا الصالـحات وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقا يقول: وحسُنت هذه الأرائك فـي هذه الـجنان التـي وصف تعالـى ذكره فـي هذه الآيـة متكـأ.
وقال جلّ ثناؤه: وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقا فأنث الفعل بـمعنى: وحسنت هذه الأرائـك مرتَفَقا, ولو ذكر لتذكير الـمرتفق كان صوابـا, لأن نِعْم وبِئْس إنـما تدخــلهما العرب فـي الكلام لتدلا علـى الـمدح والـذمّ لا للفعـل, فلـذلك تـذكرهما مـع الـمؤنث, وتوحّدهما مع الاثنـين والـجماعة.

الآية : 32 -34

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَاضْرِبْ لهُمْ مّثَلاً رّجُلَيْـنِ جَعَلْنَـا لأحَـدِهِمَا جَنّتَيْنِ مِنْ أعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعـاً * كِلْتَـا الْجَنّتَيْـنِ آتَـتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مّنْهُ شَيْئاً وَفَجّرْنَآ خِلالَهُمَا نَهَراً * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لَصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزّ نَفَراً }.
يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: واضرب يا مـحمد لهؤلاء الـمشركين بـالله, الذين سألوك أن تطرُد الذين يدعون ربهم بـالغداة والعشيّ يريدون وجهه, مَثلاً مثل رَجُلَـينِ جَعَلْنا لأَحَدهِما جَنّتَـيْنِ أي جعلنـا لـه بساتـين من كروم وحَفَفْناهُمَا بنَـخْـلٍ يقول: وأطفنا هذين البساتـين بنـخــل. وقوله: وَجَعَلْنا بَـيْنَهُما زَرْعـا يقـول: وجعلنـا وسـط هـذين البساتــين زرعـا. وقوله: كِلْتا الـجَنّتَـيْنِ آتَتْ أُكُلَها يقول: كلا البستانـين أطعـم ثمـره ومـا فــيه من الغروس من النـخـل والكرم وصنوف الزرع. وقـال: كلتـا الـجنتــين, ثـم قال: آتت, فوحّد الـخبر, لأن كلتـا لا يفـرد واحـدتها, وأصـله كـلّ, وقـد تفـرد العرب كلتا أحيانا, ويذهبون بها وهي مفردة إلـى التثنــية قـال بعـض الرّجـاز فـي ذلك:
فِـي كِلْتَ رِجْلَـيْها سُلاَمي وَاحدَهكِلْتاهُما مَقْرُونَةٌ بِزَائِدَهْ
يريد بكلت: كلتا, وكذلك تفعل بكلتا وكلا وكل إذا أضيفت إلـى معرفة, وجاء الفعل بعدهن ويجمع ويوحد. وقوله: ولَـمْ تَظْلِـمْ مِنْهُ شَيْئا يقول: ولـم تنقص من الأكل شيئا, بل آتت ذلك تاما كاملاً, ومنه قولهم: ظلـم فلان فلانـا حقّـه: إذا بخَسَهُ ونقصه, كما قال الشاعر:
تَظَلّـمَنِـي ما لـي كَذَا وَلَوى يَدِيلَوَى يَدَهُ اللّهُ الّذِي هُوَ غالِبُهْ

وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
17387ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ولَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئا: أي لم تنقص منه شيئا.
وقوله: وَفَجّرْنا خِلاَلَهُما نَهَرا يقول تعالى ذكره: وَسيّلنا خلال هذين البستانين نهرا, يعني بينها وبين أشجارهما نهرا. وقيل: وفَجّرْنا فثقل الجيم منه, لأن التفجير في النهر كله, وذلك أنه يميد ماء فيُسيل بعضه بعضا.
وقوله: وكانَ لَهُ ثَمَرٌ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق: «وكانَ لَهُ ثُمُرٌ» بضمّ الثاء والميم. واختلف قارئو ذلك كذلك, فقال بعضهم: كان له ذهب وفضة, وقالوا: ذلك هو الثمر, لأنها أموال مثمرة, يعني مكّثرة. ذكر من قال ذلك:

17388ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: وكانَ لَهُ ثَمَرٌ قال: ذهب وفضة, وفي قول الله عزّ وجلّ: بِثُمُرِهِ قال: هي أيضا ذهب وفضة.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, في قوله ثَمَرٌ قال: ذهب وفضة. قال: وقوله: وأُحِيطَ بِثُمُرِهِ هي هي أيضا.
وقال آخرون: بل عُنِي به: المال الكثير من صنوف الأموال. ذكر من قال ذلك:
17389ـ حدثنا أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: ثني حجاج, عن هارون, عن سعيد بن أبي عَروبة, عن قتادة, قال: قرأها ابن عباس: «وكانَ لَهُ ثُمُرٌ» بالضمّ, وقال: يعني أنواع المال.
حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس: «وكانَ لَهُ ثُمُرٌ» يقول: مال.
17382حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد. قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله: «وكانَ لَهُ ثُمُرٌ» يقول: من كلّ المال.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله وأُحِيطَ بِثُمُرِهِ قال: الثمر من المال كله يعني الثمر, وغيره من المال كله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قتادة, قال: «الثّمُر» المال كله, قال: وكلّ مال إذا اجتمع فهو ثُمُر إذا كان من لون الثمرة وغيرها من المال كله.
وقال آخرون: بل عنى به الأصل. ذكر من قال ذلك:
17390ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: «وكانَ لَهُ ثُمُرٌ» الثمر الأصل. قال وأحيطَ بثُمُرِهِ قال: بأصله.
وكأنّ الذين وجّهوا معناها إلى أنها أنواع من المال, أرادوا أنها جمع ثمار جمع ثمر, كما يجمع الكتاب كتبا, والحمار حمرا. وقد قرأ بعض من وافق هؤلاء في هذه القراءة «ثُمْرٌ» بضمّ الثاء وسكون الميم, وهو يريد الضمّ فيها غير أنه سكنها طلب التخفيف. وقد يحتمل أن يكون أراد بها جمع ثمرة, كما تجمع الخَشبة خَشَبا. وقرأ ذلك بعض المدنيين: وكانَ لَهُ ثَمَرٌ

بفتح الثاء والميم, بمعنى جمع الثّمرة, كما تجمع الخشبة خَشبا. والقَصبة قَصبا.

وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ وكانَ لَهُ ثُمُرٌ بضمّ الثاء والميم لإجماع الحجة من القرّاء عليه وإن كانت جمع ثمار, كما الكتب جمع كتاب.

ومعنى الكلام: وَفَجّرْنا خِلاَلَهما نَهَرا وكانَ لَهُ منهما ثُمُرٌ بمعنى من جنتيه أنواع من الثمار. وقد بين ذلك لمن وفق لفهمه, قوله: جَعَلْنا لأحَدِهِما جَنّتَيْنِ مِنْ أعْنابٍ وحَفَفْناهُما بنَخْلٍ وَجَعَلْنا بَيْنَهُما زَرْعا ثم قال: وكان له من هذه الكروم والنخل والزرع ثمر.

وقوله: فَقالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ يقول عزّ وجلّ: فقال هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب, لصاحبه الذي لا مال له وهو يخاطبه: أنا أكْثَرُ مِنْكَ مالاً وأعَزّ نَفَرا يقول: وأعزّ عشيرة ورَهْطِا, كما قال عُيينة والأقرع لرسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن سادات العرب, وأرباب الأموال, فنحّ عنا سلمان وَخّبابا وصُهيبا, احتقارا لهم, وتكبرا عليهم, كما:

17391ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحاوِرُهُ أنا أكْثَرُ مِنْك م الاً وأعَزّ نَفَرا وتلك والله أمنية الفاجر: كثرة المال, وعزّة النفر.

الآية : 35 -36

القول في تأويل قوله تعالى: {وَدَخَلَ جَنّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لّنَفْسِهِ قَالَ مَآ أَظُنّ أَن تَبِيدَ هَـَذِهِ أَبَداً * وَمَآ أَظُنّ السّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رّدِدتّ إِلَىَ رَبّي لأجِدَنّ خَيْراً مّنْهَا مُنْقَلَباً }.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب دَخَلَ جَنّتَهُ وهي بستانه وَهُوَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وظلمه نفسه: كفره بالبعث, وشكه في قيام الساعة, ونسيانه المعاد إلى الله تعالى, فأوجب لها بذلك سخط الله وأليم عقابه. وقوله: قالَ ما أظُنّ أنْ تَبِيدَ هَذِهِ أبَدا يقول جلّ ثناؤه: قال لما عاين جنته, ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزروع والأنهار المطردة شكا في المعاد إلى الله: ما أظنّ أن تبيد هذه الجنة أبدا, ولا تفنى ولا تخْرب, وما أظنّ الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقول فتحدث, ثم تمنى أمنية أخرى على شكّ منه, فقال: وَلَئِنَ رُدِدْتُ إلى رّبي فرجعت إليه, وهو غير موقن أنه راجع إليه لأجِدَنّ خَيْرا مِنْها مُنْقَلَبا يقول: لأجدنّ خيرا من جنتي هذه عند الله إن رددت إليه مرجعا ومردّا, يقول: لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل منها في المعاد إن رددت إليه. كما:

17392ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَما أظُنّ السّاعَةَ قائِمَةً قال: شكّ, ثم قال: وَلَئِنْ كان ذلك ثم رُدِدْتُ إلى رَبّي لأجِدَنّ خَيْرا مِنْها مُنْقَلَبا ما أعطاني هذه إلا ولي عنده خير من ذلك.

17393ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَدَخَلَ جَنّتَهُ وَهُوَ ظالِمٌ لَنَفْسِهِ قالَ ما أظُنّ أنْ تَبِيدَ هَذِهِ أبَدا وَما أظُنّ السّاعة قائمَةً كفور لنعم ربه, مكذّب بلقائه, متمنّ على الله.

الآية : 37 و 38

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمّ مِن نّطْفَةٍ ثُمّ سَوّاكَ رَجُلاً * لّكِنّ هُوَ اللَّهُ رَبّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبّي أَحَداً }.

يقول تعالى ذكره: قال لصاحب الجنتين صاحبه الذي هو أقلّ منه مالاً وولدا, وَهُوَ يُحاوِرُهُ: يقول: وهو يخاطبه ويكلمه: أكَفَرْتَ بالّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ يعني خلق أباك آدم من تراب ثُمّ مِنْ نُطْفَةٍ يقول: ثم أنشأك من نطفة الرجل والمرأة, ثم سوّاك رَجُلاً يقول: ثم عَدل لك بشرا سويا رجلاً, ذكرا لا أنثى, يقول: أكفرت بمن فعل بك هذا أن يعيدك خلقا جديدا بعد ما تصير رفاتا لَكِنّا هُوَ اللّهُ رَبّي يقول: أما أنا فلا أكفر بربي, ولكن أنا هو الله ربي, معناه أنه يقول: ولكن أنا أقول: هو الله ربي وَلا أُشْرِكُ بِرَبيّ أحَدا. وفي قراءة ذلك وجهان: أحدهما لكنّ هو الله ربي بتشديد النون وحذف الألف في حال الوصل, كما يقال: أنا قائم فتحذف الألف من أنا, وذلك قراءة عامة قرّاء أهل العراق. وأما في الوقف فإن القرأة كلها تثبت فيها الألف, لأن النون إنما شدّدت لاندغام النون من لكن, وهي ساكنة في النون التي من أنا, إذ سقطت الهمزة التي في أنا, فإذا وقف عليها ظهرت الألف التي في أنا, فقيل: لكنا, لأنه يقال في الوقف على أنا بإثبات الألف لا بإسقاطها. وقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز: لَكِنّا بإثبات الألف في الوصل والوقف, وذلك وإن كان مما ينطق به في ضرورة الشعر, كما قال الشاعر:

أنا سَيْفُ العَشِيرَةِ فاعْرِفُونِيحُمَيْدا قد تَذَرّيْتُ السّنامَا

فأثبت الألف في أنا, فَليس ذلك بالفصيح من الكلام, والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا ما ذكرنا عن العراقيين, وهو حذف الألف من «لكنّ» في الوصل, وإثباتها في الوقف.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللّهُ لاَ قُوّةَ إِلاّ بِاللّهِ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً }.

يقول عزّ ذكره: وهلا إذ دخلت بستانك, فأعجبك ما رأيت منه, قلت ما شاء الله كان وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ظهر عليه منه, وهو جواب الجزاء, وذلك كان.

وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى الذي قلنا كانت «ما» نصبا بوقوع فعل الله عليه, وهو شاء وجاز طرح الجواب, لأن معنى الكلام معروف, كما قيل: فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض, وترك الجواب, إذ كان مفهوما معناه. وكان بعض أهل العربية يقول «ما» من قوله: ما شاءَ اللّهُ في موضع رفع بإضمار هو, كأنه قيل: قلت هو ما شاء الله لا قُوّةَ إلاّ باللّهِ يقول: لا قوّة على ما نحاول من طاعته إلا به. وقوله: إنْ تَرَنِ أنا أقَلّ مِنْكَ مالاً وَوَلَدا وهو قول المؤمن الذي لا مال له, ولا عشيرة, مثل صاحب الجنتين وعشيرته, وهو مثل سَلْمان وصُهَيب وَخباب, يقول: قال المؤمن للكافر: إن ترن أيها الرجل أنا أقلّ منك مالاً وولدا فإذا جعلت أنا عمادا نصبت أقل, وبه القراءة عندنا, لأن عليه قراءة الأمصار, وإذا جعلته اسما رفعت أقل.

الآية : 40 و 41

القول في تأويل قوله تعالى: {فعسَى رَبّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مّن جَنّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مّنَ السّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً * أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن الموقن للمعاد إلى الله للكافر المرتاب في قيام الساعة: إن تَرَن أيها الرجل أنا أقلّ منك مالاً وولدا في الدنيا, فعسى ربي أن يرزقني خيرا من بستانك هذا وَيُرْسِلَ عَلَيْها يعني على جنة الكافر التي قال لها: ما أظنّ أن تبيد هذه أبدا حُسْبانا مِنَ السّماءِ يقول: عذابا من السماء ترمي به رميا, وتقذف. والحُسْبان: جمع حُسْبانة, وهي المرامي. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17394ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أوْ يُرْسِلَ عَلَيْها حُسْبانا مِنَ السّماءِ عذابا.

17395ـ حُدثت عن محمد بن يزيد, عن جويبر, عن الضحاك, قال: عذابا.

17396ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أوْ يُرْسِلَ عَلَيْها حُسْبانا مِنَ السّماءِ. قال: عذابا, قال: الحُسبان: قضاء من الله يقضيه.

17397ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: الحُسبان: العذاب.

حدثنا الحسن بن محمد, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله حُسْبانا مِنَ السّماءِ قال: عذابا. وقوله: فَتُصْبِحَ صَعِيدا زَلَقا يقول عزّ ذكره: فتصبح جنتك هذه أيها الرجل أرضا ملساء لا شيء فيها, قد ذهب كلّ ما فيها من غَرْس ونبت, وعادت خرابا بلاقع, زَلَقا, لا يثبت في أرضها قدم لا ملساسها, ودروس ما كان نابتا فيها.

17398ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَتُصْبِحَ صَعِيدا زَلَقا: أي قد حُصِد ما فيها فلم يُترك فيها شيء.

17399ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: فَتُصْبِحَ صَعِيدا زَلَقا قال: مثل الجُرز.

17400ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال ابن زيد, في قوله: فَتُصْبِحَ صَعِيدا زَلَقا قال: صعيدا زلقا وصعيدا جُرزا واحد ليس فيها شيء من النبات.

وقوله: أوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْرا يقول: أو يصبح ماؤها غائرا فوضع الغور وهو مصدر مكان الغائر, كما قال الشاعر:

تَظَلّ جِيادُهُ نَوْحا عَلَيْهِمُقَلّدَةً أعِنّتَها صُفُونا

بمعنى نائحة وكما قال الآخر:

هَرِيقي مِنْ دُمُوعِهما سَجامَاضُباعَ وجَاوِبي نَوْحا قِيامَا

والعرب توحد الغَور مع الجمع والاثنين, وتذكر مع المذكر والمؤنث, تقول: ماء غور, وماءان غَوْر ومياه غَور. ويعني بقوله: غَوْرا ذاهبا قد غار في الأرض, فذهب فلا تلحقه الرّشاء, كما:

17401ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أوْ يُصْبِحَ ماؤُها غَوْرا أي ذاهبا قد غار في الأرض.

وقوله: فَلَنْ تَسْتَطيعَ لَهُ طَلَبا يقول: فلن تطيق أن تدرك الماء الذي كان في جنتك بعد غَوْره, بطلبك إياه.

الآية : 42

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَآ أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىَ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبّي أَحَداً }.

يقول تعالى ذكره: وأحاط الهلاك والجوائح بثمره, وهي صنوف ثمار جنته التي كان يقول لها: ما أظُنّ أنْ تَبِيدَ هَـذِهِ أبَدا فأصبح هذا الكافر صاحب هاتين الجنتين, يقلب كفّيه ظهرا لبطن, تلهفا وأسفا على ذهاب نفقته التي أنفق في جنته وَهِيَ خاوِيَةٌ على عُرُوشِها يقول: وهي خالية على نباتها وبيوتها. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17402ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فأصْبَحَ يُقَلّبُ كَفّيْهِ: أي يصفق كَفيه عَلى ما أنْفَقَ فِيها متلهفا على ما فاته.

وَ هو يقول يا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبّي أحَدا ويقول: يا ليتني, يقول: يتمنى هذا الكافر بعد ما أصيب بجنته أنه لم يكن كان أشرك بربه أحدا, يعني بذلك: هذا الكافر إذا هلك وزالت عنه دنياه وانفرد بعمله, ودّ أنه لم يكن كفر بالله ولا أشرك به شيئا.

الآية : 43 و 44

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَمْ تَكُن لّهُ فِئَـةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً * هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ لِلّهِ الْحَقّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً }.

يقول تعالى ذكره: ولم يكن لصاحب هاتين الجنتين فِئَة, وهم الجماعة كما قال العَجّاج:

كمَا يَحُورّ الفِئَةُ الكَمِيّ

وبنحو ما قلنا في ذلك, قال أهل التأويل, وإن خالف بعضهم في العبارة عنه عبارتنا, فإن معناهم نظير معنانا فيه. ذكر من قال ذلك:

17403ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله عزّ وجلّ: وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ قال: عشيرته.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

17404ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ولَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ: أي جند ينصرونه.

وقوله: يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللّهِ يقول: يمنعونه من عقاب الله وعذاب الله إذا عاقبه وعذّبه. وقوله وَمَا كانَ مُنْتَصِرا يقول: ولم يكن ممتنعا من عذاب الله إذا عذّبه, كما:

17405ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَما كانَ مُنْتَصِرا: أي ممتنعا.

وقوله: هُنالكَ الوَلايَةُ لِلّهِ الحَقّ يقول عزّ ذكره: ثم وذلك حين حلّ عذاب الله بصاحب الجنتين في القيامة.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: الولاية, فقرأ بعض أهل المدينة والبصرة والكوفة هُنالكَ الوَلايَةُ بفتح الواو من الولاية, يعنون بذلك هنالك المُوالاة لله, كقول الله: اللّهُ وَلِيّ الّذِينَ آمَنُوا وكقوله: ذلكَ بأنّ اللّهَ مَوْلَى الّذِينَ آمَنُوا يذهبون بها إلى الوَلاية في الدين. وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة:

«هُنالِكَ الوِلايَةُ» بكسر الواو: من المُلك والسلطان, من قول القائل: وَلِيتُ عملَ كذا, أو بلدة كذا أليه ولاية.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب, قراءة من قرأ بكسر الواو, وذلك أن الله عقب ذلك خبره عن مُلكه وسلطانه, وأن من أحلّ به نقمته يوم القيامة فلا ناصر له يومئذٍ, فإتباع ذلك الخبر عن انفراده بالمملكة والسلطان أولى من الخبر عن الموالاة التي لم يجر لها ذكر ولا معنى, لقول من قال: لا يسمّى سلطان الله ولاية, وإنما يسمى ذلك سلطان البشر, لأن الولاية معناها أنه يلي أمر خلقه منفردا به دون جميع خلقه, لا أنه يكون أميرا عليهم.

واختلفوا أيضا في قراءة قوله الحَقّ فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والعراق خفضا, على توجيهه إلى أنه من نعت الله, وإلى أن معنى الكلام: هنالك الولاية لله الحقّ ألوهيته, لا الباطل بطول ألوهيته التي يدعونها المشركون بالله آلهة. وقرأ ذلك بعض أهل البصرة وبعض متأخري الكوفيين: «لِلّهِ الحَقّ» برفع الحقّ توجيها منهما إلى أنه من نعت الولاية, ومعناه: هنالك الولاية الحقّ, لا الباطل لله وحده لا شريك له.

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب, قراءة من قرأه خفضا على أنه من نعت الله, وأن معناه ما وصفت على قراءة من قرأه كذلك.

وقوله: هُوَ خَيْرٌ ثَوَابا يقول عزّ ذكره: خير للمنيبين في العاجل والآجل ثوابا وخَيْرٌ عُقْبا يقول: وخيرهم عاقبة في الآجل إذا صار إليه المطيع له, العامل بما أمره الله, والمنتهي عما نهاه الله عنه. والعقب هو العاقبة, يقال: عاقبة أمر كذا وعُقْباه وعُقُبه, وذلك آخره وما يصير إليه منتهاه.

وقد اختلف القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الكوفة عُقْبا بضم العين وتسكين القاف.

و القول في ذلك عندنا. أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار بمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُم مّثَلَ الْحَيَاةِ الدّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرّياحُ وَكَانَ اللّهُ عَلَىَ كُلّ شَيْءٍ مّقْتَدِراً }.

يقول عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واضرب لحياة هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك: اطرد عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ, إذا نحن جئناك الدنيا منهم مثلاً يقول: شبها كماءٍ أنْزَلْناهُ مِنَ السّماءِ يقول: كمطر أنزلناه من السماء فاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الأرْضِ يقول: فاختلط بالماء نبات الأرض فأصْبَحَ هَشِيما يقول: فأصبح نبات الأرض يابسا متفتتا تَذْرُوهُ الرّياحُ يقول تطيره الرياح وتفرّقه يقال منه: ذَرَته الريح تَذْرِوه ذَرْوا, وَذَرَتْه ذَرْيا, وأذرته تُذْرِيهِ إذراء كما قال الشاعر:

فَقُلْتُ لَهُ صَوّبْ وَلا تُجْهِدَنّهُفَيُذْرِكَ مِنْ أُخْرَى القَطاةِ فَتَزْلَقِ

يقال: أذريت الرجل عن الدابة والبعير: إذا ألقيته عنه.

وقوله: وكانَ اللّهُ على كُلّ شَيْءٍ مُقْتَدِرا يقول: وكان الله على تخريب جنة هذا القائل حين دخل جنته: ما أظُنّ أنْ تَبِيدَ هَذِهِ أبَدا وَما أظُنّ السّاعَةَ قائمَةً وإهلاك أموال ذي الأمْوَالِ الباخلين بها عن حقوقها, وإزالة دنيا

الكافرين به عنهم, وغير ذلك مما يشاء قادر, لا يعجزه شيء أراده, ولا يعْييه أمر أراده, يقول: فلا يفخر ذو الأموال بكثرة أمواله, ولا يستكبر على غيره بها, ولا يغترنّ أهل الدنيا بدنياهم, فإنما مَثَلُها مثل هذا النبات الذي حسُن استواؤه بالمطر, فلم يكن إلا رَيْثَ أن انقطع عنه الماء, فتناهى نهايته, عاد يابسا تذروه الرياح, فاسدا, تنبو عنه أعين الناظرين, ولكن ليعمل للباقي الذي لا يفنى, والدائم الذي لا يبيد ولا يتغير.

الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً }.

يقول تعالى ذكره: المال والبنون أيها الناس التي يفخر بها عيينة والأقرع, ويتكبران بها على سلمان وخباب وصهيب, مما يتزين به في الحياة الدنيا, وليسا من عداد الآخرة والباقياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبّكَ ثَوَابا يقول: وما يعمل سلمان وخباب وصهيب من طاعة الله, ودعائهم ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه, الباقي لهم من الأعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا, خير يا محمد عند ربك ثوابا من المال والبنين التي يفتخر هؤلاء المشركون بها, التي تفنى, فلا تبقى لأهلها وخَيْرٌ أمَلاً يقول: وما يؤمل من ذلك سلمان وصهيب وخباب, خير مما يؤمل عيينة والأقرع من أموالهما وأولادهما. وهذه الآيات من لدن قوله: وَاتْلُ ما أُوحيَ إلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبّكَ إلى هذا الموضع, ذُكر أنها نزلت في عيينة والأقرع. ذكر من قال ذلك:

17406ـ حدثنا الحسين بن عمرو العنقزي, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا أسباط بن نصر, عن السديّ, عن أبي سعيد الأزدي, وكان قارىء الأزد, عن أبي الكنود, عن خباب في قوله: وَلا تَطْرُدِ الّذِينَ يَدْعُونَ رَبّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشيّ ثم ذكر القصة التي ذكرناها في سورة الأنعام في قصة عيينة والأقرع, إلى قوله: وَلا تُطِعْ مَنْ أغْفَلْنا قَلْبَه عَنْ ذِكْرِنا ق ال: عيينة والأقرع وَاتّبعَ هَوَاهُ قال: قال: ثم قال ضرب لهم مثلاً رجلين, ومثل الحياة الدنيا.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بالباقيات الصالحات, اختلافهم في المعنىّ بالدعاء الذي وصف جلّ ثناؤه به الذين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم, عن طردهم, وأمره بالصبر معهم, فقال بعضهم: هي الصلوات الخمس. وقال بعضهم: هي ذكر الله بالتسبيح والتقديس والتهليل, ونحو ذلك. وقال بعضهم: هي العمل بطاعة الله. وقال بعضهم: الكلام الطيب. ذكر من قال: هي الصلوات الخمس:

17407ـ حدثني محمد بن إبراهيم الأنماطي, قال: حدثنا يعقوب بن كاسب, قال: حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموي قال: سمعت عبد الله بن يزيد بن هرمز, يحدّث عن عبيد الله بن عتبة, عن ابن عباس أنه قال: الباقيات الصالحات: الصلوات الخمس.

17408ـ حدثني زريق بن إسحاق, قال: حدثنا قبيصة, عن سفيان, عن عبد الله بن مسلم, عن سعيد بن جبير, في قوله: وَالباقِياتُ الصّالِحاتُ قال: الصلوات الخمس.

17409ـ حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن أبي إسحاق عن عمرو بن شُرَحبيل في هذه الآية والباقياتُ الصّالِحاتُ قال: هي الصلوات المكتوبات.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن عبد الله بن مسلم, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: الباقيات الصالحات: الصلوات الخمس.

17410ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان عن الحسن بن عبد الله, عن إبراهيم, قال الباقِياتُ الصّالِحاتُ الصلوات الخمس.

17411ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن أبي إسحاق, عن أبي ميسرة والباقِياتُ الصّالِحاتُ قال: الصلوات الخمس. ذكر من قال: هنّ ذكر الله بالتسبيح والتحميد ونحو ذلك:

17412ـ حدثنا ابن حميد وعبد الله بن أبي زياد ومحمد بن عمارة الأسدي, قالوا: حدثنا عبد الله بن يزيد, قال: أخبرنا حيوة, قال: أخبرنا أبو عقيل زهرة بن معبد القرشي من بني تيم من رهط أبي بكر الصدّيق, أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان, يقول: قيل لعثمان: ما الباقيات الصالحات؟ قال: هنّ لا إله إلا الله, وسبحان الله, والحمد لله, والله أكبر, ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

حدثني سعيد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا أبو زرعة, قال: حدثنا حيوة, قال: حدثنا أبو عقيل زهرة بن معبد, أنه سمع الحرث مولى عثمان بن عفان يقول: قيل لعثمان بن عفان: ما الباقيات الصالحات؟ قال: هي لا إله إلا الله, وسبحان الله وبحمده, والله أكبر, والحمد لله, ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

حدثني ابن عبد الرحيم البرّقي, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: حدثنا نافع بن يزيد ورشدين بن سعد, قالا: حدثنا زهرة بن معبد, قال: سمعت الحارث مولى عثمان بن عفان يقول: قالوا لعثمان: ما الباقيات الصالحات؟ فذكر مثله.

17413ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عبد الله بن مسلم بن هرمز, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, في قوله: وَالباقِياتُ الصّالِحاتُ قال: سبحان الله, والحمد لله, ولا إله إلا الله, والله أكبر.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: سمعت عبد الملك, عن عطاء, عن ابن عباس, في قوله وَالباقِياتُ الصّالِحاتُ قال: سبحان الله, والحمد لله, ولا إله إلا الله, والله أكبر.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا طلق بن غنام, عن زائدة, عن عبد الملك, عن عطاء, عن ابن عباس, مثله.

17414ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا مالك, عن عمارة بن عبد الله بن صياد, عن سعيد بن المسيب, قال: الباقِياتُ الصّالِحاتُ: سبحان الله, والحمد لله, ولا إله إلا الله, والله أكبر, ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

17415ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: أخبرني عبد الله بن عثمان بن خُثَيم, عن نافع بن سرجس, أنه أخبره أنه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات, قال: لا إله إلا الله, والله أكبر, وسبحان الله, ولا حول ولا قوّة إلا بالله. قال ابن جريج, وقال عطاء بن أبي رَباح مثل ذلك.

17416ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد, قال: الباقيات الصالحات: سبحان الله, والحمد لله, ولا إله إلا الله, والله أكبر.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن منصور, عن مجاهد, بنحوه.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن مجاهد, في قوله والباقياتُ الصّالِحاتُ قال: سبحان الله, والحمد لله, ولا إله إلا الله, والله أكبر.

17417ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني أبو صخر: أن عبد الله بن عبد الرحمن, مولى سالم بن عبد الله, حدثه قال: أرسلني سالم بن محمد بن كعب القُرَظي, فقال: قل له الْقَنِي عند زاوية القبر, فإن لي إليك حاجة, قال: فالتقيا, فسلم أحدهما على الآخر, ثم قال سالم: ما تعدّ الباقيات الصالحات؟ فقال: لا إله إلا الله, والحمد لله, وسبحان الله, والله أكبر, ولا حول ولا قوّة إلا بالله, فقال له سالم: متى جعلت فيها لا حول ولا قوّة إلا بالله؟ فقال: ما زلت أجعلها, قال: فراجعه مرّتين أو ثلاثا فلم ينزع. قال: فأثبت, قال سالم: أجل, فأثبت فإن أبا أيوبَ الأنصاري حدثني أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «عُرِجَ بِي إلى السّماءِ فَأُرِيتُ إبْرَاهِيمَ, فقال: يا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا مَعَك؟ فقالَ: مُحَمّد, فَرَحّبَ بِي وَسَهّلَ, ثُمّ قالَ: مُرْ أمّتَكَ فَلْتُكْثِرْ مِنْ غِرَاسِ الجَنّةِ, فإنّ تُرْبَتَها طَيّبَةٌ, وأرْضُها وَاسِعَةٌ, فَقُلْتُ: وَما غِرَاسُ الجَنّةِ؟ قالَ: لا حَوْلَ وَلا قُوّةَ إلاّ باللّهِ».

17418ـ وجدت في كتابي عن الحسن بن الصّباح البَزّار, عن أبي نصر التمار, عن عبد العزيز بن مسلم, عن محمد بن عجلان, عن سعيد المَقْبُري, عن أبيه, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سُبْحَانَ اللّهِ, والحَمْدُ لِلّهِ, وَلا إلهَ إلاّ اللّهُ, وَاللّهُ أكْبَرُ مِنَ الباقِياتِ الصّالِحاتِ».

17419ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن وقتادة, في قوله: والباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ قال: لا إله إلا الله, والله أكبر, والحمد لله, وسبحان الله, هنّ الباقيات الصالحات.

17420ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا عمرو بن الحارث, أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم, عن أبي سعيد الخُدريّ, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ الباقِياتِ الصّالِحاتِ», قيلَ: وما هي يا رسول الله؟ قال: «المِلّة», قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «التّكْبِيرُ والتّهْلِيلُ والتسبِيحُ, والحَمْدُ, ولا حَوْلَ وَلا قُوّةَ إلاّ باللّهِ».

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني مالك, عن عمارة بن صياد, أنه سمع سعيد بن المسيب يقول في الباقيات الصالحات: إنها قول العبد: الله أكبر, وسبحان الله, والحمد لله, ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

حدثني ابن البَرْقي, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: أخبرنا يحيى بن أيوب, قال: ثني ابن عَجْلان, عن عمارة بن صياد, قال: سألني سعيد بن المسيب, عن الباقيات الصالحات, فقلت: الصلاة والصيام, قال: لم

تصب فقلت: الزكاة والحجّ, فقال:لم تصب, ولكنهنّ الكلمات الخمس: لا إله إلا الله, والله أكبر, وسبحان الله, والحمد لله, ولا حول ولا قوّة إلا بالله. ذكر من قال: هي العمل بطاعة الله عزّ وجلّ:

17421ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراسانيّ, عن ابن عباس والباقِياتُ الصّالحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبّكَ ثَوَابا وخَيْرٌ أمَلاً قال: الأعمال الصالحة: سبحان الله, والحمد لله, ولا إله إلا الله, والله أكبر.

حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: والباقِياتُ الصّالحاتُ قال: هي ذكر الله قول لا إله إلا الله, والله أكبر, وسبحان الله, والحمد لله, وتبارك الله, ولا حول ولا قوّة إلا بالله, وأستغفر الله, وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحجّ والصدقة والعتق والجهاد والصلة, وجميع أعمال الحسنات, وهنّ الباقيات الصالحات, التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض.

17422ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله والباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبّكَ ثَوَابا وخَيْرٌ أمَلاً قال: الأعمال الصالحة. ذكر من قال: هي الكلم الطيب:

17423ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: والباقيات الصّالِحاتُ قال: الكلام الطيب.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب, قول من قال: هنّ جميع أعمال الخير, كالذي رُوي عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس, لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة, وعليها يجازي ويُثاب, وإن الله عزّ ذكره لم يخصص من قوله والباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبّكَ ثَوَابا بعضا دون بعض في كتاب, ولا بخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإن ظنّ ظانّ أن ذلك مخصوص بالخبر الذي رويناه عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, فإن ذلك بخلاف ما ظن, وذلك أن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ورد بأن قول: سبحان الله, والحمد لله, ولا إله إلا الله, والله أكبر, هنّ من الباقيات الصالحات, ولم يقل: هنّ جميع الباقيات الصالحات, ولا كلّ الباقيات الصالحات وجائز أن تكون هذه باقيات صالحات, وغيرها من أعمال البرّ أيضا باقيات صالحات.

الآية : 47 و 48

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَوْمَ نُسَيّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أحَداً * وَعُرِضُواْ عَلَىَ رَبّكَ صَفّاً لّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أوّلَ مَرّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أن لّن نّجْعَلَ لَكُمْ مّوْعِداً }.

يقول تعالى ذكره: وَيَوْمَ نُسَيّرُ الجِبالَ عن الأرض, فَنبسّها بَسّا, ونجعلها هباء منبثا وَتَرَى الأرْضَ بارِزَةً ظاهرة, وظهورها لرأي أعين الناظرين من غير شيء يسترها من جبل ولا شجر هو بروزها. وبنحو ذلك قال جماعة من أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17424ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء,

جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عـن مـجاهد وَتَـرى الأرْضَ بـارِزَةً قـال: لا خَمَـر فـيها ولا غيابة ولا بناء, ولا حجر فـيها.
حدثنـي القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريـج, عن مـجاهد, مثله.
17425ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَتَرى الأرْضَ بـارِزَةً لـيس علـيها بناء ولا شجر.
وقـيـل: معنى ذلك: وتـرى الأرض بـارزا أهلهـا الـذين كـانوا فـي بطنهـا, فصاروا علـى ظهرهـا. وقـوله وَحَشَرناهُمْ يقـول: جمعنـاهم إلـى موقـف الـحساب فَلَـمْ نُغادِرُ مِنْهُمْ أحَدا, يقول: فلـم نـترك, ولـم نبـق منهـم تـحت الأرض أحدا, يقال منه: ما غادرت من القوم أحدا, ومـا أغـدرت منهـم أحـدا, ومن أغدرت قول الراجز:
هَلْ لكِ والعارِضُ مِنْكِ عائِضُفِـي هَجْمَةٍ يُغْدِرُ مِنْها القابِضُ
وقوله: وَعُرِضُوا عَلـى رَبّكَ صَفّـا يقول عزّ ذكره: وعُـرض الـخـلق علـى ربك يا مـحمد صفـا لَقَدْ جِئْتُمُونا كمَـا خَـلَقْناكُمْ أوّلَ مَـرّةٍ يقـول عـزّ ذكـره: يقال لهم إذ عُرضوا علـى الله: لقد جئتـمونا أيها الناس أحياء كهيئتكهم حيـن خـلقناكم أوّل مرّة وحذف يقال من الكلام لـمعرفة السامعين بأنه مراد فـ ي الكلام.
وقوله: بَلْ زَعَمْتُـمْ ألّنْ نَـجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدا وهذا الكلام خرج مخـرج الـخبر عن خطاب الله بـه الـجميع, والـمراد منـه الـخصوص, وذلـك أنـه قـد يـرد القـيامة خـلق من الأنبـياء والرسـل, والـمؤمنـين بـالله ورسـله وبـالبعث. ومعلوم أنه لا يُقال يومئذٍ لـمن وردهـا مـن أهـل التصـديق بوعـد اللـه فـي الدنـيا, وأهل اليـقين فـيها بقـيام الساعة, بـل زعمتـم أن لـن نـجعل لكـم البعث بعد الـممات, والـحشر إلـى القـيامة موعـدا, وأن ذلـك إنـما يقـال لـمن كان فـي الدنـيا مكذّبـا بـالبعث وقـيام الساعة.

الآية : 49

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْـفِقِينَ مِمّـا فِيـهِ وَيَقُولُـونَ يَوَيْلَتَنَـا مَـا لِهَـذَا الْكِتَـابِ لاَ يُغَـادِرُ صَـغِيرَةً وَلاَ كَبِيـرَةً إِلاّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبّكَ أَحَداً }.
يقول عزّ ذكره: ووضع الله يومئذٍ كتاب أعمال عبـاده فـي أيديهم, فأخـذ واحد بـيـمينه وأخذ واحـد بشـماله فَتَـرى الـمُـجْرِمينَ مُشْفقـيـنَ مِـمّا فِـيـهِ يقول عـزّ ذكـره: فـترى الـمـجرمين الـمشركين بـالله مشفقـين, يقـول: خائفين وجلين مـما فـيه مكتوب من أعمـالهم السـيئة التـي عملوهـا فـي الدنـيا أن يؤاخذوا بها وَيَقُولُونَ يا وَيْـلَتَنا ما لَهَـذَا الكِتـابِ لا يُغـادِرُ صَـغيرَةً وَلا كَبِيرةً إلاّ أحْصَاها يعنـي أنهم يقولـون إذا قـرأوا كتـابهم, ورأوا مـا قـد كُتـب علـيهم فـيه من صغائر ذنوبهم وكبـائرها, نادوا بـالويـل حيـن أيقنـوا بعـذاب الله, وضجوا مـما قد عرفوا من أفعالهم الـخبـيثة التـي قـد أحصـاها كتـابهم, ولـم يقدروا أن ينكروا صحتها كما:
17426ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ما لِهَذَا الكِتـابِ لا يُغـادِرُ صَـغِيرَةً وَلا كَبِـيرَةً إلاّ أحْصَـاها اشـتكى القـوم كمـا تسـمعون الإحصـاء, ولـم يشـتك أحـد ظلـما, «فإيـاكم والـمـحقّرات مـن الذنوب, فإنها تـجتـمع علـى صاحبها حتـى تهلكه». ذُكر لنا أن نبـيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يضرب لها مثلاً, يقول كمثل قوم انطلقوا يسيرون حتـى

نزلوا بفلاة من الأرض, وحضر صنيع القوم, فانطلق كلّ رجل يحتطب, فجعل الرجل يجيء بالعود, ويجيء الآخر بالعود, حتى جمعوا سوادا كثيرا وأجّجوا نارا, فإن الذنب الصغير يجتمع على صاحبه حتى يهلكه. وقيل: إنه عنى بالصغيرة في هذا الموضع: الضحك. ذكر من قال ذلك:

17427ـ حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا عبد الله بن داود, قال: حدثنا محمد بن موسى, عن الزيال بن عمرو, عن ابن عباس لا يُغادِرُ صَغِيرةً وَلا كَبِيرةً قال: الضحك.

17421حدثنا أحمد بن حازم, قال: حدثنا أبي, قال: حدثتني أمي حمادة ابنة محمد, قال: سمعت أبي محمد بن عبد الرحمن يقول في هذه الآية في قول الله عزّ وجلّ: ما لِهَذَا الكِتابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرةً وَلا كَبِيرةً إلاّ أحْصَاها قال: الصغيرة: الضحك.

ويعني بقوله: ما لِهَذَا الكِتابِ: م ا شأن هذا الكتاب لا يُغ ادِرُ صَغِيرةً وَلا كَبِيرَةً يقول: لا يبقى صغيرة من ذنوبنا وأعمالنا ولا كبيرة منها إلاّ أحْصَاها يقول: إلا حفظها وَوَجَدُوا ما عَمِلُوا في الدنيا من عمل حاضِرا في كتابهم ذلك مكتوبا مثبتا, فجوّزوا بالسيئة مثلها, والحسنة ما الله جازيهم بها وَلا يَظْلِمُ رَبّكَ أحَدا يقول: ولا يجازي ربك أحدا يا محمد بغير ما هو أهله, لا يجازي بالإحسان إلا أهل الإحسان, ولا بالسيئة إلا أهل السيئة, وذلك هو العدل.

الآية : 50

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذَا قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُوَاْ إِلاّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبّهِ أَفَتَتّخِذُونَهُ وَذُرّيّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوّ بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً }.

يقول تعالى ذكره مذكّرا هؤلاء المشركين حسد إبليس أباهم ومعلمهم ما كان منه من كبره واستكباره عليه حين أمره بالسجود له, وأنه من العداوة والحسد لهم على مثل الذي كان عليه لأبيهم: وَ اذكر يا محمد إذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ الذي يطيعه هؤلاء المشركون ويتبعون أمره, ويخالفون أمر الله, فإنه لم يسجد له استكبارا على الله, وحسدا لآدم كانَ مِنَ الجِنّ.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله كانَ مِنَ الجِنّ فقال بعضهم: إنه كان من قبيلة يقال لهم الجنّ. وقال آخرون: بل كان من خزّان الجنة, فنُسب إلى الجنة. وقال آخرون: بل قيل من الجنّ, لأنه من الجنّ الذين استجنوا عن أعين بني آدم. ذكر من قال ذلك:

17428ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن خلاد بن عطاء, عن طاوس, عن ابن عباس قال: كان اسمه قبل أن يركب المعصية عزازيل, وكان من سكان الأرض, وكان من أشدّ الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما, فذلك هو الذي دعاه إلى الكبر, وكان من حيّ يسمى جنا.

17429ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, عن بشر بن عمارة, عن أبي روق, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: كان إبليس من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجنّ, خُلقوا من نار السموم من بين الملائكة, وكان اسمه الحارث. قال: وكان خازنا من خزّان الجنة. قال: وخُلقت الملائكة من نور غير هذ الحيّ. قال: وخُلقت الجنّ الذين ذكروا

فـي القرآن من مارج من نار, وهو لسان النـار الـذي يكـون فــي طرفهـا إذا التهبت.
17430ـ حدثنا ابن الـمثنى, قـال: ثنــي شيبــان, قـال: حـدثنا سـلام بـن مسكين, عن قتادة, عن سعيد بن الـمسيب, قال: كان إبلـيس رئيس ملائكة سماء الدنـيا.
حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي عن الأعمش, عن حبـيب بن أبـي ثابت, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, فـي قوله: إلاّ إبْلِـيسَ كـانَ مِـنَ الــجِن قال: كان إبلـيس من خزّان الـجنة, وكان يدبر أمر سماء الدنـيا.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريـج, قال: قال ابن عبـاس: كان إبلـيس من أشراف الــملائكة وأكرمهـم قبيــلة. وكان خازنا علـى الـجنان, وكان له سلطان السماء الدنـيا, وكان له سـلطان الأرض, وكان فـيـما قضى الله أنه رأى أن له بذلك شرفـا وعظمة علـى أهل السماء, فوقع من ذلك فـي قلبه كبر لا يعلـمه إلا الله فما كان عنـد السـجود حين أمره أن يسجد لآدم استـخرج الله كبره عند السجود, فلعنه وأخّره إلـى يوم الـدين. قـال: قـال ابـن عبــاس: وقـوله: كـانَ مِـنَ الــجِنّ إنــما سـمي بـالـجنان أنه كان خازنا علـيها, كما يقال للرجـل: مكـيّ, ومدنــيّ, وكوفــيّ, وبصريّ, قاله ابن جريج.
وقال آخرون: هم سبط من الـملائكة قبـيـلة, وكان اسم قبـيـلته الـجنّ:
17431ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, عن صالـح مولـى التوأمة, وشريك بن أبــي نــمر أحـدهما أو كلاهمـا, عن ابن عبـاس, قال: إن من الـملائكة قبـيـلة من الـجنّ, وكان إبلـيس منها, وكان يسوس ما بـين السماء والأرض, فعصى, فسخط اللـه علــيه فمسـخه شيطانا رجيـما, لعنه الله مـمسوخا. قال: وإذا كانت خطيئة الرجل فـي كـبر فلا ترجه, وإذا كانت خطيئته فـي معصـية فــارجه, وكـانت خطيئـة آدم فــي معصية, وخطيئة إبلـيس فـي كبر.
17432ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإذْ قُلْنا لِلْـمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِـيسَ كـانَ مِـنَ الــجِنّ قبـيــل من الـملائكة يقال لهم الـجنّ. وقال ابن عبـاس: لو لــم يكـن مـن الــملائكة لـم يؤمر بـالسجود, وكان علــى خزانـة السـماء الدنــيا. قـال: وكـان قتـادة يقول: جنّ عن طاعة ربه. وكان الـحسن يقول: ألـجأه الله إلـى نسبه.
حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, فــي قـوله إلاّ إبْلِـيسَ كـانَ مِـنَ الــجِنّ قـال: كـان مـن قبيــل مـن الـملائكة يقال لهم الـجنّ.
17433ـ حدثنا ابن بشار, قال: حـدثنا ابـن أبــي عـديّ, عـن عـوف, عـن الـحسن, قال: ما كان إبلـيس من الــملائكة طرفـة عيـن قـط, وإنـه لأصـل الـجنّ, كما أن آدم علـيه السلام أصل الإنس.
17434ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حـدثنا عبــيد, قال: سمعت الضحاك يقول: كان إبلـيس علـى السماء الدنـيا وعلـى الأرض وخازن الـجنان.
حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِـيسَ كانَ مِنَ الــجِنّ: كان ابـن عبــاس يقـول: إن إبلــيس كـان مـن أشـراف الــملائكة وأكرمهـم

قبيلة, وكان خازنا على الجنان, وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض, وكان مما سوّلت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء, فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله, فاستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم, فاستكبر وكان من الكافرين, فذلك قوله للملائكة: إنّي أعْلَمُ غَيْبَ السّمَوَاتِ والأرْضِ وأعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما كُنْتُم تَكْتُمُونَ يعني: ما أسرّ إبليس في نفسه من الكبر.

وقوله: كانَ مِنَ الجِنّ كان ابن عباس يقول: قال الله كانَ مِنَ الجِنّ لأنه كان خازنا على الجنان, كما يقال للرجل: مكيّ, ومدني, وبصريّ, وكوفيّ.

وقال آخرون: كان اسم قبيلة إبليس الجنّ, وهم سبط من الملائكة يقال لهم الجنّ, فلذلك قال الله عزّ وجلّ كانَ مِنَ الجِنّ فنسبه إلى قبيلته.

17435ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, في قوله كانَ مِنَ الجِنّ قال: من الجنانين الذين يعملون في الجنان.

17436ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا أبو سعيد اليحمدي إسماعيل بن إبراهيم, قال: ثني سوار بن الجعد اليحمدي, عن شهر بن حوشب, قوله: مِ نَ الجنّ ق ال: ك ان إبليس من الجنّ الذين طردتهم الملائكة, فأسره بعض الملائكة, فذهب به إلى السماء.

17437ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله إلاّ إبْلِيسَ كانَ مِنَ الجِنّ فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبّهِ قال: كان خازن الجنان فسمي بالجنان.

17438ـ حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي, قال: حدثنا أحمد بن بشير, عن سفيان بن أبي المقدام, عن سعيد بن جبير, قال: كان إبليس من خزنة الجنة.

وقد بيّنا
القول في ذلك فيما مضى من كتابنا هذا, وذكرنا اختلاف المختلفين فيه, فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبّهِ يقول: فخرج عن أمر ربه, وعدل عنه ومال, كما قال رؤبة:

يَهْوِينَ فِي نَجْدٍ وغَوْرا غائرَافَوَاسقا عَنْ قَصْدِها جَوَائِرَا

يعني بالفواسق: الإبل المنعدلة عن قصد نجد, وكذلك الفسق في الدين إنما هو الانعدال عن القصد, والميل عن الاستقامة. ويُحكى عن العرب سماعا: فسقت الرطبة من قشرها: إذا خرجت منه, وفسقت الفأرة: إذا خرجت من جحرها. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: إنما قيل: فَفَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبّهِ لأنه مراد به: ففسق عن ردّه أمر الله, كما تقول العرب: اتخمت عن الطعام, بمعنى: اتخمت لما أكلته.

وقد بيّنا
القول في ذلك, وأن معناه: عدل وجار عن أمر الله, وخرج عنه. وقال بعض أهل العلم بكلام العرب: معنى الفسق: الاتساع. وزعم أن العرب تقول: فسق في النفقة: بمعنى اتسع فيها. قال: وإنما سمى الفاسق فاسقا, لاتساعه في محارم الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17439ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله تعالى فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبّهِ قال: في السجود لآدم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, في قوله فَفَسَق عَنْ أمْرِ رَبّهِ قال: عصى في السجود لآدم.

وقوله: أَفَتَتّخِذُونَهُ وَذُرّيّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوّ يقول تعالى ذكره: أفتوالون يا بني آدم من استكبر على أبيكم وحسده, وكفر نعمتي عليه, وغرّه حتى أخرجه من الجنة ونعيم عيشه فيها إلى الأرض وضيق العيش فيها, وتطيعونه وذرّيته من دون الله مع عدواته لكم قديما وحديثا, وتتركون طاعة ربكم الذي أنعم عليكم وأكرمكم, بأن أسجد لوالدكم ملائكته, وأسكنه جناته, وآتاكم من فواضل نعمه ما لا يحصى عدده, وذرّية إبليس: الشياطين الذين يغرّون بني آدم. كما:

17440ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد أَفَتَتّخِذونَه وَذُرّيّتهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي قال: ذرّيته: هم الشياطين, وكان يعدّهم «زلنبوا» صاحب الأسواق ويضع رايته في كلّ سوق ما بين السماء والأرض, و«ثبر» صاحب المصائب, و«الأعور» صاحب الزنا و«مسوط» صاحب الأخبار, يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس, ولا يجدون لها أصلاً, و«داسم» الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع, وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه.

17441ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: حدثنا حفص بن غياث, قال: سمعت الأعمش يقول: إذا دخلتُ البيت ولم أسلم, رأيت مطهرة, فقلت: ارفعوا ارفعوا, وخاصمتهم, ثم أذكر فأقول: داسم داسم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني أبو معاوية, عن الأعمش, عن مجاهد, قال: هم أربعة ثبر, وداسم, وزلنبور, والأعور, ومسوط: أحدها.

17442ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أَفَتَتّخِذُونَهُ وَذُرّيّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي... الآية, وهم يتوالدون كما تتوالد بنو آدم, وهم لكم عدوّ.

17443ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أَفَتَتّخِذُونَهُ وَذُرّيّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوّ وهو أبو الجنّ كما آدم أبو الإنس. وقال: قال الله لإبليس: إني لا أذرأ لآدم ذرّية إلا ذرأت لك مثلها, فليس من ولد آدم أحد إلا له شيطان قد قرن به.

وقوله: بِئْسَ للظّالِمينَ بَدَلاً يقول عزّ ذكره: بئس البدل للكافرين بالله اتخاذ إبليس وذرّيته أولياء من دون الله, وهم لكم عدّو من تركهم اتخاذ الله وليا باتباعهم أمره ونهيه, وهو المنعم عليهم وعلى أبيهم آدم من قبلهم, المتفضّل عليهم من الفواضل ما لا يحصى بدلاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17444ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة بِئْسَ للظّالِمِينَ بَدَلاً بئْسما استبدلوا بعبادة ربهم إذ أطاعوا إبليس.

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى: {مّآ أَشْهَدتّهُمْ خَلْقَ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتّخِذَ الْمُضِلّينَ عَضُداً }.

يقول عزّ ذكره: ما أشهدت إبليس وذرّيته خَلْقَ السمَوَاتِ والأرْضِ يقول: ما أحضرتهم ذلك فأستعين بهم على خلقها وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ يقول: ولا أشهدت بعضهم أيضا خلق بعض منهم, فأستعين به على خلقه, بل تفرّدت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير, يقول: فكيف اتخذوا عدوّهم أولياء من دوني, وهم خلق من خلق أمثالهم, وتركوا عبادتي وأنا المنعم عليهم وعلى أسلافهم, وخالقهم وخالق من يوالونه من دوني منفردا بذلك من غير معين ولا ظهير.

وقوله: وَما كُنْتُ مُتّخِذَ المُضِلّينَ عَضُدا يقول: وما كنت متخذ من لا يهدى إلى الحقّ, ولكنه يضلّ, فمن تبعه يجور به عن قصد السبيل أعوانا وأنصارا وهو من قولهم: فلان يعضد فلانا إذا كان يقوّيه ويعينه. وبنحو ذلك قال بعض أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17445ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما كُنْتَ مُتّخِذَ المُضِلّينَ عَضُدا: أي أعوانا.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله, وإنما يعني بذلك أن إبليس وذرّيته يضلون بني آدم عن الحقّ, ولا يهدونهم للرشد, وقد يحتمل أن يكون عنى بالمضلين الذين هم أتباع على الضلالة, وأصحاب على غير هدى.

الآية : 52 و 53

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآئِيَ الّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مّوْبِقاً * وَرَأى الْمُجْرِمُونَ النّارَ فَظَنّوَاْ أَنّهُمْ مّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفاً }.

يقول عزّ ذكره وَيَوْمَ يَقُولُ الله عزّ ذكره للمشركين به الآلهة والأنداد نادُوا شُرَكائيَ الّذِينَ زَعَمْتُمْ يقول لهم: ادعوا الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي في العبادة لينصروكم ويمنعوكم مني فَدَعَوهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ يقول: فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم وجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقا.

فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: معناه: وجعلنا بين هؤلاء المشركين وما كانوا يدعون من دون الله شركاء في الدنيا يومئذٍ عداوة. ذكر من قال ذلك:

17446ـ حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا بشر بن المفضل, عن عوف, عن الحسن, في قول الله: وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقا قال: جعل بينهم عداوة يوم القيامة.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عثمان بن عمر, عن عوف, عن الحسن وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقا قال: عداوة.

وقال آخرون: معناه: وجعلنا فعلهم ذلك لهم مَهْلِكا. ذكر من قال ذلك:

17447ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقا قال: مَهْلِكا.

17448ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: مَوْبِقا قال: هلاكا.

17449ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقا قال: الموبق: المهلك, الذي أهلك بعضهم بعضا فيه, أوبق بعضهم بعضا. وقرأ وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدا.
17450ـ حُدثت عن محمد بن يزيد, عن جويبر, عن الضحاك مَوْبِقا قال: هلاكا.
17451ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن منصور, عن عَرْفَجة, في قوله وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقا قال: مهلكا.
وقال آخرون: هو اسم واد في جهنم. ذكر من قال ذلك:
17452ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن سعيد, عن قتادة, عن أبي أيوب, عن عمرو البكّالي: وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاقال: واد عميق فُصِل به بين أهل الضلالة وأهل الهدى, وأهل الجنة, وأهل النار.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقا ذكر لنا أن عَمرا البكَالي حدّث عن عبد الله بن عمرو, قال: هو واد عميق فُرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة.
17453ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عمر بن عبيد, عن الحجاج بن أرطاة, قال: قال مجاهد وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقا قال: واديا في النار.
حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقا قال: واديا في جهنم.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
17454ـ حدثني محمد بن سنان القزاز, قال: حدثنا عبد الصمد, قال: حدثنا يزيد بن درهم, قال: سمعت أنس بن مالك يقول في قول الله عزّ وجلّ وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ مَوْبِقا قال: واد في جهنم من قيح ودم.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب, القول الذي ذكرناه عن ابن عباس, ومن وافقه في تأويل الموبق: أنه المهلك, وذلك أن العرب تقول في كلامها: قد أوبقت فلانا: إذا أهلكته. ومنه قول الله عزّ وجلّ: أَوْ يُوبِقْهُنّ بِمَا كَسَبُوا بمعنى: يهلكهنّ. ويقال للمهلك نفسه: قد وبق فلان فهو يوبق وبقا. ولغة بني عامر: يابق بغير همز. وحُكي عن تميم أنها تقول: يبيق. وقد حُكي وبق يبق وبوقا, حكاها الكسائي. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: الموبق: الوعد, ويستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر:
وحادَ شَرَوْرَى فالسّتارَ فَلَمْ يَدَعْتِعارا لَهُ والوَادِيَيْنِ بِمَوْبِقِ
ويتأوّله بموعد. وجائز أن يكون ذلك المهلك الذي جعل الله جلّ ثناؤه بين هؤلاء المشركين, هو الوادي الذي ذكر عن عبد الله بن عمرو, وجائز أن يكون العداوة التي قالها الحسن.
وقوله: وَرَأى المُجْرِمُونَ النّارَ يقول: وعاين المشركون النار يومئذٍ فَظَنّوا أنّهُمْ مُوَاقعُوها يقول: فعلموا أنهم داخلوها, كما:
17455ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: فَظَنّوا أنّهُمْ مُوَاقعُوها قال: علموا.
17456ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحارث, عن درّاج, عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدريّ, عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم, أنـه قـال: «إنّ الكـافرَ يَـرَى جَهَنّــمَ فَــيَظُنّ أنّهـا مُوَاقعَتُهُ مِنْ مَسيرَةِ أرْبَعينَ سَنَةَ».

وقوله: ولَـمْ يَجِدُوا عَنْها مَصْرِفـا يقول: ولــم يجـدوا عـن النـار التــي رأوا معدلاً يعدلون عنها إلـيه. يقول: لـم يجـدوا مـن مواقعتهـا بـدّا, لأن اللـه قـد حتـم علـيهم ذلك. ومن الـمصرف بـمعنى الـمعدل قول أبـي كبـير الهذلـيّ:

أزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفِ أمْ لا خُـلُودَ لبـاذِلٍ مُتَكَلِّفِ

الآية : 54

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَقَدْ صَرّفْنَا فِي هَـذَا الْقُرْآنِ لِلنّـاسِ مِـن كُلّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً }.

يقـول عـزّ ذكـره: ولقـد مثلنـا فــي هـذا القـرآن للنـاس مـن كـلّ مثـل, ووعظناهم فـيه من كلّ عظة, واحتـججنا علـيهم فــيه بكـلّ حجـة لـيتذكّروا فـينـيبوا, ويعتبروا فـيتعظوا, وينزجروا عما هم علـيه مقـيـمون مـن الشـرك بـالله وعبـادة الأوثان وكانَ الإنْسانُ أكْثَرَ شَيْءٍ جَـدَلاً يقـول: وكـان الإنسـان أكثر شيء مراء وخصومة, لا ينـيب لـحقّ, ولا ينزجر لـموعظة, كما:

17457ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: وكانَ الإنْسانُ أكْثَرَ شَـيْءٍ جَـدَلاً قـال: الـجدل: الـخصومة, خصـومة القوم لأنبـيائهم, وردّهم علـيهم ما جاءوا به. وقـرأ: مَـا هَـذَا إلاّ بَشـرٌ مِثْلُكُـمْ يَأكُلُ مِـمّا تَأكُلُونَ منه وَيَشْرَبُ مِـمّا تَشْرَبُونَ. وقرأ: يُرِيدُ أنْ يَتَفَضّلَ عَلَـيْكُمْ. وقرأ: حتـى تُوَفّـى... الآية: وَلَـوْ نَزّلْنـا عَلَـيْكَ كِتابــا فِــي قِرْطـاسٍ... الآيـة. وقرأ: وَلَوْ فَتَـحْنا عَلَـيْهِمْ بـابـا مِـنَ السّـماءِ فَظَلّـوا فِـيهِ يَعْرُجُـونَ قَـال: هـم لـيس أنت لقالوا إنّـمَا سُكّرَت أبْصَارُنا بَلْ نَـحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ.

الآية : 55

القول فـي تأويــل قـوله تعالــى: {وَمَـا مَنَـعَ النّـاسَ أَن يُؤْمِنُـوَاْ إِذْ جَـآءَهُمُ الْهُدَىَ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبّهُمْ إِلاّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنّةُ الأوّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً }.

يقول عزّ ذكره: وما منع هؤلاء الـمشركين يـا مـحمد الإيــمان بــالله إذ جـاءهم الهـدى بــيان اللـه, وعلــموا صـحة مـا تـدعوهم إلــيه وحقــيقته, والاستغفـار مـما هم علـيه مقـيـمون مـن شـركهم, إلا مــجيئهم سـنتنا فــي أمثالهم من الأمـم الـمكذبة رسلها قبلهم, أو إتـيانهم العذاب قُبُلا.

واختلف أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك, فقـال بعضـهم: معنـاه: أو يأتــيهم العذاب فجأة. ذكر من قال ذلك:

17458ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عـن مــجاهد, فــي قـوله: أوْ يَأتِـيَهُمُ العَـذَابُ قُبُلاً قـال فجأة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

وقال آخرون: معناه: أو يأتـيهم العذاب عيانا. ذكر من قال ذلك:

17459ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله أوْ يَأتِـيَهُمُ العَذَابُ قُبُلاً قال: قبلاً معاينة ذلك القبل.

وقد اختلف القرّاء فـي قراءة ذلـك, فقرأتـه جماعـة ذات عـدد أوْ يَأتِــيَهُمْ العَـذَابُ قُبُلاً بضـمّ القـاف والبــاء, بــمعنى أنـه يأتــيهم مـن العـذاب ألـوان

وضـروب, ووجهـوا القُبُـل إلــى جمـع قبيـل, كمـا يُجمـع القتيــل القُتُـل, والـجديد الـجُدُد. وقرأ جماعة أخرى: «أوْ يَأتِـيَهُمْ العَذَابُ قِبَلاً» بكسر القـاف وفتـح البـاء, بـمعنى أو يأتـيهم العـذاب عيانـا مـن قـولهم: كلــمته قِبَلاً. وقـد بـيّنت
القول فـي ذلك فـي سورة الأنعام بـما أغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع.

الآية : 56

القـول فــي تأويــل قـولـه تعالــى: {وَمَـا نُرْسِـلُ الْمُرْسَـلِينَ إِلاّ مُبَشّـرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الّذِينَ كَفَرُواْ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقّ وَاتّخَذُوَاْ آيَاتِي وَمَـا أُنْذِرُواْ هُزُواً }.

يقول عزّ ذكره: وما نرسل إلا لـيبشروا أهـل الإيــمان والتصـديق بــالله بجزيـل ثوابه فـي الآخرة, ولـينذروا أهل الكفر به والتكذيب, عظيــم عقـابه, وأليـم عذابه, فـينتهوا عن الشرك بـالله, وينزجروا عن الكفـر بـه ومعاصـيه ويُجادِلُ الّذينَ كَفَرُوا بـالبـاطِلِ لِـيُدْحِضُوا بِـهِ الــحَقّ يقـول: ويخاصـم الـذين كذّبوا بـالله ورسوله بـالبـاطل, ذلك كقولهم للنبـيّ صلى اللـه عليـه وسـلم: أخبرنا عن حديث فتـية ذهبوا فـي أوّل الدهر لـم يدر ما شأنهم, وعن الرجـل الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها, وعن الروح, ومـا أشـبه ذلـك مــما كـانوا يخاصمونه به, يبتغون إسقاطه, تعنـيتا له صلى الله عليه وسـلم, فقـال اللـه لهم: إنـا لسـنا نبعـث إلـيكم رسـلنا للــجدال والــخصومات, وإنــما نبعثهم مبشــرين أهــل الإيــمان بـالــجنة, ومنــذرين أهــل الكفــر بــالنار, وأنتــم تـجادلونهم بـالبـاطل طلبـا منكـم بـذلك أن تبطلـوا الــحقّ الـذي جـاءكم بـه رسولـي. وعنى بقـوله: لــيُدْحِضُوا بِـهِ الــحَقّ لــيبطلوا بـه الــحقّ ويزيــلوه ويذهبوا به. يقال منـه: دحـض الشـيء: إذا زال وذهـب, ويقـال: هـذا مكـان دَحْض: أي مُزِل مُزْلِق لا يثبت فـيه خفّ ولا حافر ولا قدم ومنه قوله الشاعر:

رَدِيتُ ونَـجّى الـيَشْكُرِيّ حِذَارُهُ
وحادَ كما حادَ البَعيرُ عَن الدّحْضِ

ويروى: ونـحّى, وأدحضته أنا: إذا أذهبته وأبطلته.

وقوله: واتّـخَذُوا آياتـي وَما أُنْذِرُوا هُزُوا يقول: واتــخذوا الكـافرون بــالله حججه التـي احتـجّ بها علـيهم, وكتابه الذي أنزله إلـيهم, والنذر التـي أنذرهم بها سخريا يسخرون بها, يقولون: إنْ هَذَا إلاّ أسـاطِيرُ الأوّلِـينَ اكْتَتَبهـا فَهِـيَ تُـمْلـىَ عَلـيْهِ بُكْرَةً وَأصِيلاً ولَوْ شِئْنا لَقُلْنا مِثْلَ هَذَا.

الآية : 57

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّن ذُكّرَ بِآيَاتِ رَبّـهِ فَـأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدّمَتْ يَدَاهُ إِنّا جَعَلْنَا عَلَىَ قُلُوبِهِمْ أَكِنّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَىَ الْهُدَىَ فَلَنْ يَهْتَدُوَاْ إِذاً أَبَداً }.

يقول عزّ ذكره: وأيّ الناس أوضع للإعراض والصدّ فــي غيـر موضـعهما مـمن ذكره بآياته وحججه, فدله بها علـى سبيــل الرشـاد, وهـداه بهـا إلــى طريق النـجاة, فأعرض عن آياته وأدلتـه التــي فــي اسـتدلاله بهـا الوصـول إلـى الـخلاص من الهلاك وَنَسِيَ ما قَدّمَتْ يَدَاهُ يقول: ونسي ما أسـلف مــن الذنوب الـمهلكة فلـم يتب, ولـم ينب كما:

17460ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَنَسِيَ ما قَدّمَتْ يَدَاهُ: أي نسي ما سلف من الذنوب.

وقوله: إنّا جَعَلْنا على قُلوبِهِمْ أكِنّةَ أنْ يَفْقَهُوهُ وفِي آذانِهِمْ وَقْرا يقول تعالى ذكره: إنا جعلنا على قلوب هؤلاء الذين يعرضون عن آيات الله إذا ذكروا بها أغطية لئلا يفقهوه, لأن المعنى أن يفقهوا ما ذكروا به. وقوله: وفِي آذانِهِمْ وَقْرا يقول: في آذانهم ثقلاً لئلا يسمعوه وَإنْ تَدْعُهُمْ إلى الهُدَى يقول عزّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَإنْ تَدْعُ يا مُحَمّد هؤلاء المعرضين عن آيات الله عند التذكير بها إلى الاستقامة على محجة الحقّ والإيمان بالله, وما جئتهم به من عند ربك فَلَنْ يَهْتَدُوا إذًا أبَدًا يقول: فلن يستقيموا إذا أبدا على الحقّ, ولن يؤمنوا بما دعوتهم إليه, لأن الله قد طبع على قلوبهم, وسمعهم وأبصارهم.

الآية : 58

القول في تأويل قوله تعالى: {وَرَبّكَ الْغَفُورُ ذُو الرّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لّهُم مّوْعِدٌ لّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِ مَوْئِلاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وربك الساتر يا محمد على ذنوب عباده بعفوه عنهم إذا تابوا منهم ذُو الرّحمَةِ بِهِمْ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا هؤلاء المعرضين عن آياته إذا ذكروا بها بما كسبوا من الذنوب والآثام, لَعجّلَ لَهُمُ العَذَابَ ولكنه لرحمته بخلقه غير فاعل ذلك بهم إلى ميقاتهم وآجالهم, بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ يقول: لكن لهم موعد, وذلك ميقات محلّ عذابهم, وهو يوم بدر لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً يقول تعالى: ذكره: لن يجد هؤلاء المشركون, وإن لم يعجل لهم العذاب في الدنيا من دون الموعد الذي جعلته ميقاتا لعذابهم, ملجأ يلجأون إليه, ومنجى ينجون معه, يعني أنهم لا يجدون معقلاً يعتقلون به من عذاب الله يقال منه: وألت من كذا إلى كذا, أئل وُؤولاً, مثل وعولاً ومنه قول الشاعر:

لا وَاءَلَتْ نَفْسُكَ خَلّيْتَهاللّعامِرِيّين ولَمْ تُكْلَمِ

يقول: لانجت وقول الأعشى:

وَقَدْ أُخالِسُ رَبّ البَيْتِ غَفْلَتَهُوقَدْ يُحاذِرِ مِنّي ثَمّ ما يَئِلُ

وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17461ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: مَوْئِلاً قال: محرزا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

17462ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً: يقول: ملجأ.

17463ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً: أي لن يجدوا من دونه وليا ولا ملْجأً.

17464ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئلاً قال: ليس من دونه ملجأ يلجأون إليه.

الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى: {وَتِلْكَ الْقُرَىَ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مّوْعِداً }.

يقول تعالى ذكره: وتلك القُرى من عاد وثمود وأصحاب الأيكة أهلكنا أهلها لما ظلموا, فكفروا بالله وآياته, وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدا يعني ميقاتا

وأجلاً, حين بلغوه جاءهم عذاب فأهلكناهم به, يقـول: فكـذلك جعلنـا لهـؤلاء الـمشركين من قومك يا مـحمد الذين لا يؤمنون بك أبـدا موعـدا, إذا جـاءهم ذلك الـموعد أهلكناهم سنتنا فـي الذين خـلوا من قبلهم من ضربـائهم كما:

17465ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى «ح» وحدثنـي الـحارث, قـال: حـدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: لِـمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدا قال: أجلاً.

حدثنا القاسم, قال: ثنـي الـحسين, قال: ثنـي حجّاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

واختلفت القرّاء فـي قراءة قوله لِـمَهْلِكِهِمْ فقرأ ذلك عامّة قـرّاء الـحجاز والعراق: «لِـمُهْلِكِهِمْ» بضمّ الـميـم وفتـح اللام علـى تـوجيه ذلـك إلـى أنـه مصدر من أهلكوا إهلاكا. وقـرأه عاصـم: «لِـمَهْلَكِهِمْ» بفتـح الـميـم واللام علـى توجيهه إلـى الـمصدر من هلكوا هلاكا ومهلكا.

وأولـى القراءتـين بـالصواب عندي فـي ذلك قراءة من قرأه: «لـمُهْلَكِهِمْ» بضمّ الـميـم وفتـح اللام لإجماع الـحجة من القرّاء علـيه, واسـتدلالاً بقـولـه: وَتِلْكَ القُرَى أَهْلَكْناهُمْ فأن يكون الـمصدر من أهلكنا, إذ كان قـد تقـدّم قبلـه أولـى. وقـيـل: أهلكناهم, وقد قال قبل: وَتلكَ القُـرَى, لأن الهلاك إنـما حـلّ بأهل القرى, فعاد إلـى الـمعنى, وأجرى الكلام علـيه دون اللفظ.

وقال بعض نـحويـي البصرة: قال: وَتِلْكَ القُرَى أَهْلَكْناهُمْ لَـمّا ظَلَـمُوا يعنـي أهلها, كما قال: وَاسْئَلِ القَرْيَةِ ولـم يجيء بلفظ القرى, ولكن أجـرى اللفـظ علـى القوم, وأجرى اللفظ فـي القرية علـيها إلـى قـوله التـي كُنّـا فِـيها, وقال: أَهْلَكْناهُمْ ولـم يقل: أهلكناها, حمله علـى القـوم, كمـا قـال: جـاءت تـميـم, وجعل الفعل لبنـي تـميـم, ولـم يجعله لتـميـم, ولو فعل ذلـك لقـال: جاء تـميـم, وهذا لا يحُسن فـي نـحو هذا, لأنه قد أراد غير تـميـم فـي نـحو هذا الـموضع, فجعله اسما, ولـم يحتـمل إذا اعتـلّ أن يحـذف مـا قبلـه كلـه معنى التاء من جاءت مع بنـي تـميـم, وترك الفعل علـى ما كان لـيعلـم أنـه قد حذف شيئا قبل تـميـم. وقال بعضـهم: إنـما جـاز أن يقـال: تلـك القـرى أهلكناهم, لأن القرية قـامت مقـام الأهـل, فجـاز أن تـرد علـى الأهـل مـرة وعلـيها مرّة, ولا يجوز ذلك فـي تـميـم, لأن القبـيـلة تعرف به ولـيس تـميـم هـو القبـيـلة, وإنـما عرفـت القبـيـلة بـه, ولـو كـانت القبـيـلة قـد سـميت بـالرجل لـجرت علـيه, كما تقول: وقعت فـي هـود, تريـد فـي سـورة هـود ولـيس هود اسما للسورة وإنـما عرفـت السـورة بـه, فلـو سـميت السـورة بهود لـم يجر, فقتل: وقعت فـي هود يا هذا, فلـم يجر, وكذلك لو سمي بنـي تـميـم تـميـما لقـيـل: هذه تـميـم قـد أقبلـت, فتأويـل الكلام: وتلـك القـرى أهلكناهم لـما ظلـموا, وجعلنا لإهلاكهم موعدا.

الآية : 60

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىَ لِفَتَـاهُ لآ أَبْـرَحُ حَتّـىَ أَبْلُـغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً }.

يقول عزّ ذكره لنبـيه صلى الله عليه وسلم: واذكر يا مـحمد إذ قال موسى بـن عمـران لفتـاه يوشـع: لا أبْـرَحُ يقـول: لا أزال أسـير حتـى أبْلُـغَ مَـجْمَعَ البَحْرَيْنِ, كما:

17466ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: لا أبْرَحُ قال: لا أنتهي.
وقيل: عنى بقوله: مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ اجتماع بحر فارس والروم, والمجمع: مصدر من قولهم: جمع يجمع. ذكر من قال ذلك:
17467ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: حتى أبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ والبحران: بحر فارس وبحر الروم, وبحر الروم مما يلي المغرب, وبحر فارس مما يلي المشرق.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قوله: مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ قال: بحر فارس, وبحر الروم.
17468ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد مجمَع البَحْرَينِ قال: بحر الروم, وبحر فارس, أحدهما قِبَل المشرق, والآخر قِبَل المغرب.
17469ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: مُجْمَعَ البَحْرَيْنِ.
17470ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن الضريس, قال: حدثنا أبو معشر, عن محمد بن كعب, في قوله: لا أبْرَحُ حتى أبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ قال: طنجة.
وقوله: أوْ أمْضِيَ حُقُبا يقول: أو أسير زمانا ودهرا, وهو واحد, ويجمع كثيره وقليله: أحقاب. وقد تقول العرب: كنت عنده حقبة من الدهر, ويجمعونها حُقبا. وكان بعض أهل العربية بوجه تأويل قوله لا أبْرَحُ: أي لا أزول, ويستشهد لقوله ذلك ببيت الفرزدق:
فمَا بَرِحُوا حتى تَهادَتْ نِساؤُهُمْبَطْحاءِ ذِي قارٍ عِيابَ اللّطائِمِ
يقول: ما زالوا.
وذكر بعض أهل العلم بكلام العرب, أن الحقب في لغة قيس: سنة. فأما أهل التأويل فإنهم يقولون في ذلك ما أنا ذاكره, وهو أنهم اختلفوا فيه, فقال بعضهم: هو ثمانون سنة. ذكر من قال ذلك:
17471ـ حُدثت عن هشيم, قال: حدثنا أبو بلج, عن عمرو بن ميمون, عن عبد الله بن عمرو, قال: الحقب: ثمانون سنة.
وقال آخرون: هو سبعون سنة. ذكر من قال ذلك:
17472ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد أوْ أمْضِيَ حُقُبا قال: سبعين خريفا.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.
وقال آخرون في ذلك, بنحو الذي قلنا. ذكر من قال ذلك:
17473ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أوْ أمْضِيَ حُقُبا قال: دهرا.
17474ـ حدثنا أحمد بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله حُقَبا قال: الحقب: زمان.
17475ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أوْ أمْضِيَ حُقُبا قال: الحقب: الزمان.

الآية : 61

القول فـي تأويـل قولـه تعالـى: {فَلَمّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً }.

يعنـي تعالـى ذكره: فلـما بلغ موسى وفتاه مـجمع البحرين, كما:

17476ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحرث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله مَـجْمَعَ بَـيْنِهما قال: بـين البحرين.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

وقوله: نَسيا حُوَتهُما يعنـي بقوله: نسيا: تركا, كما:

17477ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد نَسيَا حُوَتهُما قال: أضلاه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, قال: أضلاه.

قال بعض أهل العربـية: إن الـحوت كـان مـع يوشـع, وهـو الـذي نسـيه, فأضيف النسيان إلـيهما, كمـا قـال: يَخْـرُجُ مِنْهُمـا اللّؤْلُـؤُ والـمَرْجانُ وإنـما يخرج من الـملـح دون العذب.

وإنـما جاز عندي أن يقال: نَسِيا لأنهما كانا جميعا تزوّداه لسفرهما, فكـان حمل أحدهما ذلك مضافـا إلـى أنه حمل منهما, كما يقـال: خـرج القـوم مـن موضع كذا, وحملوا معهم كذا من الزاد, وإنـما حمله أحدهما ولكنه لـما كـان ذلك عن رأيهم وأمرهم أضيف ذلك إلـى جميعهـم, فكـذلك إذا نسـيه حـامله فـي موضع قـيـل: نسي القوم زادهم, فأضـيف ذلـك إلـى الـجميع بنسـيان حامله ذلك, فـيجرى الكلام علـى الـجميع, والفعل مـن واحـد, فكـذلك ذلـك فـي قـوله: نَسِـيا حُوَتُهمـا لأن اللـه عـزّ ذكـره خـاطب العـرب بلغتهـا, ومـا يتعارفونه بـينهم من الكلام.

وأما قوله: يَخْرُجُ مِنْهُما اللّؤْلُؤُ والـمَرْجانُ فإن القول فـي ذلك عندنا بخلاف ما قال فـيه, وسنبـينه إن شاء الله تعالـى إذا انتهينا إلـيه.

وأما قوله: فـاتّـخَذَ سَبِـيـلَهُ فِـي البَحْرِ سَرَبـا فإنه يعنـي أن الـحوت اتـخذ طريقه الذي سلكه فـي البحر سربـا, كما:

17478ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, عن مـجاهد فـاتّـخَذَ سَبِـيـلَهُ فِـي البَحْـرِ سَرَبـا قـال: الـحوت اتـخذ. ويعنـي بـالسرب: الـمسلك والـمذهب, يسرب فـيه: يذهب فـيه ويسلكه.

ثم اختلف أهل العلـم فـي صفة اتـخاذه سبـيـله فـي البحـر سربـا, فقـال بعضهم: صار طريقه الذي يسلك فـيه كالـحجر. ذكر من قال ذلك:

17479ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, قال: قال ابن عبـاس, قوله سَرَبـا قال: أثره كأنه حجر.

17480ـ حدثنا ابـن حميـد, قـال: حـدثنا سلـمة, قـال: ثنـي مـحمد بـن إسحاق, عن الزهري, عن عبـيد الله بن عبد الله عن ابن عبـاس, عـن أبـيّ بن كعب, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر حديث ذلـك: «ما انْـجابَ ماءٌ مُنْذُ كانَ النّاسُ غيرُهُ ثَبَتَ مَكانُ الـحُوتِ الّذِي فِـيهِ فـانْـجابَ كالكُوّةِ حتـى رَجَعَ إلَـيْهِ مُوسَى, فَرأى مَسْلَكَهُ, فقالَ: ذلكَ ما كُنّا نَبْغي».

17481ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن عطية, قال: حدثنا عمرو بن ثابت, عن أبيه, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, في قوله فاتّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبا قال: جاء فرأى أثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء, قال ابن عباس فاتّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبا وحلق بيده.

وقال آخرون: بل صار طريقه في البحر ماء جامدا. ذكر من قال ذلك:

17482ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: سرب من الجرّ حتى أفضى إلى البحر, ثم سلك, فجعل لا يسلك فيه طريقا إلا صار ماء جامدا.

وقال آخرون: بل صار طريقه في البحر حجرا. ذكر من قال ذلك:

17483ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: جعل الحوت لا يمسّ شيئا من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة.

وقال آخرون: بل إنما اتخذ سبيله سربا في البرّ إلى الماء, حتى وصل إليه لا في البحر. ذكر من قال ذلك:

17484ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فاتّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبا قال: قال: حشر الحوت في البطحاء بعد موته حين أحياه الله. قال ابن زيد, وأخبرني أبو شجاع أنه رآه قال: أتيت به فإذا هو شقة حوت وعين واحدة, وشقّ آخر ليس فيه شيء.

والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عزّ وجلّ: واتخذ الحوت طريقه في البحر سربا. وجائز أن يكون ذلك السرب كان بانجياب عن الأرض وجائز أن يكون كان بجمود الماء وجائز أن يكون كان بتحوّله حجرا.

وأصحّ الأقوال فيه ما رُوي الخبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرنا عن أبيّ عنه.

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـَذَا نَصَباً }.

يقول تعالى ذكره: فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين, قال موسى لفتاه يوشع آتِنا غَدَاءَنا يقول: جئنا بغدائنا وأعطناه, وقال: آتنا غداءنا, كما يقال: أتى الغداء وأتيته, مثل ذهب وأذهبته, لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَبا يقول: لقد لقينا من سفرنا هذا عناء وتعبا وقال ذلك موسى, فيما ذُكر, بعد ما جاوز الصخرة, حين ألقي عليه الجوع ليتذكر الحوت, ويرجع إلى موضع مطلبه.

الآية : 63

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى الصّخْرَةِ فَإِنّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاّ الشّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً }.

يقول تعالى ذكره: قال فتى موسى لموسى حين قال له: آتنا غداءنا لنطعم: أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت هنالك وَما أنْسانيهُ إلاّ الشّيْطانُ يقول: وما أنساني الحوت إلا الشيطان أنْ أذْكُرَهُ فأن في موضع نصب ردّا على الحوت, لأن معنى الكلام: وما أنساني أن أذكر الحوت إلا الشيطان سبق الحوت إلى الفعل, وردّ عليه قوله أنْ

أذْكُرَهُ وقد ذكر أن ذلك فـي مصحف عبد اللـه: «ومـا أنسانــيه أن أذكـره إلا الشيطان».

17485ـ حدثنـي بذلك بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة حدثنـي العبـاس بن الوليـد قال: سمعت مـحمد بن معقل, يحدّث عن أبــيه, أن الصخرة التـي أوى إلـيها موسى هي الصخرة التـي دون نهر الذئب علــى الطريق.

واتّـخَذَ سَبِـيـلَهُ فِـي البَحْرِ عَجَبـا يُعْجَبُ منه. كما:

17486ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: فِـي البَحْرِ عَجَبـا قال: موسى يعجب من أثر الـحوت فـي البحر ودوراته التـي غاب فـيها, فوجد عندها خضرا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

17487ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, فـي قوله: واتّـخَذَ سَبـيـلَهُ فِـي البَحْرِ عَجَبـا فكان موسـى لــما اتــخذ سبـيـله فـي البحر عجبـا, يعجب من سرب الـحوت.

17488ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: واتّـخَذَ سَبِـيـلَهُ فـي البَحْرِ عَجَبـا قال: عجب والله حوت كان يؤكل منه أدهرا, أيّ شيء أعجب من حوت كان دهرا من الدهور يؤكـل منـه, ثـم صـار حيا حتـى حشر فـي البحر.

حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنــي عمـي, قـال: ثنــي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قال: جعل الـحوت لا يـمسّ شيئا من البحر إلا يبس حتـى يكون صخرة, فجعل نبـيّ الله صلى اللـه عليـه وسـلم يعجـب من ذلك.

17489ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا الـحسن بن عطية, قال: حدثنا عمرو بن ثابت, عن أبـيه, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس واتّـخَذَ سَبِـيـلَهُ فِـي البَحْرِ عَجَبـا قال: يعنـي كان سرب الـحوت فـي البحر لـموسى عجبـا.

الآية : 64 و 65

القول فـي تأويـل قولـه تعالـى: {قَالَ ذَلِكَ مَا كُنّا نَبْغِ فَارْتَـدّا عَلَـىَ آثَارِهِمَـا قَصَصاً * فَوَجَدَا عَبْداً مّنْ عِبَادِنَآ آتَيْنَاهُ رَحْمَـةً مّـنْ عِنـدِنَا وَعَلّمْنَـاهُ مِـن لّـدُنّا عِلْماً }.

يقول تعالـى ذكره: فقال موسى لفتاه ذلكَ يعنـي بذلك: نسيانك الـحوت وما كُنّا نَبْغِ يقـول: الـذي كنـا نلتــمس ونطلـب, لأن موسـى كـان قـيــل لـه صاحبك الذي تريده حيث تنسى الـحوت, كما:

17490ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحرث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: ذلكَ ما كُنّا نَبْغِ قال موسـى: فـذلك حيـن أخبرت أنـي واجد خضرا حيث يفوتنـي الـحوت.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله, إلا أنه قال: حيث يفـارقنـي الـحوت.

وقوله: فـارْتَدّا علـى آثارِهِما قَصَصًا يقول: فرجعا فـي الطريق الـذي كانـا قطعاه ناكصين علـى أديارهما يقصان آثارهما التــي كانـا سـلكاهما. وبنــحو الذي قلنا فـي ذلك, قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

17491ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحرث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عـن مــجاهد, قـوله: قَصصـا قـال: اتبـع موسـى وفتـاه أثـر الـحوت, فشقا البحر راجعين.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, قوله: فـارْتَدا علـى آثارِهِما قَصَصـا قـال: اتبــاع موسـى وفتـاه أثـر الـحوت بشقّ البحر, وموسى وفَتاه راجعان وموسى يعجب من أثر الــحوت فـي البحر, ودوراته التـي غاب فـيها.

17492ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: رجعا عودهما علـى بدئهما فـارْتَدّا عَلـى آثارِهما قَصَصا.

17493ـ حدثنا ابـن حميـد, قـال: حـدثنا سلــمة, قـال: ثنــي مــحمد بـن إسحاق, عن الزهري, عن عبـيد الله بن عبد الله عن ابن عبــاس, عـن أبّــي بن كعب, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فـي قوله: ذلكَ ما كُنّـا نَبْغِ فــارْتَدّا عَلــى آثارِهمـا قَصَصـا: «أيْ يَقُصّـان آثارَهمـا حتــى انْتَهَيـا إلــى مَدْخَـلِ الـحُوتِ».

وقولَه: فَوَجَدَا عَبْدا مِنْ عبـادِنا آتَـيْناه رحْمَةً مِنْ عِنْدِنا يقول: وهبنا له رحمة من عندنا وَعَلّـمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْـما يقول: وعلـمناه من عندنا أيضا علـما. كما:

17494ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة مِـنْ لَدُنّا عِلْـما: أي من عندنا علـما.

وكان سبب سفر سُئل: هـل فــي الأرض أحـد أعلــم منـك؟ فقـال: لا, أو حدّثته نفسه بذلك, فكره ذلـك لـه, فـأراد اللـه تعريفـه أن مـن عبــاده فــي الأرض من هو أعلـم منه, وأنه لـم يكن له أن يحتـم علـى ما لا علــم لـه بـه, ولكن كان ينبغي له أن يكل إلـى عالـمه.

وقال آخرون: بل كان سبب ذلك أنه سأل اللـه جـلّ ثنـاؤه أن يـدله علــى عالـم يزداد من علـمه إلـى علـم نفسه. ذكر من قال ذلك:

17495ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن هارون بن عنـترة, عـن أبـيه, عن ابن عبـاس, قال: سأل موسـى ربـه وقـال: ربّ أيّ عبــادك أحـبّ إلـيك؟ قال: الذي يذكرنـي ولا ينسانـي قال: فأيّ عبـادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بـالـحقّ ولا يتبع الهوى قـال: أي ربّ أيّ عبــادك أعلــم؟ قـال: الـذي يبتغي علـم الناس إلـى علـم نفسه, عسى أن يصيب كلـمة تهديه إلـى هُدَى, أو تردّه عن رَدَى قال: ربّ فهل فـي الأرض أحدٌ؟ قال: نعم قال: ربّ, فمــن هو؟ قال: الـخضر قال: وأين أطلبه؟ قال: علـى الساحل عند الصخرة التـي ينفلت عندها الـحوت قال: فخرج موسى يطلبـه, حتــى كـان مـا ذكـر اللّـهُ, وانتهى إلـيه موسى عند الصـخرة, فسلــم كـلّ واحـد منهمـا علــى صـاحبه, فقال له موسى: إنـي أريد أن تستصحبنـي, قال: إنـك لـن تطيـق صحبتــي, قال: بلـى, قال: فإن صحبتنـي «فَلا تَسْأَلْنِـي عَنْ شَيْءٍ حتـى أُحْدِثَ لَكَ مِنْـهُ ذِكْرا فـانْطَلَقا حتـى إذَا رَكِبـا فِـي السّفِـينَةِ خَرَقَها قال أخَرَقْتَها لِتُغْـرِقَ أهْلَهـا لَقَدْ جِئْـتَ شَـيْئا إمْـرا قـالَ أَلَــمْ أقُـلْ إنّـكَ لَـنْ تَسْـتَطِيعَ مَعِـيَ صَـبْرا قـال لا تُؤَاخِذْنِـي بِـمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِـي مِنْ أمْرِي عُسْـرا فــانْطَلَقَا حتــى إذَا لَقِــيا

غُلاما فَقَتَلَهُ قالَ أَقَتَلْتَ نَفْسا زَكيّةً بغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جئْتَ شَـيْئا نُكْـرا»... إلــى قوله: لاتّـخَذْتَ عَلَـيْهِ أجْرا قـال: فكـان قـولُ موسـى فــي الــجدار لنفسـه, ولطلب شيء من الدنيا, وكان قوله فـي السفـينة وفـي الغلام لله, قالَ هَذَا فِرَاقُ بَـيْنِـي وَبَـيْنِكَ سأُنَبّئُكَ بتَأْويـلِ ما لَـمْ تَسْتَطِعْ عَلَـيْهِ صَـبْرا فـأخبره بــما قال أما السفـينة وأما الغلام وأما الـجدار, قال: فسار بـه فــي البحـر حتــى انتهى إلـى مـجمع البحور, ولــيس فــي الأرض مكـان أكـثر مـاء منـه, قـال: وبعث ربك الـخُطّاف فجعل يستقـي منه بـمنقاره, فقيـل لـموسى: كم ترى هذا الـخطاف رَزَأ من هذا الـماء؟ قال: ما أقلّ ما رَزَأ قـال: يـا موسـى فـإن علـمي وعلـمك فـي علـم الله كقدر ما استقـى هذا الـخطاف من هذا الـماء وكان موسى قد حدّث نفسه أنه لـيس أحد أعلـم منه, أو تكلـم به, فمـن ثَـم أُمِرَ أن يأتـي الـخضر.

17496ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الـرزاق, قـال: أخبرنـا معمر, عن أبـي إسحاق, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, قـال: خطـب موسى بنـي إسرائيـل, فقال: ما أحد أعلـم بـالله وبأمره منـي, فأوحى اللــه إلـيه أن يأتـي هذا الرجل.

17497ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الـرزاق, قـال: أخبرنـا معمر, عن قتادة أنه قـيـل لـه: إن آيـة لقــيك إيـاه أن تنسـى بع ض متاعـك, فخرج هو وفتاه يوشع بن نون, وتزوّدا حوتا مـملوحا, حتـى إذا كانا حيث شاء الله, ردّ الله إلـى الـحوت روحه, فسرب فـي البحر, فـاتـخذ الـحوت طريقه سربـا فـي البحر, فسرب فـيه فَلَـمّا جاوَزَا قالَ لِفَتاهُ آتِنـا غَـدَاءنا لَقَـدْ لَقِــينا مِنْ سَفَرِنا هَذا نَصَبـا... حتـى بلـغ واتّــخَذَ سَبِـيــلَهُ فِــي البَحْـرِ عَجَبــا فكـان موسى اتـخذ سبـيـله فـي البحر عجبـا, فكان يعجب من سرب الـحوت.

17498ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن أبـي إسحاق, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس قال: لــما اقتـص موسـى أثر الـحوت انتهى إلـى رجل, راقد قد سجى علـيه ثوبه فسلـم علـيه موسى فكشف الرجل عن وجهه الثوب وردّ علــيه السـلام وقـال: مـن أنـت؟ قـال: موسى, قال: صاحب بنـي إسرائيـل؟ قال: نعم, قـال: أوَ مـا كـان لـك فــي بنـي إسرائيـل شغل؟ قال: بلـى, ولكن أُمرت أن آتـيك وأصحبك, قال: إنــك لن تستطيع معي صبرا, كما قصّ الله, حتـى بلغ فلــما رَكِبــا فِــي السَفــينَةِ خَرَقَها صاحب موسى قالَ أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَـيْئا إمْـرا يقــول: نُكرا قالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِـمعا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِــي مِـنْ أَمْـرِي عُسْـرا فــانْطَلَقَا حتـى إذَا لَقِـيا غُلاما فَقَتَلَهُ, قالَ أَقَتَلْتَ نَفْسا زَكِيّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ.

17499ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا يحيى بن آدم, قالَ: حدثنا سفــيان, عن عمرو بن دينار, عن سعيد بن جبـير, قال: قلـت لابـن عبــاس: إن نوفــا يزعم أن الـخضر لـيس بصاحب موسى, فقال: كذب عدوّ اللــه. حـدثنا أبــيّ بن كعب, عن النبـيّ صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ مُوسَى قامَ فِــي بَنِــي إسْرَائِيـلَ خَطِيبـا فَقِـيـلَ: أيّ النّاسُ أَعْلَـمُ؟ فَقالَ: أنا, فعَتَبَ اللّهُ عَلَـيْهِ حِيـنَ لَـمْ يَرُدّ العِلْـمَ إلَـيْهِ فقالَ: بَلـى عَبْدٌ لـي عِنْدَ مَـجْمَعَ البَحْرَيْنِ, فَقالَ: يـا رَبّ كَيْفَ بِهِ؟ فَقِـيـلَ: تَأْخُذُ حُوتا, فَتَـجْعَلُهُ فِـي مِكْتَلٍ, ثُمّ قـالَ لِفُتَـاهُ: إذَا فَقَـدْتَ هَذَا الـحُوتَ فَأَخْبِرْنِـي, فــانْطَلَقا يَــمْشِيانِ عَلَــى سـاحِلِ البَحْـرِ حتــى أتَــيا صَخْرَةً, فَرَقَدَ مُوسَى, فـاضْطَرَب الـحُوتُ فِـي الـمِكْتَلِ, فَخَـرَجَ فَوَقَـعَ فِــي البَحْرِ, فأمْسَكَ اللّهُ عَنْهُ جِرْيَةَ الـمَاءِ, فَصَارَ مِثْـلَ الطّـاقِ, فَصَـارِتْ لِلْــحُوتِ

سَرَبـا وكانَ لَهُما عَجَبـا. ثُمّ انْطَلَقا, فَلَـمّا كانَ حِينَ الغَدِ, قالَ مُوسَـى لَفَتـاهُ: آتِنا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِـينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَبـا, قـالَ: وَلَــمْ يَجِـدْ مُوسَـى النّصَـبَ حتـى جاوَزَ حَيْثُ أمَرَهُ اللّهُ قالَ: فَقالَ: أرَأيْتَ إذْ أوَيْنـا إلــى الصّـخْرَةِ فإنّــي نَسِيتُ الـحُوتَ, وَما أنْسانِـيهُ إلاّ الشّـيْطانُ أنْ أذْكُـرَهُ, واتّــخَذَ سَبِـيـلَهُ فِــي البَحْرِ عَجَبـا, قالَ: فَقالَ: ذلكَ ما كُنّا نَبْغِ, فـارْتَدّا عَلـى آثارِهما قَصَصا, قـالَ: يَقُصّانِ آثارَهما, قالَ: فَأتَـيَا الصّخْرَةَ, فإذَا رَجُلٌ نائمٌ مُسَـجًّى بِثَـوْبِهِ, فَسَلّــمَ عَلَـيْهِ مُوسَى, فَقالَ: وأنّـي بأرْضِنَا السّلامُ؟ فَقالَ: أنا مُوسَى, قـالَ: مُوسَـى بَنِـي إسْرَائِيـلَ؟ قالَ: نَعَمْ, قالَ: يا مُوسَى, إنّـي عَلـى عِلْـمٍ مِنْ عِلْـمِ اللّـهِ, عَلّـمَنِـيَهِ اللّهُ لا تعْلَـمُهُ, وأنْتَ عَلـى عِلْـمٍ مِنْ عِلْـمِهِ عَلّـمَكَهُ لا أعْلَـمُهُ, قـالَ: فإنّـي أتّبِعُكَ عَلـى أنْ تُعَلّـمَنِـي مِـمّا عُلّــمْتَ رُشْـدا, قـالَ: فـإنِ اتّبَعْتَنِــي فَلا تَسْألْنِـي عَنْ شَـيْءٍ حتـى أُحْـدِثَ لَـكَ مِنْـهُ ذِكْـرا. فــانْطَلَقا يَــمْشِيانِ عَلــى السّاحِلِ, فَعُرِفَ الـخَضِرُ, فَحُمِل بِغَيْرِ نَوْلٍ, فَجاءَ عُصْفُورٌ, فَوَقَعَ عَلـى حَرْفِها فَنَقَرَ, أوْ فَنَقَدَ فِـي الـمَاءِ, فَقالَ الـخَضِرُ لِـمُوسَى: ما نَقَصَ عِلْـمِي وَعِلْــمُكَ مِنْ عِلْـمِ اللّهِ إلاّ مِقْدَارَ ما نَقَرَ أوْ نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ مِنَ البَحْرِ». أبـو جعفـر الطبري يشكّ, وهو فـي كتابه نَقَر, قالَ: «فَبَيْنـما هُوَ إذْ لَــمْ يَفْجَـأهُ مُوسَـى إلاّ وَهُـوَ يَتِـدُ وَتِـدا أوْ يَنْـزِعُ تَــحْتا مِنْها, فَقـالَ لَـهُ مُوسَـى: حُمِلْنـا بِغَيـرِ نَـوْلٍ وَتَـخْرِقُها لِتُغْرِقَ أهْلَها؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئا إمْرا, قالَ: أَلَـمْ أقُلْ إنّكَ لَـنْ تَسْـتَطِيعَ مَعَيَ صَبْرا, قالَ: لا تُؤَاخِذْنِـي بِـمَا نَسِيتُ, قالَ: وكانَتِ الأُوَلــى مِــنْ مُوسَـى نِسْيانا قالَ: ثُمّ خَرَجا فـانْطَلَقَا يَـمْشِيانِ, فَأبْصَرَا غُلاما يَــلْعَبُ مَـعَ الغِلْــمانِ, فَأخَذَ برأسِهِ فَقَتَلَهُ, فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أقَتَلْـتَ نَفْسـا زَاكِيَـةً بِغَيْـرِ نَفْـسٍ, لَقَـدْ جِئْتَ شَيْئا نُكْرا, قالَ: أَلَـمْ أقُلْ لَكَ إنّكَ لَـنْ تَسْـتَطِيعَ مَعَـي صَـبْرا؟ قـالَ: إنْ سألْتُكَ عَـنْ شَـيْءٍ بَعْـدَها فَلا تُصَاحِبْنِـي قَـدْ بَلَغْـتَ مِـنْ لَدُنّــي عُـذْرا, قـالَ: فـانْطَلَقّ حتـى إذَا أتَـيا أهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أهْلَها, فَلَــمْ يَجِـدَا أحَـدا يُطْعِمُهُـمْ وَلا يَسْقِـيهِمْ, فَوَجَدَا فِـيها جِدَارا يُرِيدُ أنْ يَنْقَضّ, فأقَامَهُ بِـيَدِهِ, قـالَ: مَسَـحَه بِـيَدِهِ فَقالَ لَهُ مُوسَى: لَـمْ يُضَيّفُونَا ولَـمْ يُنْزِلُونـا, لَـوْ شِـئْتَ لاتّــخَذْتَ عَلَــيْهِ أجْرا, قالَ: هَذَا فِرَقُ بَـيْنِـي وَبَـيْنِكَ» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَوَدِدْتُ أنّهُ كانَ صَبَرَ حتـى يَقُصّ عَلَـيْنا قَصَصَهُمْ».

17500ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, قال: حدثنا ابن إسحاق, عن الـحسن بن عمـارة, عـن الــحكم بـن عتـيبة, عـن سـعيد بـن جبـير, قـال: جلست فأسنَدَ ابن عبـاس وعنده نفر من أهل الكتاب, فقال بعضهم: يـا أبــا العبـاس, إن نوفـا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب, أن موسـى النبــيّ الـذي طلب العالـم, إنـما هو موسى بن ميشا. قال سعيد: قال ابن عبـاس: أنـوف يقول هذا؟ قال سعيد: فقلت له نعم, أنا سمعت نوفـا يقول ذلك, قال: أنـت سمعته يا سعيد؟ قال: قلت: نعم, قـال: كـذب نـوف ثـم قـال ابـن عبــاس: حدثنـي أبـيّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ مُوسَى هُوَ نَبِـيّ بَنِـي إسْرَائِيـلَ سألَ رَبّهُ فَقالَ: أيْ رَبّ إنْ كانَ فِـي عِبـادِكَ أحَـدٌ هُـوَ أعْلَـمُ مِنّـي فـادْلُلْنِـي عَلَـيْهِ, فَقالَ لَهُ: نَعَمْ فـي عِبـادِي مَنْ هُـوَ أعْلَــمُ مِنْـكَ, ثُمّ نَعَتَ لَهُ مَكانَهُ, وأذِنَ لَهُ فِـي لُقِـيّهِ فخَرَجَ مُوسَـى مَعَـهُ فَتـاه وَمَعَـهُ حُـوتٌ مَلِـيحٌ, وَقَدْ قِـيـلَ لَهُ: إذَا حَيِـيَ هَذَا الـحُوتُ فِـي مَكانٍ فصـاحبُكَ هُنالـكَ وَقَـدْ أدْرَكْتَ حاجَتَكَ فَخَرَجَ مُوسَى وَمَعَهُ فَتَاهُ, وَمَعَهُ ذلكَ الـحُوتُ يَحْمِلانِـهِ, فَسـارَ حتـى جَهَدَهُ السّيْرُ, وَانْتَهَى إلـى الصّخْرَةِ وَإلـى ذلكَ الـمَاءِ, ماءِ الـحَياةِ, مَــنْ شَرِبَ مِنْهُ خَـلَدَ, وَلا يُقارِبُهُ شَيْءٌ مَيّتٌ إلاّ حَيِـيَ فَلَــمّا نَـزَلا, وَمَـسّ الــحُوتَ

الـمَاءُ حَيِـيَ, فـاتّـخَذَ سَبِـيـلَهُ فِـي البَحْرِ سَرَبـا فـانْطَلَقا, فَلَـمّا جاوَزَا مُنْقَلَبَـهُ قالَ مُوسَى: آتِنا غَدَاءَنا لَقَدْ لَقِـينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَبـا. قـالَ الفَتـى وَذَكَـرَ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلـى الصّخْرَةِ فإنّـي نَسِيتُ الَـحُوتَ وَما أَنْسانِـيهُ إلاّ الشّـيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ. واتّـخَذَ سَبِـيـلَهُ فِـي البَحْرِ عَجَبـا» قال ابن عبـاس: فظهر موسى علـى الصخرة حين انتهيا إلـيها, فـإذا رج ل متلفـف فـ ي كسـاء لـه, فسلـم موسى, فردّ علـيه العالـم, ثم قال له: وما جاء بك؟ إن كان لك فـي قومـك لشغل؟ قال له موسى: جئتك لتعلـمني مـما علـمت رشـدا, قـالَ إنّـكَ لَـنْ تَسْتَطِيعَ مَعَيَ صَبْرا, وكـان رجلاً يعلـم علـم الغيـب قـد علّـم ذلـك, فقـال موسى: بلـى قالَ وكَيْفَ تَصْبِرُ عَلـى ما لَـمْ تُـحِطْ بِـهِ خُـبرا: أي إنـما تعـرف ظاهر ما تـرى مـن العـدل, ولـم تُـحط مـنِ علـم الغيـب بـما أعلـم قـالَ سَتَـجِدُنِـي إنْ شاءَ اللّهُ صَابِرا وَلا أَعْصِـيَ لَـكَ أَمْـرا وإن رأيـتَ م ا يخالفنـي, قالَ فإنِ اتّبَعْتَنِـي فَلا تَسْأَلْنِـي عَنْ شَـيْءٍ وإن أنكرتـه حتـى أُحْـدِثَ لَـكَ مِنْـهُ ذِكْرا, فـانطلقا يـمشيان علـى سـاحل البحـر, يتعرّضـان النـاس, يـلتـمسان من يحملهما, حتـى مـرّت بهمـا سفـينة جديـدة وثـيقة لـم يـمرّ بهمـا مـن السفن شيء أحسن ولا أجمـل ولا أوثـق منهـا, فسـألا أهلهـا أن يحملوهمـا, فحملوهما, فلـما اطمأنـا فـيها, ولـجت بهمـا مـع أهلهـا, أخـرج منقـارا لـه ومطرقة, ثم عمد إلـى ناحية منها فضرب فـيها بـالـمنقار حتـى خرقهـا, ثـم أخذ لوحا فطبقه علـيها, ثم جلس علـيها يرقعها. قال لـه موسـى ورأى أمـرا فظع به: أخَرَقْتَهَا لتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَـيْئا إمْـرا قـالَ أَلَـمْ أقُـلْ إنّـكَ لَـنْ تَسْتَطِيعَ مَعَي صَبْرا قالَ لا تؤاخِذْنِـي بِـمَا نَسِيتُ: أي ما تركت من عهـدك وَلا تُرْهِقْنِـي منْ أَمْرِي عُسْرا. ثم خرجا مـن السفـينة, فـانطلقا حتـى إذا أتـيا أهل قرية فـإذا غِلـمان يـلعبون خـلفها, فـيهم غلام لـيس فـي الغلـمان أظرف منه, ولا أثرى ولا أوضأ منه, فأخذه بـيده, وأخذ حجرا, قـال: فضـرب به رأسه حتـى دمغه فقتله, قال: فرأى موسـى أمـرا فظيعـا لا صـبر علـيه, صبـيّ صغير لا ذنب له قالَ أقَتَلْتَ نَفْسـا زَاكِيَـةً بِغَيْـرِ نَفْـسٍ أي صـغيرة بغيـر نفس لَقَدْ جِئْتَ شَيْئا نُكْرا قالَ أَلَـم أقُلْ لَكَ إنّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعيَ صَـبْرا قـالَ إنْ سألْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصَاحبْنِـي قَدْ بَلَغْتَ مِـنْ لَدُنّـي عُـذْرا: أي قـد أعذرتَ فـي شأنـي فـانْطَلَقا حتـى إذَا أتَـيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فأَبَوْا أنْ يُضَيّفُوهَما فَوَجَدَا فِـيها جَدَارا يُرِيدُ أنْ يَنْقَضّ فهدمه, ثـم قعـد يبنـيه, فضـجر موسى مـما رآه يصنع من التكلـيف لـما لـيس علـيه صبر, فقـال: لَـوْ شِـئْتَ لاتّـخَذْتَ عَلَـيْهِ أَجْـرا أي قـد اسـتطعمناهم فلـم يطعمونـا, وضـفناهم فلـم يضيفونا, ثم قعدت فـي غير صنـيعة, ولـو شئت لأعطيـت علـيه أجـرا فـي عمله قالَ هَذَا فِراقُ بَـيْنِـي وَبَـيْنِكَ سأُنَبّئُكَ بَتأوِيـلِ ما لَـمْ تَسْتَطِعْ عَلَـيْهِ صَـبْرا أمّا السّفِـينَةُ فَكانَتْ لِـمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِـي البَحْـرِ فـأَرَدْتُ أنْ أَعِيبَهـا, وَكـانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يأخُذُ كُلَّ سَفِـينَةٍ غَصْبـا, وفـي قـراءة أبـيّ بـن كعـب: «كـلّ سفـينة صالـحة», وإنـما عبتها لأردّه عنها, فسلـمت حيـن رأى العيـب الـذي صـنعت بهـا. وأمّـا الغُلامُ فَكـانَ أَبَـوَاهُ مُؤْمِنَـيْنِ فَخَشِـيا أنْ يُرْهِقَهُما طُغْيانـا وكُفْرا. فأرَدْنا أنْ يُبْدِلَهُما رَبّهُما خَيْرا مِنْهُ زَكـاةً وأقْـرَبَ رُحْمـا وأمّـا الـجِدَارُ فَكانَ لغُلامَيْنِ يَتِـيـمَيْنِ فِـي الـمَدِينَةِ وكـانَ تَـحْتَهُ كَنْـزٌ لهمـا وكـانَ أبُوهُمَـا صَالِـحا فأرَادَ رَبّكَ أنْ يَبْلُغا أشُدّهُما ويَسْتَـخْرِجا كَنْزَهُما رَحْمَـةً مِـنْ رَبّـكَ وَمـا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي: أي ما فعلته عن نفسي ذلـكَ تَأوِيـلُ مـا لَـمْ تَسْـطِعْ عَلَـيْهِ صَبْرا فكان ابن عبـاس يقول: ما كان الكنز إلا علـما.

17501ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني ابن إسحاق, عن الحسن بن عُمارة, عن أبيه, عن عكرِمة قال: قيل لابن عباس: لم نسمع لفتى موسى بذكر من حديث, وقد كان معه, فقال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى قال: شرب الفتى من الماء فخلّد, فأخذه العالم فطابق به سفينة, ثم أرسله في البحر, فإنها لتموج به إلى يوم القيامة, وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب.

17502ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَإِذْ قالَ مُوسَى لفَتاهُ لا أبْرَحُ حتى أبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أوْ أمْضِيَ حُقُبا قال: لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر فلما استقرّت بهم الدار أنزل الله عليه أن ذَكّرْهُمْ بِأيّامِ اللّهِ فخطب قومه, فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة, وذكّرَهم إذ أنجاهم الله من أل فرعون, وذكرهم هلاك عدوّهم, وما استخلفهم الله في الأرض, وقال: كلم الله نبيكم تكليما, واصطفاني لنفسه, وأنزل عليّ محبة منه, وآتاكم الله من كلّ ما سألتموه, فنبيكم أفضل أهل الأرض, وأنتم تقرأون التوراة, فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم إلا ذكرها, وعرّفها إياهم, فقال له رجل من بني إسرائيل: هم كذلك يا نبيّ الله, قد عرفنا الذي تقول, فهل على الأرض أحد أعلم منك يا نبيّ الله؟ قال: لا فبعث الله جبرئيل إلى موسى عليهما السلام, فقال: إن الله يقول: وما يدريك أين أضع علمي؟ بلى إن على شطّ البحر رجلاً أعلم منك فقال ابن عباس: هو الخَضِر, فسأل موسى ربه أن يريه إياه, فأوحى الله إليه أن ائت البحر, فإنك تجد على شطّ البحر حُوتا, فخذه فادفعه إلى فتاك, ثم الزم شطّ البحر, فإذا نسيتَ الحوت وهَلَك منك, فثمّ تجد العبد الصالح الذي تطلب فلما طال سفر موسى نبيّ الله ونصب فيه, سأل فتاه عن الحوت, فقال له فتاه وهو غلامه أرَأيْتَ إذْ أوَيْنا إلى الصّخْرَةِ فإنّي نَسِيتُ الحُوتَ وَما أنْسانِيهُ إلاّ الشّيْطانُ أنْ أذْكُرَهُ قال الفتى: لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سَرَبا, فأعجب ذلك موسى فرجع حتى أتى الصخرة, فوجد الحوت يضرب في البحر, ويتبعه موسى, وجعل موسى يقدّم عصاه يفرُج بها عن الماء يتبع الحوت, وجعل الحوت لا تمسّ شيئا من البحر إلا يبس حتى يكون صخرة, فجعل نبيّ الله يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر, فلقى الخَضِر بها فسلم عليه, فقال الخضر: وعليك السلام, وأنى يكون هذا السلام بهذه الأرض, ومن أنت؟ قال: أنا موسى, فقال له الخضر: أصاحبُ بني إسرائيل؟ قال: نعم فرحب به, وقال: ما جاء بك؟ قال: جئتك على أن تعلمني مما علّمت رُشدا قَالَ إنّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرا قال: لا تطيق ذلك, قال موسى: سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ اللّهُ صَابِرا وَلا أعْصِيَ لَكَ أمْرا قال: فانطلق به وقال له: لا تسألني عن شيء أصنعه حتى أبّين لك شأنه, فذلك قوله: أحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرا. فركبا في السفينة يريدان البرّ, فقام الخضر فخرق السفينة, فقال له موسى أخَرَقْتَها لتُغْرِقَ أهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئا إمْرا.

17503ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَلَمّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهما نَسِيا حُوتَهُما ذُكِر أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لما قطع البحر وأنجاه الله من آل فرعون, جمع بني إسرائيل, فخطبهم

فقال: أنتم خير أهل الأرض وأعلمه, قد أهلك الله عدوّكم, وأقطعكم البحر, وأنزل عليكم التوراة قال: فقيل له: إن ههنا رجلاً هو أعلم منك. قال: فانطلق هو وفتاه يوشع بن نون يطلبانه, وتزوّدا سمكة مملوحة في مِكتل لهما, وقيل لهما: إذا نسيتما ما معكما لقيتما رجلاً عالما يقال له الخضر فلما أتيا ذلك المكان, ردّ الله إلى الحوت روحه, فسرب له من الجسر حتى أفضى إلى البحر, ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقا إلا صار ماء جامدا. قال: ومضى موسى وفتاه يقول الله عزّ وجلّ: فَلَمّا جاوَزَا قالَ لِفَتاهُ آتِنا غَدَاءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هَذَا نَصَبا قالَ أَرَأَيْتَ إذْ أَوَيْنا إلى الصّخْرَةِ فإنّي نَسِيتُ الحُوتَ... ثم تلا إلى قوله: وَعَلّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْما فلقيا رجلاً عالما يقال له الخَضِر, فذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّما سُمّىَ الخَضِرُ خَضِرا لأنهُ قَعَدَ عَلى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ, فاهْتَزّتْ بِهِ خَضراء».

17504ـ حدثني العباس بن الوليد, قال: حدثنا أبي, قال: حدثنا الأوزاعيّ, قال: حدثنا الزهريّ, عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود, عن ابن عباس أنه تمارى هو والحرّ بن قيس بن حِصْن الفزاريّ في صاحب موسى, فقال ابن عباس: هو خَضِر, فمرّ بهما أبيّ بن كعب, فدعاه ابن عباس فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيّه, فقال سمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بَيْنا مُوسَى فِي مَلأ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ إذْ جاءَهُ رَجُلٌ فَقالَ: تَعْلَمُ مَكانَ أحَدٍ أعْلَمُ مِنْكَ؟ قالَ مُوسَى: لا, فَأوْحَى اللّهُ إلى مُوسَى: بَلى عَبْدُنا خَضِرٌ, فَسألَ مُوسَى السّبِيلَ إلى لُقِيّهِ, فَجَعَلَ اللّهُ لَهُ الحُوتَ آيَةً, وَقِيلَ لَهُ: إذَا فَقَدْتَ الحُوتَ فارْجِعْ فإنّكَ سَتَلْقاهُ, فَكانَ مُوسَى يَتْبَعُ أثَرَ الحُوتِ فِي البَحْرِ, فَقال فَتَى مُوسَى لِمُوسَى: أرَأيْتَ إذْ أوَيْنا إلى الصّخْرَةِ, فإنّي نَسِيتُ الحُوتَ, قالَ مُوسَى: ذلكَ ما كُنّا نَبْغِ, فارْتَدّا عَلى آثارِهِما قَصَصا, فَوَجَدَا عَبْدَنا خَضِرا, وكانَ مِنْ شأنِهِما ما قَصّ اللّهُ في كِتابِهِ».

حدثني محمد بن مرزوق, قال: حدثنا الحجاج بن المنهال, قال: حدثنا عبد الله بن عمر النميري, عن يونس بن يزيد, قال: سمعت الزهريّ يحدّث, قال: أخبرني عميد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود, عن ابن عباس, أنه تمارى هو والحرّ بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى, ثم ذكر نحو حديث العباس, عن أبيّ بن كعب, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم.

الآية : 66 و 67

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ لَهُ مُوسَىَ هَلْ أَتّبِعُكَ عَلَىَ أَن تُعَلّمَنِ مِمّا عُلّمْتَ رُشْداً * قَالَ إِنّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً }.

يقول تعالى ذكره: قال موسى للعالم: هَلْ أتّبِعُكَ عَلى أنْ تَعَلّمَنِ من العلم الذي علمك الله ما هو رشاد إلى الحقّ, ودليل على هدى؟ قالَ إنّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعَي صَبْرا يقول تعالى ذكره: قال العالم: إنك لن تطيق الصبر معي, وذلك أني أعمل بباطن علم علّمنيه الله, ولا علم لك إلا بظاهر من الأمور, فلا تصبر على ما ترى من الأفعال, كما ذكرنا من الخبر عن ابن عباس قَبلُ من أنه كان رجلاً يعمل على الغيب قد علم ذلك.

الآية : 68 و 69

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىَ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً * قَالَ سَتَجِدُنِيَ إِن شَآءَ اللّهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْراً }.

يقول عزّ ذكره مخبرا عن قول العالم لموسى: وكيف تصبر يا موسى على ما ترى مني من الأفعال التي لا علم لك بوجوه صوابها, وتقيم معي عليها, وأنت إنما تحكم على صواب المصيب وخطأ المخطىء بالظاهر الذي عندك, وبمبلغ علمك, وأفعالي تقع بغير دليل ظاهر لرأي عينك على صوابها, لأنها تُبتدأ لأسباب تحدث آجلة غير عاجلة, لا علم لك بالحادث عنها, لأنها غيب, ولا تحيط بعلم الغيب خبرا يقول علما, قال: سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ اللّهُ صَابِرا على ما أرى منك وإن كان خلافا لما هو عندي صواب وَلا أعْصِي لَكَ أمْرا يقول: وأنتهي إلى ما تأمرني, وإن لم يكن موافقا هواي.

الآية : 70

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْني عَن شَيءٍ حَتّىَ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً }.

يقول تبارك وتعالى: قال العالم لموسى: فإن اتبعتني الآن فلا تسألني عن شيء أعمله مما تستنكره, فإني قد أعلمتك أني أعمل العمل على الغيب الذي لا تحيط به علما حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرا يقول: حتى أحدث أنا لك مما ترى من الأفعال التي أفعلها التي تستنكرها أذكرها لك وأبين لك شأنها, وأبتدئك الخبر عنها, كما:

17505ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس فَلا تَسألْنِي عَنْ شَيْءٍ حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرا يعني عن شيء أصنعه حتى أبين لك شأنه.

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {فَانْطَلَقَا حَتّىَ إِذَا رَكِبَا فِي السّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً }.

يقول تعالى ذكره: فانطلق موسى والعالم يسيران يطلبان سفينة يركبانها, حتى إذا أصاباها ركبا في السفينة, فلما ركباها, خرق العالم السفينة, قال له موسى: أخرقتها بعد ما لَجَجنا في البحر لِتُغْرِقَ أهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئا إمْرا يقول: لقد جئت شيئا عظيما, وفعلت فعلاً مُنكرا.

17506ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَقَدْ جِئْتَ شَيْئا إمْرا: أي عجبا, إن قوما لججوا سفينتهم فخرقتها, كأحوج ما نكون إليها, ولكن علم من ذلك ما لم يعلم نبيّ الله موسى ذلك من علم الله الذي آتاه, وقد قال لنبيّ الله موسى عليه السلام: فإنِ اتّبَعْتَنِي فَلا تَسألْنِي عَنْ شَيْءٍ حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرا.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة لَقَدْ جِئْتَ شَيْئا إمْرا يقول: نُكرا.

17507ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: لَقَدْ جِئْتَ شَيْئا إمْرا قال: منكرا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

والإمر: في كلام العرب: الداهية ومنه قول الراجز:

قَدْ لَقِيَ الأَقْرَانُ مِنِي نُكْرَادَاهِيَةً دَهْيَاءَ إدّا إمْرَا

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: أصله: كلّ شيء شديد كثير, ويقول منه: قيل للقوم: قد أَمِروا: إذا كثروا واشتدّ أمرهم. قال: والمصدر منه: الأَمَر, والاسم: الإمْر.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: لِتُغْرِقَ أَهْلَها فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين لِتُغْرِقَ أَهْلَها بالتاء في لتغرق, ونصب الأهل, بمعنى: لتُغرق أنت أيها الرجل أهل هذه السفينة بالخرق الذي خرقت فيها. وقرأه عامة قرّاء الكوفة: «لِيَغْرَقَ» بالياء أهلها بالرفع, على أن الأهل هم الذين يغرقون.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قرأة الأمصار, متفقتا المعنى وإن اختلفت ألفاظهما, فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب.

وإنما قلنا: هما متفقتا المعنى, لأنه معلوم أن إنكار موسى على العالِم خرق السفينة إنما كان لأنه كان عنده أن ذلك سبب لغرق أهلها إذا أحدث مثل ذلك الحدث فيها فلا خفاء على أحد معنى ذلك قرىء بالتاء ونصب الأهل, أو بالياء ورفع الأهل.

الآية : 72 و 73

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً }.

يقول عزّ ذكره: قَالَ العالم لموسى إذ قال له ما قال أَلَمْ أقُل إنّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرا على ما ترى من أفعالي, لأنك ترى ما لم تُحِط به خبرا قال له موسى: لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ. فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: كان هذا الكلام من موسى عليه السلام للعالِم معارضة, لا أنه كان نسي عهده, وما كان تقدّم فيه حين استصحبه بقوله: فإنِ اتّبَعْتَنِي فَلا تَسألْنِي عَنْ شَيْءٍ حتى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرا. ذكر من قال ذلك:

17508ـ حُدثت عن يحيى بن زياد, قال: ثني يحيى بن المهلب, عن رجل, عن سعيد بن جبير, عن أبيّ بن كعب الأنصاريّ في قوله: لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ قال: لم ينس, ولكنها من معاريض الكلام.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تؤاخذني بتركي عهدك, ووجه أن معنى النسيان: الترك. ذكر من قال ذلك:

17509ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن الحسن بن عمارة, عن الحكم, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس قالَ لا تُؤاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ: أي بما تركت من عهدك.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخِذه بِما نسِي فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه لا بما سأله عنه, وهو لعهده ذاكر للصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, بأن ذلك معناه من الخبر, وذلك ما:

17510ـ حدثنا به أبو كريب, قال: حدثنا يحيى بن آدم, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو بن دينار, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, عن أبيّ بن كعب, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تُؤاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ قالَ: «كانَتِ الأُوَلى مِنْ مُوسَى نِسْيانا».

وقوله: ولا تُرْهِقْنِي مِنْ أمْرِي عُسْرا يقول: لا تُغْشِنِي من أمري عسرا, يقول: لا تضيق عليّ أمري معك, وصحبتي إياك.

الآية : 74

القول في تأويل قوله تعالى: {فَانْطَلَقَا حَتّىَ إِذَا لَقِيَا غُلاَماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نّكْراً}.

يقول تعالى ذكره: فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله العالم, فقال له موسى: أقتلت نفسا زكية.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة: «أقَتَلْتَ نَفْسا زَاكِيَةً» وقالوا معنى ذلك: المطهرة التي لا ذنب لها, ولم تذنب قطّ لصغرها. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة: نَفْسا زَكِيّةً بمعنى: التائبة المغفور لها ذنوبها. ذكر من قال ذلك:

17511ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: أقَتَلْتَ نَفْسا زَكِيّةً والزكية: التائبة.

17512ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قالَ أقَتَلْتَ نَفْسا زَكِيّةً قال: الزكية: التائبة.

17513ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر أقَتَلْتَ نَفْسا زَاكِيَةً قال: قال الحسن: تائبة, هكذا في حديث الحسن وشهْر زاكية.

17514ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله نَفْسا زَكيّةً قال: تائبة. ذكر من قال: معناها المسلمة التي لا ذنب لها:

17515ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرني يعلى بن مسلم, أنه سمع سعيد بن جبير يقول: وجد خضر غلمانا يلعبون, فأخذ غلاما ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين. قال: وأخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجبئي قال: اسم الغلام الذي قتله الخضر: جيسور «قالَ أقَتَلْتَ نَفْسا زَاكِيَةً» قال: مسلمة. قال: وقرأها ابن عباس: زَكِيّةً كقولك: زكيا.

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة يقول: معنى الزكية والزاكية واحد, كالقاسية والقسية, ويقول: هي التي لم تجن شيئا, وذلك هو الصواب عندي لأني لم أجد فرقا بينهما في شيء من كلام العرب.

فإذا كان ذلك كذلك, فبأيّ القراءتين قرأ ذلك القارىء فمصيب, لأنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار بمعنى واحد.

وقوله: بِغَيْرِ نَفْسٍ يقول: بغير قصاص بنفس قتلت, فلزمها القتل قودا بها. وقوله: لَقَدْ جِئْتَ شَيْئا نُكْرا يقول: لقد جئت بشيء منكر, وفعلت فعلاً غير معروف. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل: ذكر من قال ذلك:

17516ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لَقَدْ جِئْتَ شَيْئا نُكْرا والنّكْرُ أشدّ من الإمر.

الآية : 75 و 76

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لّكَ إِنّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لّدُنّي عُذْراً }.

يقول تعالى ذكره: قال العالم لموسى أَلَمْ أقُلْ لكَ إنّكَ لَنْ تَسْتَطيعَ مَعِيَ صَبْرا على ما ترى من أفعالي التي لم تُحط بها خبرا, قال موسى له: إنْ سألْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها يقول: بعد هذه المرّة فَلا تُصَاحِبْنِي يقول: ففارقني, فلا تكن لي مصاحبا قَدَ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنّي عُذْرا يقول: قد بلغت العذر في شأني.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة: «مِنْ لَدُنِي عُذْرا» بفتح اللام وضم الدال وتخفيف النون. وقرأه عامة قرّاء الكوفة والبصرة بفتح اللام وضمّ الدال وتشديد النون. وقرأه بعض قرّاء الكوفة بإشمام اللام الضم وتسكين الدال وتخفيف النون, وكأن الذين شدّدوا النون طلبوا للنون التي في لدن السلامة من الحركة, إذ كانت في الأصل ساكنة, ولو لم تشدّد لتحرّكت, فشدّدوها كراهة منهم تحريكها, كما فعلوا في «من, وعن» إذ أضافوهما إلى مكنيّ المخبر عن نفسه, فشدّدوهما, فقالوا مني وعنّي. وأما الذين خفّفوها, فإنهم وجدوا مكنيّ المخبر عن نفسه في حال الخفض ياء وحدها لا نون معها, فأجروا ذلك من لدن على حسب ما جرى به كلامهم في ذلك مع سائر الأشياء غيرها.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما لغتان فصيحتان, قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء بالقرآن, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, غير أن أعجب القراءتين إليّ في ذلك قراءة من فتح اللام وضمّ الدال وشدّد النون. لعلتين: إحداهما أنها أشهر اللغتين, والأخرى أن محمد بن نافع البصري:

17517ـ حدثنا , قال: حدثنا أمية بن خالد, قال: حدثنا أبو الجارية العبدي, عن أبي إسحاق, عن سعد بن جبير, عن ابن عباس, عن أبيّ بن كعب, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنّي عُذْرا مثقلة.

17518ـ حدثني عبد الله بن أبي زياد, قال: حدثنا حجاج بن محمد, عن حمزة الزيات, عن أبي إسحاق, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, عن أبيّ بن كعب, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم مثله, وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقال: «اسْتَحيْا فِي اللّهِ مُوسَى».

17519ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا بدل بن المحبر, قال: حدثنا عباد بن راشد, قال: حدثنا داود, في قول الله عزّ وجلّ إنْ سألْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنّي عُذْرا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسْتَحيْا فِي اللّهِ مُوسَى عِنْدَها».

حدثني عبد الله بن أبي زياد, قال: حدثنا حجاج بن محمد, عن حمزة الزيات, عن أبي إسحاق, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, عن أبيّ بن كعب, قال: كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه, فقال ذات يوم: «رَحْمَةُ اللّهِ عَلَيْنا وَعلى مُوسَى, لَوْ لَبِثَ مَعَ صَاحِبِهِ لأَبْصَرَ العَجَبَ وَلَكِنّهُ قالَ: إنْ سألْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَها فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنّي عُذْرا» مُثَقلة.

الآية : 77

القول في تأويل قوله تعالى: {فَانطَلَقَا حَتّىَ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً }.

يقول تعالى ذكره: فانطلق موسى والعالم حَتّى إذَا أتَيَا أهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أهْلَها من الطعام فلم يطعموهما واستضافاهم فَأبَوْا أن يُضَيّفُوهُما فَوَجَدَا فِيها جِدَارا يُرِيدُ أنْ يَنْقَضّ يقول: وجدا في القرية حائطا يريد أن يسقط ويقع يقال منه: انقضّت الدار: إذا انهدمت وسقطت ومنه انقضاض الكوكب, وذلك سقوطه وزواله عن مكانه ومنه قول ذي الرّمة:

ـانْقَضّ كالكَوْكَبِ الدّرّي مُنْصَلِتا

وقد رُوي عن يحيى بن يعمر أنه قرأ ذلك: «يُرِيدُ أنْ يَنْقاضّ».

وقد اختلف أهل العلم بكلام العرب إذا قرىء ذلك كذلك في معناه, فقال بعض أهل البصرة منهم: مجاز ينقاضّ: أي ينقلع من أصله, ويتصدّع, بمنزلة قولهم: قد انقاضت السنّ: أي تصدّعت, وتصدّعت من أصلها, يقال: فراق كقبض السنّ: أي لا يجتمع أهله. وقال بعض أهل الكوفة منهم: الانقياض: الشقّ في طول الحائط في طيّ البئر وفي سنّ الرجل, يقال: قد انقاضت سنة: إذا انشقّت طولاً. وقيل: إن القرية التي استطعم أهلها موسى وصاحبه, فأبوا أن يضيفوهما: الأيلة. ذكر من قال ذلك:

17520ـ حدثني الحسين بن محمد الذارع, قال: حدثنا عمران بن المعتمر صاحب الكرابيسي, قال: حدثنا حماد أبو صالح, عن محمد بن سيرين, قال: انتابوا الأيلة, فإنه قلّ من يأتيها فيرجع منها خائبا, وهي الأرض التي أبوا أن يضيفوهما, وهي أبعد أرض الله من السماء.

17521ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فانْطَلَقا حتى إذَا أتيَا أهْلَ قَرْيَةٍ, وتلا إلى قوله لاتّخَذْتَ عَلَيْهِ أجْرا شرّ القرى التي لا تُضِيف الضيف, ولا تعرف لابن السبيل حقه.

واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قول الله عزّ وجلّ يَرِيدُ أنْ يَنْقَضّ فقال بعض أهل البصرة: ليس للحائط إرادة ولا للمَوَات, ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثة فهو إرادته. وهذا كقول العرب في غيره:

يُرِيدُ الرّمْحُ صَدْرَ أبي بَرَاءٍوَيَرْغَبُ عَنْ دِماءه بَنِي عُقَيْلِ

وقال آخر منهم: إنما كلم القوم بما يعقلون, قال: وذلك لما دنا من الانقضاض, جاز أن يقول: يريد أن ينقضّ, قال: ومثله تَكادُ السّمَواتُ يَتَفَطّرْنَ وقولهم: إني لأكاد أطير من الفرح, وأنت لم تقرب من ذلك, ولم تهمّ به, ولكن لعظيم الأمر عندك. وقال بعض الكوفيين منهم: من كلام العرب أن يقولوا: الجدار يريد أن يسقط قال: ومثله من قول العرب قول الشاعر:

إنّ دهْرا يَلُفّ شَمِلي بِجُمْلٍلَزَمانٌ يَهُمّ بالإحْسانِ

وقول الآخر:

يَشْكُو إليّ جَمَلِي طُولَ السّرَىصَبْرا جَمِيلاً فَكِلانا مُبْتَلَى

قال: والجمل لم يشك, إنما تكلّم به على أنه لو تكلم لقال ذلك قال: وكذلك قول عنترة:

وَازْوَرّ مِنْ وَقْعِ القَنا بِلَبانِهِوشَكا إليّ بعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ

قال: ومنه قول الله عزّ وجلّ: ولَـمّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ والغضب لا يسكت, وإنـما يسكت صاحبه. وإنـما معناه: سكن. وقوله: فَـإذَا عَـزَمَ الأَمْـرُ إنـما يعزم أهله. وقال آخر منهـم: هـذا مـن أفصح كلام العـرب, وقـال: إمـا إرادة الــجدار: ميــله, كمـا قـال النبــيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم «لا تَـرَاءى نارَاهُما» وإنـما هو أن تكون ناران كلّ واحدة من صـاحبتها بــموضع لـو قـام فـيه إنسان رأى الأخرى فـي القُرب قـال: وهـو كقـول اللـه عـزّ وجـلّ فــي الأصنام: وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إلَـيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ قـال: والعـرب تقـول: داري تنظر إلـى دار فلان, تعنـي: قرب ما بـينهما واستشهد بقول ذي الرّمّـة فــي وصفه حوضا أو منزلاً دارسا:

قَدْ كادَ أوْ قَدْ هَمّ بـالبُـيُودِ

قال: فجعله يهمّ, وإنـما معناه: أنه قد تغير للبلـى. والذي نقول به فـي ذلك أن الله عزّ ذكره بلطفه, جعـل الكلام بــين خــلقه رحمـة منـه بهـم, لـيبــين بعضهم لبعض عما فــي ضـمائرهم. مــما لا تــحسّه أبصـارهم, وقـد عقلـت العرب معنى القائل:

فِـي مَهْمَهٍ قَلِقَتْ بِهِ هاماتُهاقَلَقَ الفُؤُوسِ إذَا أرَدْنَ نُصُولا

وفهمت أن الفؤوس لا توصف به بنو آدم من ضـمائر الصـدور مـع وصـفها إياهما بأنها تريد. وعلـمت ما يريد القائل بقوله:

كمِثْلِ هَيْـلِ النّقا طافَ الـمُشاةُ بِهِيَنْهالُ حِينا ويَنْهاهُ التّرَى حِينا

وإنـما لـم يرد أن الثرى نطق, ولكنه أراد به أنه تلبّـد بــالندى, فمنعـه مـن الانهيال, فكـان منعـه إيـاه مـن ذلـك كـالنهي مـن ذوي الــمنطق فلا ينهـال. وكذلك قوله: جِدَارا يُرِيدُ أنْ يَنْقُضّ قد علــمت أن معنـاه: قـد قـارب مـن أن يقع أو يسقط, وإنـما خاطب جلّ ثنـاؤه بــالقرآن مـن أنـزل الـوحي بلسـانه, وقد عقلوا ما عنى به وإن استعجم عن فهمه ذوو البلادة والعمى, وضلّ فــيه ذوو الـجهالة والغبـا.

وقوله: فَأقامَهُ ذكر عن ابن عبـاس أنه قال: هدمه ثم قعد يبنـيه.

17522ـ حدثنا بذلك ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, قال: ثنـي ابن إسحاق, عن الـحسن بن عُمارة, عن الـحكم بن عتـيبة, عن سعيد بن جبـير, عن ابــن عبـاس. وقال آخرون فـي ذلك ما:

17523ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, عن عمرو بن دينار, عن سعيد بن جبـير فوجـدا فــيها جِـدَارا يُرِيـدُ أنْ يَنْقَضّ قال: رفع الـجدار بـيده فـاستقام.

والصواب من القول فـي ذلك أن يُقال: إن الله عزّ ذكره أخبر أن صـاحب موسى وموسى وجدا جدارا يريد أن ينقضّ فأقامه صاحب موسى, بــمعنى: عَدَل مَيَـله حتـى عاد مستويا. وجائز أن يكـون كـان ذلـك بإصـلاح بعـد هـدم. وجائز أن يكون كان برفع منه له بـيده, فـاستوى بقدرة الله, وزال عنه مَيْـلُه بلطفه, ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر للعذر قاطع بأيّ ذلك كان من أيّ.

وقوله: قالَ لَوْ شِئْتَ لاتّـخَذْتَ عَلَـيْهِ أجْرا يقول: قال موسى لصـاحبه: لـو شئت لـم تقم لهؤلاء القوم جدارهم حتـى يعطوك علـى إقامتك أجرا, فقــال بعضهم: إنـما عَنَى موسى بـالأجر الذي قال له لَوْ شِئْتَ لاتّـخَذْتَ عَلَـيْهِ أجْـرا القِرى: أي حتـى يَقْرُونا, فإنهم قد أبوا أن يضّيفونا.

وقال آخرون: بل عنى بذلك العِوَض والـجزاء علـى إقامته الـحائط الـمائل.

واختلف القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته عامّة قرّاء أهل الـمدينة والكوفة لَوْ شِئْتَ لاتّـخَذْتَ عَلَـيْهِ أجْرا علـى التوجيه منهم له إلـى أنه لافتعلت من الأخذ. وقرأ ذلك بعض أهـل البصـرة «لَـوْ شَـئِتَ لَتَـخِذْتَ» بتـخفـيف التـاء وكسـر الـخاء, وأصله: لافتعلت, غير أنهم جعلوا التاء كأنهم من أصل الكلــمة, ولأن الكلام عندهم فـي فعل ويفعل من ذلك: تـخِذ فلان كذا يَتْـخَذُهُ تَــخْذا, وهـي لغة فـيـما ذكر لهُذَيـل. وقال بعض الشعراء:

وَقَدْ تَـخِذَتْ رِجْلِـي لَدَى جَنْبِ غَرْزِهاتَسِيفـا كأُفُحُوصِ القَطاةِ الـمُطَرّقِ

والصواب من القول فـي ذلك عندي: أنهمـا لغتـان معروفتـان مـن لغـات العرب بـمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, غير أنـي أختـار قراءتـه بتشديد التاء علـى لافتعلت, لأنها أفصح اللغتـين وأشهرهما, وأكثرهما علــى ألسن العرب.